

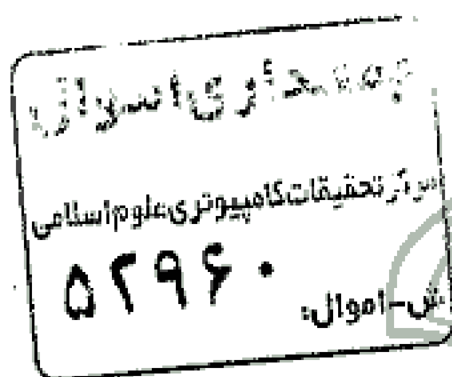
٥٠

أهل البيت عليهم السلام

إمامتهم حياتهم

تأليف

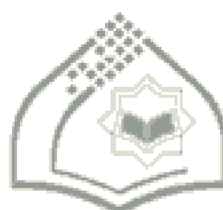
الشيخ محمد علي الأنصاري



أهل البيت عليهم السلام

إمامتهم

حياتهم


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



٥٠

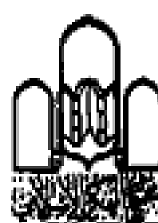
أهل البيت عليهم السلام

إمامتهم حياتهم

تأليف

الشيخ محمد علي الأنصاري

انصاري، محمد علي، ۱۳۳۰ ـ
اهل البيت عليهم السلام، امامتهم، حياتهم.
محمد علي انصاري ـ قم: مجمع الفكر الاسلامي، ۱۳۸۲ ش.
۶۲۴ ص.
ISBN 964 - 5662 - 61 - 3
فهرستنويسي بر اساس اطلاعات فيپا.
عربي.
۱. امامت. ۲. ائمه اثنا عشر ـ سرگذشتنامه. ۳. فـاطمه زهـرا (س).
۸ قبل از هجرت ـ ۱۱ ق. سرگذشتنامه. الف. مجمع الفكر الاسلامي.
ب. عنوان.
BP ۲۷۷۲۳ / ۸ الف ۸ م ۲۹۷ / ۴۵۲
كتابخانه ملی ايران ۳۵۵۸۲ ـ ۸۲ م



قم ـ ص. ب ۳٦٥٤ ـ ۳۷۱۸٥ ـ ت: ۷۷٤٤۸۱۰

أهل البيت عليهم السلام إمامتهم، حياتهم

المؤلف: الشيخ محمد علي الأنصاري (خليفة شرشتري)
الناشر: مجمع الفكر الاسلامي
الطبعة: الثانية / ١٤٢٨ هـ. ق
تنضيد الحروف: رؤيا كامپيوتر
المطبعة: خاتم الانبياء ـ قم
الكمية المطبوعة: ٥٠٠ نسخة

كلمة المجمع

بسم الله الرّحمن الرّحيم

يسرّ مجمع الفكر الإسلامي أن يقدّم إلى روّاد العلم والتحقيق سفراً قيّماً آخر في موضوع هامّ وخطير، وهو مبحث الإمامة، فقد سبق أن كتب سماحة العلّامة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ محمّد علي الأنصاري بحوثاً قيّمة تحت العنوانين: «إمامة» و«أهل البيت»، مع «ملحق تراجم الأئمّة عليهم السلام» في موسوعته الثمينة «الموسوعة الفقهيّة الميسّرة»؛ ونظراً للأهمّية الفائقة لهذه البحوث في عصرنا الحاضر، وضرورة إلمام الجيل المثقّف بها، ارتأى المؤلّف أن يعدّ كتاباً مستقلّاً تحت عنوان «أهل البيت، إمامتهم، حياتهم»، فأضاف الكثير من الأبحاث إلى ما كان قد كتبه سابقاً، وجعل كتابه في فصول ثلاثة:

خصّص الفصل الأوّل منها بالبحث عن أهل البيت في جوانب مختلفة، كالبحث عن تحديد المقصود من أهل البيت في ضوء الروايات الواردة عن النبيّ صلى الله عليه وآله، وعن خصائص أهل البيت، والأحكام الخاصّة بهم، كوجوب مودّتهم، وحرمة بغضهم، و...

وخصّ الفصل الثاني بموضوع إمامة أهل البيت، وبحث فيه عن مسائل جديرة بالتأمّل، مثل موضوع نصب الإمام وشروطه، ونصوص الإمامة وغيرها.

ودرس في الفصل الثالث حياة أهل البيت عليهم السلام دراسة مستوعبة لأبرز ما يرتبط بالموضوع.

والجدير بالذكر هو تركيز المؤلّف على الجانب العلمي لأهل البيت عليهم السلام ، فإنّهم وإن أُقصوا عن حقّهم الشرعي في زعامة المجتمع ، لكنّهم ما زالوا ، وإلى يوم يبعثون ، هم المصدر والمرجع والملجأ لأخذ الدين وشرائعه ؛ وذلك لما ورد من النصوص المتواترة عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله في الأمر بالرجوع إليهم ، ولزوم اتّباعهم ، ولما يتأهّلون به من علم إلهي غزير.

نتمنّى للمؤلّف العزيز مزيداً من التوفيق على درب أهل البيت عليهم السلام وحبّهم وهداهم. ونرجو أن ينال هذا الكتاب مكانة متميّزة في طرح الدراسات التي تشرّفت بهم ، وأن يكون نافذة حقّ كلّما فتحت أشرقت أنوارهم ، وأزاحت ستائر الظلمة عن فجر الهداية والإيمان.



مجمع الفكر الإسلامي

ذي القعدة الحرام ١٤٢٤هـ

مقدّمة المؤلّف

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد رسله وخاتم أنبيائه محمّد، وعلى أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

وأمّا بعد: فمن منن الله تعالى علينا أن هدانا للإسلام الذي أكمله بولاية أهل بيت نبيّه عليه وعليهم السلام، فأتمّ النعمة بالولاية، فقال عزّ من قائل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾[1].

فكان من الواجب شكر هذه النعمة العظيمة، ومن طرق الشكر القيام بالتعريف بالإسلام بصورة عامّة، وبأهل بيت الرسالة صلى الله عليه وآله بصورة خاصّة، وتبيين مقامهم وولايتهم؛ ليهتدي بهم النّاس ويستضيئوا بنورهم. ويزداد ذلك أهمّية إذا لاحظنا ما قام به خصومهم وأعداؤهم من السعي في إخماد نورهم، وإخفاء فضائلهم والتنكيل بمن تكلّم بها.

ونحن نشكر الله تعالى على أن وفّقنا للقيام بأداء جزءٍ من الواجب تجاه أهل بيت نبيّه صلى الله عليه وآله بالمقدار الذي سمحت به الظروف، فكان حصيلة هذا المجهود الكتاب الماثل بين أيدينا، وهو ـ في الواقع ـ مستلّ من كتابنا «الموسوعة الفقهيّة الميسّرة»[2]، مع إضافات وتعديلات، وهو يتكوّن من فصول ثلاثة:

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) أُخذت هذه الأبحاث من عنوان «إمامة»، وملحق تراجم الأئمّة عليهم السلام في المجلّد الخامس، وعنوان «أهل البيت» في المجلّد السادس.

ـ فالأوّل منه، يتكفّل بدراسة عنوان «أهل البيت»، وبيان أنّه مَن هم؟ وما هي خصوصيّاتهم وأحكامهم؟

ـ والثاني، يتضمّن الكلام عن نظريّة أهل البيت ﷺ في الإمامة، ونظريّة أهل السنّة فيها، والمقايسة بينهما.

ـ والثالث، يحتوي على ترجمة مختصرة ومركّزة للأئمّة الاثني عشر من أهل البيت ﷺ ، وتتقدّمها ترجمة الصدّيقة فاطمة الزهراء ﷺ .

وكان اهتمامنا في هذه الترجمة بإبراز الجانب العلمي للأئمّة ﷺ أكثر من سائر الجوانب.

وأردفنا ذلك في الخاتمة ببحث حول الإمام المهدي (عجّل الله تعالى فرجه الشريف).

فالكتاب يحتوي على مجموعة بحوث حول أهل البيت ﷺ ، طرحت فيه بصورة مركّزة ومختصرة، فهو يسعف من يراجعه بأيّ مستوى كان.

وبدوري أشكر أسرة مجمع الفكر الإسلامي الموقّرة على إقدامها على طبع الكتاب، سائلاً العليّ القدير أن يوفّقنا وإيّاهم لخدمة مذهب أهل البيت ﷺ .

وفي الختام أهدي ثواب ما قمت به إلى والديّ اللذين علّماني حبّ أهل البيت ﷺ ، وربّياني على مذهبهم، سائلاً العليّ القدير أن يتغمّدهما برحمته الواسعة، إنّه مجيب الدعاء.

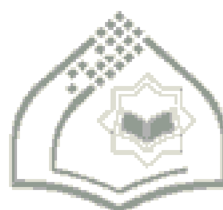
محمّد علي الأنصاري

٢٠ / ذو القعدة / ١٤٢٤ق

٢٣ / ١٠ / ١٣٨٢ش

الفصل الأول

من هم أهل البيت عليهم السلام؟


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أهل البيت

لمعرفة المراد من أهل البيت، لا بدّ من معرفة معناه لغة واصطلاحاً:

أمّا لـغة:

فإنّ مصطلح «أهل البيت» مركّبٌ من كلمتين: «أهل» و «البيت»، ولا بدّ من معرفة الكلمتين لغوياً كي يتبيّن معنى المركّب منهما.

أوّلاً ـ تعريف الأهل:

اختلف اللغويّون في تعريفه، فقيل:

ـ أهل الرجل: زوجه وأخصّ الناس به[1].

ـ أو عشيرته وذوو قرباه[2].

ـ وقيل: آل الرجل: أهله وعياله وأتباعه[3].

ـ وقيل: أهل المذهب: من يدين به،... وأهل الأمر: ولاته، وأهل البيت: سكّانه، وأهل الرجل: أخصّ الناس به[4].

---

(١) انظر ترتيب كتاب العين: «أهل».

(٢) انظر: لسان العرب والقاموس المحيط: «أهل».

(٣) انظر الصحاح: «أوّل».

(٤) انظر لسان العرب: «أهل».

ـ وقيل : من يجمعه وإيّاهم نسبٌ أو دين أو ما يجري مجراهما ، من صناعة وبيت وبلد[١] .

ـ وقيل : أصل آل أهل ، فأبدلت الهاء همزة ـ أأل ـ ثمّ إلفاً ، ويدلّ عليه تصغيره على أهيل[٢] . وفرّقوا بينهما باختصاص الأوّل بالناطقين وبما له شرف ، بخلاف الأهل فيشمل ذلك وغيره ، ولذلك يقال : آل محمّد صلى الله عليه وآله وآل عليّ عليه السلام ، ولا يقال : آل مكّة وآل المدينة . نعم يقال : أهل مكّة ، وأهل المدينة ، وأهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله ، وأهل الكتاب ، وأهل التوحيد ، وأهل الإسلام ، وأهل العلم ، وأهل التقوى ، ونحو ذلك[٣] .

أقول : الذي يمكن أن يستفاد من مجموع كلام أهل اللغة هو : أنّ كلمتي الآل والأهل تفيدان الاختصاص ، فيدلّ كلٌ منهما على الاختصاص بمدخوله ، غاية الأمر يختصّ مدخول الآل بالناطقين وذوي الشرف ـ كما قيل ـ ولا يختصّ مدخول أهل بذلك .

ويدلّ على ما قلناه : استعمال الأهل والآل في القرآن الكريم ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ ﴾[٤] ، أي من المنسوبين إليها والمختصّين بها ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾[٥] ، أي المنسوبين إلى الكتاب ـ وهو التوراة والإنجيل ـ والمختصّين به ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾[٦] ، أي إلى أصحابها والمختصّين بها ، وقوله تعالى : ﴿ وَسَارَ

---

(١) انظر معجم مفردات القرآن (للراغب الاصفهاني) : « أهل » .

(٢) انظر : الفائق (للزمخشري) : « أهل » ، والقاموس المحيط : « آل » .

(٣) انظر : المصدرين المتقدّمين ، ومعجم مفردات ألفاظ القرآن (للراغب الاصفهاني) : « أهل » و « آل » ، والفروق اللغوية : ٢٣٣ ، الفرق بين الأهل والآل .

(٤) التوبة : ١٠١ .

(٥) آل عمران : ٦٤ .

(٦) النساء : ٥٨ .

بِأَهْلِهِ ﴾[١]، أي بالمختصّين به والمنسوبين إليه، ومثله: ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ فَابْعَثُوا حَكَماً مِن أَهْلِهِ وَحَكَماً مِن أَهْلِهَا ﴾[٣]، أي من قومه وعشيرته المختصّين به، ومن قومها وعشيرتها المختصّين بها، وقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ ﴾[٤]، يعني قومه الذين بعث فيهم والمختصّين به، وقوله تعالى: ﴿ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾[٥]، أي هو المختصّ بأن يتّقى منه وتسأل منه المغفرة.

ومثله: ﴿ آلَ إِبْرَاهِيمَ ﴾[٦]، و﴿ آلَ لُوطٍ ﴾[٧]، و﴿ آلَ عِمْرَانَ ﴾[٨]، و﴿ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾[٩].

نعم، تستفاد سعة دائرة الاختصاص وضيقها من القرائن المتّصلة أو المنفصلة المقاليّة أو الحاليّة، التي منها مناسبات الحكم والموضوع.

ولعلّ إلى ما قلناه يشير كلام الراغب الإصفهاني المتقدّم: «أهل الرجل من يجمعه وإيّاهم نسب، أو دين، أو ما يجري مجراهما، من صناعة وبيت وبلد...»[١٠].

---

(١) القصص: ٢٩.

(٢) الأعراف: ٨٣.

(٣) النساء: ٣٥.

(٤) مريم: ٥٥.

(٥) المدّثّر: ٥٦.

(٦) آل عمران: ٣٣.

(٧) الحجر: ٥٩.

(٨) آل عمران: ٣٣.

(٩) البقرة: ٤٩.

(١٠) معجم مفردات ألفاظ القرآن (للراغب الإصفهاني): «أهل».

وبعد تأسيس هذه القاعدة يسهل معرفة كثير من الموارد التي تضاف إليه كلمة الأهل التي منها: أهل البيت عليهم السلام، فأهل البيت هم المنتسبون إلى البيت والمختصّون به.

ثانياً ـ البيت:

وأمّا البيت، فقد قال الراغب: «أصل البيت مأوى الإنسان بالليل؛ لأنّه يقال: بات: أقام بالليل، كما يقال: ظلّ بالنهار، ثمّ قد يقال للمسكن: بيت، من غير اعتبار الليل فيه...»[١].

وقال ابن فارس: «الباء، والياء، والتاء، أصل واحد، وهو المأوى والمآب، ومجمع الشمل...»[٢].

وقال الطبرسي: «والعرب تسمّي ما يُلتجأ إليه بيتاً، ولهذا سمّوا الأنساب بيوتاً، وقالوا: بيوتات العرب، يريدون النسب...»[٣].

إذن أهل البيت: هم المنتسبون إلى البيت والمختصّون به، سواء كان البيت بيت نسب أو بيت سكن، ولذلك قال الراغب: «أهل الرجل في الأصل من يجمعه وإيّاهم مسكن واحد، ثمّ تجوّز به، فقيل: أهل بيت الرجل، لمن يجمعه وإيّاهم نسب...»[٤].

ثمّ إنّه لابدّ لتعيين سعة مدخول «أهل» وضيقه، وأنّ المراد به بيت سكن أو بيت نسب من قرينة معيّنة، كالإضافة، مثل أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله، أو الانصراف، مثل انصراف أهل البيت المطلق إلى أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله.

وممّا يدلّ على ما قلناه: إطلاق كلمة «الأهل» في القرآن الكريم مضافةً وإرادة

---

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن (للراغب الإصفهاني): «بيت».

(٢) معجم مقاييس اللغة: «بيت».

(٣) مجمع البيان (٧ ـ ٨): ٣٥٦.

(٤) معجم مفردات ألفاظ القرآن (للراغب الإصفهاني): «أهل».

الزوجة من جملة المرادين تارةً، وإخراجها أخرى، مثل قوله تعالى: ﴿ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾[١]، فإنّ سارة زوجة إبراهيم كانت من جملة المرادين من الأهل، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ ﴾[٢]؛ فإنّ زوجة لوط قد أخرجت من جملة المرادين من الأهل صراحة.

فدخول زوجة إبراهيم إذن، وخروج زوجة لوط من «أهل» إنّما هو بالقرينة المقاميّة والحاليّة في الأوّل، واللفظيّة في الثاني.

وهناك آيات مشابهة أخرى، من قبيل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا﴾[٣]؛ إذ من البديهي أنّ الزوجة لم تكن داخلة في أهل الرجل هنا؛ لأنّها وضعت وأهلها في قبال الرجل وأهله.

وأمّا اصطلاحاً:

فقد أطلق -أهل البيت- في لسان الروايات والفقهاء على ثلاثة معان:

الأوّل - المعنى العرفي العامّ:

وهو المعنى اللغوي، والمتداول عند العرف العامّ، ويراد به المنتسبون إلى بيت السكن أو النسب، مهما كانوا.

ومن هذا النمط من الإطلاق ما ورد في الضيف: «إذا كان الليلة الثالثة فهو من أهل البيت، يأكل ما أدرك»[٤]. وما ورد في جملة من لا تجوز شهادته: «...والقانع مع أهل البيت»[٥]، أي الذي يكون مع القوم وفي حاشيتهم، كالخادم، والتابع،

---

(١) هود: ٧٣.

(٢) العنكبوت: ٣٣.

(٣) النساء: ٣٥.

(٤) الوسائل ٢٤: ٣١٣، الباب ٣٦ من أبواب آداب المائدة، الحديث الأوّل.

(٥) معاني الأخبار: ٢٠٨، باب معنى القانع والمعترّ، الحديث ٣.

والأجير، ونحوهم، على ما فسّره الصدوق[١]. وما ورد في الهرّة: «إنّها من أهل البيت»[٢].

وبهذا المعنى فسّر الفقهاء أهل البيت في باب الوصيّة والوقف ونحوهما.

قال الشيخ الطوسي في المبسوط: «ولو أوصى بثلث ماله لأهل بيته، قال ثعلب: "أهل بيته هم الآباء والأجداد وبنو الآباء وبنو الأجداد، ولا يدخل تحته الأولاد"، والصحيح عندنا: أنّ الأولاد يدخلون فيه»[٣].

وعلّله في الخلاف[٤] بدخول الحسنين عليهما السلام في الآية بلا خلاف[٥].

ولكن قال المحقّق الحلّي: «ولو قال: "لأهل بيته"، دخل فيهم الأولاد والآباء والأجداد»[٦]، ولم يذكر بني الآباء والأجداد؛ ولذلك استشكل عليه الشهيد الثاني قائلاً: «لا إشكال في دخول من ذكر.. إنّما الكلام في دخول غيرهم، فإنّ الاقتصار على ما ذكر يقتضي كون عليّ عليه السلام ليس من أهل البيت؛ لخروجه عن الأصناف الثلاثة مع أنّه داخل إجماعاً».

(١) معاني الأخبار: ٢٠٨، باب معنى القانع والمعترّ، الحديث ٣.

(٢) الوسائل ١: ٢٢٧، الباب ٢ من أبواب الأسآر، الحديث الأوّل.

(٣) المبسوط ٤: ٤٩.

(٤) الخلاف ٤: ١٥٦، المسألة ٣٢.

(٥) قال ابن قدامى في المغني ـ بعد أن نقل عن أحمد مساواة القرابة لأهل البيت ـ: «وقال القاضي: قال ثعلب: أهل البيت عند العرب آباء الرجل وأولادهم كالأجداد، والأعمام وأولادهم، ويستوي فيه الذكور والإناث. وذكر القاضي: أنّ أولاد الرجل لا يدخلون في اسم القرابة ولا أهل بيته، وليس هذا بشيء، فإنّ ولد النبيّ صلى الله عليه وآله من أهل بيته وأقاربه الذين حرموا الصدقة وأُعطوا من سهم ذي القربى، وهم من أقرب أقاربه، فكيف لا يكونون من أقاربه، وقد قال النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم لفاطمة وولديها وزوجها: "اللهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً"». المغني ٦: ٥٥٣، كتاب الوصيّة.

(٦) الشرائع ٢: ٢٥٤.

ثمّ قال ـ أي الشهيد ـ: «وقال العلّامة: "يدخل فيهم الآباء والأجداد، الذكر والأنثى"، ثمّ قال: "وبالجملة كلّ من يعرف بقرابته"[1]، وهذا يقتضي كون أهل بيته بمنزلة قرابته».

ثمّ حكى عن ثعلب أنّه قال: «أهل البيت عند العرب آباء الرجال وأولادهم، كالأجداد والأعمام وأولادهم، ويستوي فيه الذكور والإناث».

ثمّ قال: «وما اختاره العلّامة من مساواة أهل البيت للقرابة هو الظاهر في الاستعمال. يقال: الفلانيّون أهل بيت في النسب معروفون، وعليه جرى قوله ﷺ: "إنّا أهل بيت لا تحلّ لنا الصدقة"[2]»[3].

وبمثله قال المحقّق الثاني[4] ـ معلّقاً على كلام العلّامة في القواعد ـ والمقداد[5]، والسيّد الطباطبائي[6].

لكن احتمل صاحب الجواهر منع شمول العنوان للأخوال والخالات، فقال بعد نقل كلام العلّامة: «وهو جيّد، لكن قد يمنع شموله للأخوال والخالات وفروعهم، ...»[7].

---

(١) التذكرة (الحجرية) ٢: ٤٧٧، وانظر: التحرير ٣: ٣٧١، والقواعد ٢: ٤٥١.

(٢) الوسائل ٩: ٢٧٠، الباب ٢٩ من أبواب المستحقّين للزكاة، الحديث ٦.

(٣) المسالك ٦: ٢٣٤ ـ ٢٣٥. ثمّ قال بعد ذلك: «والأقوى الرجوع إلى عرف بلد الموصي، ومع انتفائه يدخل كلّ قريب، وأمّا أهل بيت النبيّ ﷺ فإنّهم أخصّ من ذلك بالرواية الواردة عنه ﷺ في حصرهم في أهل الكساء».

وهو المعنى الثالث ـ أي الأخصّ ـ لأهل البيت الذي سنشير إليه.

(٤) انظر جامع المقاصد ١٠: ٦٥.

(٥) انظر التنقيح الرائع ٢: ٣٨١.

(٦) انظر الرياض ٩: ٤٧٢.

(٧) الجواهر ٢٨: ٣٨٧.

ثمّ إنّ أغلب هؤلاء قالوا بلزوم الرجوع إلى عرف البلد في الوصيّة عند اختلافه مع المعنى المتقدّم سعة وضيقاً.

هذا أحد إطلاقات «أهل البيت».

الثاني ـ المعنى العرفي بلحاظ خاصّ:

بمعنى أن يلاحظ المعنى العام المتقدّم منطبقاً على خصوص أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله، فيراد من هذا الإطلاق: آباء النبيّ صلى الله عليه وآله وأجداده، وأبناؤه، وأبناؤهم، فيشمل الأعمام وأولادهم أيضاً.

وعلى هذا المعنى يحمل ما تقدّم عنه صلى الله عليه وآله: «إنّا أهل بيت لا تحلّ لنا الصدقة»[1].

ومن المعلوم، أنّ الذين تحرم عليهم الصدقة هم بنو هاشم، والقدر المتيقّن منهم فعلاً: آل عليّ، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل العبّاس.

قال الشيخ الطوسي: «المعنيّ بأهل بيته: بنو هاشم خاصّة، وهم: ولد أبي طالب، والعبّاس، وأبي لهب. وليس لهاشم عقب إلّا من هؤلاء»[2].

وقال في النهاية ـ عند تفسير بني هاشم ـ: «وهم الذين ينتسبون إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وجعفر بن أبي طالب، وعقيل بن أبي طالب، وعبّاس بن عبدالمطّلب»[3].

وعلّق عليه ابن إدريس بما حاصله: أنّه لم يعقب هاشم إلّا من عبدالمطلب، وهو لم يعقب إلّا من عبدالله وأبي طالب والعبّاس والحرث ـ أو الحارث ـ وأبي لهب[4].

---

(١) الوسائل ٩: ٢٧٠، الباب ٢٩ من أبواب المستحقّين للزكاة، الحديث ٦.

(٢) المبسوط ٣: ٣٠٢.

(٣) النهاية: ١٨٦ ـ ١٨٧.

(٤) انظر السرائر ١: ٤٦٠. وقال صاحب الجواهر ما حاصله: أنّه لم يعرف منهم اليوم ←

وإنّما نقلنا كلامهما لتحديد « بني هاشم »، ولا يهمّنا فعلاً ذلك، وإنّما المهمّ صدق عنوان أهل البيت ـ بمعناه العامّ ـ على هؤلاء.

وقد ورد في الروايات وكلمات الفقهاء إرادة هذا المعنى، فمن ذلك: كلام صاحب الجواهر في المستحقّين للخمس، حيث قال:

« فما عساه يظهر من بعض الأخبار من تخصيصه بذرّيّة رسول اللّه ﷺ أو آله وأهل بيته غير مراد قطعاً، إن لم نقل: إنّ الجميع[1] من آله وأهل بيته عرفاً »[2].

وتوضيح كلامه هو:

أنّ المستحقّ للخمس في أكثر النصوص والفتاوى هم بنو هاشم، نعم ورد في بعض النصوص أنّهم أهل بيته وذرّيّته ﷺ، فهنا، إن قلنا: إنّ المراد من أهل بيته هم خصوص ذرّيّته من عليٍّ وفاطمة عليهما السلام فهو غير مراد قطعاً؛ لأنّ غيرهم يستحقّ الخمس بالاتّفاق، فلابدّ من حمل الكلام على غير المراد.

وأمّا لو قلنا: إنّ جميع بني هاشم من أهل بيته عرفاً، فيطابق المراد الاستعمالي للمراد الجدّي وينتفي المحذور.

الثالث ـ المعنى الأخصّ:

والمقصود منه خصوص أصحاب الكساء، وهم ـ غير النبيّ ﷺ ـ: عليٌّ وفاطمة وابناهما الحسن والحسين عليهم السلام.

ويلحق بهم سائر الأئمّة عليهم السلام، كما يأتي[3] إن شاء الله تعالى.

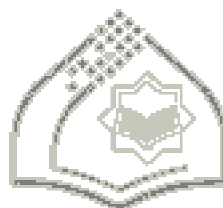
← إلّا المنتسب إلى أبي طالب والعبّاس، بل لم يبارك اللّه إلّا في ذرّيّة الأوّل منهما. الجواهر ١٦: ١٠٤.

(١) أي جميع بني هاشم.

(٢) الجواهر ١٦: ١٠٤ ـ ١٠٥.

(٣) انظر الصفحة ٥١.

وإثبات هذا المعنى بحاجة إلى دراسة وافية ، وسنقوم بها فيما يأتي بالمقدار الذي يتحمّله الكتاب .



أهل البيت هم أصحاب الكساء

صدرت من النبيّ ﷺ محاولات عديدة لإفهام الناس أنّ أهل البيت هم أصحاب الكساء، نشير إلى بعضها بالنحو الآتي:

المحاولة الأُولى ـ إدخالهم تحت الكساء وتخصيص العنوان بهم:

استفاضت الأخبار، بل تواترت عند الفريقين، بأنّ النبيّ ﷺ أدخل عليّاً وفاطمة والحسنين عليهم السلام معه تحت الكساء، ومنع غيرهم من الدخول تحته، وخصّهم بعنوان أهل البيت.

وفيما يلي نستعرض جملة ممّا ورد عن طريق الخاصّة والعامّة في ذلك:

أوّلاً ـ ما ورد عن طريق العامّة:

١ ـ أخرج الترمذي بسنده عن أمّ سلمة: «أنّ النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم جلّل على الحسن والحسين وعليّ وفاطمة كساءً، ثمّ قال: "اللهمّ هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي، أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً"، فقالت أمّ سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: إنّك إلى خير»[1].

---

(١) سنن الترمذي ٥: ٦٩٩، كتاب الفضائل، باب فضائل فاطمة [عليها السلام]، الحديث ٣٨٧١.

ثمّ قال ـ أي الترمذي ـ: هذا حديث حسن، وهو أحسن شيءٍ روي في هذا الباب[1].

٢ ـ وأخرج الترمذي أيضاً عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبيّ ﷺ، قال: «لمّا نزلت هذه الآية على النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ في بيت أمّ سلمة، فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً فجلّلهم بكساء، وعليٌّ خلف ظهره، فجلّلهم بكساء، ثمّ قال: "اللهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً"، قالت أمّ سلمة: وأنا معهم يا نبيّ الله؟ قال: أنت على مكانك، وأنت على خير»[2].

٣ ـ وأخرج أحمد بسنده عن أمّ سلمة أيضاً: «أنّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم قال لفاطمة: ائتيني بزوجك وابنيك، فجاءت بهم، فألقى عليهم كساءً فدكيّاً، قال[3]: ثمّ وضع يده عليهم، ثمّ قال: "اللهمّ إنّ هؤلاء آل محمّد، فاجعل صلواتك وبركاتك على محمّد وآل محمّد، إنّك حميد مجيد". قالت أمّ سلمة: فرفعت الكساء لأدخل معهم، فجذبه من يدي وقال: إنّكِ على خير»[4].

٤ ـ وروى عنها بطريق آخر: «أنّ النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم جلّل على عليٍّ وحسن وحسين وفاطمة كساءً، ثمّ قال: "اللهمّ هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي، اللهمّ أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً"، فقالت أمّ سلمة: يا رسول الله، أنا منهم؟ قال: إنّكِ على خير»[5].

---

(١) وليكن هذا التصريح على ذكرٍ منك.

(٢) سنن الترمذي ٥: ٣٥١، كتاب تفسير القرآن، باب سورة الأحزاب، الحديث ٣٢٠٥، والآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

(٣) كذا في المصدر.

(٤) مسند أحمد ٦: ٣٥٦، حديث أمّ سلمة، الحديث ٢٦٨٠٢.

(٥) المصدر المتقدّم: ٣٢٧، الحديث ٢٦٦٥٣.

٥ ـ وأخرج أحمد بعدّة طرق عنها، رضي الله عنها، أيضاً: «أنّ النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم كان في بيتها، فأتته فاطمة ببرمة[1] فيها خزيرة[2]، فدخلت بها عليه، فقال لها: ادعي زوجك وابنيك، قالت: فجاء عليٌّ والحسين والحسن فدخلوا عليه، فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة، وهو على منامة له على دكان[3] تحته كساء له خيبري، قالت: وأنا أصلّي في الحجرة، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾. قالت: فأخذ فضل الكساء فغشّاهم به، ثمّ أخرج يده فألوى بها إلى السماء، ثمّ قال: "اللهمّ هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي، فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، اللهمّ هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً"، قالت: فأدخلت رأسي البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله، قال: إنّكِ إلى خير، إنّكِ إلى خير»[4].

٦ ـ وأخرج أبو يعلى عن أمّ سلمة: «أنّ النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، جلّل عليّاً وحسناً وحسيناً وفاطمة كساءً، ثمّ قال: اللهمّ هؤلاء أهل بيتي وحامتي، اللهمّ أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، فقالت أمّ سلمة: قلت: يا رسول الله، أنا منهم؟ قال: إنّكِ إلى خير»[5].

---

(١) البرمة: القدر من الحجر. المصباح المنير: «برم».

(٢) وفي بعض الروايات: «حريرة».

قال ابن الأثير: «الخزيرة: لحم يُقطّع صغاراً ويصبّ عليه ماء كثير، فإذا نضج ذُرّ عليه الدقيق، فإن لم يكن فيها لحم فهي عصيدة. وقيل: هي حساً من دقيق ودسم، وقيل: إذا كان من دقيق فهي حريرة، وإذا كان من نخالة فهو خزيرة». النهاية (لابن الأثير): «خزر».

(٣) الدكّان ـ قيل: معرّب ـ: يطلق على الحانوت وعلى الدكّة التي يقعد عليها. المصباح المنير: «دكك».

(٤) مسند أحمد ٦: ٣٢٥، حديث أمّ سلمة رضي الله عنها، الحديث ٢٦٥٦٤.

(٥) مسند أبي يعلى ١٢: ٤٥١، الحديث ٧٠٢١.

٧ ـ وأخرج الحاكم عن أمّ سلمة رضي الله عنها أنها قالت: «في بيتي نزلت ﴿إنّما يُريدُ الله لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أهْلَ البَيْتِ﴾، قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين، فقال: "هؤلاء أهل بيتي"»[١].

٨ ـ وأخرج مسلم باسناده عن عائشة، قالت: «خرج النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم غداة وعليه مِرط مرحّل[٢] من شعر أسود، فجاء الحسن بن عليّ فأدخله، ثمّ جاء الحسين فدخل معه، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثمّ جاء عليٌّ فأدخله، ثمّ قال: ﴿إنّما يُريدُ الله لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطهيراً﴾»[٣].

وروى الحاكم باسناده عن عائشة مثله. ثمّ قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه[٤].

٩ ـ وأخرج الطبري في تفسيره عن أبي سعيد الخدري، قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: نزلت هذه الآية في خمسة: فيّ وفي عليٍّ ﷺ، وحسن ﷺ، وحسين ﷺ، وفاطمة رضي الله عنها: ﴿إنّما يُريدُ الله لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطهيراً﴾»[٥].

١٠ ـ وروى أحمد بسنده عن شدّاد أبي عمّار، قال: «دخلت على واثلة بن

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٤٦، مناقب أهل بيت رسول الله ﷺ.

(٢) المِرط: كساء من صوف أو خزّ يؤتزر به، وتتلفّع المرأة به. المصباح المنير: «مرط».
ومرط مرحّل: فيه صور كصور الرحال، وبردٌ مرجّل: فيه صور كصور الرجال. لسان العرب: «رجل» و«رحل»، وقيل: المرجّل هو الذي فيه صور المراجل، أي القدور الكبار. انظر مجمع البحرين: «رجل».

(٣) صحيح مسلم ٤: ١٨٨٣، باب فضائل أهل بيت النبيّ ﷺ، الحديث ٢٤٢٤، ولم يذكر تحت هذا العنوان غير هذا الحديث، وهو لافت للنظر.

(٤) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٤٧، باب مناقب أهل بيت رسول الله ﷺ.

(٥) تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن) ٩: ٢٢، الحديث ٢١٧٢٧.

الأسقع وعنده قوم فذكروا عليّاً[١]، فلمّا قاموا قال لي : ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ؟ قلت : بلى ، قال : أتيت فاطمة رضي الله تعالى عنها أسألها عن عليٍّ ، قالت : توجّه إلىٰ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ، فجلست انتظره حتّى جاء رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ومعه عليّ وحسن وحسين رضي الله تعالى عنهم ، آخذ كلّ واحد منهما بيده حتّى دخل ، فأدنى عليّاً وفاطمة فأجلسهما بين يديه ، وأجلس حسناً وحسيناً كلّ واحد منهما على فخذه ثمّ لفّ عليهم ثوبه ـ أو قال كساءً ـ ثمّ تلا هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ ، وقال : " اللهمّ هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحقّ "[٢].

ورواه الحاكم بسنده عن واثلة أيضاً بطريقين ، وقال بعد الأوّل منهما : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه »[٣].

ورواه السيوطي عن جماعة بإسنادهم عن واثلة ، مثل : ابن أبي شيبة ، وابن أبي حاتم ، والطبراني ، والبيهقي[٤].

وروى الطبرسي في مجمع البيان المضمون المتقدّم إضافة إلى من تقدّم ، عن جابر بن عبدالله ﷺ والحسن بن عليّ ﷺ أيضاً[٥].

وجمع السيّد البحراني واحداً وأربعين حديثاً من طرق العامّة غير ما رواه عن طرق الخاصّة ، كلّها تحكي فعل رسول الله ﷺ وتطبيق عنوان أهل البيت على عليّ

---

(١) تأمّل في هذه العبارة وانظر كيف كانوا ينالون من عليٍّ حتّى إنّ هذا الصحابي لم يقدر على ردّهم إلى أن قاموا وخصّ صاحبه بما شاهده من فضل عليٍّ ﷺ !

(٢) مسند أحمد ٤ : ١٣٣ ، حديث واثلة بن الأسقع ، الحديث ١٦٩٩٠ .

(٣) المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٤٧ ، باب مناقب أهل بيت رسول الله ﷺ .

(٤) انظر الدرّ المنثور ٥ : ١٩٩ ، ذيل الآية ٣٣ من سورة الأحزاب .

(٥) انظر مجمع البيان (٧ ـ ٨) : ٣٥٦ ـ ٣٥٧ .

وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام[١].

وروى الطبري في تفسيره ـ في ذيل الآية الشريفة ـ سبعة عشر حديثاً:

ـ ثلاثة عشر منها ـ وهي عن أمّ سلمة وعائشة وواثلة وأبي سعيد ـ تقول: إنّها نزلت في الخمسة، وسبعة منها عن أمّ سلمة وفي أغلبها: أنّها أرادت الدخول معهم فقال صلى الله عليه وآله لها: «أنتِ على خير».

ـ وثلاث روايات عن أنس وأبي الحمراء تحكي وقوف الرسول صلى الله عليه وآله على باب عليّ عليه السلام وقراءته الآية الشريفة.

ـ ورواية واحدة عن عكرمة في أنّ الآية نزلت في نساء النبيّ صلى الله عليه وآله[٢].

وروى السيوطي ـ في ذيل الآية الشريفة ـ اثنتين وعشرين رواية:

ـ أربعاً منها تدلّ على أنّها نزلت في أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله، وهي عن عكرمة وعروة بن الزبير وابن عبّاس. وسوف يأتي الجواب عنها[٣].

ـ وعشرة منها تدلّ على فعل النبيّ صلى الله عليه وآله وهو إدخاله إيّاهم تحت الكساء وقراءة الآية.

ـ وأربعاً منها تدلّ على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يقف على باب عليّ وفاطمة عليهما السلام ويقرأ الآية.

ـ ورواية واحدة تدلّ على أنّه صلى الله عليه وآله كان يفعل ذلك بعد زواجهما عليهما السلام.

ـ ورواية واحدة عن زيد بن أرقم يفسّر ـ هو ـ فيها أهل البيت بتفسير عامّ.

ـ وروايتين تدلّان على فضل أهل البيت من دون تفسير وتطبيق[٤].

---

(١) انظر غاية المرام ٣: ١٧٣ ـ ٢١١.

(٢) انظر تفسير الطبري ٢٢: ٩ ـ ١٢.

(٣) راجع الصفحة ٣١ وما بعدها.

(٤) انظر الدرّ المنثور ٥: ١٩٨ ـ ١٩٩.

ثانياً ـ ما ورد عن طريق الخاصّة :

وردت روايات كثيرة وبمناسبات مختلفة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام بشأن الآية ، وأنّها نزلت في أصحاب الكساء[1] . وقد احتجّ بعض الأئمّة عليهم السلام بالآية على أفضليّتهم وأولويّتهم من غيرهم في موارد عديدة ، من قبيل :

١ ـ احتجاج الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عندما دعي للبيعة مع أبي بكر فأبى .

٢ ـ احتجاجه عليه السلام يوم الشورى .

٣ ـ احتجاج الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام ، في خطابه الذي ألقاه في الكوفة بعد خطاب معاوية عند انعقاد الصلح .

٤ ـ احتجاج الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عند مناظرته مع هارون الرشيد .

٥ ـ احتجاج الإمام الرضا عليه السلام عند مناظرته مع المأمون[2] .

وما ذكرناه على سبيل المثال ، لا على سبيل الاستقراء ؛ لأنّه كانت للأئمّة عليهم السلام احتجاجات ومناظرات مع سائر النّاس ، وربّما نشير إليها عندما نتكلّم عن تاريخ الأئمّة عليهم السلام .

---

(١) وقد جمعت هذه الروايات ، أو مقدار منها ، في بعض الكتب الكلامية وكتب التفسير من قبيل : كتاب « غاية المرام وحجّة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاصّ والعامّ » (للسيّد هاشم البحراني) ٣ : ٢١١ ، وتفسير البرهان له أيضاً ، وتفسير نور الثقلين (للشيخ عبد عليّ بن جمعة العروسي الحويزي) ، ذيل آية التطهير الأحزاب : ٣٣ .

(٢) انظر هذه الاحتجاجات في المصادر المتقدّمة ، وخاصّة غاية المرام ٣ : ١٩٥ ، الحديث ٨ ، والصفحة ١٩٦ ، الحديث ٩ و ١٠ ، والصفحة ١٩٩ ، الحديث ١٣ و ١٦ ، والصفحة ٢٠٢ ، الحديث ٢٣ ، والصفحة ٢٠٣ ، الحديث ٢٤ ، والصفحة ٢٠٤ ، الحديث ٢٦ ، والصفحة ٢٠٨ ، الحديث ٢٧ ، والصفحة ٢٠٩ ، الحديث ٢٨ ، كلّها منقولة عن أمالي الصدوق وخصاله ، وأمالي الطوسي .

وسوف نشير إلى بعضها عندما نقوم بترجمة الأئمّة عليهم السلام وبيان سيرتهم إجمالاً .

وإليك نماذج من الروايات الواردة عن طريق الخاصّة :

١ ـ روى الشيخ الطوسي في أماليه بإسناده عن عليّ بن الحسين عليه السلام ، عن أمّ سلمة ، قالت : « نزلت هذه الآية في بيتي وفي يومي كان رسول الله صلى الله عليه وآله عندي ، فدعا عليّ[1] ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، و... »[2] ، ثمّ نقل ما هو المعروف نقله عن أمّ سلمة رضي الله عنها .

٢ ـ روى الصدوق في علل الشرائع بإسناده إلى عبدالرحمن بن كثير ، قال : « قلت لأبي عبدالله عليه السلام : ما عنى الله عزّ وجلّ بقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ، قال : نزلت هذه الآية في النبيّ وأمير المؤمنين والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام ... »[3] .

٣ ـ روى القمي عن أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ...﴾ ، قال : نزلت هذه الآية في رسول الله صلى الله عليه وآله ، وعليّ بن أبي طالب ، والحسن والحسين ، وذلك في بيت أمّ سلمة ... فقالت أمّ سلمة : وأنا معهم يا رسول الله ، قال : أبشري يا أمّ سلمة ، إنّك إلى خير » .

ثمّ قال : « وقال أبو الجارود : قال زيد بن عليّ بن الحسين عليه السلام : إنّ جهّالاً من النّاس يزعمون إنّما أراد بهذه الآية أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله ، وقد كذبوا وأثموا ، لو عنى بها أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله لقال : ليذهب عنكنّ الرجس ويطهّركن تطهيراً ...الخ »[4] .

والمستفاد من مجموع الروايات مع حمل بعضها على بعض هو:

أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله جمع عليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام تحت الكساء ، وقال :

---

(١) كذا في الأصل .

(٢) غاية المرام ٣ : ٢٠١ ، نقلاً باختصار عن أمالي الطوسي : ٢٦٣ ، المجلس ١٠ ، الحديث ٢٠ .

(٣) تفسير نور الثقلين ٦ : ٤٦ ، نقلاً عن علل الشرائع : ٢٠٥ ، الباب ١٥٦ ، الحديث ٢ .

(٤) تفسير القمي ١ : ١٦٨ .

إنّهم أهل بيته، وتلا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

كما أنّه ربّما يستفاد من بعضها: أنّ الواقعة كانت متكرّرة: في بيت أمّ سلمة ـ وهو ما تدلّ عليه أكثر الروايات ـ وفي بيت عائشة، وفي بيت فاطمة عليها السلام.

ويستفاد منها أيضاً: أنّ بعض نساء النبيّ ﷺ حاولن الدخول تحت الكساء فلم يسمح لهنّ النبيّ ﷺ، وهذا يعني اختصاص الآية الشريفة وعنوان أهل البيت بمن كانوا معه تحت الكساء.

ولكن هناك بعض الأسئلة ينبغي الإجابة عنها، وهي:

١ ـ سياق الآية يأبى الاختصاص بأصحاب الكساء، بل يدلّ على الاختصاص بالأزواج، وعلى فرض التنزّل نقول بالاشتراك بين أصحاب الكساء والأزواج.

٢ ـ هناك روايات معارضة تدلّ على اختصاص عنوان أهل البيت بالأزواج، أو تدلّ على شمول العنوان لقرابة النبيّ ﷺ.

أوّلاً ـ إشكال السياق والجواب عنه:

من أهمّ الإشكالات التي ذكروها في تفسير أهل البيت بأصحاب الكساء وتطبيق الآية عليهم هو: أنّ وحدة السياق في الآيات السابقة واللاحقة ينافي ذلك؛ لأنّها إنّما وردت في أزواج النبيّ ﷺ، فكيف يجوز اختصاص هذا القسم من الآية بأصحاب الكساء؟

والجواب عن ذلك:

١ ـ دلالة وحدة السياق على مراد المتكلّم إنّما هي من الظهورات، والظواهر إنّما تكون حجّة وكاشفة عن مراد المتكلّم فيما إذا لم تقم قرينة على خلافها تصرفها عن ظاهرها، وفعل النبيّ ﷺ كان أقوى صارف عن ذلك، فلم يبق مجال للتمسّك بوحدة السياق.

٢ ـ والذي يدلّ على انخرام وحدة السياق تغيير ضمير الخطاب في هذا القسم من الآية، فإنّه تغيّر من «عنكنّ» إلى «عنكم» وهو خير دليل على عدم إرادة خصوص نساء النبيّ صلى الله عليه وآله.

٣ ـ إنّ الانتقال من موضوع إلى موضوع آخر ثمّ العود إلى الأوّل ليس غريباً، وهو كثير في القرآن وكلام العرب. يقول الطبرسي: «ومتى قيل: إنّ صدر الآية وبعدها في الأزواج، فالقول فيه: إنّ هذا لا ينكره من عرف عادة الفصحاء في كلامهم؛ فإنّهم يذهبون من خطاب إلى غيره ويعودون إليه، والقرآن من ذلك مملوء، وكذلك كلام العرب وأشعارهم»[١].

ولعلّ الحكمة فيه ما أشار إليه المظفّر بقوله: «إنّما جعل سبحانه هذه الآية في أثناء ذكر الأزواج وخطابهنّ للتنبيه على أنّه سبحانه إنّما أمرهنّ ونهاهنّ وأدّبهنّ إكراماً لأهل البيت، وتنزيهاً لهم عن أن تنالهم بسببهنّ وصمة، وصوناً لهم عن أن يلحقهم من أجلهنّ عيب، ورفعاً لهم عن أن يتصل بهم أهل المعاصي؛ ولذا استهلّ سبحانه الآيات بقوله: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾؛ ضرورة أنّ هذا التمييز إنّما هو للاتّصال بالنبيّ وآله، لا لذواتهنّ، فهنّ في محلّ، وأهل البيت في محلّ آخر، فليست الآية الكريمة إلّا كقول القائل: يا زوجة فلان، لست كأزواج سائر الناس فتعفّفي وتستّري وأطيعي الله تعالى، إنّما زوجك من بيت أطهار يريد الله حفظهم من الأدناس وصونهم عن النقائص»[٢].

وأمّا دعوى شمول الآية للأزواج وأصحاب الكساء معاً محافظة على النصوص الواردة والسياق معاً، فيردّها: منع النبيّ صلى الله عليه وآله أمّ سلمة من الدخول معهم تحت الكساء بعد أن طلبت منه ذلك، قائلاً لها: «إنّكِ إلى خير».

---

(١) مجمع البيان (٧ ـ ٨): ٣٥٧.

(٢) دلائل الصدق ٢: ٧٢.

بل هناك قرائن تدلّ على أنّه ﷺ كان يخصّ «الأهل» بأهل الكساء حينما كان يجمع بينهم وبين أزواجه في الكلام، منها: ما روي عنه ﷺ أنّه قال: «أوّل من يلحقني من أهلي أنت يا فاطمة، وأوّل من يلحقني من أزواجي زينب، وهي أطولكن كفّاً»[١].

إذن لم يمنع إشكال السياق من القول باختصاص الآية بأصحاب الكساء، ويؤيّده مناقشة الروايات الدالّة على اختصاص الآية بالأزواج أو اشتراكهنّ مع أصحاب الكساء، كما سيأتي عن قريب.

ثانياً ـ إشكال الروايات المخالفة وعلاجها:

في مقابل الروايات المتقدّمة روايات شاذّة تفسّر أهل البيت بأزواج النبيّ ﷺ، أو بهنّ وبأصحاب الكساء، أو سائر قراباته، ولكنّها لا قدرة لها على مقاومة الروايات المتقدّمة؛ لأنّها إمّا من اجتهادات الرواة، أو ضعيفة، أو موضوعة ومدسوسة. وفيما يلي نشير إليها وإلى ما يرد عليها:

١ ـ ما رواه الواحدي عن علقمة، عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، قال: «ليس الذين يذهبون إليه، إنّما هي أزواج النبيّ ﷺ، قال[٢]: وكان عكرمة ينادي هذا في السوق»[٣].

ويرد على الرواية:

أ ـ إنّها إلى التأييد أقرب منها إلى المنع؛ لأنّها تحكي عن شيوع تفسير أهل البيت بأصحاب الكساء في ذلك الزمان، فحاول ردع هذا التفسير.

---

(١) الجامع الصغير ١: ٤٣٤، الحديث ٢٨٣٢، نقلاً عن ابن عساكر في تاريخه ٥: ١٨٨. وانظر رياض السالكين (للسيّد علي خان الشيرازي) ٧: ١٨٥ ـ ١٨٦.

(٢) أي علقمة، وهو الراوي عن عكرمة.

(٣) أسباب النزول (للواحدي): ٢٥٢، تفسير سورة الأحزاب.

ب ـ إنّ تفسير عكرمة للآية تفسير بالرأي غير مستند إلى حجّة شرعيّة، مثل قول النبيّ صلى الله عليه وآله أو فعله، وأين كان هو حينما نزلت الآية ؟! وإنّما صار في ملك عبدالله بن عبّاس عندما نُصب والياً على البصرة من قِبل أمير المؤمنين عليه السلام.

ج ـ إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أعرف بالمراد من الآية من عكرمة وأمثاله، فإذا ثبت بالطريق الصحيح تفسير النبيّ صلى الله عليه وآله لأهل البيت فأي قيمة لتفسير عكرمة ؟! بل هو اجتهاد في مقابل النصّ.

د ـ إنّ التأمّل في شخصيّة عكرمة يوضّح لنا دوافعه الشخصيّة لتفسيره أهل البيت بهذا التفسير، فإنّه متّهم بالكذب وكونه خارجياً[1].

---

(١) كان عكرمة بربريّاً من أهل المغرب، ومملوكاً لحصين بن أبي الحر العنبري، فوهبه لعبدالله بن عبّاس، أيام كان والياً على البصرة من قِبل الإمام عليّ عليه السلام، ولم يعتقه ما دام كان حيّاً حتّى أعتقه ابنه عليّ بن عبدالله بعد موت أبيه.

كذا جاء في تهذيب الكمال ٢٠: ٢٦٥.

ثمّ ذكر من روى عنهم ومن روى عنه، ثمّ عقّبه بذكر بعض أحواله وتجوّله في البلدان، وكلام بعض المادحين له، ثمّ أردفه بجملة وافرة ممّا ورد في حقّه من الطعن. وممّا ذكره هو:

١ ـ عن أبي الأسود الدؤلي: «كان قليل العقل خفيفاً» ٢٧٧.

٢ ـ وعنه أيضاً: «كان أوّل ما أحدث فيهم [أي أهل المغرب] رأي الصفرية» ٢٧٧.

٣ ـ وقال ابن لهيعة: «كان يحدّث برأي نجدة الحروري، وأتاه فأقام عنده ستّة أشهر، ثمّ أتى ابن عبّاس فسلّم عليه، فقال ابن عبّاس: قد جاء الخبيث» ٢٧٧.

٤ ـ وعن عليّ بن المديني: «كان عكرمة يرى رأي نجدة الحروري» ٢٧٨.

٥ ـ وعن يحيى بن معين: «إنّما لم يذكر مالك بن أنس عكرمة؛ لأنّ عكرمة كان ينتحل رأي الصفرية» ٢٧٨.

٦ ـ وعن أحمد بن حنبل: «كان يرى رأي الأباضيّة، فقال: يقال: إنّه كان صفرياً... يطوف على الأمراء يأخذ منهم» ٢٧٨.

←

٢ ـ مـا رواه الواحـدي أيـضاً عـن ابـن عبّاس، قـال: أُنزلت هـذه الآيـة فـي

ـ والحروريّة والصفريّة والأباضيّة كـلّها مـن فِـرق الخـوارج، ولا يـبعد تـنقّله مـن بـعضها إلى بعض.

٧ ـ وعن عليّ بن المديني: «وقف عكرمة على باب المسجد، فقال: ما فيه إلّا كافر» ٢٧٨.

٨ ـ وعن خالد بن أبي عمران: «دخل علينا عكرمة مولى ابن عبّاس بأفريقية في وقت الموسم، فقال: وددت أنّي اليوم بالموسم، بيدي حربة أضرب بها يميناً وشمالاً، وفي رواية: فاعترض بها من شهد الموسم» ٢٧٨.

٩ ـ عن ابن عمر يقول لنافع مولاه: «اتّق الله ويحك يا نافع، ولا تكذب عليّ كما كذب عكرمة على ابن عبّاس» ٢٧٩.

١٠ ـ وقال سعيد بن المسيّب لغلام له يقال له: برد: «يا برد، لا تكذب عليّ كما يكذب عكرمة على ابن عبّاس» ٢٨٠.

١١ ـ قيّده عليّ بن عبدالله بن عبّاس على باب الحش ـ بيت الخلاء ـ وقال لمن اعترض عليه في ذلك: «إنّه يكذب على أبي» ٢٨٠.

١٢ ـ عن محمّد بن سيرين: «... ولكنّه كذّاب» ٢٨٢.

١٣ ـ وعنه أيضاً: «أسأل الله أن يميته ويريحنا منه» ٢٨٢.

١٤ ـ وعن الشافعي: «وهو [يعني مـالك بـن أنس] سـيّئ الرأي فـي عكـرمة، قـال: لا أرى لأحد أن يقبل حديثه» ٢٨٣.

١٥ ـ وقال مسلم بن الحجّاج: حدّثنا إبراهيم بن خالد اليشكري، قال: حدّثنا أبوالوليد الطيالسي، عن القاسم بن معن بن عبدالرحمن، قال: حدّثني أبي، عن عبدالرحمن، قال: حدّث عكرمة بحديث فقال: سمعت ابن عبّاس يقول كذا وكذا، قال: فقلت: يا غلام، هات الدواة والقرطاس، فقال: أعجبك؟! قلت: نعم، فقال: تريد أن تكتبه؟! قلت: نعم، فقال: إنّما قلت برأيي!» ٢٨٦

إلى غير ذلك ممّا ذكروه في حقّه.

وبعد هذا كلّه فأيُّ قيمة تبقى له حتّى يتمسّك بقوله، وإن كان البخاري قد اعتدّ بقوله؟ ولعلّه كان لعدوله عن أهل البيت ﷺ ميزة عند البخاري ومن حذا حذوه.

نساء النبيّ صلى الله عليه وآله: ﴿ إنّما يريدُ اللهُ ليُذهِبَ عنكُمُ الرِّجسَ أهلَ البَيتِ ﴾ »[١].

والجواب عنه:

أ ـ إنّ الواحدي نفسه نقل نزولها في الخمسة، عن أبي سعيد، وأمّ سلمة[٢].

ب ـ إنّ الرواية ضعيفة، ولا أقل بسبب صالح بن موسى الطلحي[٣]، فهي ساقطة عن الحجيّة والاعتبار، فكيف يستند إليها في مقابل الروايات المستفيضة بل المتواترة؟!

٣ ـ ما رووه عن عروة بن الزبير: من أنّ الآية نزلت في بيت عائشة، وأنّ المراد من أهل البيت أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله[٤].

---

(١) أسباب النزول: ٢٥٢.

(٢) فقد روى بسنده عن أبي سعيد في آية: ﴿ إنّما يريدُ اللهُ ليُذهِبَ عنكُمُ الرِّجسَ أهلَ البَيتِ ويُطهِّرَكُمْ تَطهيراً ﴾، قال: «نزلت في خمسة: في النبيّ صلى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام». أسباب النزول: ٢٥١.

وروى رواية أمّ سلمة أيضاً، فيكون مجموع ما رواه أربعة روايات: رواية أبي سعيد وأمّ سلمة في الخمسة، ورواية ابن عبّاس وعكرمة في أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله.

(٣) قال عنه في التهذيب: «صالح بن موسى... الطلحي الكوفي».

ثمّ نقل عن جماعة تضعيفهم له، فقال:

أ ـ عن يحيى بن معين: «ليس بشيء»، وفي موضع آخر: «صالح بن موسى وإسحاق بن موسى ليسا بشيء، ولا يكتب حديثهما»، ونقل عنه أيضاً قوله فيه: «ليس بثقة».

ب ـ وعن أبي حاتم: «ضعيف الحديث، منكر الحديث جدّاً، كثير المناكير عن الثقات».

ج ـ وعن البخاري: «منكر الحديث».

د ـ وعن النسائي: «لا يكتب حديثه، ضعيف».

وغير ذلك ممّا ذكره. انظر تهذيب الكمال ١٣: ٩٥ ـ ٩٧.

(٤) قال السيوطي: «وأخرج ابن سعد عن عروة: ﴿ إنّما يريدُ اللهُ ليُذهِبَ عنكُمُ الرِّجسَ أهلَ البَيتِ ﴾، قال: يعني أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله نزلت في بيت عائشة» الدرّ المنثور ٥: ١٩٨، ذيل الآية الشريفة.

والجواب عنه :

أ ـ إنّ عروة لم يسند هذا التفسير إلى من يكون قوله حجّة ، وإنّما بيّن اجتهاده الشخصي ، مع أنّه ولد في خلافة عثمان ؛ ولذلك كان في حرب الجمل صبياً لم يبلغ .

ب ـ ادّعى ما لم تدّعه عائشة نفسها ، بل روت خلافه كما تقدّم .

ج ـ لا مانع من نزول الآية في بيت عائشة وكونها في خصوص أصحاب الكساء كما يظهر ممّا روته عائشة نفسها كما تقدّم .

د ـ لو كانت الآية نازلة في خصوص أزواج النبيّ ﷺ لكان اللازم أن يكون الخطاب لهنّ ، فيقول تعالى : « عنكنّ » بدل ﴿ عَنكُمُ ﴾ .

هـ ـ كلّ ذلك مع غضّ النظر عمّا نقلوه من عداء عروة لعليّ عليه السلام وآله .

إذن هذه الرواية ساقطة عن الحجيّة والاعتبار أيضاً .

٤ ـ ما رواه أحمد ، عن شهر بن حوشب ، قال : « سمعت أمّ سلمة زوج النبيّ ﷺ حين جاء نعي الحسين بن عليّ ، لعنت أهل العراق ، فقالت : قتلوه قتلهم الله ، غرّوه وذلّوه لعنهم الله ، فإنّي رأيت رسول الله ﷺ جاءته فاطمة غديّة ببرمة ... » .

ثمّ نقلت كيفيّة اجتماعهم تحت الكساء ، ودعاء النبيّ ﷺ لهم ، ثمّ قالت ـ بحسب هذه الرواية ـ : « قلت : يا رسول الله ، ألست من أهلك ؟ قال : بلى ، فادخلي في الكساء ، قالت : فدخلت في الكساء بعد ما قضى دعاءه لابن عمّه عليّ وابنيه وابنته فاطمة رضي الله عنهم »(١) .

والجواب عنه :

أ ـ إنّ الرواية رواها أحمد والترمذي وغيرهما عن طريق شهر بن حوشب ، عن أمّ سلمة خالية من هذا الذيل ، بل الموجود فيها عكس هذا . فممّا رواه أحمد

---

(١) مسند أحمد ٦ : ٣٣١ ، حديث أمّ سلمة ، الحديث ٢٦٦٠٦ .

من هذا القبيل :

ـ ما جاء فيه : « فقالت أمّ سلمة : يا رسول الله ، أنا منهم ؟ قال : إنّكِ إلى خير »[١].

ـ ما جاء فيه : « قالت أمّ سلمة : فرفعت الكساء لأدخل معهم ، فجذبه من يدي ، وقال : إنّكِ على خير »[٢].

وأمّا ما رواه الترمذي ، فقد تقدّم وجاء فيه : « فقالت أمّ سلمة : وأنا معهم يا رسول الله ؟ قال : إنّكِ إلى خير »[٣].

ثمّ قال الترمذي : « هذا حديث حسن ، وهو أحسن شيء روي في هذا الباب »[٤].

ب ـ إنّ ذيل الرواية ـ على فرض صدورها ـ دليل على المدّعى ؛ لأنّه جاء عن لسان أمّ سلمة : « ... فدخلت في الكساء بعد ما قضى دعاءه لابن عمّه ... » ، فالدعاء الذي دعاه النبيّ صلى الله عليه وآله لخاصّة أهله لم يشمل أمّ سلمة بحسب هذه الرواية ، وإنّما كان مختصّاً بفاطمة وبعلها وبنيها عليهم السلام.

نعم ، لم يمنع النبيّ صلى الله عليه وآله ـ على فرض صحّة الرواية ـ من صدق عنوان أهل البيت بمعناه العرفي العامّ على أمّ سلمة ، فيكون ذلك مؤيّداً لما قلناه : من وجود إطلاقين لأهل البيت بالنسبة إلى النبيّ : أحدهما المعنى العرفي العامّ بلحاظ خاصّ ، والآخر المعنى الأخصّ .

٥ ـ ما رواه ابن حجر عن واثلة بن الأسقع ، وقد مرّت الرواية ، ولكن أضيفت إليها عبارة : « قال واثلة : وأنا من أهلك ؟ قال صلى الله عليه وآله : وأنت من أهلي »[٥].

والجواب عنه :

---

(١) مسند أحمد ٦ : ٣٢٧ ، حديث أمّ سلمة ، الحديث ٢٦٦٥٣ .

(٢) المصدر المتقدّم : ٣٥٦ ، الحديث ٢٦٨٠٢ .

(٣) و (٤) سنن الترمذي ٥ : ٦٩٩ ، باب فضل فاطمة [عليها السلام] ، الحديث ٣٨٧١ .

(٥) الصواعق المحرقة : ١٤٤ ، الفصل الأوّل من الباب الحادي عشر .

أ ـ تقدّمت[1] رواية واثلة خالية من هذا الذيل ، وقد رواها أحمد والحاكم والسيوطي بعدّة طرق عنه ، فلا اعتبار بما فيه الزيادة .

ب ـ وعلى فرض صحّة ذلك ، فإنّ المراد من الأهل في قوله : « وأنت من أهلي » : الأهل بمعناه المجازي ، وإلّا فمن المعلوم أنّ واثلة ليس من أهل النبيّ ﷺ حتّى بمعناه العرفي العامّ .

٦ ـ ما رواه ابن حجر أيضاً : من « أنّه ﷺ اشتمل على العبّاس وبنيه بملاءة ثمّ قال : يا ربّ ، هذا عمّي وصنو أبي ، وهؤلاء أهل بيتي ، فاسترهم من النار كستري إيّاهم بملاءتي هذه ، فأمّنت اسكفة الباب وحوائط البيت ، فقال : آمين وهي ، ثلاثاً »[2] .

والرواية ـ كما قال الخبير المظفّر ـ ضعيفة السند ، واضحة الكذب ، ظاهرة التصنّع رعاية لملوك العبّاسيّين[3] .

وعلى فرض صحّتها فهي تدلّ على صدق عنوان أهل البيت بمعناه العامّ عليهم ، وهذا لا ينكره أحد ، فلم يخصّوا بفضيلة نزول آية التطهير فيهم حتّى يشملهم عنوان « أهل البيت » بمعناه الخاصّ .

إذن ليس في هذه الروايات ما يقاوم الروايات المتقدّمة ؛ لضعفها سنداً أو دلالة ، أو كليهما ، فتبقى تلك على قوّتها .

المحاولة الثانية ـ إطلاق عنوان أهل البيت عليهم في موارد متفرّقة أُخرى :

ومن محاولات النبيّ ﷺ لإفهام المسلمين أنّ أهل بيته ـ بمعناه الأخصّ ـ هم أصحاب الكساء دون غيرهم ، هو : أنّه ﷺ كان يطلق عليهم هذا العنوان بمناسبات

---

(١) تقدّمت في الصفحة ٢٤ و ٢٥.

(٢) الصواعق المحرقة : ١٤٤ ، الفصل الأوّل من الباب الحادي عشر.

(٣) انظر دلائل الصدق ٢ : ٧٢.

مختلفة، ولم يرد أنّه صلى الله عليه وآله فعل ذلك مع غيرهم من أقاربه وزوجاته. وسنذكر فيما يأتي بعض النماذج من ذلك حسب ما ذكره أصحاب السنن والمسانيد:

١ ـ روى الترمذي بسنده عن أنس بن مالك: «أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه [وآله] وسلّم كان يمرّ بباب فاطمة ستّة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول: الصلاة يا أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾»[1].

ورواه عنه أحمد[2] والطبري[3] والحاكم[4] وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه».

٢ ـ وروى الطبري بإسناده إلى أبي الحمراء، قال: «رابطت المدينة سبعة أشهر على عهد النبيّ صلى الله عليه وآله، قال: رأيت النبيّ صلّى اللّه عليه [وآله] وسلّم إذا طلع الفجر جاء إلى باب عليّ وفاطمة، فقال: الصلاة، الصلاة، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾»[5].

٣ ـ وروى السيوطي عن ابن جرير وابن مردويه بإسنادهما عن أبي الحمراء، قال: «حفظت من رسول اللّه صلّى اللّه عليه [وآله] وسلّم ثمانية أشهر بالمدينة، ليس من مرّة يخرج إلى صلاة الغداة إلّا أتى إلى باب عليّ عليه السلام فوضع يده على جنبتي الباب ثمّ قال: الصلاة، الصلاة، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾»[6].

---

(١) سنن الترمذي ٥: ٣٥٢، كتاب تفسير القرآن، باب تفسير سورة الأحزاب، الحديث ٣٢٠٦، ولم ينقل ذيل الآية ٣٣ غير هذه الرواية، وهو لافت للنظر.

(٢) مسند أحمد ٣: ٣١٧، مسند أنس بن مالك، الحديث ١٣٧٣٦.

(٣) تفسير الطبري ٢٢: ٩، الحديث ٢١٧٢٩.

(٤) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٥٨، مناقب فاطمة عليها السلام.

(٥) تفسير الطبري ٢٢: ١٠، الحديث ٢١٧٣١.

(٦) الدرّ المنثور ٥: ١٩٩، ذيل الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

٤ ـ وروى عن ابن مردويه أيضاً بإسناده عن ابن عبّاس ، قال : « شهدنا رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم تسعة أشهر يأتي كلّ يوم باب عليّ بن أبي طالب عليه السلام عند وقت كلّ صلاة ، فيقول : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ الصلاة رحمكم الله . كلّ يوم خمس مرّات »[1].

٥ ـ وروى مسلم عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص ، عن أبيه ، قال : « أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً ، فقال : ما منعك أن تسبَّ أبا التراب ؟! فقال : أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم فلن أسبّه ، لئن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حمر النعم ... » إلى أن قال :

« ولمّا نزلت هذه الآية : ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رسول الله عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً ، فقال : " اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي " »[2].

وورد عن طريق الخاصّة ما يؤيّد رواية سعد ، فقد روى الصدوق عن الرضا عليه السلام ، عن أبيه موسى بن جعفر عليه السلام : أنّ هارون الرشيد لمّا سأله : « كيف قلتم إنّكم ذرّيّة النبيّ صلى الله عليه وآله وهو لم يعقب ذكراً وأنتم ولد البنت ؟! » فقال ضمن جوابه : « ... أزيدك يا أمير المؤمنين ! قال : هات » فتلى عليه آية المباهلة : ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ ...﴾[3] ، ثمّ قال : « ولم يدّعِ أحد أنّه ادخل النبيّ صلى الله عليه وآله تحت الكساء وعند مباهلة النصارى إلّا عليّ بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين ، فكان تأويل قوله : ﴿أَبْنَاءَنَا﴾ الحسن والحسين ، و﴿نِسَاءَنَا﴾

---

(١) الدرّ المنثور ٥ : ١٩٩.

(٢) صحيح مسلم ٤ : ١٨٧١ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عليّ بن أبي طالب ، الحديث ٢٤٠٤ ، ورواه الترمذي في سننه ٥ : ٦٣٨ في مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، الحديث ٣٧٢٤.

(٣) آل عمران : ٦١.

فاطمة، و﴿أَنفُسَنَا﴾ عليّ بن أبي طالب »[1].

كلام الرازي في أهل البيت عليهم السلام :

قال الرازي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ : « نقل صاحب الكشّاف عن النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم أنّه قال: من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له... ألا ومن مات على بغض آل محمّد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمّد لم يشمّ رائحة الجنّة »، والرواية طويلة اختزلناها.

ثمّ قال:

« هذا هو الذي رواه صاحب الكشّاف، وأنا أقول: آل محمّد صلّى الله عليه [وآله] وسلّم هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكلّ من كان أمرهم إليه أشدّ وأكمل كانوا هم الآل: ولا شكّ أنّ فاطمة وعليّاً والحسن والحسين كان التعلّق بينهم وبين رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم أشدّ التعلّقات، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هم الآل... ».

إلى أن قال: « وروى صاحب الكشّاف أنّه لمّا نزلت هذه الآية، قيل: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ فقال: عليّ وفاطمة وابناهما. فثبت أنّ هؤلاء الأربعة أقارب النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم »[2].

ثمّ بيّن وجوب تعظيمهم وحبّهم، ولعلّنا ننقل بقيّة كلامه في موضع آخر إن شاء الله تعالى[3].

---

(١) البحار ٤٨: ١٢٨، تاريخ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، باب مناظراته مع خلفاء الجور، الحديث ٢، نقلاً عن الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٨١.

(٢) التفسير الكبير ٢٧: ١٦٦، وانظر تفسير الكشّاف ٣: ٤٦٧.

(٣) انظر الصفحة ٨٩ ـ ٩٠.

الاستنتاج ممّا سبق:

الذي نستنتجه من الأبحاث المتقدّمة هو: أنّ عنوان «أهل البيت» يطلق في عرف الكتاب والسنّة على معانٍ ثلاثة:

١ ـ المعنى اللغوي والعرفي العامّ، أي من انتسب إلى بيت السكن أو النسب مطلقاً، من غير اختصاص ببيت النبيّ ﷺ.

وبهذا المعنى ربّما تدخل أزواج النبيّ ﷺ في عنوان أهل البيت بعنوان الانتساب إلى بيت السكن.

٢ ـ المعنى العرفي العامّ ولكن بلحاظ بيت النبيّ ﷺ خاصّة، فيطلق على من انتسب إلى النبيّ ﷺ نسباً، وهم جميع بني هاشم.

وبهذا المعنى لا تدخل أزواج النبيّ ﷺ في العنوان.

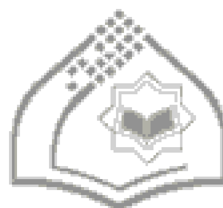
٣ ـ المعنى الخاصّ، وهو إرادة خصوص أصحاب الكساء، وهم: عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

وبهذا اللحاظ لا تدخل أزواج النبيّ ﷺ في العنوان أيضاً.

والذي ينصرف إلى الذهن عند إطلاق «أهل البيت» هو المعنى الأخير[1].

---

(١) ويدلّ على هذا الانصراف في الصدر الأوّل نداء عكرمة بالسوق: «ليس الذين يذهبون إليه، إنّما هي أزواج النبيّ ﷺ»، وقد تقدّم الكلام عن ذلك في الصفحة ٣٩.



خصائص أهل البيت عليهم السلام

لأهل البيت بالمعنى الأخصّ خصائص ينفردون بها ، نشير فيما يلي إلى أهمّها على نحو الاختصار :



أوّلاً ـ العصمة والطهارة من الذنوب :

قلنا فيما سبق : إنّ آية التطهير إنّما نزلت في خصوص أصحاب الكساء ، لا في غيرهم ولا فيهم وفي غيرهم ، كل ذلك للروايات الصحيحة والمستفيضة ، بل المتواترة من طرق الفريقين : الشيعة والسنّة .

وأمّا الآن فاللازم أن نتأمّل في المراد منها ، فنقول :

إنّ بيان المراد من الآية يتوقّف على بيان بعض الأمور :

الأمر الأوّل ـ أنّ كلمة « إنّما » تفيد الحصر والقصر ، ويكون المقصور عليه مؤخّراً وجوباً ، ومن مزاياها على سائر أدوات القصر أنّها تثبت شيئاً لما بعدها وتنفيه عن غيره في آن واحد[1] .

وإلى هذا يشير كلام الطبرسي حيث قال : « إنّ لفظة إنّما محقّقة لما أثبت بعدها ،

---

(١) انظر : جواهر البلاغة : ١٨٢ ، والمعجم الوافي في النحو العربي : ٩٣ ، كلمة « إنّما » ، وغيرهما من كتب البلاغة والمعاجم المناسبة .

نافية لما لم يثبت ... »[١].

فبناءً على هذا، يكون إذهاب الرجس مقصوراً على أهل البيت منتفياً عن غيرهم.

الأمر الثاني ـ الرجس في اللغة هو القَذَر[٢]، فكلّ شيء يستقذر فهو رجس[٣]، وقد يعبّر به عن الذنوب استعارة؛ لأنّها قذارات معنويّة[٤]، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ ... فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً ... * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ... ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[٦].

وقال تعالى: ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾[٧].

ولذلك قال ابن الأثير: « الرجس: القَذَر، وقد يعبّر به عن الحرام، والفعل القبيح، والعذاب، واللعنة، والكفر »[٨].

وروى الصدوق باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام في تفسير « الرجس » من آية

(١) مجمع البيان (٧ ـ ٨): ٣٥٧.

(٢) انظر: الصحاح، والنهاية (لابن الأثير)، وغيرهما: « رجس ».

(٣) انظر ترتيب كتاب العين: « رجس ».

(٤) قال الزمخشري: «استعار للذنوب الرجس، وللتقوى الطهر؛ لأنّ عِرض المقترف للمقبحات يتلوّث بها ويتدنّس، كما يتلوّث بدنه بالأرجاس، وأمّا المحسّنات، فالعِرض معها نقيٌّ مصون كالثوب الطاهر» تفسير الكشّاف ٣: ٢٦٠.

(٥) التوبة: ١٢٤ ـ ١٢٥.

(٦) الأنعام: ١٢٥.

(٧) الحج: ٣٠.

(٨) النهاية (لابن الأثير): « رجس ».

التطهير، أنّه قال: «الرجس هو الشكّ»[1]. وفي رواية أخرى عن أبي عبدالله عليه السلام: «الرجس هو الشكّ، ولا نشكّ في ديننا أبداً»[2].

ثمّ إنّ المنفيّ في الآية مطلق الرجس؛ لأنّ اللام فيه للجنس، فالآية تنفي جميع القذارات الماديّة والمعنوية عن أهل البيت عليهم السلام.

وإذا نفى مطلق الرجس، ثبت مقابله وهو مطلق الطهارة، أي الطهارة بجميع مراتبها، وهو ملازم للعصمة كما سيأتي عن قريب[3].

الأمر الثالث ـ أنّ إرادة الله تعالى ـ بل إرادة الإنسان أيضاً ـ تارة تكون تكوينيّة وأخرى تشريعيّة.

فالإرادة التكوينية هي التي تتعلّق بالأمور التكوينيّة، كإرادته خلق السماوات والأرض والإنسان، أو خلق الإنسان بصفة خاصّة مثلاً.

وإذا تعلّقت الإرادة التكوينية لله تعالى بأمرٍ تحقّق ذلك الأمر ولم تتخلّف إرادته.

وأمّا الإرادة التشريعيّة فهي التي تتعلّق بالتشريع، كإرادته الصلاة والصوم والحجّ ونحوها من الإنسان، ففعل الواجبات وترك المحرّمات كلّها متعلّقات إرادته تعالى التشريعيّة.

وهذه الإرادة غير قابلة للتخلّف بمعنىً، وقابلة للتخلّف بمعنىً آخر.

وتوضيح ذلك: أنّ إرادته تعالى تعلّقت بصدور الواجبات وترك المحرّمات من الإنسان باختياره، وهذا المقدار قد حصل ولم تتخلّف إرادته تعالى فيه[4].

---

(١) معاني الأخبار: ١٣٨، باب معنى الرجس.

(٢) بصائر الدرجات ٤: ٢٢٤، الباب ١١، الحديث ١٣.

(٣) انظر الميزان في تفسير القرآن ١٦: ٣١٢.

(٤) قد يقال: هذا داخل في الإرادة التكوينيّة؛ لأنّه يرتبط بتعلّق إرادته تعالى بكيفيّة خلق الإنسان، وهو خلقه مختاراً، ولا ربط له بالإرادة التشريعيّة!

←

وأمّا في مرحلة عمل الإنسان وتنفيذ اختياره وإرادته ، فالإرادة التشريعيّة قابلة للتخلّف ؛ لأنّ المكلّف ـ بسبب اختياره ـ قد يعمل بالتكليف ويحقّق ما أراده اللّه تعالى منه ، وقد لا يعمل فلا يحقّقه .

وهنا نتساءل : ما هي الإرادة المذكورة في الآية الشريفة ، هل هي الإرادة التشريعيّة أو التكوينيّة ؟

والإرادة التشريعيّة في الآية معناها : أنّه تعالى يريد منهم أن يكونوا طاهرين غير متلبّسين بالأرجاس ، كما يريد منهم أن يصوموا ويصلّوا .

والإرادة التكوينيّة فيها ، معناها : أنّه تعالى خلقهم بحيث يكونون طاهرين غير متلبّسين بالأرجاس والأقذار المعنويّة والماديّة .

فإن كان المراد من الإرادة في الآية هي التشريعيّة ، فنقول : لا حاجة إلى حصرها في أهل البيت عليهم السلام ؛ لأنّ إرادته تعالى التشريعيّة قد تعلّقت بطهارة جميع أفراد الإنسان ، بمعنى أنّه تعالى أراد ـ بالإرادة التشريعيّة ـ من جميع بني آدم أن يتطهّروا من الأرجاس المعنويّة والظاهرية الماديّة معاً .

إذن لا بدّ من أن تكون إرادته فيها إرادة تكوينيّة ، بمعنى أنّه تعالى أراد تطهيرهم من الرجس تكويناً ، وهذا المعنى يمكن اختصاصه بطائفة من الناس ؛ لعدم تعلّق إرادته التكوينيّة بإذهاب الرجس من جميع الناس قطعاً .

والحاصل : أنّه تعالى أراد بالإرادة التكوينيّة إذهاب الرجس عن أهل البيت عليهم السلام ، بمعنى أنّه تعالى خلقهم مطهّرين من الأرجاس والآثام ، وهو معنى العصمة . ولمّا كانت « إنّما » تفيد الحصر ، فهذه الإرادة تكون مخصوصة بأهل البيت عليهم السلام دون غيرهم .

← والجواب : أنّ الذي يرتبط بالإرادة التكوينية هو خلق الإنسان مختاراً كما قيل في الإشكال ، وأمّا إرادته تعالى الصلاة من المكلّف عن اختيار منه ، فهي إرادة تشريعيّة .

وإلى ذلك كلّه أشار الطبرسي في مجمع البيان قائلاً: «لا تخلو الإرادة في الآية أن تكون هي الإرادة المحضة أو الإرادة التي يتبعها التطهير وإذهاب الرجس، ولا يجوز الوجه الأوّل؛ لأنّ اللّه تعالى قد أراد من كلّ مكلّف هذه الإرادة المطلقة، فلا اختصاص لها بأهل البيت دون سائر الخلق؛ ولأنّ هذا القول يقتضي المدح والتعظيم لهم بغير شكٍّ وشبهة، ولا مدح في الإرادة المجرّدة، فثبت الوجه الثاني، وفي ثبوته عصمة المعنيّين بالآية من جميع القبائح، وقد علمنا: أنّ من عدا من ذكرناه من أهل البيت غير مقطوع على عصمته، فثبت أنّ الآية مختصّة بهم؛ لبطلان تعلّقها بغيرهم»[1].

تفسير العصمة وتوجيهها:

والمراد من عصمتهم عليهم السلام هو: أنّ اللّه تعالى منحهم العلم بما يترتّب على المعاصي من مفاسد وأضرار، فيوجب فيهم اعتقاداً راسخاً بلزوم مفارقتها مع قدرتهم على إتيانها تكويناً.

والعصمة بهذا المعنى موجودة في جميع الأفراد وإنّما الاختلاف في مراتبها، ففي بعض الأفراد تكون محدودة ومختصّة ببعض الأمور، وفي بعض آخر تكون دائرتها أوسع وهكذا إلى أن ينتهي الأمر إلى العصمة والمناعة المطلقة[2].

---

(١) مجمع البيان (٧ ـ ٨): ٣٥٧.

(٢) قال السيّد المرتضى ضمن الكلام عن العصمة: «وأصل العصمة في وضع اللغة: المنع، يقال: عصمت فلاناً من السوء: إذا منعت من حلوله به، غير أنّ المتكلّمين أجروا هذه اللفظة على من امتنع باختياره عند اللطف الذي يفعله اللّه تعالى به؛ لأنّه إذا فعل به ما يعلم أنّه يمتنع عنده من فعل القبيح، فقد منعه منه، فأجروا عليه لفظ المانع قسراً أو قصراً، وأهل اللغة يتعارفون ذلك أيضاً ويستعملونه؛ لأنّهم يقولون في من أشار على غيره برأي فقبله منه مختاراً واحتمى بذلك من ضرر يلحقه، وسوء يناله: إنّه حماه من ذلك الضرر، ومنعه وعصمه منه، وإن كان ذلك على سبيل الاختيار.

←

وتوضيح ذلك : أنّ كلّ إنسان عاقل لا يقدم على أكل وشرب القاذورات مع قدرته تكويناً على ذلك ، ولا يقدم على حرق نفسه أو تناول السموم مع قدرته على ذلك أيضاً ، فعدم الإقدام في هذه الموارد ناشئ من العلم بما يترتّب عليها من المفاسد والأضرار.

وهكذا لو حصل العلم بما يترتب على ارتكاب الذنوب من مفاسد وأضرار ، فإنّ الإنسان العالم بذلك يمتنع من ارتكابها ، وكلّما كان علمه أوسع وأدقّ كان تورّعه منها أكثر[١].

ولكن ربّما تتغلّب القوى الشهويّة والغضبيّة وغيرها عند صراعها مع العلم بالمفاسد والأضرار المترتّبة على الذنوب ؛ فلذلك لا يوجب هذا العلم العادي عصمة مطلقة عند الإنسان .

إذن لابدّ من علم تتغلّب به نفس الإنسان على القوى الشهويّة والغضبيّة عند الصراع والتعارض . وإلى هذا المعنى يشير العلّامة الطباطبائي بقوله : «... إنّ هذه الموهبة الإلهيّة التي نسمّيها قوّة العصمة نوع من العلم والشعور يغاير سائر أنواع العلوم في أنّه غير مغلوب لشيء من القوى الشعوريّة البتّة ، بل هي الغالبة القاهرة

← فإن قيل : أتقولون في من لطف له بما اختار عنده الامتناع من فعلٍ واحدٍ قبيح : إنّه معصوم ؟

قلنا : نقول ذلك مضافاً ولا نطلقه ، فنقول : إنّه معصوم من كذا ، ولا نُطلق فيوهم أنّه معصوم من جميع القبائح ، ونطلق من الأنبياء والأئمّة عليهم السلام : العصمة بلا تقييد...» . رسائل السيّد المرتضى ٣: ٣٢٦، مسألة في العصمة .

(١) ولعلّه يقرب إلى هذا المعنى ما أشار إليه الزمخشري بقوله : «واستعار للذنوب "الرجس" وللتقوى "الطهر" ؛ لأنّ عِرض المقترف للمقبّحات يتلوّث بها ويتدنّس كما يتلوّث بدنه بالأرجاس ، وأمّا المحسّنات فالعِرض معها نقيٌّ مصون كالثوب الطاهر . وفي هذه الاستعارة ما يُنفّر أولي الألباب عمّا كرهه الله لعباده ونهاهم عنه ، ويرغّبهم فيما رضيه لهم وأمرهم به» تفسير الكشّاف ٣: ٢٦٠ .

عليها ، المستخدمة إيّاها ؛ ولذلك كانت تصون صاحبها من الضلال والخطيئة مطلقاً ، وقد ورد في الروايات[١] : أنّ للنبيّ والإمام روحاً تسمّى روح القدس تسدّده وتعصمه عن المعصية والخطيئة ، وهي التي يشير إليها قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾[٢] ... »[٣].

ويؤيّد هذا التفسير للعصمة ما ورد في تفسيرها من قبيل :

١ ـ ما رواه الصدوق بإسناده عن موسى بن جعفر ، عن أبيه الصادق ، عن جدّه الباقر ، عن أبيه عليّ بن الحسين عليهم السلام ، قال : « الإمام منّا لا يكون إلّا معصوماً ، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها ، ولذلك لا يكون إلّا منصوصاً ، فقيل له : يابن رسول الله ، فما معنى المعصوم ؟ فقال : هو المعتصم بحبل الله ، وحبل الله هو القرآن لا يفترقان إلى يوم القيامة ، والإمام يهدي إلى القرآن ، والقرآن يهدي إلى الإمام ، وذلك قول الله عزّ وجلّ : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[٤] »[٥].

٢ ـ ما رواه الصدوق بإسناده عن حسين الأشقر ، قال : « قلت لهشام بن الحكم : ما معنى قولكم : إنّ الإمام لا يكون إلّا معصوماً ؟ فقال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن ذلك ، فقال : المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله ، وقال الله تبارك وتعالى : ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٦] »[٧].

---

(١) انظر أُصول الكافي ١ : ٢٧٣ ، باب الروح التي يسدّد الله بها الأئمّة ، وانظر الباب الذي قبله .

(٢) الشورى : ٥٢ .

(٣) الميزان في تفسير القرآن ٥ : ٨٠ ، وانظر كتاب أهل البيت (للأستاذ السبحاني) : ٧٩ ـ ٩٨ .

(٤) الإسراء : ٩ .

(٥) معاني الأخبار : ١٣٢ ، باب معنى العصمة ، الحديث الأوّل .

(٦) آل عمران : ١٠١ .

(٧) معاني الأخبار : ١٣٢ ، باب معنى العصمة ، الحديث ٢ .

٣ ـ ما رواه الصدوق أيضاً، عن ابن أبي عمير، قال: «ما سمعت ولا استفدت من هشام بن الحكم في طول صحبتي له شيئاً أحسن من هذا الكلام في صفة عصمة الإمام، فإنّي سألته يوماً عن الإمام أوهو معصوم؟ فقال: نعم، فقلت: فما صفة العصمة فيه؟ وبأي شيء تعرف؟ فقال: إنّ جميع الذنوب لها أربعة أوجه ولا خامس لها: الحرص، والحسد، والغضب، والشهوة، فهذه منفيّة عنه لا يجوز أن يكون حريصاً على هذه الدنيا، وهي تحت خاتمة؛ لأنّه خازن المسلمين فعلى ماذا يحرص؟ ولا يجوز أن يكون حسوداً؛ لأنّ الإنسان إنّما يحسد من فوقه، وليس فوقه أحد، فكيف يحسد من هو دونه؟ ولا يجوز أن يغضب لشيء من أمور الدنيا إلّا أن يكون غضبه للّه عزّ وجلّ، فإنّ اللّه عزّ وجلّ قد فرض عليه إقامة الحدود وأن لا تأخذه لومة لائم، ولا رأفة في دينه حتّى يقيم حدود اللّه عزّ وجلّ، ولا يجوز له أن يتّبع الشهوات ويؤثر الدنيا على الآخرة؛ لأنّ اللّه عزّ وجلّ حبّب إليه الآخرة كما حبّب إلينا الدنيا، فهو ينظر إلى الآخرة كما ننظر إلى الدنيا، فهل رأيت أحداً ترك وجهاً حسناً لوجه قبيح، وطعاماً طيّباً لطعام مرّ، وثوباً ليّناً لثوب خشن، ونعمة دائمة باقية لدنيا زائلة فانية؟!»(١).

والعبارة الأخيرة تعكس التفسير الذي ذكرناه للعصمة، وأنّها نسبيّة، فهي تكون فينا في درجات ضعيفة، لكنّها في الإمام عليه السلام تكون في غايتها.

وسوف نقوم بدراسة مستقلّة في العصمة في الفرصة المناسبة إن شاء اللّه تعالى.

شبهة وردّها:

ربّما يقال: إنّ الآية إنّما تثبت عصمة الأربعة، فلا دلالة فيها على عصمة سائر الأئمّة عليهم السلام، فكيف يقال بعصمتهم؟

والجواب: أنّ الأدلّة القائمة على عصمة الأئمّة عليهم السلام غير منحصرة بالآية،

---

(١) معاني الأخبار: ١٣٣، باب معنى العصمة، الحديث ٢.

بل الأدلّة عليها كثيرة سوف نتطرّق إلى جملة منها في فرصة مناسبة إن شاء الله تعالى.

هذا مع أنّه يمكن أن يقال: إنّ سائر الأئمّة تثبت عصمتهم بالتنصيص ممّن ثبتت عصمتهم بالآية.

وكذلك يشملهم عنوان «أهل البيت» بعد تطبيق من شملتهم الآية بهذا العنوان عليهم. نذكر نموذجاً واحداً من ذلك:

قال الإمام عليّ عليه السلام في إحدى خطبه ـ بعد حمد الله والشهادة بوحدانيّته ورسالة نبيّه صلى الله عليه وآله ـ: «... وخلّف فينا راية الحقّ، من تقدّمها مَرَق، ومن تخلّف عنها زَهَق، ومن لزمها لحق، دليلها مكيث الكلام، بطيء القيام، سريع إذا قام، فإذا أنتم ألنتم له رقابكم، وأشرتم إليه بأصابعكم، جاءه الموت فذهب به، فلبثتم بعده ما شاء الله، حتّى يطلع الله لكم من يجمعكم ويضمّ نشركم...» إلى أن قال:

«ألا إنّ مثل آل محمّد صلى الله عليه وآله كمثل نجوم السماء، إذا خوى نجم طلع نجم، فكأنّكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع، وأراكم ما كنتم تأملون»[1].

أشار الإمام عليه السلام في هذه الخطبة إلى أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله خلّف في الأمّة راية الحقّ، وهي: الثقلان[2]: كتاب الله، وعترة نبيّه صلى الله عليه وآله، من تقدّمها مرق وخرج عن الحقّ، ومن تأخّر عنها زهق واضمحلّ، ومن لازمها أصاب الحقّ.

ثمّ أشار إلى أنّه عليه السلام دليل هذه الراية، وأنّهم سيجتمعون عليه بعد تفرّقهم عنه،

---

(١) نهج البلاغة: ١٤٥ ـ ١٤٦، الخطبة ١٠٠.

قال ابن أبي الحديد: «اعلم أنّ هذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين عليه السلام في الجمعة الثالثة من خلافته، وكنّى فيها عن حال نفسه، وأعلمهم فيها: أنّهم سيفارقونه ويفقدونه بعد اجتماعهم عليه وطاعتهم له، وهكذا وقع الأمر، فإنّه نقل أنّ أهل العراق لم يكونوا أشدّ اجتماعاً عليه من الشهر الذي قتل فيه عليه السلام». شرح نهج البلاغة ٧: ٩٣، ذيل الخطبة ٩٩.

(٢) إشارة إلى حديث الثقلين، وسيأتي الكلام عنه قريباً إن شاء الله تعالى.

ثمّ يجيئه الموت ، فيلبثون بعده ما شاء الله حتّى يخرج الله لهم من يجمعهم من أهل البيت عليهم السلام . وهو إشارة إلى الإمام المهدي عليه السلام[١] .

ثمّ قال : إنّ مثل آل محمّد صلى الله عليه وآله كمثل نجوم السماء ، إذا خوى ـ أي غاب ـ نجم طلع نجم آخر .

فنرى أنّه عليه السلام طبّق عنوان « آل محمّد » على الإمام المهدي عليه السلام ، والمقصود من آل محمّد صلى الله عليه وآله هنا معناه الأخصّ ؛ لأنّ صفة القيادة والإمامة لم تكن تصلح لجميع أفراد الآل بمعناه العامّ ، كما لا يناسبه التعبير بأنّ مثلهم كمثل نجوم السماء إذا خوى نجم طلع نجم آخر ، فإنّه مناسب لمن كان له شأن ومقام كالإمامة .

ثانياً ـ كونهم عِدل الكتاب :

ومن خصائص أهل البيت عليهم السلام أنّهم عِدلٌ لكتاب الله تعالى ، وأحد الثقلين اللذين خلّفهما رسول الله صلى الله عليه وآله في أمّته من بعده ، وأمرهم باتّباعهما .

وقد ورد هذا المعنى مستفيضاً ، بل متواتراً ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله ، ويظهر من مجموعها : أنّه صلى الله عليه وآله صرّح بذلك عدّة مرّات وفي مواضع مختلفة ، وسنذكر فيما يأتي نماذج من نصوص الحديث مستخرجة من الصحاح والمسانيد المعتبرة عند السنّة ، مضافاً إلى ما ورد في مصادر الشيعة :

١ ـ روى مسلم بإسناده إلى زيد بن أرقم ، قال : « قام رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يوماً فينا خطيباً بماءٍ يُدعى خُمّاً[٢] بين مكّة والمدينة ، فحمد الله

---

(١) قال ابن أبي الحديد : « ثمّ أخبرهم أنّهم يلبثون بعده ما شاء الله ، ولم يحدّد ذلك بوقت معيّن ، ثمّ يطلع الله لهم من يجمعهم ويضمّهم ، يعني من أهل البيت عليهم السلام ، وهذا إشارة إلى المهدي الذي يظهر في آخر الوقت » . شرح النهج ٧ : ٩٤ .

(٢) قال ياقوت الحموي : « خمّ : اسم موضع غدير خم ... » .

ثمّ نقل عن الزمخشري قوله : « خم اسم رجل صبّاغ أُضيف إليه الغدير الذي هو بين ←

وأثنى عليه، ووعظ وذكّر، ثمّ قال: "أمّا بعد، ألا أيّها النّاس! فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أوّلهما كتاب اللّه فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب اللّه"، ورغّب فيه، ثمّ قال: "وأهل بيتي، أذكّركم اللّه في أهل بيتي، أذكّركم اللّه في أهل بيتي، أذكّركم اللّه في أهل بيتي"...»[1].

٢ - ورواه عنه أحمد في مسنده[2].

٣ - ورواه أيضاً عنه في كتابه فضائل الصحابة بلفظ آخر وهو: «لمّا رجع رسول اللّه صلّى اللّه عليه [وآله] وسلّم من حجّة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقُمِمْنَ[3]، ثمّ قال: كأنّي دعيت فأجبت، إنّي قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلّفوني فيهما، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، ثمّ قال: إنّ اللّه مولاي، وأنا وليّ كلّ مؤمن، ثمّ أخذ بيد عليّ فقال: من كنت مولاه فهذا وليّه، اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه»[4].

٤ - وأخرجه الحاكم بسنده ثمّ قال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بطوله»[5].

٥ - وروى الترمذي عن زيد بن أرقم أيضاً أنّه قال: «قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه

← مكّة والمدينة بالجحفة، وقيل: هو على ثلاثة أميال من الجحفة...».

ثمّ نقل عن الحازمي أنّه قال: «خمّ وادٍ بين مكّة والمدينة عند الجحفة به غدير، عنده خطب رسول اللّه صلّى اللّه عليه [وآله] وسلّم». معجم البلدان ٢: ٣٨٩، «خم».

(١) صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عليّ بن أبي طالب [عليه السلام]، الحديث ٢٤٠٨.

(٢) مسند أحمد ٤: ٤٤٨، مسند زيد بن أرقم، الحديث ١٩٢٨٧.

(٣) أي أزيلت القُمامة من تحتهنّ ونظّفن.

(٤) كتاب فضائل الصحابة: ١٥، فضائل عليّ [عليه السلام].

(٥) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٠٩، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام.

[وآله] وسلّم: إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما؟»[١].

٦ ـ وروى الدارمي عن زيد بن أرقم أيضاً أنّه قال: «قام رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يوماً خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: "يا أيّها النّاس، إنّما أنا بشرٌ يوشك أن يأتيني رسول ربّي فأجيبه، وإنّي تارك فيكم الثقلين، أوّلهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فتمسّكوا بكتاب الله وخذوا به"، فحثّ عليه ورغّب فيه، ثمّ قال: "وأهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي" ثلاث مرّات»[٢].

٧ ـ وروى الترمذي عن جابر بن عبدالله، قال: «رأيت رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم في حجّته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب، فسمعته يقول: يا أيّها الناس، إنّي قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي»[٣].

٨ ـ وروى أحمد عن أبي سعيد، قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: إنّي تارك فيكم الثقلين: أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»[٤].

٩ ـ وروي عنه أيضاً أنّه قال: «إنّي أوشك أن أُدعى فأجيب، وإنّي تاركٌ فيكم الثّقلين: كتابَ الله عزّ وجلّ، وعترتي، كتابُ الله حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهلُ بيتي، وأنّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا

---

(١) سنن الترمذي ٥: ٦٦٣، كتاب المناقب، مناقب أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله، الحديث ٣٧٨٨.
(٢) سنن الدارمي ٢: ٤٣١ ـ ٤٣٢، كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن.
(٣) سنن الترمذي ٥: ٦٦٢، كتاب المناقب، مناقب أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله، الحديث ٣٧٨٦.
(٤) مسند أحمد ٣: ١٨، مسند أبي سعيد الخدري، الحديث ١١١١٠.

عليَّ الحوض ، فانظروني بِمَ تخلفوني فيهما ؟ »[١].

١٠ ـ وروى أحمد عن زيد بن ثابت أنّه قال : « قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه [وآله] وسلّم : إنّي تاركٌ فيكم خليفتين : كتابَ اللّه حبل ممدود ما بين السماء والأرض ـ أو ما بين السماء إلى الأرض ـ وعترتي أهل بيتي ، وأنّهما لن يتفرقا حتّى يردا عليَّ الحوض »[٢].

١١ ـ ورواه عنه أيضاً بطريق آخر[٣].

١٢ ـ وروى الطبراني عن زيد بن ثابت أنّه قال : « قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه [وآله] وسلّم : إنّي تارك فيكم الثقلين من بعدي : كتاب اللّه عزّ وجلّ ، وعترتي أهل بيتي ، وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض »[٤].

ولا نكون مبالغين إذا ادّعينا تواتر الرواية ، فقد نقلها غير من تقدّم من أصحاب السنن والمسانيد والمفسّرين ، مثل : البيهقي[٥] ، والنسائي[٦] ، وأبي يعلى[٧] ، والطبراني[٨] ، وغيرهم ، عن زيد بن أرقم ، وزيد بن ثابت ، وجابر بن عبداللّه

(١) مسند أحمد ٣ : ٢٢ ، ومسند أبي سعيد الخدري : الحديث ١١١٣٧.

(٢) مسند أحمد ٥ : ٢١٦ ، مسند زيد بن ثابت ، الحديث ٢١٦٣٣.

(٣) المصدر المتقدّم : ٢٢٥ ، الحديث ٢١٧١٠.

(٤) المعجم الكبير ٥ : ١٥٤ ، الحديث ٤٩٢٣.

(٥) انظر السنن الكبرى (للبيهقي) ٧ : ٣٠ ، باب بيان آل محمّد ، عن زيد بن أرقم ، و ١٠ : ١١٤.

(٦) انظر : السنن الكبرى (للنسائي) ٥ : ٤٥ ، الحديث ٨١٤٨ عن زيد بن أرقم ، وكذا في الصفحة ٥١ برقم ٨١٧٥ ، والصفحة ١٣٠ برقم ٨٤٦٤ ، وخصائص النسائي : ٩٣.

(٧) انظر مسند أبي يعلى ٢ : ٢٩٧ ، الحديث ١٠٢١ ، عن أبي سعيد ، وكذا في الصفحة ٣٠٣ برقم ١٠٢٧ ، والصفحة ٣٧٦ برقم ١١٤٠.

(٨) انظر : المعجم الصغير ١ : ١٣١ ، عن أبي سعيد ، وكذا في ١٣٥ ، والمعجم الأوسط ٣ : ٣٧٤ و ٤ : ٣٣ ، والمعجم الكبير ٣ : ٦٧ ، عن حذيفة بن أسيد الغفاري.

الأنصاري، وأبي سعيد الخدري، وحذيفة بن أسيد الغفاري.

بل قال ابن حجر بعد أن ذكر جملة من مصادر الحديث ونصوصه: «ثمّ اعلم أنّ لحديث التمسّك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً... وفي بعض تلك الطرق أنّه قال ذلك بحجّة الوداع بعرفة، وفي أخرى أنّه قاله بالمدينة في مرضه وقد امتلأت الحجرة بأصحابه، وفي أخرى أنّه قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف... ولا تنافي؛ إذ لا مانع من أنّه كرّر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها، اهتماماً بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة»[1].

رواية «وسنّتي»:

حاول البعض أن يغضّ الطرف عن كلّ ما تقدّم، ويبعد هذه الفضيلة عن أهل البيت عليهم السلام بدعوى أنّ الوارد عنه صلى الله عليه وآله إنّما هو: «كتاب الله وسنّتي» بدل «كتاب الله وعترتي».

وقد تفحّصت بمقدار وسعي عن رواية مسندة خالية من الضعف، فيها عبارة «وسنّتي»، أو «سنّة نبيّه» ونحوهما، فلم أعثر عليها، وما عثرت عليه إنّما هو:

١ ـ ما رواه الحاكم باسناده عن ابن عبّاس، وهو خطبة النبيّ صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع، وجاء فيها: «يا أيّها النّاس، إنّي قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلّوا أبداً: كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله...»[2].

وهذا الحديث في سنده: ابن أبي أويس، وعكرمة، وهو الراوي عن ابن عبّاس.

أمّا عكرمة فقد تقدّم الكلام عنه[3].

---

(١) الصواعق المحرقة: ١٥٠.

(٢) المستدرك على الصحيحين ١: ٩٣.

(٣) تقدّم في الصفحة ٣٢.

وأمّا ابن أبي أويس -إسماعيل بن أبي أويس - فقد اتّهم بالضعف، وضعف العقل، وسرقة الحديث ووضعه، والكذب[١].

٢ - ما رواه الحاكم تأييداً للرواية المتقدّمة بعد أن استغربها لوجود عبارة « وسنّة نبيّه » فيها، فقال: « وقد وجدت له شاهداً من حديث أبي هريرة »، ثمّ ذكر الرواية وهي: « قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه [وآله]: إنّي قد تركت فيكم شيئين لن تضلّوا بعدهما: كتاب اللّه وسنّتي، ولن يتفرّقا حتّى يردا عليَّ الحوض »[٢].

والكلام عن أبي هريرة طويل وبحاجة إلى فرصة أُخرى[٣]، ولكن يكفي لضعف

---

(١) قال عنه الذهبي: « محدّث مكثر فيه لين... » إلى أن قال: « وقال أحمد: لا بأس به، وقال ابن أبي خيثمة، عن يحيى: صدوق، ضعيف العقل، ليس بذاك. وقال أبو حاتم: محلّه الصدق مغفّل. وقال النسائي: ضعيف. وقال الدارقطني: لا أختاره في الصحيح... وقال ابن عدي: قال أحمد بن أبي يحيى: سمعت ابن معين يقول: هو وأبوه يسرقان الحديث. وقال الدولابي في الضعفاء: سمعت النضر بن سلمة المروزي يقول: كذّاب، كان يحدّث عن مالك بمسائل ابن وهب. وقال العقيلي: حدّثني أُسامة الدقّاق، بصريّ، سمعت يحيى بن معين يقول: إسماعيل بن أبي أويس لا يساوي فلسين.

قلت [والكلام للذهبي]: وساق له ابن عدي ثلاثة أحاديث، ثمّ قال: وروى عن خاله مالك غرائب لا يتابعه عليها أحد » ميزان الاعتدال ١: ٢٢٢ - ٢٢٣، رقم ٨٥٤.

ونقل هذه المضامين في تهذيب الكمال ٣: ١٢٧ - ١٢٨، برقم ٤٥٩.

وجاء في هامشه - نقلاً عن الحافظ ابن حجر - أنّ إسماعيل كان يقول: « ربّما كنت أضع الحديث لأهل المدينة إذا اختلفوا في شيء فيما بينهم »، واعتذر عن نقل الشيخين لحديثه بأنّهما إنّما أخرجا عنه الصحيح من حديثه الذي شارك فيه الثقات.

تهذيب الكمال ٣: ١٢٨، الهامش رقم ٥.

أقول: فأي قيمة تبقى للرجل بعد هذه التصريحات، مضافاً إلى ذلك وجود أبيه في السند، وقيل: « ...وهو خير من أبيه أبي أويس ». تهذيب الكمال ٣: ١٢٩.

(٢) المستدرك على الصحيحين ١: ٩٣.

(٣) أُلّفت عدّة كتب بشأن أبي هريرة، منها: « أبو هريرة » للسيّد عبدالحسين شرف الدين، ←

السند وجود صالح بن موسى الطلحي، وقد تقدّمت ترجمته، وقلنا: إنّهم ضعّفوه وتركوا حديثه[(١)].

٣ ـ ما ذكره البيهقي في سننه وبسنده عن أبي هريرة أيضاً، عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «قال رسول الله ﷺ: إنّي قد خلّفت فيكم ما لن تضلّوا بعدهما ما أخذتم بهما ـ أو عملتم بهما ـ: كتاب الله وسنّتي، ولن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض»[(٢)].

وذكر الرواية الأُولى التي ذكرها الحاكم عن ابن عبّاس، ويرد عليها ما ذكرناه فيها.

وأمّا رواية أبي هريرة فهي تشترك في السند من صالح بن موسى الطلحي إلى أبي هريرة، فيرد عليها ما ذكرناه قبل قليل أيضاً.

٤ ـ ما رواه الدارقطني في سننه بسنده عن أبي هريرة، قال: «قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: خلّفت فيكم شيئين لن تضلّوا بعدهما: كتاب الله وسنّتي، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»[(٣)].

وسند الحديث يشترك مع سند حديث الحاكم والبيهقي في صالح بن موسى الطلحي، وقد تقدّم بيان ضعفه.

٥ ـ ما رواه ابن هشام في سيرته، حيث ذكر خطبة النبيّ ﷺ بحجّة الوداع، وفيها: «قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلّوا أبداً أمراً بيّناً: كتاب الله

← و«أبو هريرة شيخ المضيرة» للأستاذ محمود أبو ريّة، وانظر كتابه «أضواء على السنّة المحمّدية» أيضاً الصفحة ١٥١ ـ ٢٠١ من الطبعة الأُولى.

(١) تقدّم في الصفحة ٣٤: أنّ صالح موسى الطلحي ضعيف، قالوا عنه: «منكر الحديث جدّاً، كثير المناكير عن الثقات»، وانظر إضافة إلى المصادر المذكورة هناك كتاب فيض القدير ٣: ٥٩١، حيث صرّح فيه بتضعيفه ذيل الرواية المذكورة في المتن.

(٢) السنن الكبرى (للبيهقي) ١٠: ١١٤.

(٣) سنن الدارقطني ٤: ١٥٩ ـ ١٦٠.

وسنّة نبيّه »[١].

والحديث مرسل لا سند له.

٦ ـ ما رواه مالك في الموطّأ، حيث قال راوي الموطّأ: « وحدّثني عن مالك: أنّه بلغه أنّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم قال: تركت فيكم أمرين لن تضلّوا ما تمسّكتم بهما: كتاب الله وسنّة نبيّه »[٢].

ولكنّ هذه الرواية لم تسلم من الضعف والإرسال أيضاً؛ لأنّ راوي الموطّأ يقول: « وحدّثني عن مالك أنّه بلغه... »، فالرواية إذن مرفوعة؛ لأنّ مالكاً لم يذكر سنده إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، فلا اعتبار بها من حيث السند.

والحاصل: أنّه لم ترد رواية مسندة سالمة من النقاش فيها « وسنّتي »، أو نحوها بدل « وعترتي ».

ثمّ على فرض وجود رواية صحيحة فيها « وسنّتي » فلا معارضة بينها وبين رواية « وأهل بيتي »، فإنّ التمسّك بأهل البيت عليهم السلام تمسّك بالسنّة أيضاً؛ ولذلك قال ابن حجر قبل العبارة التي نقلناها عنه، عند استعراض روايات « وأهل بيتي »: « ... وفي رواية[٣] كتاب الله وسنّتي، وهي المراد من الأحاديث المقتصرة على الكتاب؛ لأنّ السنّة مبيّنة له، فأغنى ذكره عن ذكرها »، ثمّ قال:

« والحاصل: أنّ الحثّ وقع على التمسّك بالكتاب وبالسنّة وبالعلماء بهما من أهل البيت، ويستفاد من مجموع ذلك بقاء الأمور الثلاثة إلى قيام الساعة »[٤].

وله كلام آخر لا يخلو نقله من فائدة، فإنّه قال:

---

(١) سيرة ابن هشام ٤: ٢٧٥ عند بيان كيفيّة حجّة رسول الله صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع.

(٢) كتاب الموطّأ: ٧٨٥، كتاب الجامع، النهي عن القول بالقدر، الحديث ٢٤.

(٣) هذا التعبير ظاهر في تضعيف الرواية، كما هو واضح لذوي الاختصاص.

(٤) الصواعق المحرقة: ١٥٠.

وتنبيه: سمّى رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم القرآن وعترته - وهي بالمثنّاة الفوقيّة: الأهل، والنسل، والرهط الأدنون -: ثقلين؛ لأنّ الثِّقَل كلّ نفيس خطير مصون، وهذان كذلك؛ إذ كلّ منهما معدن للعلوم اللدنيّة والأسرار والحكم العليّة، والأحكام الشرعيّة؛ ولذا حثّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم على الاقتداء والتمسّك بهم والتعلّم منهم، وقال: الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت، وقيل: سمّيا ثِقلين؛ لثِقل وجوب رعاية حقوقهما.

ثمّ الذين وقع الحثّ عليهم منهم، إنّما هم العارفون بكتاب الله وسنّة رسوله؛ إذ هم الذين لا يفارقون الكتاب إلى الحوض، ويؤيّده الخبر السابق: "لا تعلّموهم، فإنّهم أعلم منكم"، وتميّزوا بذلك عن بقيّة العلماء؛ لأنّ الله أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وشرّفهم بالكرامات الباهرة والمزايا المتكاثرة، وقد مرّ بعضها وسيأتي الخبر الذي في قريش: وتعلّموا منهم، فإنّهم أعلم منكم، فإذا ثبت هذا العموم لقريش، فأهل البيت أولى منهم؛ لأنّهم امتازوا عنهم بخصوصيات لا يشاركهم فيها بقيّة قريش.

وفي أحاديث الحثّ على التمسّك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهّل منهم للتمسّك به إلى يوم القيامة، كما أنّ الكتاب العزيز كذلك؛ ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض، كما يأتي، ويشهد لذلك الخبر السابق: في كلّ خلف من أمّتي عدول من أهل بيتي... الخ[1].

ثمّ أحقّ من يتمسّك به منهم: إمامهم وعالمهم عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه؛ لما قدّمناه: من مزيد علمه، ودقائق مستنبطاته، ومن ثمّ قال أبو بكر: "عليٌّ عترة

(١) وتمام الحديث: «في كلّ خلف من أمّتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالّين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ألا وإنّ أئمّتكم وفدكم إلى الله عزّ وجلّ، فانظروا من توفدون». الصواعق المحرقة: ١٥٠.

رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم "، أي الذين حثّ على التمسّك بهم فخصّه لما قلناه، وكذلك خصّه صلّى الله عليه [وآله] وسلّم بما مرّ يوم غدير خم»(١).

وقال المناوي -بعد ذكر حديث الثقلين-: «وفي هذا مع قوله أوّلاً: "إنّي تارك فيكم" تلويح، بل تصريح، بأنّهما كتوأمين خلّفهما، ووصّى أمّته بحسن معاملتهما، وإيثار حقّهما على أنفسهما، واستمساك [والاستمساك] بهما في الدين، أمّا الكتاب فلأنّه معدن العلوم اللدنيّة، والأسرار والحكم الشرعيّة، وكنوز الحقائق، وخفايا الدقائق. وأمّا العترة فلأنّ العنصر إذا طاب أعان على فهم الدين، فطيب العنصر يؤدّي إلى حسن الأخلاق، ومحاسنها تؤدّي إلى صفاء القلب ونزاهته وطهارته».

ثمّ قال: «قال الحكيم: والمراد بعترته هنا العلماء العاملون؛ إذ هم الذين لا يفارقون القرآن...».

ثمّ قال: «تنبيه: قال الشريف: هذا الخبر يُفهم وجود من يكون أهلاً للتمسّك به من أهل البيت والعترة الطاهرة في كلّ زمان إلى قيام الساعة، حتّى يتوجّه الحثّ المذكور إلى التمسّك به، كما أنّ الكتاب كذلك، فلذلك كانوا أماناً لأهل الأرض، فإذا ذهبوا ذهب أهل الأرض»(٢).

وكلّ هذه التصريحات تدلّ على صحّة مذهب أهل البيت عليهم السلام.

ثالثاً ـ تفوّقهم في العلم:

لا إشكال في تفوّق أهل البيت عليهم السلام على غيرهم في العلم، وربّما احتاج ذلك إلى شيءٍ من التوضيح؛ لأنّ التعتيم الإعلامي من قِبل خصومهم، والضغط الشديد على من التفّ حولهم، منع من ظهور تفوّقهم لدى عامّة الناس وإن لم يكن يخفى على

---

(١) الصواعق المحرقة: ١٥١.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٣: ٢٠.

العلماء والعارفين أنفسهم رغم تحاشيهم عن إظهار ذلك لغيرهم ؛ ولذلك نقول : يمكن إثبات تفوّق أهل البيت عليهم السلام على غيرهم في العلم بعدّة طرق .

طرق إثبات التفوّق العلمي لأهل البيت عليهم السلام :

الطريق الأوّل ـ جعلهم عِدلاً للكتاب :

تقدّم في حديث الثقلين : أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله جعل الكتاب وأهل البيت عدلين ، واعتبر التمسّك بهما منجياً من الضلال ، فهنا نتساءل كيف يكون التمسّك بهما منجياً ، وما هو المراد من ذلك ؟

هل المراد أنّ مجرّد احترامهم ومحبّتهم وعدم العداء لهم يكون منجياً ؟

لا شكّ أنّ ذلك من جملة المنجيات ، ولكنّ المراد : أنّ أهل البيت عليهم السلام لمّا كانوا أعرف بالكتاب من غيرهم ، فالتفسير الصحيح للكتاب يكون عندهم لا عند غيرهم . والمراد من التفسير هو الأعمّ من التفسير في المجال الفقهي أو الاعتقادي أو غيرهما من مجالات المعارف الإلـهيّة .

وبعبارة موجزة : أنّ المعارف الإلـهيّة الأصيلة موجودة عندهم ، فهم الينابيع الصافية لها .

والسرّ في ذلك : أنّ الكتاب الكريم وحده ومن دون مفسّر لا يكفي حتّى عند من يقول : « حسبنا كتاب الله »[1] ، فهل بالإمكان إدارة المجتمع الإسلامي بالكتاب وحده دون رجوع إلى مفسّر مع غضّ النظر عن شخص هذا المفسّر ؟ وهل اكتفى

(١) قاله عمر بن الخطّاب حينما قال الرسول صلى الله عليه وآله في مرضه الذي توفّي فيه : « ائتوني بكتف ودواة أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً » ، فقال عمر : « إنّ الرجل قد غلبه الوجع ـ أو يهجر ـ حسبنا كتاب الله » ، سوف نذكر ألفاظ الرواية ومصادرها عند الكلام عن الإمامة في الصفحة : ١٣٦ ، الهامش ٢ .

واحدهم بذلك عندما ترأس المجتمع الإسلامي ؟

إذن لا مناص من مفسّرٍ للكتاب، ودعوى كفايته مجازفة.

فإذا كان ولا بدّ من مفسّر، فالمتعيّن هو الذي جعله صاحب الرسالة عدلاً للكتاب، وهم أهل البيت عليهم السلام، وهذا يعني أنّهم أعلم بالكتاب من غيرهم؛ لقبح جعل هؤلاء عدلاً للكتاب مع وجود من هو أعلم به منهم.

ويؤيّد ما قلناه تصريحات جملة من العلماء بذلك، منهم:

- ابن حجر، وقد تقدّم كلامه سابقاً[1].

- والسمهودي، حيث قال: «الذين وقع الحثّ على التمسّك بهم من أهل البيت النبوي والعترة الطاهرة هم العلماء بكتاب الله عزّ وجلّ؛ إذ لا يحثّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم على التمسّك بغيرهم، وهم الذين لا يقع بينهم وبين الكتاب افتراق حتّى يردا الحوض؛ ولهذا قال صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: لا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهم، فإنّهم أعلم منكم»[2].

- والقاري، فإنّه قال: «الأظهر هو: أنّ أهل البيت غالباً يكونون أعرف بصاحب البيت وأحواله، فالمراد بهم أهل العلم منهم، المطّلعون على سيرته، الواقفون على طريقته، العارفون بحكمه وحكمته، وبهذا يصلح أن يكونوا مقابلاً لكتاب الله سبحانه، كما قال: ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾[3]»[4].

الطريق الثاني ـ التصريح بأعلميّتهم:

ورد التصريح عن النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام وغيرهم، بأعلميّة أهل البيت عليهم السلام،

---

(١) راجع الصفحة ٦٠.

(٢) جواهر العقدين ١: ٩٣.

(٣) البقرة: ١٢٩.

(٤) المرقاة في شرح المشكاة ١٠: ٥٣١، كتاب المناقب، ذيل الحديث ٦١٥٣.

فمن ذلك :

ـ قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « أنا دار الحكمة وعليٌ بابها ».

ـ وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « أنا مدينة العلم وعليٌ بابها ، فمن أراد العلم فليأت الباب »[(١)].

ـ وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « أقضى أمّتي عليّ بن أبي طالب »[(٢)].

ـ وقوله صلى الله عليه وآله وسلم حينما بعث عليّاً إلى اليمن : « اللهمّ ثبّت لسانه ، واهدِ قلبه » ، فقال عليّ عليه السلام : « فلا والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ما شككت في قضاء بين اثنين بعد »[(٣)].

ـ وذكر المفسّرون وغيرهم : أنّه لمّا نزل قوله تعالى : ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾[(٤)]

---

(١) ذكروا للحديثين ما يقارب عشرين طريقاً تنتهي إلى عليّ عليه السلام ، وعبدالله بن عبّاس ، وجابر بن عبدالله الأنصاري.

وقد حاول ابن الجوزي تضعيف طرق الحديث ـ في الموضوعات ١ : ٣٤٩ ـ وتبعه الذهبي في ميزان الاعتدال ٣ : ٦٦٨ ترجمة محمّد بن عمر الرومي ، وبعض آخرون ، لكن أُبطلت هذه المحاولات من قِبل علماء كانت لهم متابعات في الحديثين وأسنادهما ، من قبيل : العلائي ، والحاكم ، والسيوطي ، وابن جرير ، وابن معين ، وغيرهم ، بل أُلّفت بعض الكتب في إثبات صحّة طرقهما منها : «كتاب فتح الملك العليّ بصحّة حديث باب مدينة علم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم » للحافظ أحمد بن محمّد بن صدّيق العماري المغربي ، و« دفع الارتياب عن حديث الباب » لعليّ بن محمّد بن طاهر العلوي ، وقد قام الخبير المظفّر بدراسة الحديث دراسة معمّقة وموجزة في دلائل الصدق ٢ : ٢٨٥ ـ ٢٨٧.

وانظر إضافة إلى ما تقدّم : فيض القدير (للمناوي) ٣ : ٦٠ ـ ٦١، وكشف الخفاء (للعجلوني) ١ : ٢٠٤ ـ ٢٠٥، وموسوعة الغدير (للأميني) ٦ : ٦١ ـ ٧٧.

(٢) الرياض النضرة (٣ ـ ٤) : ١٤٧.

(٣) مسند أحمد ١ : ١٠٤ و ١٣٨ ، مسند عليّ بن أبي طالب [عليه السلام]، الحديثان ٦٣٨ و ٨٨٥، والمستدرك على الصحيحين ٣ : ١٣٥ مع اختلاف يسير ، ثمّ قال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ، والاستيعاب بهامش الاصابة ٣ : ٣٦، ترجمة عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وأُسد الغابة ٤ : ٢٢، والرياض النضرة (٣ ـ ٤) : ١٤٧ ـ ١٤٨ ، وغيرها.

(٤) الحاقّة : ١٢.

التفت النبيّ صلى الله عليه وآله إلى عليّ عليه السلام فقال: «سألت الله أن يجعلها أذنك»، قال عليّ عليه السلام: «فما سمعت شيئاً من رسول الله صلى الله عليه وآله فنسيته»[(١)].

وفي رواية أخرى: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ [عليه السلام]: إنّ الله أمرني أن أدنيك، ولا أقصيك، وأن أعلّمك، وأن تعي، وحقّ على الله أن تعي، فنزلت ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾»[(٢)].

وهناك آيات أخر يراجع بشأنها الكتب المختصّة[(٣)].

ـ وقول عليّ عليه السلام عن نفسه: «سلوني، والله لا تسألوني عن شيء إلّا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلّا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، في سهل أم في جبل»[(٤)].



(١) تفسير الطبري ٢٩: ٦٩، الحديث ٢٦٩٥٤.

(٢) المصدر المتقدّم: الحديث ٢٦٩٥٥، وانظر الدرّ المنثور ٦: ٢٦٠، ومجمع البيان (٩ ـ ١٠): ٣٤٥، وأسباب النزول: ٣١٧، ودلائل الصدق ٢: ١١٠ ـ ١١١.

(٣) مثل موسوعة الغدير، وغاية المرام، ودلائل الصدق، وغيرها، فإنّها ذكرت الآيات مع مصادرها من كتب السنّة.

(٤) الطبقات الكبرى (لابن سعد) ٢: ٣٣٨، ترجمة الإمام عليّ عليه السلام، والإصابة ٢: ٥٠٩ ترجمة الإمام عليّ عليه السلام، والاستيعاب بهامش الإصابة ٣: ٤٠، وروى عن سعيد بن المسيّب أنّه قال: «ما كان أحد من الناس يقول: سلوني، غير عليّ بن أبي طالب»، والرياض النضرة (٣ ـ ٤): ١٤٧، وغاية المرام ٥: ٢٣٨، وقد جمع طرق الحديث من طريق الفريقين، وقد جاء في نهج البلاغة: «أيّها النّاس، سلوني قبل أن تفقدوني ـ فلأنا بطرق السماء أعلم منّي بطرق الأرض ـ قبل أن تشغر برجلها فتنة تطأ في خطامها، وتذهب بأحلام قومها». نهج البلاغة: ٢٨٠، الخطبة ١٨٩.

وعلّق عليه ابن أبي الحديد ـ بعد أن نقل الكلام المتقدّم عن الاستيعاب ـ قائلاً: «والمراد بقوله: "فلأنا أعلم بطرق السماء منّي بطرق الأرض": ما اختصّ به من العلم بمستقبل الأمور، ولا سيّما في الملاحم والدول، وقد صدّق هذا القول عنه ما تواتر عنه من ←

ـ وفي حديث آخر: «والله ما نزلت آية إلّا وقد علمت فيم نزلت، وأين نزلت، وعلى من نزلت. إنّ ربّي وهب لي قلباً عقولاً، ولساناً صادقاً ناطقاً»[(١)].

ـ وقوله عليه السلام: «علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم واستنبطت من كلّ باب ألف باب»[(٢)].

ـ وقال لمصقّع العامري: «يا أخا بني عامر، سلني عمّا قال الله ورسوله، فإنّا نحن أهل البيت أعلم بما قال الله ورسوله...»[(٣)].

ـ وقيل له عليه السلام: «ما لك أكثر الصحابة علماً؟ قال: كنت إذا سألته [صلى الله عليه وآله] أنبأني، وإذا سكتُّ ابتدأني»[(٤)].

ـ وقال عليه السلام في نهج البلاغة: «نحن شجرة النبوّة، ومحطّ الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحكم، ناصرنا ومحبّنا ينتظر الرحمة، وعدوّنا ومبغضنا ينتظر السطوة»[(٥)].

← الإخبار بالغيوب المتكرّرة، لا مرّة ولا مئة مرّة، حتّى زال الشكّ والريب في أنّه إخبار عن علم، وأنّه ليس على طريق الاتّفاق...». شرح النهج ١٣: ١٠٦.

(١) الطبقات الكبرى (لابن سعد) ٢: ٣٣٨، وفيه: «...ولساناً طلقاً»، وحلية الأولياء ١: ٦٧ ـ ٦٨، وتاريخ الخلفاء: ١٤٦، وتاريخ دمشق ٤٢: ٣٩٨، وفيه: «...لساناً ناطقاً»، وغيرها.

(٢) التفسير الكبير ٨: ٢١، وانظر غاية المرام ٥: ٢١٦ لتجد مصادره من كتب الفريقين الشيعة والسنّة. وفي بعضها: «...يفتح كلّ باب ألف باب».

(٣) الطبقات الكبرى (لابن سعد) ٦: ٢٤٠، ترجمة مصقّع العامري.

(٤) الطبقات الكبرى (لابن سعد) ٢: ٣٣٨، وفيض القدير شرح الجامع الصغير ٤: ٤٧٠، وسنن الترمذي ٥: ٦٣٧، مناقب عليّ بن أبي طالب [ع]، الحديث ٣٧٢٢، والمستدرك على الصحيحين ٣: ١٢٥، قال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، وحلية الأولياء ١: ٦٨.

(٥) نهج البلاغة: ١٦٢، الخطبة ١٠٩.

ـ وقال أيضاً: «وعندنا أهل البيت أبواب الحكم وضياء الأمر»[1].

ـ وقال أيضاً: «نحن الشعار والأصحاب والخزنة والأبواب، ولاتؤتى البيوت إلّا من أبوابها، فمن أتاها من غير بابها سمّي سارقاً»[2].

ـ وقال: «فيهم كرائم القرآن، وهم كنوز الرحمن...»[3].

ـ وقال أيضاً يصف آل محمّد صلى الله عليه وآله: «هم عيش العلم، وموت الجهل، يخبركم حلمهم عن علمهم، وظاهرهم عن باطنهم، وصمتهم [صمتهم] عن حكم منطقهم، لا يخالفون [الحق]، ولا يختلفون فيه، وهم دعائم الإسلام»[4].

ـ وقال الإمام الحسن عليه السلام صبيحة اليوم الذي استشهد فيه الإمام عليّ عليه السلام: «لقد فارقكم في هذه الليلة رجلٌ لم يسبقه الأوّلون، ولا يدركه الآخرون»[5].

ـ وروي عن عمر قوله: «عليٌّ أقضانا»[6].

ـ وعن عائشة قولها: «إنّه لأعلم الناس بالسنّة»[7].

ـ وعن ابن عمر قوله: «عليٌّ أعلم الناس بما أُنزل على محمّد صلى الله عليه وآله»[8].

ـ وعن عبدالله بن مسعود، قوله: «إنّ القرآن أُنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلّا له ظهر وبطن، وإنّ عليّ بن أبي طالب عنده علم الظاهر والباطن»[9].

---

(١) نهج البلاغة: ١٧٦، الخطبة ١٢٠.

(٢) و (٣) المصدر المتقدّم: ٢١٥، الخطبة ١٥٤.

(٤) المصدر المتقدّم: ٣٥٧، الخطبة ٢٣٩.

(٥) شرح النهج ٧: ٢١٩، ذيل الخطبة المتقدّمة.

(٦) الاستيعاب بهامش الإصابة ٣: ٤١.

(٧) المصدر المتقدّم: ٤٠.

(٨) شواهد التنزيل ١: ٣٩.

(٩) حلية الأولياء ١: ٦٥.

- وعن عبدالله بن عبّاس قوله : «كنّا إذا أتانا الثبت عن عليّ لم نعدل به»[(١)].

- وقوله : «كنّا إذا ثبت لنا الشيء عن عليّ لم نعدل عنه إلى غيره»[(٢)].

- وروى عنه أيضاً أنّه قال : «والله لقد أعطي عليّ بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، وايمُ اللهِ لقد شارككم في العُشر العاشر»[(٣)].

- وسئل عطاء : «أكان أحد من الصحب أفقه من عليّ، قال : لا والله»[(٤)].

وقال المناوي -بعد نقل حديث «أنا مدينة العلم ....» -: «فإنّ المصطفى صلّى الله عليه [وآله] وسلّم المدينة الجامعة لمعاني الديانات كلّها، ولابدّ للمدينة من باب، فأخبر: أنّ بابها هو عليٌّ كرّم الله وجهه، فمن أخذ طريقه دخل المدينة، ومن أخطأه أخطأ طريق الهدى، وقد شهد له بالأعلميّة الموافق والمخالف، والمعادي والمحالف...»[(٥)].

- وقال ابن أبي الحديد -بعد قوله عليه السلام : «نحن شجرة النبوّة...ومعادن العلم، وينابيع الحكم» -: «...وبالجملة: فحاله في العلم حال رفيعة جدّاً لم يلحقه أحد فيها، ولا قاربه، وحقّ له أن يصف نفسه بأنّه معادن العلم وينابيع الحكم، فلا أحد أحقّ بها منه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله»[(٦)].

الطريق الثالث - رجوع الصحابة إليهم وعدم رجوعهم إلى واحد من الصحابة :

وممّا يمكن أن يستدلّ به على أعلميّة الإمام عليّ عليه السلام، بل سائر أهل البيت

---

(١) و (٣) الاستيعاب بهامش الإصابة ٣: ٤٠.

(٢) أسد الغابة ٤: ٢٣.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٣: ٦١، ذيل الحديث ٢٧٠٥، والاستيعاب بهامش الإصابة ٣: ٤٠، وفيه: «أفقه» بدل «أعلم».

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٣: ٦٠ - ٦١، ذيل الحديث ٢٧٠٥.

(٦) شرح النهج ٧: ٢٢٠.

ـ بالمعنى الأخصّ ـ هو: أنّ الصحابة، بل والخلفاء، كانوا يرجعون إليه وإلى سائر أهل البيت في المشاكل العلميّة ـ ولم يحدّثنا التاريخ أنّه رجع واحدٌ منهم إلى غيره لاستفهام مسألة أو حلّ مشكلة علميّة ـ ونماذج ذلك كثيرة، نذكر بعضها:

ـ قال المناوي: «أخرج أحمد أنّ عمر أمر برجم امرأة فمرّ بها عليٌّ فانتزعها، فأُخبر عمر، فقال: ما فعله إلّا لشيء، فأرسل إليه فسأله، فقال: أما سمعت رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يقول: "رفع القلم عن ثلاث... الحديث"؟ قال: نعم، قال: فهذه مبتلاة بني فلان، فلعلّه أتاها وهو بها، فقال عمر: لولا عليٌّ هلك عمر، واتّفق له مع أبي بكر نحوه، فأخرج الدارقطني عن أبي سعيد: أنّ عمر كان يسأل عليّاً عن شيء، فأجابه، فقال عمر: أعوذ بالله أن أعيش في قوم ليس فيهم أبو الحسن، وفي رواية: لا أبقاني الله بعدك يا عليّ»[١].

ـ وقال في موطن آخر: «خرّج الكلاباذي أنّ رجلاً سأل معاوية عن مسألة، فقال: سل عليّاً هو أعلم منّي، فقال: أريد جوابك، قال: ويحك كرهت رجلاً كان رسول الله صلى الله عليه وآله يغرّه[٢] بالعلم غرّاً»[٣].

ثمّ قال: «وكان عمر يسأله عمّا أشكل عليه، جاءه رجل فسأله، فقال: هاهنا عليٌّ فاسأله، فقال: أريد أسمع منك يا أمير المؤمنين، قال: فلا أقام الله رجليك، ومحا اسمه من الديوان»[٤].

ثمّ ذكر ما تقدّم عنه من تعويذه من قوم ليس فيهم عليٌّ عليه السلام.

---

(١) فيض القدير ٤: ٤٧٠، ذيل الحديث ٥٥٩٤، وذكر خلاصته في الصفحة ٤٧، ذيل الحديث ٤٤٦٣، وانظر الاستيعاب بهامش الإصابة ٣: ٣٩.

(٢) قال ابن الأثير ـ بعد ذكر الحديث ـ: «أي يلقمه إيّاه. يقال: غرّ الطائر فرخه إذا زقّه». النهاية: «غرر».

(٣) فيض القدير ٣: ٦١، ذيل الحديث ٤٤٦٣، والصواعق المحرقة: ١٧٩.

(٤) فيض القدير ٣: ٦١.

ونماذج ذلك كثيرة.

وما أجمل ما قيل في الإمام عليّ عليه السلام: «استغناؤه عن الكلّ واحتياج الكلّ إليه دليل إمامته»[١].

الطريق الرابع ـ ما خلّفه أهل البيت عليهم السلام من التراث العلمي الرفيع:

وممّا يدلّ على أعلميّة أهل البيت عليهم السلام صدور العلوم الإلٰهيّة بمختلف فروعها وشعبها عنهم، فما خلّفوه من التراث العلمي في الفقه والتفسير والاعتقاد والأخلاق والسيرة يبهر العقول بالرغم من كلّ التحدّيات التي كانوا يواجهونها من قِبل السلطات الحاكمة، والتي كانت تحذّر العلماء من الاقتراب إليهم والانتهال من علومهم، وسوف نشير إلى ملامح من جهات علومهم[٢]، ويكفي للوصول إلى هذه الحقيقة إطلاق عنان حبّ المعرفة والوصول إلى الكمال، وإلقاء جلباب العصبيّة.

إشكال وجواب:

ربّما يقال: نحن نسلّم بأعلميّة عليّ بن أبي طالب عليه السلام على غيره؛ لما تقدّم ولغيره ممّا ورد في حقّه، ولكن ما الدليل على أعلميّة سائر أصحاب الكساء ـ غير النبيّ صلى الله عليه وآله ـ؟ فإنّه لم يرد منهم ما يمكن الحكم به بأعلميّتهم.

والجواب: أنّ علم الأئمّة عليهم السلام واحد؛ لأنّ مصدره ومنبعه واحد ـ كما سيأتي ـ فلا فرق بينهم من هذه الجهة في نفس الأمر، وإذا كان ثَمّ اختلاف، فإنّما هو في عالم

---

(١) نسب ذلك إلى الخليل الفراهيدي، ولكنّ الكلام بنفسه يدلّ على المطلوب، وقد قيل: «انظر إلى ما قيل لا إلى من قال».

والكلام المذكور صادق بالنسبة إلى جميع الأئمّة، فإنّه لم يحدّثنا التاريخ أنّهم سألوا أحداً في مسألة فقهية أو كلامية أو تفسيرية أو غيرها، بل العكس من ذلك كانوا هم المسؤولين. انظر الأُصول العامّة للفقه المقارن: ١٨٩.

(٢) سوف يأتي عند بيان ترجمتهم.

الخارج والظهور، وهو عالم يتأثّر باختلاف الظروف، فربّما كانت تسمح ـ هذه الظروف ـ بإظهار مقدار من علومهم، وربّما لم تكن تسمح بذلك؛ لشدّة الضغوط عليهم، وهذا ما نشاهده بالعيان في حياة الأئمّة عليهم السلام، وقد ألمحنا إليه مراراً في مناسبات مختلفة.

إذن فأهل البيت عليهم السلام هم الينبوع الصافي للعلوم الإلٰهيّة، فما ذنبهم إذا تقاعست الأُمّة عن الرجوع إليهم والانتهال من علومهم؟!

وأمّا بالنسبة إلى خصوص الصدّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام، فمضافاً إلى كونها شريكة للأئمّة عليهم السلام في العلم ـ كما سيأتي ويكفي للّبيب خطبتها التي ألقتها بمحضر من الصحابة في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله ـ أنّها لم تمهل بعد أبيها صلى الله عليه وآله، فقد فارقت الدنيا بعد أشهر يسيرة من وفاة أبيها صلى الله عليه وآله والهموم بين جنبيها، فمتى سُمح لأن يحضرها طلّاب العلم وروّاده لتُظهر لهم ممّا حملته من العلم الإلٰهي؟!

مصادر المعرفة عند الأئمّة عليهم السلام:

مصادر المعرفة عند الإنسان إنّما هي: الحسّ، والعقل، والإلهام، والوحي.

فالمصدران الأوّلان يملكهما جميع أفراد الإنسان.

وأمّا الإلهام ـ وهو نوع من أنواع الوحي كما تقدّم في عنوان «إلهام» ـ فيختصّ به بعض أفراد الإنسان، وتختلف مرتبته باختلاف مراتبهم.

وأمّا الوحي بمعناه الخاصّ، فيختصّ به الأنبياء، ثمّ يصل عن طريقهم إلى غيرهم.

وكلّما كانت الواسطة بين من نزل عليه الوحي ـ وهو النبيّ صلى الله عليه وآله ـ وبين من انتقل إليه أقلّ وأوثق، كانت المعرفة أقرب إلى الحقيقة وأبعد عن الخطأ.

وهناك مرتبة أُخرى بين الإلهام والوحي بمعناه الاصطلاحي الخاصّ، وهي مرتبة

التحديث ، وفيها يلقي الملك على سماع المحدَّث معرفة من دون أن يرى المحدَّث شخصَ الملك. بخلاف الوحي ، فإنّ الموحى إليه قد يرى المَلَك[١].

والوحي بمعناه الخاصّ يختصّ بالنبيّ صلى الله عليه وآله بخلاف التحديث ، فإنّه قد يكون غير النبيّ محدَّثاً.

والأئمّة عليهم السلام بما فيهم أصحاب الكساء قد اكتسبوا علومهم عن الطرق المتقدّمة جميعها ، فهم كأفراد من الإنسان يتمتّعون بقوّة الحسّ وبقدرة العقل بأعلى درجاته ؛ لاقتضاء منصبهم ـ وهو منصب الإمامة ـ ذلك ، كما تدلّ عليه ممارساتهم العلميّة في جميع المجالات.

وأمّا الإلهام ، فهم أهل له ؛ لما امتازوا به من صفاء النفس وطهارة الباطن ، وهما يهيّئان الأرضيّة الصالحة للإلهام الإلهي.

وكذا التحديث ، فهم ليسوا بأقلّ ممّن كانوا محدَّثين في الأمم السابقة ولم يكونوا أنبياء ، مثل ذي القرنين ، وصاحب موسى ، وصاحب سليمان[٢].

---

(١) انظر مرآة العقول ٣ : ١٣٧.

(٢) قال حمران بن أعين لأبي جعفر عليه السلام : « ما موضع العلماء ؟ قال : مثل ذي القرنين ، وصاحب سليمان ، وصاحب موسى » ، ومقصوده من العلماء الأئمّة عليهم السلام . وقال بريد بن معاوية ـ سائلاً أبا جعفر وأبا عبدالله عليهما السلام ـ : « ما منزلتكم ؟ ومن تشبهون ممّن مضى ؟ قال : صاحب موسى ، وذو القرنين ، كانا عالمين ولم يكونا نبيّين ». أُصول الكافي ١ : ٢٦٨ ـ ٢٦٩ ، باب في أنّ الأئمّة بمن يشبهون ، الحديث ١ و ٥.

والمقصود من صاحب موسى هو الذي أُشير إليه في قوله تعالى : ﴿ فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً ﴾ الكهف : ٦٥ ، وهو الخضر عليه السلام على ما قيل.

ومن صاحب سليمان هو الذي أُشير إليه في قوله تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ النمل : ٤٠ ، وهو آصف بن برخيا.

انظر : مجمع البيان (٥ ـ ٦) : ٤٨٣ ، و (٧ ـ ٨) : ٢٢٣ ، ومرآة العقول ٣ : ١٥٦ و ١٥٩.

وأمّا الوحي، فقد قلنا: إنّه مختصّ بالأنبياء عليهم السلام، لكنّهم أخذوا ما نزل على جدّهم المصطفى صلى الله عليه وآله عن طريق أمير المؤمنين عليه السلام.

وسنتكلّم عن قريب عن كيفيّة هذا الانتقال، ولكن نشير قبل ذلك إلى ما يدلّ على ما قدّمناه من كيفيّة حصول علم الأئمّة عليهم السلام عن غير الطريق الحسّي والعقلي:

فقد ورد عن أبي الحسن موسى عليه السلام، أنّه قال: «مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه: ماضٍ وغابر وحادث، فأمّا الماضي فمفسّر، وأمّا الغابر فمزبور، وأمّا الحادث فقذف في القلوب ونقرٌ في الأسماع، وهو أفضل علمنا ولا نبيّ بعد نبيّنا»[1].

قسّم الإمام عليه السلام علومهم بحسب مصدرها إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ الماضي: وهو ما تعلّق بالأمور الماضية. وهو الذي وصفه عليه السلام بالمفسّر، بمعنى أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد فسّره لهم.

٢ ـ الغابر: وهو ما تعلّق بالأمور الآتية؛ لأنّ الغابر من الأضداد يأتي بمعنى الماضي والباقي معاً، ووصفه عليه السلام بالمزبور، أي مكتوب.

٣ ـ الحادث: وهو ما يتجدّد من العلوم، إمّا لكونه تفصيلاً للأمور الكلّية التي حصل العلم بها مسبقاً، أو لغير ذلك ممّا ذكروه.

وهذا يحصل ـ بحسب الرواية ـ عن طريقين:

أ ـ القذف في القلوب، وهو الإلهام.

ب ـ النقر في الأسماع، وهو التحديث.

ووصف الإمام عليه السلام الأخير بأنّه: «أفضل علمنا» لاختصاصه بهم في عصرهم؛ لأنّ غيره من الطرق ـ وهو الإلهام ـ ربّما يشاركهم فيه غيرهم في بعض مراحله.

ثمّ صرّح الإمام عليه السلام في نهاية حديثه: بأنّه لا نبيّ بعد نبيّنا صلى الله عليه وآله؛ دفعاً للتوهّم

---

(١) أصول الكافي ١: ٢٦٤، باب جهات علوم الأئمّة عليهم السلام، الحديث الأوّل.

الاحتمالي بأنّهم عليهم السلام أنبياء(١).

تنبيه :

قال المجلسي : « والشرائع والأحكام يمكن إدخالهما في الأوّل ، أو في الثاني ، أو بالتفريق »(٢).

ومعنى ذلك : أنّ الأحكام إمّا تدخل في قسم الماضي فتكون مفسّرة ، أو تدخل في قسم الغابر فتكون مزبورة ، أو يكون قسم منها في ذاك ، وقسم آخر في هذه . وظاهر كلامه عدم اندراجها في الحادث واختصاصه بالتكوينيّات ، والله العالم .

طرق انتقال علوم النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الأئمّة عليهم السلام :

في هذا المقطع نحاول بيان كيفيّة انتقال علوم النبيّ صلى الله عليه وآله الحاصل له عن طريق الوحي أو غيره إلى الأئمّة عليهم السلام ، فنقول :

إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يعلّم عليّاً عليه السلام كلّ ما كان يتلقّاه عن طريق الوحي ، سواء كان في مجال الأحكام الشرعية أو تفسير كتاب الله ، أو سائر الجوانب الأخرى من المعارف الإلهيّة ، وقد تقدّم : أنّ عليّاً عليه السلام كان يقول : « والله ما نزلت آية إلّا وقد علمت فيم نزلت ، وأين نزلت ، وعلى من نزلت . إنّ ربّي وهب لي قلباً عقولاً ، ولساناً صادقاً ناطقاً »(٣) ، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله علّمه ألف باب من العلم يفتح من كلّ باب ألف باب(٤).

وكان له اجتماع خاصّ مع رسول الله صلى الله عليه وآله ينفرد به معه في كلّ يوم وليلة ، فقد أورد النسائي في سننه عن عبدالله بن نجيّ ، عن أبيه ، قال : « قال لي عليٌّ : كانت لي منزلة من رسول الله صلى الله عليه وآله لم تكن لأحد من الخلائق ، فكنت آتيه كلّ سحر ، فأقول :

---

(١) و (٢) انظر مرآة العقول ٣: ١٣٦.

(٣) و (٤) انظر مصدرهما في الصفحة ٦٦.

السلام عليك يا نبيّ الله ، فإن تنحنح انصرفت إلى أهلي ، وإلّا دخلت عليه »[١].

وفي رواية أخرى عنه : «كان لي من رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم مدخلان : مدخل بالليل ومدخل بالنهار... »[٢].

وعن سماعة بن مهران ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « إنّ الله علّم رسوله الحلال والحرام والتأويل ، فعلّم رسول الله صلى الله عليه وآله علمه كلّه عليّاً »[٣].

وروى أبو الصباح ، قال : « والله لقد قال لي جعفر بن محمّد عليه السلام : إنّ الله علّم نبيّه صلى الله عليه وآله التنزيل والتأويل ، فعلّمه رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً ، ثمّ قال : وعلّمنا والله... »[٤].



والروايات بهذا المعنى متظافرة.

وفي روايات أخر : أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أمر عليّاً بكتابة ما يملي عليه ليحتفظ به للأئمّة من بعده[٥].

ولذلك كلّه صرّح الأئمّة عليهم السلام بأنّ حديثهم حديث جدّهم النبيّ صلى الله عليه وآله ، فقد روي عن جماعة أنّهم قالوا : « سمعنا أبا عبدالله عليه السلام يقول : حديثي حديث أبي ، وحديث أبي حديث جدّي ، وحديث جدّي حديث الحسين ، وحديث الحسين حديث الحسن ، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين ، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله قول الله عزّ وجلّ »[٦].

---

(١) و (٢) سنن النسائي ٣ : ١٢ ، باب التنحنح في الصلاة.

(٣) الوسائل ٢٧ : ١٩٩ ، الباب ١٣ من أبواب صفات القاضي ، الحديث ٥٧.

(٤) المصدر المتقدّم : ١٨٢ ، الحديث ١٩.

(٥) انظر بصائر الدرجات : ١٦٧ ، باب أنّ كتب رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام صارت إليهم ، الحديث ٢٢.

(٦) الوسائل ٢٧ : ٨٣ ، الباب ٨ من أبواب صفات القاضي ، الحديث ٢٦.

تدوين الحديث:

من مفاخر أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم أنّهم سارعوا إلى تدوين الحديث حين منع منه غيرهم وشدّدوا النكير والعقاب على من يدوّنه، والكلام عن ذلك ذو شجون، وهو يستدعي مجالاً آخر.

وعلى أيّة حال، فقد مرّ أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يأمر عليّاً عليه السلام بكتابة الحديث، وهناك مدوّنات كانت بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخطّ عليّ عليه السلام، وكان الأئمّة من ولده يتوارثونها ويحتفظون بها، فلم تصل إلّا إلى الإمام من أهل البيت عليهم السلام، وسنشير فيما يلي إلى أهمّ هذه الكتب:



١ـ الجامعة:

من أهمّ ما دوّن بيد الإمام عليّ عليه السلام وبإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله، مدوّنة «الجامعة»، وهناك روايات تجاوزت حدّ الاستفاضة تشير إليها، منها:

ـ ما رواه أبو بصير عن أبي عبدالله عليه السلام ـ خلال حديث فيه تفصيل ـ أنّه عليه السلام قال: «إنّ عندنا الجامعة، وما يدريهم ما الجامعة؟

قال: قلت: جعلت فداك، وما الجامعة؟

قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صلى الله عليه وآله وإملائه من فلق فيه[1]، وخطّ عليّ بيمينه، فيها كلّ حلال وحرام، وكلّ شيء يحتاج الناس إليه حتّى الأرش في الخدش، وضرب بيده إليّ فقال: تأذن لي يا أبا محمّد؟ قال: قلت: جعلت فداك، إنّما أنا لك فاصنع ما شئت، قال: فغمزني بيده وقال: حتّى أرش هذا...»[2].

---

(١) «كلمني من فِلق فيه ـ بالكسر ويفتح ـ: من شقّه». القاموس المحيط: «فلق».

(٢) أصول الكافي ١: ٢٣٩، باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة، الحديث الأوّل، والمصدر الآتي: الحديث ٤.

ـ ومارواه سليمان بن خالد ، قال : «سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : إنّ عندنا لصحيفة يقال لها : الجامعة ، ما من حلال ولا حرام إلّا وهو فيها ، حتّى أرش الخدش»[١].

ويظهر من الروايات أنّ هذه الصحيفة مختصّة بمجال التشريع ، أي الحلال والحرام.

وقد شاهدها جملة من أصحاب الأئمّة عليهم السلام وخاصّة الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام لسماح الظروف آنذاك بذلك[٢].

---

(١) بصائر الدرجات : ١٤٤ ، باب أنّ الأئمّة عليهم السلام عندهم الصحيفة الجامعة ... ، الحديث ٨.

(٢) روى الكليني بسند صحيح عن زرارة ، قال : «سألت أبا جعفر عليه السلام عن الجدّ ، فقال : ما أجد أحداً قال فيه إلّا برأيه إلّا أمير المؤمنين عليه السلام .

قلت : أصلحك الله ، فما قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام ؟

قال : إذا كان غداً فالقني حتّى أقرئكه في كتاب .

قلت : أصلحك الله ، حدّثني ؛ فإنّ حديثك أحبّ إليّ من أن تقرئنيه في كتاب .

فقال لي الثانية : اسمع ما أقول لك ، إذا كان غداً فالقني حتّى أقرئكه في كتاب .

فأتيته من الغد بعد الظهر وكانت ساعتي التي كنت أخلو به فيها بين الظهر والعصر ، وكنت أكره أن أسأله إلّا خالياً خشية أن يفتيني من أجل من يحضره بالتقية ، فلمّا دخلت عليه أقبل على ابنه جعفر فقال له : أقرئ زرارة صحيفة الفرائض ، ثمّ قام لينام ، فبقيت أنا وجعفر عليه السلام في البيت ، فقام فأخرج إليّ صحيفة مثل فخذ البعير ، فقال : لست أقرئكها حتّى تجعل لي عليك الله أن لا تحدّث بما تقرأ فيها أحداً أبداً حتّى آذن لك ـ ولم يقل حتّى يأذن لك أبي ـ [وهذا ما يلفت النظر ويحتاج إلى دقّة وتأمّل] ، فقلت : أصلحك الله ، ولِمَ تضيّق عليّ ولم يأمرك أبوك بذلك ؟!

فقال لي : ما أنت بناظر فيها إلّا على ما قلت لك .

فقلت : فذاك لك ، وكنت رجلاً عالماً بالفرائض والوصايا ، بصيراً بها ، حاسباً لها ، ألبث الزمان أطلب شيئاً يلقى عليّ من الفرائض والوصايا لا أعلمه فلا أقدر عليه ، فلمّا ألقى إليّ طرف الصحيفة إذا كتاب غليظ يعرف أنّه من كتب الأوّلين ...». الكافي ٧ : ٩٤ ، كتاب المواريث ، باب ميراث الولد مع الأبوين ، الحديث ٣.

والرواية فيها جهات قابلة للتأمّل ، ويظهر منها أنّ ما جرى بين زرارة والإمام عليه السلام ←

٢ ـ الجفر:

ورد في جملة من الروايات: أنّ الأئمّة عليهم السلام كان عندهم الجفر الأبيض والجفر الأحمر.

والجفر[1] كما جاء في الروايات: وعاءٌ من أديم، أي من الجلود.

والجفر الأبيض: وعاءٌ يحتوي على كتب.

والجفر الأحمر: وعاءٌ يحتوي على سيف رسول اللّه صلى الله عليه وآله ودرعه ومغفره ونحو ذلك.

ففي رواية أبي بصير ـ وهي طويلة ـ: «قلت: وما الجفر؟ قال: وعاءٌ من أدم فيه علم النبيّين والوصيّين وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل»[2].

وفي رواية أبي العلاء، قال: «سمعت أبا عبداللّه عليه السلام يقول: إنّ عندي الجفر

ـــ كان إبّان استبصار زرارة على يدي الإمام أبي جعفر محمّد الباقر عليه السلام.

وهناك أشخاص آخرون شاهدوا تلك الصحيفة، منهم:

ـ محمّد بن مسلم: فقد روى عنه الكليني أنّه قال: «أقرأني أبو جعفر عليه السلام صحيفة كتاب الفرائض التي هي إملاء رسول اللّه صلى الله عليه وآله، وخطّ عليّ عليه السلام بيده...». الكافي ٧: ٩٣، كتاب المواريث، باب ميراث الولد مع الأبوين، الحديث الأوّل.

ـ أبو بصير: فقد روي عنه أنّه قال: «كنت عنده [أي أبي جعفر عليه السلام] فدعا بالجامعة، فنظر فيها أبو جعفر عليه السلام فإذا فيها...» بصائر الدرجات: ١٤٥، باب أنّ الأئمّة عليهم السلام عندهم الصحيفة الجامعة، الحديث ١٧.

(١) الجفر: من أولاد الشاء أو الماعز إذا عظم واستكرش. والجفير: جعبة من جلود لا خشب فيها... انظر: القاموس المحيط، ولسان العرب: «جفر».

وفسّر في بعض الروايات بإهاب ماعز وإهاب كبش. انظر بصائر الدرجات: ١٥١ و ١٥٥ وغيرهما، باب في أنّ الأئمّة عليهم السلام أعطوا الجفر، الحديث ٢ و ١١ و ١٢ وغيرها.

(٢) أصول الكافي ١: ٢٣٩، باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة، الحديث الأوّل.

الأبيض، قال: قلت: فأي شيءٍ فيه؟ قال: زبور داود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وصحف إبراهيم، والحلال والحرام، ومصحف فاطمة...

وعندي الجفر الأحمر، قال: وأيُّ شيءٍ في الجفر الأحمر؟

قال: السلاح، وذلك إنّما يفتح للدم، يفتحه صاحب السيف للقتل»[١].

وفي رواية عبدالملك: «...أنّهما لإهابان عليهما أصوافهما وأشعارهما مدحوسين كتباً في إحداهما، وفي الآخر سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله»[٢].

تنبيه (١):

الظاهر من أغلب الروايات الواردة في هذا المجال: أنّ الجفر إهاب بشكل وعاء فيه مجموعة كتب، لا أنّه كتب عليه شيءٌ، وإن كانت بعض الروايات تدل على ذلك[٣].

ويؤيّد ما قلناه: المقارنة بين الجفر الأبيض المملوء كتباً، والجفر الأحمر الذي يحتوي على سلاح النبيّ صلى الله عليه وآله ودرعه ومغفره.

ولكن قال الشيخ البهائي -وهو الخبير بعلم الحديث والعلوم الغريبة، وله كتاب في الجفر[٤]-: «قد تظافرت الأخبار بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أملى على أمير المؤمنين عليه السلام كتابي الجفر والجامعة، وأنّ فيهما علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة...»[٥].

---

(١) أصول الكافي ١: ٢٤٠، باب فيه ذكر الصحيفة والجفر...، الحديث ٣.

(٢) بصائر الدرجات: ١٥١، باب أنّ الأئمّة عليهم السلام أعطوا الجفر والجامعة...، الحديث ٢.

(٣) انظر المصدر المتقدّم لتجد الروايات الواردة في هذا المجال بأنواعها.

(٤) جاء في الذريعة -عند تعداد الكتب المسمّاة بالجفر-: «الجفر للشيخ البهائي محمّد بن الحسين العاملي المتوفّى ١٠٣١، صرح باسمه ونسبه في الخطبة، أوّله: الحمد لله الذي كشف علينا رموز الغرائب بفيضه...». الذريعة ٥: ١٢٢.

(٥) كتاب الأربعين (للشيخ البهائي): ٢٩٩، وانظر سفينة البحار: «جفر».

فإنّ الظاهر من كلامه : أنّ الجفر كتابٌ . ولكنّ الظاهر من الروايات المتقدّمة وغيرها أنّه ليس كتاباً ، بل وعاءٌ فيه كتب[١] . نعم ، الجامعة كتاب مستقلّ ، ولكنّ الذي فيه ـ كما قدّمنا ـ هو الحلال والحرام الذي هو مجال التشريع ، وأمّا الإخبار عمّا سيحدث ـ وهو مجال التكوين ـ فإنّما كان في غيره من الكتب التي احتواها الجفر الأبيض ، والتي كان من جملتها مصحف فاطمة عليها السلام ، والله العالم .

ومع ذلك فإنّ المشهور: أنّ الجفر كتاب .

قال الشريف الجرجاني في شرح المواقف ـ على ما نقله الشيخ البهائي ـ عند الكلام عن تعلّق العلم الواحد بمعلومين : « إنّ الجفر والجامعة كتابان لعليّ كرّم الله وجهه ، وقد ذكر فيهما على طريق علم الحروف الحوادث التي تحدث إلى انقراض العالم ، وكان الأئمّة المعروفون من أولاده يعرفونهما ويحكمون بهما »[٢] .

وقال ابن قتيبة في كتابه أدب الكاتب ، ـ حسبما نقله عنه الدميري في حياة الحيوان ـ : « وكتاب الجفر جلد جفر كتب فيه الإمام جعفر بن محمّد الصادق لآل البيت كلّ ما يحتاجون إلى علمه ، وكلّ ما يكون إلى يوم القيامة . وإلى هذا الجفر أشار أبو العلاء المعرّي بقوله :

لقد عجبوا لأهل البيت لمّا ... أتاهم علمهم في مسك[٣] جفر

ومرآة المنجّم وهي صغرى ... أرته كلّ عامرة وقفر »[٤]

---

(١) وقد تنبّه لذلك المجلسي فقال : « لعلّ الجلد وعاء الكتب ، لا أنّها مكتوبة فيه » . مرآة العقول ٣ : ٥٩ .

(٢) كتاب الأربعين (للشيخ البهائي) : ٣٠٠ ، ونقل عبارته التهانوي في كشّاف اصطلاحات الفنون ١ : ٢٧٤ ، مادة « جفر » .

(٣) المسك : هو الجلد .

(٤) حياة الحيوان (للدميري) ١ : ١٩٠ ، عنوان « الجفرة » ، نقلاً عن أدب الكاتب .

وقال ابن خلدون : « اعلم أنّ كتاب الجفر كان أصله أنّ هارون بن سعيد العجلي ، وهو رأس الزيدية ، كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق ، وفيه علم ما سيقع لأهل البيت على العموم ، ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص ، وقع ذلك لجعفر ونظائره على طريق الكرامة والكشف الذي يقع لمثلهم من الأولياء ... » .

ثمّ شكّك في سند ما هو الموجود وإسناده إلى الإمام الصادق عليه السلام ، ثمّ قال : « ولو صحّ السند إلى جعفر الصادق لكان فيه نعم المستند على نفسه أو من رجال قومه ، فهم أهل الكرامات ، وقد صحّ عنه أنّه كان يحذّر بعض قرابته بوقائع تكون لهم ، فتصحّ كما يقول »[١] .

تنبيه (٢):

يظهر من كلمات بعض من تعرّض للموضوع : أنّ الجفر المذكور هو علم برأسه ، ومن العلوم الغريبة ، فقد عرفوه بأنّه : « علم يبحث فيه عن الحروف من حيث هي بناء مستقلّ بالدلالة ، ويسمّى بعلم الحروف وبعلم التكسير أيضاً ، وفائدته الاطّلاع على فهم الخطاب المحمّدي الذي لا يكون إلّا بمعرفة اللسان العربي »[٢] .

وجاء في تتمّة كلام الشريف الجرجاني المتقدّم : « ...ولمشايخ المغاربة نصيب من علم الحروف ينتسبون فيها إلى أهل البيت ، ورأيت بالشام نظماً أشير فيه بالرموز إلى أحوال ملوك مصر ، وسمعت أنّه مستخرج من ذينك الكتابين »[٣] .

وقد سبق أنّه قال عن الجفر والجامعة : إنّهما كتابان لعليّ عليه السلام ذكر فيهما الحوادث على طريق علم الحروف[٤] .

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين ٣ : ١٢٥ ، مادة « جفر » نقلاً عن ابن خلدون .

(٢) كشّاف اصطلاحات الفنون ١ : ٢٧٤ ، مادة « جفر » .

(٣) الأربعين (للشيخ البهائي) : ٣٠٠ .

(٤) راجع الصفحة ٨٠ .

ولست قادراً ـ فعلاً ـ على نفي أن تكون الكتب الموجودة في الجفر ـ الوعاء ـ أو الكتابة التي كانت على الجفر ـ الجلد ـ مكتوبة بشكل رموز بضرس قاطع ، ولكنّي اكتفي بالقول بأنّ الظاهر أنّ الجامعة التي شاهدها زرارة وغيره لم تكن على شكل رموز ؛ لأنّهم تمكّنوا من مطالعتها . والله العالم بحقائق الأُمور.

تنبيه (٣):

ربّما يدّعى انتقال العلم الموجود في الجامعة والجفر إلى غير الأئمّة عليهم السلام ، وهناك كتب عديدة باسم « الجفر » أُلّفت من قِبل العلماء المختصّين بعلم الحروف من الفريقين[١].

فإن كان المراد انتقال بعض الموارد الجزئيّة عن طريق إخبار الأئمّة عليهم السلام ، فهذا صحيح وواقع ، وله نماذج[٢].

وإن كان المراد أنّ الجفر والجامعة وقعا بيد بعض الأشخاص فاستنسخ منهما ، فغير صحيح ؛ لأنّ الأئمّة عليهم السلام لم يجيزوا ذلك لأحد ، حتّى إنّ أولاد الأئمّة عليهم السلام لم تصل أيديهم إليهما فضلاً عن غيرهم ، وإنّما كان ينظر فيهما خصوص الإمام بالفعل أو من كان يصير إماماً بعد ذلك[٣]، ويشهد لذلك حرمان بني الحسن عليه السلام

---

(١) انظر : الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٥ : ١١٨ ـ ١٢٢ ، وكشف الظنون ١ : ٥٩١ ، «علم الجفر».

(٢) انظر : أُصول الكافي ١ : ٢٤٢ ، باب فيه ذكر الصحيفة والجفر ، الحديث ٧ و ٨ ، والكافي (الروضة) ٨ : ٣٩٥ ، الحديث ٥٩٤ ، والفصول المهمّة (لابن الصبّاغ المالكي) : ٢١٢ ، والإرشاد (للمفيد) ٢ : ١٩٣ ، وغيرها.

(٣) ويشهد لذلك ما تقدّم من كيفيّة أمر الإمام الباقر عليه السلام ولده الصادق عليه السلام ليري زرارة جانباً من الجامعة ـ انظر هامش الصفحة (٧٧ ـ ٧٨) ـ وما روى نعيم القابوسي عن أبي الحسن موسى عليه السلام أنّه قال : «إنّ ابني عليّاً أكبر ولدي ، وأبرّهم عندي ، وأحبّهم إليّ ، وهو ينظر معي في الجفر ، ولم ينظر فيه إلّا نبيّ أو وصيّ نبي». أُصول الكافي ١ : ٣١١ ـ ٣١٢ ، باب الإشارة والنصّ على أبي الحسن الرّضا عليه السلام ، الحديث ٣.

منهما ، وهذا ما كان يدعوهم إلى إنكارهما ؟ فلذلك قال الإمام الصادق عليه السلام فيهم ـ حينما سأله عبدالله بن يعفور : أيعرف هذا بنو الحسن ؟ ـ : «إي واللّه كما يعرفون الليل أنّه ليل ، والنهار أنّه نهار ، ولكنّهم يحملهم الحسد وطلب الدنيا على الجحود والإنكار ، ولو طلبوا الحقّ بالحقّ لكان خيراً لهم »[١].

ولنعم ما قيل : من أنّه «لا يقف في هذا الكتاب حقيقة إلّا المهدي المنتظر»[٢].

إذن ما جاء في الفصول المهمّة ـ عند الكلام عن الإمام الصادق عليه السلام ـ من : «أنّ كتاب الجفر الذي بالمغرب يتوارثه بنو عبدالمؤمن بن عليّ ، من كلامه »[٣]، وكذا ما جاء مثله في حياة الحيوان للدميري[٤]، يستدعي الانتباه والتأمّل .

٣ ـ مصحف فاطمة عليها السلام :

تردّد في الروايات عنوان مصحف فاطمة عليها السلام ، وأنّه من جملة الكتب التي كانت في الجفر الأبيض ، ويخبرون عنه بشأن ما يجري في المستقبل ، فما هي حقيقة هذا المصحف ؟

ورد في جملة من الروايات : «إنّ اللّه تعالى لمّا قبض نبيّه صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة عليها السلام من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلّا اللّه عزّ وجلّ ، فأرسل اللّه إليها ملكاً

---

(١) أُصول الكافي ١ : ٢٤٠ ، باب فيه ذكر الصحيفة والجفر ، الحديث ٣.

(٢) كشف الظنون ١ : ٥٩١.

(٣) الفصول المهمّة (لابن الصبّاغ المالكي) : ٢١٢ ، وانظر كشّاف اصطلاحات الفنون ١ : ٢٧٤ ، مادة «جفر».

(٤) قال الدميري : «قيل : إنّ ابن تومرت المعروف بالمهدي ظفر بكتاب الجفر ، فرأى فيه ما يكون على يد عبدالمؤمن صاحب المغرب وقصّته وحليته واسمه ، فأقام ابن تومرت مدّة يتطلّبه حتّى وجده وصحبه . وكان يكرمه ويقدّمه على سائر أصحابه ...» إلى أن قال :

«وعبدالمؤمن هو الذي حمل الناس في المغرب حين تمّ له الأمر على مذهب مالك رحمه الله في الفروع ، وعلى مذهب أبي الحسن الأشعري رحمه الله في الأُصول ...» ، توفّي سنة ٥٥٨ . حياة الحيوان (للدميري) ١ : ١٩٠ ، عنوان «الجفرة».

يسلّي غمّها ويحدّثها ، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين ﷺ ، فقال : إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي ، فأعلمته بذلك ، فجعل أمير المؤمنين ﷺ يكتب كلّ ما سمع حتّى أثبت من ذلك مصحفاً »(١).

وورد في ذيل بعضها : « أما إنّه ليس فيه شيءٌ من الحلال والحرام ، ولكن فيه علم ما يكون »(٢).

وورد في بعضها : أنّه كان يخبرها بما يكون بعدها في ذرّيّتها (٣).

وبناءً على ذلك يكون هذا المصحف نتيجة التحديث ، أي تحديث الملائكة للسيّدة فاطمة الزهراء ﷺ وكتابة عليّ ﷺ ، ويظهر من الرواية المتقدّمة أنّ عليّاً ﷺ كان يسمع كلام الملك أيضاً .



احتفاظ الأئمّة ﷺ بالكتب :

الكتب المتقدّمة كانت أنفس الأشياء عند الأئمّة ﷺ ، يحتفظون بها أشدّ الاحتفاظ ويتوارثونها ، يدفعها الإمام السابق إلى الإمام الذي يليه عند حضور موته ، وهناك روايات كثيرة تبيّن كيفيّة هذا الانتقال من إمام إلى آخر(٤)، وأنّه كان من علامات الإمامة ، نكتفي بذكر رواية واحدة على سبيل المثال :

روي في الكافي عن أبي جعفر محمّد الباقر ﷺ ، قال : « لمّا حضر عليّ بن الحسين ﷺ الوفاة ، قبل ذلك ، أخرج سفطاً أو صندوقاً عنده ، فقال : يا محمّد ،

---

(١) و (٢) أُصول الكافي ١ : ٢٤٠ ، باب فيه ذكر الصحيفة والجفر ... ، الحديث ٢.

(٣) المصدر المتقدّم : ٢٤١ ، الحديث ٥ ، وانظر الأحاديث المناسبة من الباب المتقدّم ، كما يُراجع بصائر الدرجات : ١٥٠ باب أنّ الأئمّة ﷺ أُعطوا الجفر والجامعة ومصحف فاطمة ﷺ ، الأحاديث المناسبة .

(٤) انظر : أُصول الكافي ١ : ٢٩٢ ـ ٣٢٩ ، أبواب الإشارة والنصّ على كلّ إمام ، وبصائر الدرجات : ١٦٢ ، باب أنّ الأئمّة ﷺ صارت إليهم كتب رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين ﷺ .

احمل هذا الصندوق، قال: فحمل بين أربعة، فلمّا توفّي جاء إخوته[١] يدّعون [ما] في الصندوق، فقالوا: أعطنا نصيبنا [ممّا] في الصندوق، فقال: واللّه ما لكم فيه شيء، ولو كان لكم فيه شيء ما دفعه إليّ، وكان في الصندوق سلاح رسول اللّه صلى الله عليه وآله وكتبه »[٢].

مراتب الأئمّة عليهم السلام في العلم:

يستفاد من جملة من الروايات: أنّ الأئمّة عليهم السلام في رتبة واحدة من العلم إلّا أمير المؤمنين عليه السلام، فإنّه ورسول اللّه صلى الله عليه وآله لهما فضلهما، فمن ذلك:

ـ ما رواه بريد بن معاوية عن أبي جعفر عليه السلام ـ في حديث ـ: «... وعليّ أوّلنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبيّ صلى الله عليه وآله »[٣].

ـ وما رواه الحارث بن مغيرة عن أبي عبداللّه عليه السلام، قال: « سمعته يقول: ... نحن في الأمر والفهم والحلال والحرام نجري مجرىً واحداً، فأمّا رسول اللّه صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام فلهما فضلهما »[٤].

ـ وما رواه إسحاق بن محمّد النخعي عن أبي محمّد العسكري ـ في حديث ـ أنّه قال: « ...وأوّلنا وآخرنا في العلم سواء، ولرسول اللّه صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام فضلهما »[٥].

لكن قال الكراجكي في رسالة: « البيان عن جمل اعتقاد أهل الإيمان »:

---

(١) اي إخوة الإمام الباقر عليه السلام.

(٢) أصول الكافي ١: ٣٠٥، باب الإشارة والنصّ على أبي جعفر عليه السلام، الحديث الأوّل.

(٣) المصدر المتقدّم: ٢٢٩، باب أنّه لم يجمع القرآن كلّه [كما أنزل] إلّا الأئمّة عليهم السلام، الحديث ٦.

(٤) المصدر المتقدّم: ٢٧٥، باب أنّ الأئمّة عليهم السلام في العلم و ... سواء، الحديث ٣.

(٥) الكافي ٧: ٨٥، باب علّة كيف صار للذكر سهمان وللأنثى سهم، الحديث ٢.

«... ويعتقد أنّ أفضل الأئمّة عليهم السلام ، أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ... ـ إلى أن قال : ـ وأنّ أفضل الأئمّة بعد أمير المؤمنين ، ولده الحسن ، ثمّ الحسين ، وأفضل الباقين بعد الحسين إمامُ الزمان المهدي (صلوات الله عليه) ، ثمّ بقيّة الأئمّة بعده ، على ما جاء به الأثر ، وثبت في النظر»[1].

وأسند المجلسي هذا الفهم إلى الروايات ، فقال معلّقاً على الرواية الثانية : « ويدلّ[2] على أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أفضل من سائر الأئمّة ، ويدلّ بعض الأخبار على فضل الحسنين عليهما السلام على سائر الأئمّة عليهم السلام ، ويفهم من بعضها فضل القائم على الثمانية الباقية »[3] ، ثمّ نقل كلام الكراجكي المتقدّم . والله العالم بحقائق الأمور .



(١) كنز الفوائد ١ : ٢٤٦ .

(٢) أي الحديث .

(٣) مرآة العقول ٣ : ١٧٨ .

أحكام أهل البيت عليهم السلام

هناك أحكام تترتّب على أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله، ولكنّ بعضها يترتّب على المعنى الخاصّ وهم أصحاب الكساء وسائر الأئمّة عليهم السلام، والبعض الآخر على المعنى العامّ، وهو الشامل لمن تقدّم وسائر بني هاشم. وسوف نذكر أحكام أهل البيت بالمعنى الخاصّ، ومن خلالها نبيّن أحكام أهل البيت بالمعنى العامّ أيضاً، إن شاء اللّه تعالى.

وأمّا الأحكام المترتّبة عليهم فهي:

أوّلاً ـ وجوب مودّتهم:

لا إشكال في وجوب مودّة أهل البيت عليهم السلام، وتدلّ عليه جملة وافرة من النصوص كتاباً وسنّة، منها:

قوله تعالى: ﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾[1].

فإنّ الرسول صلى الله عليه وآله لم يطالب أجراً على رسالته، واكتفى بطلب مودّة ذوي القربى.

والمراد من ذوي القربى هم أصحاب الكساء، فقد روى ابن حجر ـ في الصواعق ـ عن أحمد والطبراني وابن أبي حاتم والحاكم عن ابن عبّاس: «أنّ هذه الآية لمّا نزلت قالوا: يا رسول اللّه، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال:

---

(١) الشورى: ٢٣.

عليٌّ وفاطمة وابناهما»(١).

وروى ـ أي ابن حجر ـ أيضاً عن البزّار والطبراني، عن الحسن عليه السلام ـ وقال: إنّ بعض طرقه حسان ـ: أنّه خطب خطبة جاء فيها:

«أنا من أهل البيت الذين افترض الله عزّ وجلّ مودّتهم وموالاتهم، فقال فيما أنزل على محمّد صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: ﴿قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً﴾، واقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت»(٢).

وقال أيضاً: «وأخرج الطبراني عن زين العابدين: أنّه لمّا جيء به أسيراً عقب مقتل الحسين (رضي الله عنهما) وأُقيم على درج دمشق قال بعض جفاة أهل الشام(٣): الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة، فقال له: ما قرأت: ﴿قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾؟ قال: وأنتم هم؟ قال: نعم»(٤).

وقال الزمخشري ـ عند تفسير آية المودّة ـ: «وروي: "أنّها لمّا نزلت، قيل: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: عليٌّ وفاطمة وابناهما"».

ويدلّ عليه ما روي عن عليٍّ عليه السلام: شكوت إلى رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم حسد الناس لي فقال: أما ترضى أن تكون رابع أربعة، أوّل من يدخل الجنّة:

---

(١) الصواعق المحرقة: ١٦٩ ـ ١٧٠.

(٢) المصدر المتقدّم: ١٧٠.

(٣) لم يكن هذا المسكين من الجفاة وإنّما كان من الذين ضلّلتهم دعايات السلطة الأموية التي أضفى عليها ابن حجر وأمثاله الشرعيّة والقانونيّة. الصواعق المحرقة: ٢٠٨ ـ ٢٢٦؛ ولذلك تاب هذا الشيخ بعد أن عرف أنّ هؤلاء من أهل البيت عليهم السلام. انظر: مقتل الحسين عليه السلام (للخوارزمي) ٢: ٦١، واللهوف: ١٠٠.

(٤) الصواعق المحرقة: ١٧٠، وانظر الدرّ المنثور ٦: ٧، ذيل الآية ٢٣ من سورة الشورى.

أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا...».

إلى أن قال: «وقال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات تائباً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد بشّره ملك الموت بالجنّة ثمّ منكر ونكير، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد يزفّ إلى الجنّة كما تزفّ العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد فُتح له في قبره بابان إلى الجنّة، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمّد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمّد لم يشمّ رائحة الجنة»[1].

قال الرازي ـ بعد نقل ذلك ـ: «وأنا أقول: آل محمّد صلّى الله عليه [وآله] وسلّم هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكلّ من كان أمرهم إليه أشدّ وأكمل كانوا هم الآل، ولا شكّ أنّ فاطمة وعليّاً والحسن والحسين كان التعلّق بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله أشدّ التعلّقات، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هم الآل».

وقال أيضاً: «...فثبت أنّ هؤلاء الأربعة أقارب النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم، ويدلّ عليه وجوه:

الأوّل ـ قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾، ووجه الاستدلال به ما سبق.

الثاني ـ لا شكّ أنّ النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم كان يحب فاطمة، قال صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: "فاطمة بضعة منّي، يؤذيني ما يؤذيها"، ويحبّ عليّاً والحسن والحسين، وإذا ثبت ذلك وجب على كلّ الأمّة مثله؛ لقوله تعالى:

---

(١) تفسير الكشّاف ٣: ٤٦٧، ذيل الآية ٢٣ من سورة الشورى.

﴿ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[١]، ولقوله: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾[٢]، ولقوله: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾[٣]، ولقوله سبحانه: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[٤].

الثالث ـ أنّ الدعاء للآل منصب عظيم، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهّد في الصلاة، وهو قوله: " اللهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد، وارحم محمّداً وآل محمّد "، وهذا التعظيم لم يوجد في حقّ غير الآل، فكلّ ذلك يدلّ على أنّ حب آل محمّد واجب، وقال الشافعي:

يا راكباً قف بالمحصّب من منى ... واهتف بساكن خيفها والناهض
سحراً إذا فاض الجميع إلى منى ... فيضاً كما نظم الفرات الفائض
إن كان رفضاً حبّ آل محمّد ... فليشهد الثقلان أنّي رافضي[٥]

وممّا نسب إلى الشافعي أيضاً قوله:

يا أهل بيت رسول الله حبّكم ... فرض من الله في القرآن أنزله[٦]

وإليه نسب أيضاً:

آل النبيّ ذريعتي ... وهم إليه وسيلتي
أرجو بهم أعطى غداً ... بيدي اليمين صحيفتي[٧]

وروى الطبرسي عن زاذان، عن عليّ عليه السلام أنّه قال: « فينا في آل حم آية لا يحفظ

---

(١) الأعراف: ١٥٨.
(٢) النور: ٦٣.
(٣) آل عمران: ٣١.
(٤) الأحزاب: ٢١.
(٥) التفسير الكبير ٢٧: ١٦٦.
(٦) الصواعق المحرقة: ١٧٥.
(٧) الصواعق المحرقة: ١٨٠.

مودّتنا إلّا كلّ مؤمن ، ثمّ قرأ هذه الآية[١] ، وإلى هذا أشار الكميت في قوله :

وجدنا لكم في آل حم آية   تأوّلها منّا تقيٌّ ومعرب »[٢]

ولابن العربي كما قيل :

رأيت ولائي آل طه فريضة   على رغم أهل البعد يورثني القربا
فما طلب المبعوث أجراً على الهدى   بتبليغه إلّا المودّة في القربى[٣]

وهناك قصائد لفطاحل الشعراء والأدباء في هذا المعنى ذكرها العلّامة الأميني في موسوعته القيّمة « الغدير »[٤].

كما أنّ الروايات الواردة عن طريق أهل البيت في تفسير آية المودّة بمودّة أهل البيت كثيرة جدّاً[٥].

والنصوص الدالّة على لزوم محبّة أهل البيت عليهم السلام لم تنحصر بالآية وما ورد بشأنها من النصوص ، بل هناك نصوص كثيرة تدلّ على ذلك ، منها :

ـ ما رواه ابن المغازلي ـ كما في غاية المرام ـ بإسناده إلى ابن عبّاس ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتّى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن جسده فيما أبلاه ، وعن ماله فيما أنفقه ومن أين اكتسبه ، وعن حبّنا أهل البيت »[٦].

---

(١) أي آية المودّة.

(٢) مجمع البيان ٩ : ٢٩.

(٣) الصواعق المحرقة : ١٧٠.

(٤) انظر على سبيل المثال : الغدير ٢ و ٣ و ٤ وغيرها ، وأهل البيت عليهم السلام (للأستاذ السبحاني) : ٥٧ ـ ٧٣.

(٥) انظر : البحار ٢٣ : ٣٢٨ ، باب أنّ مودّتهم أجر الرسالة ، وغاية المرام ٣ : ٢٣٥.

(٦) غاية المرام ٣ : ٩٢ ، نقلاً عن المناقب (لابن المغازلي) ٩٣ : ١٥٧.

ـ ونقل الشيخ الطوسي في أماليه بإسناده عن محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام أنّه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تزل قدم عبد مؤمن يوم القيامة من بين يدي الله عزّ وجلّ حتّى يسئل عن أربع خصال: عمرك فيما أفنيته، وجسدك فيما أبليته، ومالك من أين اكتسبته وأين وضعته، وعن حبّنا أهل البيت، فقال رجل من القوم: وما علامة حبّكم يا رسول الله؟ فقال: محبّة هذا، ووضع يده على رأس عليّ بن أبي طالب»[1].

وفي رواية أخرى: أنّ السائل كان عمر بن الخطّاب[2].

ثانياً ـ حرمة بغضهم:

تواترت الأخبار من الفريقين بحرمة بغض أهل البيت عليهم السلام ونصب العداء لهم.

قال ابن حجر: «صحّ أنّه صلّى الله عليه [وآله] وسلّم قال: والذي نفسي بيده، لا يبغضنا أهل البيت أحد إلّا أدخله الله النار»[3].

وأخرج الترمذي ـ وصحّحه ـ عن عليّ عليه السلام أنّه قال: «لقد عهد إليّ النبيّ الأمّي صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: أنّه لا يحبّك إلّا مؤمن، ولا يبغضك إلّا منافق»[4].

وأخرج عن أبي سعيد الخدري: «إنّا كنّا لنعرف المنافقين ـ نحن معشر الأنصار ـ ببغضهم عليّ بن أبي طالب»[5].

وأخرج عن أمّ سلمة: «كان رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يقول:

---

(١) غاية المرام ٣: ٩٤، نقلاً عن أمالي الطوسي: ١٢٤، المجلس ٥، الحديث ٦.

(٢) غاية المرام ٣: ٩٣.

(٣) الصواعق المحرقة: ١٧٤.

(٤) سنن الترمذي ٥: ٦٤٣، كتاب المناقب، باب مناقب عليّ بن أبي طالب، الحديث ٣٧٣٦، وانظر سنن النسائي ٨: ١١٦ و ١١٧، كتاب الإيمان، علامة الإيمان، وعلامة المنافق.

(٥) سنن الترمذي ٥: ٦٣٥، كتاب المناقب، باب مناقب عليّ [عليه السلام]، الحديث ٣٧١٧.

لا يحبّ عليّاً منافق ، ولا يبغضه مؤمن »[1].

وصحّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله قوله : « فاطمة بضعة منّي ، فمن أغضبها أغضبني »[2].

قال ابن حجر ـ بعد ذكر جملة من الأحاديث في أهل البيت عليهم السلام ـ : « ... وعلم من الأحاديث السابقة وجوب محبّة أهل البيت وتحريم بغضهم التحريم الغليظ ، وبلزوم محبّتهم صرّح البيهقي والبغوي وغيرهما أنّها من فرائض الدين ، بل نصّ عليه الشافعي فيما حكي عنه من قوله :

يا أهل بيت رسول اللّه حبّكم ... فرض من اللّه في القرآن أنزله »

إلى أن قال ـ أي ابن حجر ـ : « وأخرج أبو سعيد في شرف النبوّة وابن المثنّى أنّه صلى الله عليه وآله قال : يا فاطمة ، إنّ اللّه يغضب لغضبك ، ويرضى لرضاك ، فمن آذى أحداً من ولدها فقد تعرّض لهذا الخطر العظيم ؛ لأنّه أغضبها ، ومن أحبّهم فقد تعرّض لرضاها ... »[3].

ثالثاً ـ عقوبة سبّهم ، وحكم النصب لهم :

لا إشكال في حرمة سبّ النبيّ صلى الله عليه وآله وفاطمة الزهراء عليها السلام والأئمّة عليهم السلام ونصب العداء لهم ، كما سبق ، وهذا من مسلّمات فقه الإماميّة .

وأمّا عقوبة السابّ ، فهي عندنا القتل بلا إشكال أيضاً .

ولكن هل ذلك من باب حصول الارتداد بالسبّ ؟

---

(١) سنن الترمذي ٥ : ٦٣٥ ، كتاب المناقب ، باب مناقب علي [عليه السلام] ، الحديث ٣٧١٧ .

(٢) حديث مسلّم أخرجه جماعة كثيرة من أصحاب الصحاح والمسانيد . انظر مثلاً : صحيح البخاري ٢ : ٣٠٢ ، باب مناقب قرابة رسول اللّه صلّى اللّه عليه [وآله] وسلّم ، وصحيح مسلم ٤ : ١٩٠٣ ، باب فضائل فاطمة [عليها السلام] ، الحديث ٢٤٤٩ ، وفضائل الصحابة : ٧٨ .

(٣) الصواعق المحرقة : ١٧٥ .

أو هو عقوبة مستقلّة لا ربط لها بالارتداد ؟

لهم فيه كلام[١].

وعلى فرض كونه من باب الارتداد، فتترتّب عليه آثاره سوى القتل[٢].

وأمّا المذاهب الأخرى، فإنّها ترى أنّ سبّ النبيّ صلى الله عليه وآله موجب للارتداد، وتترتّب عليه أحكامه عندئذٍ[٣].

وأمّا سائر أهل بيته، فقد جاء في الموسوعة الفقهيّة (الكويتيّة): «أجمع فقهاء المذاهب على أنّ من شتم أحداً من آله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، مثل مشاتمة الناس، فإنّه يضرب ضرباً شديداً، وينكّل به، ولا يصير كافراً بالشتم»[٤].

وأمّا حكم النصب لهم من حيث الطهارة، فقد صرّح الفقهاء، بأنّ الناصب لأهل البيت عليهم السلام نجس[٥].

تنبيه :

كلّ ما ذكرناه من الأحكام المتقدّمة إنّما هو بالنسبة إلى أهل البيت بالمعنى الأخصّ، وهم أصحاب الكساء مع سائر الأئمّة عليهم السلام.

وأمّا سائر بني هاشم، فاحترامهم وحبّهم لرسول الله صلى الله عليه وآله من السنّة الأكيدة بلا إشكال، ويحرم سبّهم إذا كان فيه إهانة لرسول الله صلى الله عليه وآله أو أحد الأئمّة أو أمّهم فاطمة الزهراء عليها السلام.

---

(١) انظر: المسالك ١٤: ٤٥٢ ـ ٤٥٣، والجواهر ٢١: ٣٤٤ ـ ٣٤٦، و ٤١: ٤٣٢ ـ ٤٤٠، ومباني تكملة المنهاج ١: ٢٦٤ ـ ٢٦٥.

(٢) انظر الموسوعة الفقهيّة الميسّرة (للمؤلّف) ٢: ١٤ ـ ٤١، عنوان «ارتداد».

(٣) انظر الموسوعة الفقهيّة (الكويتيّة) ٢٤: ١٣٦ عنوان «سبّ / حكم من سبّ النبيّ صلى الله عليه وآله».

(٤) المصدر المتقدّم: ١٠٧، عنوان «آل / حكم سبّ آل البيت».

(٥) انظر: الجواهر ٦: ٦٣، والطهارة (للشيخ الأنصاري) ٥: ١٤٣، والمستمسك ١: ٣٨٧، والتنقيح (الطهارة) ٢: ٧٥.

رابعاً ـ حرمة الغلوّ فيهم:

لا إشكال في حرمة الغلوّ في أهل البيت عليهم السلام بأن يقال بألوهيّتهم أو بحلول الإله فيهم ـ والعياذ بالله ـ أو بنبوّتهم، أو بكونهم خالقين، أو بأنّ لهم قدرة التصرّف في الكائنات باستقلالهم ومن دون قدرة الله وإذنه، تعالى الله وتعالوا عن ذلك علوّاً كبيراً.

وقد حذّر الأئمّة عليهم السلام بشدّة من ذلك، وكفّروا من قال به، وحذّروا الشيعة من التقرّب إليهم، وله نماذج كثيرة، ستأتي الإشارة إلى بعضها عند بيان تاريخهم.

هذا وصرّح الفقهاء بنجاسة الغلاة إجمالاً؛ لكفرهم[1].

نعم، لبعضهم كلام في بعض أقسام الغلوّ ـ مثل الاعتقاد بكونهم قادرين على التصرّف بالاستقلال ـ هل هو موجب للكفر مستقلاً، أي أنّه سبب مستقلّ للكفر، أو يدخل في قاعدة: «أنّ إنكار الضروري من الدين موجب للكفر والارتداد»؟ فقد يقال على الثاني بكون إنكار الضروري موجباً للارتداد مطلقاً، أو إذا استلزم منه تكذيب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم[2].

تنبيه:

إنّ حرمة الغلوّ لا تختصّ بشخص معيّن؛ فلذلك يحرم الغلوّ في كلّ إنسان وإن لم يكن هاشميّاً.

خامساً ـ ثبوت إمامتهم وولايتهم:

إنّ مقام الإمامة الذي كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثابت للأئمّة عليهم السلام من بعده.

---

(١) انظر: الجواهر ٦: ٥١، والطهارة (للشيخ الأنصاري) ١: ٣٧١ و٥: ٩٩ و١٤٩، والمستمسك ١: ٣٨٦، والتنقيح (الطهارة) ٢: ٧٣.

(٢) انظر الموسوعة الفقهيّة الميسّرة ٢: ١٥، عنوان «ارتداد / ما يتحقّق به الارتداد».

كما أنّ الولاية العامّة التي كانت له ﷺ ثابتة لهم عليهم السلام أيضاً ، فلهم التصرّف فيما كان النبيّ ﷺ يتصرّف فيه .

ويجب الاعتقاد بذلك كلّه ؛ لأنّه من أركان الإيمان ، بل تتوقّف عليه صحّة كثير من الأعمال .

روى الكليني بسند صحيح عن زرارة ، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّه قال : «بُني الإسلام على خمسة أشياء : على الصلاة ، والزكاة ، والحجّ ، والصوم ، والولاية .

قال زرارة : فقلت : وأيُّ شيءٍ من ذلك أفضل ؟ فقال : الولاية أفضل ؛ لأنّها مفتاحهنّ ، والوالي هو الدليل عليهنّ ، قلت : ثمّ الذي يلي ذلك في الفضل ؟ فقال : الصلاة ...» .

ثمّ ذكر بعد الصلاة الزكاة ، ثمّ الحجّ ، ثمّ الصيام ، كلّ ذلك بتفصيل .

ثمّ قال : «ذروة الأمر وسنامه ، ومفتاحه ، وباب الأشياء ، ورضا الرحمن : الطاعة للإمام بعد معرفته ، إنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً ﴾[1] . أما لو أنّ رجلاً قام ليله ، وصام نهاره ، وتصدّق بجميع ماله ، وحجّ جميع دهره ولم يعرف ولاية وليّ الله فيواليه ، ويكون جميع أعماله بدلالته إليه ، ما كان له على الله جلّ وعزّ حقٌّ في ثوابه ، ولا كان من أهل الإيمان ، ثمّ قال : أولئك المحسن منهم يدخله الله الجنّة بفضل رحمته»[2] .

والأحاديث بهذا المعنى كثيرة .

والولاية المقصودة هنا ليست بمعنى المحبّة ، كما أنّ الإمامة ليست الإمامة المعنوية فحسب ، وإن كانتا ثابتتين بأعلى درجاتهما ، بل المقصود ولاية

---

(١) النساء : ٨٠.

(٢) أصول الكافي ٢ : ١٨ ـ ١٩ ، باب دعائم الإسلام ، الحديث ٥ .

التصرّف وإمامة القيادة.

وقد صرّح الفقهاء والمتكلّمون منّا بوجوب الاعتقاد بإمامتهم جميعاً وولايتهم عقلاً ونقلاً.

قال الشيخ الصدوق: «يجب أن يعتقد أنّ الإمامة حقّ كما اعتقدنا أنّ النبوّة حقّ، ويعتقد أنّ اللّه عزّ وجلّ الذي جعل النبيّ نبيّاً هو الذي جعل الإمام إماماً، وأنّ نصب الإمام وإقامته واختياره إلى اللّه عزّ وجلّ، وأنّ فضله منه...

ويعتقد أنّ اللّه عزّ وجلّ لا يقبل من عاملٍ عمله إلّا بالإقرار بأنبيائه ورسله وكتبه جملة، وبالإقرار بنبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله والأئمّة صلوات اللّه عليهم تفصيلاً، وأنّه واجب علينا أن نعرف النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة بعده صلوات اللّه عليهم بأسمائهم وأعيانهم...

ويجب أن يعتقد أنّهم أولو الأمر الذين أمر اللّه بطاعتهم...»[١].

وقال الشيخ المفيد: «ويجب على كلّ مكلّف أن يعرف إمام زمانه، ويعتقد إمامته، وفرض طاعته، وأنّه أفضل أهل عصره وسيّد قومه، وأنّهم في العصمة والكمال كالأنبياء عليهم السلام، ويعتقد أنّ كلّ رسول للّه تعالى فهو نبيٌّ إمام[٢]، وليس كلّ إمام نبيّاً ولا رسولاً، وأنّ الأئمّة بعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله حجج اللّه تعالى وأولياؤه، وخاصّة أصفياء اللّه، أوّلهم وسيّدهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب...»،

---

(١) الهداية: ٦ ـ ٧، الباب ٣ و ٤.

(٢) الذي ثبت: أنّ مقام الإمامة إنّما ثبت لبعض الأنبياء والمرسلين، وهم الذين لم تقتصر وظيفتهم على التبليغ فقط، بل أُمروا بإدارة المجتمعات أيضاً مثل أُولي العزم من الرسل، وأمّا الذين كانت وظيفتهم مقتصرة على التبليغ والإرشاد فلم يكن لهم مقام الإمامة، كما أنّها منحت لإبراهيم في أواخر عمره وهو من أُولي العزم. انظر الميزان في تفسير القرآن ١: ٢٧٥.

ولعلّ كان مقصوده ـ فعلاً ـ نفي الملازمة من الطرف الثاني، وهو أنّه لا يلزم أن يكون كلّ إمام نبيّاً، وهو حقٌّ لا إشكال فيه.

ثمّ عدّ الأئمّة، ثمّ قال:

«لا إمامة لأحد بعد النبيّ صلى الله عليه وآله غيرهم... وأنّ بمعرفتهم وولايتهم تقبل الأعمال، وبعداوتهم والجهل بهم يستحقّ النار»[١].

وتمام الكلام في كيفيّة ولايتهم وحدودها موكول إلى فرصة أخرى.

تنبيه:

الأحكام المذكورة تختصّ بالأئمّة من أهل البيت عليهم السلام، فلا تشمل غيرهم ممّن يشملهم عنوان أهل البيت بمعناه العامّ.

سادساً ـ وجوب طاعتهم وحرمة مخالفتهم:

لا إشكال في وجوب إطاعة الأئمّة وأولي الأمر من أهل البيت عليهم السلام، كما تجب إطاعة الرسول صلى الله عليه وآله، وكذا لا إشكال في حرمة مخالفتهم، كما تحرم مخالفته؛ لقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾[٣].

وقد تكلّمنا عن وجوب إطاعتهم في غير مجال التشريع في الموسوعة الفقهيّة[٤].

سابعاً ـ حجيّة أقوالهم عليهم السلام:

لا إشكال في حجيّة أقوال أهل البيت عليهم السلام بمعناه الأخصّ؛ بناءً على عصمتهم وإمامتهم؛ لعدم إمكان الفصل عقلاً وشرعاً بين عصمة شخص وحجيّة أقواله، بأن يقال بعصمته ولا يقال بحجيّة أقواله، وكذا لا يمكن الفصل بين إمامته وحجيّة

---

(١) المقنعة: ٣٢.

(٢) النساء: ٥٩.

(٣) النور: ٦٣.

(٤) انظر الموسوعة الفقهيّة الميسّرة ٤: ١١، عنوان «إطاعة».

أقواله ، فمتى قيل بإمامته ـ على التفسير الإمامي ـ لابدّ من أن يقال بحجيّة أقواله .

وأمّا بناءً على تفسير غير الإماميّة للإمامة ، فيأتي دور الكلام عن حجيّة أقوال الأئمّة . وقد تكلّم في ذلك العلماء ، وتكفينا هنا الإشارة إلى بعض ما استدلّوا به على المطلوب من الكتاب والسنّة .

أمّا من الكتاب ، فقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[1] .

فإنّ الآية دلّت ـ كما تقدّم[2] ـ على عصمة أهل البيت عليهم السلام وطهارتهم ، وذلك يدلّ على كونهم صادقين في أقوالهم وأفعالهم غير كاذبين ، وإلّا فإنّ الكذب ينافي العصمة .

وأمّا من السنّة ، فقوله صلى الله عليه وآله : « إنّي مخلّف فيكم الثقلين : كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي ، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً » .

وقد تقدّم[3] الكلام ـ أيضاً ـ عن الحديث من حيث السند والدلالة بصورة تفصيليّة ، وهو يدلّ بكلّ صراحة على حجيّة أقوال أهل البيت عليهم السلام ، فإنّ الأمر بالتمسّك بهم وبالكتاب ، وكونهم عِدلاً له ، وعدم افتراقهم عنه إلى يوم القيامة ، لا يعقل مع فرض عدم حجيّة أقوالهم .

وبناءً على حجيّة أقوالهم يكون إجماعهم حجّة أيضاً بلا إشكال .

ثامناً ـ وجوب قرنهم مع النبيّ صلى الله عليه وآله في الصلاة عليه :

أمر اللّه تعالى بالصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله بقوله : ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ

---

(١) الأحزاب : ٣٣ .

(٢) تقدّم في الصفحة ٤٣ .

(٣) تقدّم في الصفحة ٥٢ .

يا أيّها الّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾[١].

ولم يبيّن تعالى كيفيّة الصلاة. نعم، هناك روايات كثيرة وردت من الفريقين تبيّن ذلك، نشير إلى بعضها فيما يلي:

ـ روي في الوسائل عن السيّد المرتضى ـ في المحكم والمتشابه ـ عن تفسير النعماني بإسناده، عن عليّ عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «لا تصلّوا عليَّ صلاة مبتورة، بل صِلوا إليَّ أهل بيتي ولا تقطعوهم، فإنّ كلّ نسب وسبب يوم القيامة منقطع إلّا [سببي و] نسبي»[٢].

ـ وروى عن الصدوق بإسناده، عن أبان بن تغلب، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، عن آبائه، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أراد التوسّل إليَّ وأن تكون له عندي يدٌ أشفع له بها يوم القيامة، فليصلّ على أهل بيتي ويدخل السرور عليهم»[٣].

ـ وروى عنه أيضاً، عن أبان، عن أبي جعفر عليه السلام، عن آبائه، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من صلّى عليَّ ولم يصلّ على آلي لم يجد ريح الجنّة، وإنّ ريحها ليوجد من مسيرة خمسمئة عام»[٤].

ـ وروى البخاري عن عبدالرحمن بن أبي ليلى، قال: «لقيني كعب بن عجرة، فقال: ألا أهدي لك هديّة سمعتها من النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم؟ فقلت: بلى فاهدها لي. فقال: سألنا رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإنّ الله قد علّمنا كيف نسلّم؟ قال: قولوا: اللهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد، كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم،

---

(١) الأحزاب: ٥٦.

(٢) الوسائل ٧: ٢٠٧، الباب ٤٢ من أبواب الذّكر، الحديث ١٧.

(٣) المصدر المتقدّم: ٢٠٣، الحديث ٥.

(٤) المصدر المتقدّم: الحديث ٧.

إنّك حميد مجيد . اللهمّ بارك على محمّد وعلى آل محمّد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، إنّك حميد مجيد »(١) .

ـ وروى مسلم بإسناده ، عن أبي مسعود الأنصاري ، قال : « أتانا رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ونحن في مجلس سعد بن عبادة ، فقال له بشير بن سعد : أمرنا الله تعالى أن نصلّي عليك يا رسول الله ، فكيف نصلّي عليك ؟

قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى تمنّينا أنّه لم يسأله ، ثمّ قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : قولوا : اللهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد كما صلّيت على آل إبراهيم ، وبارك على محمّد وعلى آل محمّد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين ، إنّك حميد مجيد ... »(٢) .

ـ وروى ابن حجر عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله : « لا تصلّوا عليَّ الصلاة البتراء . فقالوا : وما الصلاة البتراء ؟ قال : تقولون : اللهمّ صلّ على محمّد وتمسكون ، بل قولوا : اللهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد »(٣) .

إذن لابدّ من إلحاق أهل البيت عليهم السلام بالنبيّ صلى الله عليه وآله في الصلاة عليه ، فإن كانت الصلاة عليه واجبة كانت الصلاة عليهم واجبة أيضاً .

وقد تكلّم الفقهاء عن ذلك عند الكلام عن وجوب الصلاة على النبيّ وآله

---

(١) صحيح البخاري ٢ : ٢٣٩ ، كتاب بدء الخلق ، باب يزفّون ... ، الحديث ٩ . ورواه مسلم في صحيحه ١ : ٣٠٥ ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله بعد التشهّد ، الحديث ٤٠٦ ، ورواه البخاري في ٣ : ١٧٨ ، ذيل الآية ٥٦ من سورة الأحزاب .

(٢) صحيح مسلم ١ : ٣٠٥ ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله بعد التشهّد ، الحديث ٤٠٥ .

(٣) الصواعق المحرقة : ١٤٦ .

أقول : يتعجّب الإنسان حين يرى عالماً ينقل الرواية عن النبيّ صلى الله عليه وآله في كيفيّة الصلاة عليه ، وفي نفس الوقت يخالفه ويدّعي أنّه يتّبع سنّته ؟!

في التشهّد، وقد تسالموا على وجوب الصلاة على النبيّ ﷺ في الصلاة إجمالاً، وجعلوا موضعه ـ على المشهور ـ في التشهّد، ثمّ صرّحوا بوجوب إلحاق الآل بالنبيّ في الصلاة عليه.

قال السيّد الحكيم ـ بعد إتمام الحديث عن وجوب الصلاة على النبيّ ﷺ ـ: «الظاهر: التسالم على وجوب ضمّ الصلاة على الآل ﷺ إلى الصلاة عليه ﷺ، وفي التذكرة: الإجماع عليه، كما تقتضيه النصوص الكثيرة المروية من طرق الخاصّة والعامّة...» إلى أن قال:

«...وكأنّ من هذه النصوص يفهم أنّ الصلاة على النبيّ ﷺ مهما كانت موضوعاً لحكم[1]، فالمراد بها الصلاة عليه وعلى آله، عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام»[2].

وأمّا سائر المذاهب، فقد جاء في (الموسوعة الفقهيّة) (الكويتيّة): «... فأحد رأيين عند الشافعيّة والحنابلة: أنّ الصلاة على الآل في الصلاة واجبة، تبعاً للصلاة على النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، مستدلّين بما روي من حديث كعب بن عجرة...

والرواية الأخرى في المذهبين: أنّها سنّة، وهو قول الحنفيّة، وأحد قولين للمالكيّة... والرأي الآخر عند المالكيّة: أنّ الصلاة على النبي صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، والآل تبعاً، فضيلة»[3].

تاسعاً ـ حرمة أكلهم من الزكاة:

أجمع علماء الإسلام على تحريم الصدقة الواجبة على بني هاشم[4]؛ للنصوص

(١) سواء كان الحكم وجوبيّاً أو ندبيّاً.

(٢) المستمسك ٦: ٤٤١.

(٣) الموسوعة الفقهية (إصدار وزارة الأوقاف الكويتيّة) ١: ١٠٦، عنوان «آل البيت / الصلاة على آل النبي صلّى الله عليه [وآله] وسلّم».

(٤) انظر: التذكرة ٥: ٢٦٨، والمدارك ٥: ٢٥٠، والجواهر ١٥: ٤٠٦، والموسوعة الفقهيّة ←

المستفيضة، التي منها:

- ما روي عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام أنّهما قالا: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الصدقة أوساخ أيدي الناس، وإنّ الله قد حرّم عليّ منها ومن غيرها ما قد حرّمه، وإنّ الصدقة لا تحلّ لبني عبدالمطّلب...»[١].

- وما روي عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «إنّ أناساً من بني هاشم أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فسألوه أن يستعملهم على صدقات المواشي وقالوا: يكون لنا هذا السهم الذي جعل الله عزّ وجلّ للعاملين عليها، فنحن أولى به، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا بني عبدالمطّلب، إنّ الصدقة لا تحلّ لي ولا لكم...»[٢].

- وروي أنّ الحسن بن عليّ عليه السلام أخذ تمرة من تمر الصدقة فوضعها في فيه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «كخ كخ، ارم بها، أما علمت أنّا لا نأكل الصدقة؟!»[٣].

والصدقة المحرّمة، إنّما هي صدقة غير الهاشمي الواجبة -أي زكاة المال والفطرة- على الهاشمي، وأمّا صدقة الهاشمي على الهاشمي فجائزة ولو كانت واجبة.

والمعروف عندنا عدم تحريم الصدقات المندوبة، والمنذورة، وغلّة الأوقاف، والكفّارات على بني هاشم وإن كانت من غيرهم.

نعم، لم يجز بعض فقهائنا هذه أو بعضها في حقّ النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام خاصّة.

← (إصدار وزارة الأوقاف الكويتيّة) ١: ١٠٠، عنوان «آل / حكم أخذ آل البيت من الصدقة».

(١) الوسائل ٩: ٢٦٨، الباب ٢٩ من أبواب المستحقّين للزكاة، الحديث ٢.

(٢) المصدر المتقدّم: الحديث الأوّل، وانظر صحيح مسلم ٢: ٧٥٢، كتاب الزكاة، باب ترك استعمال آل النبيّ على الصدقة، الحديث ١٦٧.

(٣) صحيح مسلم ٢: ٧٥١، كتاب الزكاة، باب تحريم الزكاة على رسول الله صلى الله عليه وآله، الحديث ١٦١.

والمعروف أيضاً عدم جواز استعمال بني هاشم على أخذ الزكاة الواجبة وجعل أجرتهم منها. ويدلّ عليه الحديث الثاني[١].

عاشراً ـ استحقاقهم للخمس:

لا إشكال في استحقاق بني هاشم من الخمس إجمالاً عوضاً عمّا مُنعوا عنه من الزكاة، كما تقدّم.

والمعروف عندنا: أنّ الخمس يقسّم ستّة أسهم[٢]: سهم الله، وسهم رسوله، وسهم ذوي القربى، وسهم المساكين، وسهم اليتامى، وسهم أبناء السبيل من بني هاشم.

أمّا الأسهم الثلاثة الأول، فهي للنبيّ صلى الله عليه وآله، وبعده للإمام الذي من بعده من أهل البيت عليهم السلام بعنوان أنّه إمام، ويعبّر عنها بـ« سهم الإمام عليه السلام »؛ فلذلك ينتقل بعده إلى الإمام الذي يليه، لا إلى سائر ورثته، وهو أعرف بمصرفه.

وأمّا الأسهم الثلاثة الأخيرة ـ وهي سهم المساكين واليتامى وأبناء السبيل ـ فهي لهؤلاء الطوائف الثلاث من بني هاشم.

ويجب إيصال الخمس بأجمعه إلى الإمام عليه السلام، أمّا الثلاثة الأول، فلكونها لمنصب الإمامة، وأمّا الثلاثة الأخيرة، فلأنّه أعرف بمواضعها.

هذا في زمن حضور الإمام عليه السلام، وأمّا في عصر غيبته، فللفقهاء كلام في أصل قبض سهم الإمام عليه السلام وكيفيّة مصرفه.

---

(١) انظر ما تقدّم في: التذكرة ٥: ٢٦٨ ـ ٢٧٠، والجواهر ١٥: ٤٠٦ ـ ٤١٥، والمدارك ٥: ٢٥٠ ـ ٢٥٦، والزكاة (للشيخ الأنصاري): ٣٥٠ ـ ٣٥٣، والمستمسك ٩: ٣٠٣ ـ ٣١١.

(٢) وهناك قول بتقسيمه خمسة أسهم: للإمام عليه السلام خمس الخمس، وأربعة أخماس الخمس لبقيّة الأصناف: ذوي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل. انظر مدارك الأحكام ٥: ٣٩٧.

وأمّا الأسهم الثلاثة الأخر، فتصرف في مواضعها، وإنّما الكلام في لزوم إذن الفقيه في ذلك وعدمه[١].

وتمام الكلام في ذلك موكول إلى الفقه.

حادي عشر ـ استحقاقهم للأنفال:

الأنفال[٢] ما يختصّ به النبيّ صلى الله عليه وآله زيادة على غيره تفضّلاً من اللّه تعالى، وهو بعده للإمام عليه السلام. قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾[٣].

سمّي بذلك؛ لأنّه هبة من اللّه تعالى له زيادة على ما جعله له من الشركة في الخمس، إكراماً وتفضّلاً له بذلك على غيره.

وهي إجمالاً: كلّ أرض مُلكت من الكفّار بغير قتال، وكلّ أرض ميّتة، ورؤس الجبال، وبطون الأودية، والآجام[٤]، وسيف البحار[٥]، وصفايا الملوك وقطايعهم[٦]، وصفو الغنيمة[٧]، وما يغنم بغير إذن الإمام، وميراث من لا وارث له غير الإمام، والمعادن على قول.

ويراجع تفصيلها من حيث تشخيص الموضوع، والحكم إلى الموسوعة الفقهيّة

---

(١) انظر ذلك كلّه في: الجواهر ١٦: ٨٤ ـ ٩٠، والمستمسك ٩: ٥٦٧ ـ ٥٨٥، وغيرهما.

(٢) قال الأزهري: «النفل ما كان زيادة عن الأصل... وسمّيت صلاة التطوّع نافلة؛ لأنّها زائدة عن الفرض، وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ الأنبياء: ٧٢، أي زيادة على ما سأل». تهذيب اللغة ٥: ٣٥٥.

(٣) الأنفال: ١.

(٤) الآجام: الشجر الكثير الملتفّ. القاموس المحيط: «أجم».

(٥) سيف البحار: ساحلها.

(٦) أي ما يصطفيه الملوك لأنفسهم من الأموال النفيسة. كتاب الخمس (للشيخ الأنصاري): ٣٥٩، نقلاً عن حاشية الشرائع للمحقّق الكركي.

(٧) مثل الفرس الجواد، والثوب الثمين، والجارية الحسناء، والسيف الفاخر.

الميسّرة، عنوان «أنفال»[١].

ثاني عشر ـ حرمة الانتساب إليهم كذباً:

لا إشكال في أنّ للأنساب حرمة خاصّة في الشريعة، وما شرّع النكاح والطلاق والعِدد إلّا للاحتفاظ بالأنساب، وقد ورد النهي الشديد عن الانتفاء عن النسب مهما كان، فقد ورد: أنّه كان في ذؤابة سيف رسول اللّه صلى الله عليه وآله صحيفة مكتوبة فيها: «لعنة اللّه والملائكة والنّاس أجمعين على من قتل غير قاتله، أو ضرب غير ضاربه، أو أحدث حدثاً، أو آوى محدثاً، وكفرٌ باللّه العظيم الانتفاء من نسب [حسب] وإن دقّ»[٢].

وتزداد الحرمة إذا كان الانتفاء من نسب رسول اللّه صلى الله عليه وآله، أو الدخول فيه لشدّة حرمة نسبه صلى الله عليه وآله.

هذا ولم يتعرّض فقهاؤنا فيما أعلم لعقوبة خاصّة لذلك، نعم تشمله القاعدة العامّة التي تثبت التعزير لارتكاب كلّ محرّم ليس فيه عقوبة مقدّرة[٣].

قال ابن حجر: «ينبغي لكلّ أحد أن يكون له غيرة على هذا النسب الشريف وضبطه حتّى لا ينتسب إليه صلّى اللّه عليه [وآله] وسلّم أحد إلّا بحقّ، ولم تزل أنساب أهل البيت النبوي مضبوطة على تطاول الأيّام، وأحسابهم التي بها يتميّزون محفوظة عن أن يدّعيها الجهّال واللئام، قد ألهم اللّه مَن يقوم بتصحيحها في كلّ زمان، ومن يعتني بحفظ تفاصيلها في كلّ أوان، خصوصاً أنساب الطالبيّين والمطّلبيّين، ومن ثمّ وقع الاصطلاح على اختصاص الذرّيّة الطاهرة ببني فاطمة

---

(١) الموسوعة الفقهيّة الميسّرة ٥: ٣٥٢ ـ ٣٧١، عنوان «أنفال».

(٢) الوسائل ٢٩: ٢٢، الباب ٤ من أبواب القصاص، الحديث ٦. وانظر أصول الكافي ٢: ٣٥٠، كتاب الايمان والكفر، باب الانتفاء.

(٣) انظر الجواهر ٤١: ٤٧٠.

مــن بـين ذوي الشـرف ، كـالعبّاسيّين والجـعافرة ، بـلبس الأخـضر إظـهاراً لمـزيد شرفهم ...»[١] ، ثمّ ذكر مبدأه ، وأنّه صار ذلك أيّام المأمون بـمناسبة ولاية عـهد الإمام الرضا عليه السلام .

ثالث عشر ـ استحباب إحياء ذكرهم وشمائرهم :

يستحبّ إحياء ذكر أهل البيت عليهم السلام بذكر فضائلهم وما جرى عليهم مـن الظـلم والاضطهاد ، فقد روى بكر بن محمّد[٢] ، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال لفضيل[٣] : « تجلسون وتتحدّثون ؟ فقال : نعم جعلت فداك ، فقال : إنّ تلك المجالس أحبّها ، فأحيوا أمرنا ، فرحم الله من أحيا أمرنا ...»[٤] .

وروى مسمع بن عبدالملك قال : « قال لي أبو عبدالله عليه السلام ـ في حديث ـ : أما تذكر ما صنع به ـ يعني بالحسين عليه السلام ـ ؟ قلت : بلى ، قال : أتجزع ؟ قلت : إي والله ، وأستعبر بذلك حتّى يرى أهلي أثر ذلك عليّ فامتنع من الطعام حتّى يستبين ذلك في وجهي ، فقال : رحم الله دمعتك ، أما إنّك من الذين يعدّون من أهل الجزع لنا ، والذين يفرحون لفرحنا ، ويحزنون لحزننا ...»[٥] .

والروايات بشأن ذلك كثيرة .

ومن موارد إحياء أمرهم إحياء آثارهم العلميّة ، بل هو أهمّ من غيره ، ويتلوه إظهار الحزن لحزنهم وإظهار الفرح لفرحهم كما تقدّم ، وزيارة مراقدهم[٦] ونحو ذلك .

---

(١) الصواعق المحرقة : ١٨٥ .

(٢) هو بكر بن محمّد الأزدي الثقة . انظر معجم رجال الحديث ٣ : ٣٥٢ .

(٣) هو فضيل بن يسار المعروف .

(٤) الوسائل ١٤ : ٥٠١ ، الباب ٦٦ من أبواب المزار ، الحديث ٢ .

(٥) المصدر المتقدّم : ٥٠٧ ، الحديث ١٦ .

(٦) راجع كتاب المزار من الوسائل وغيره من كتب الحديث والفقه .

رابع عشر ـ التوسّل والتبرّك بهم:

يجوز التوسّل بأهل البيت عليهم السلام إجمالاً بأن يجعلوا وسيلة إلى اللّه تعالى لقضاء الحوائج وغفران الذنوب وكشف الكروب ونحو ذلك.

وكذا يجوز التبرّك والاستغاثة والاستشفاء والاستشفاع بهم.

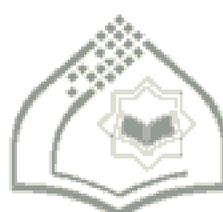
وقد قام العلماء والمفكّرون بتدوين كتب ورسالات كثيرة في إثبات مشروعيّة هذه الأمور وجوازها، وردّ الشبهات التي أثيرت حولها، وقد تكلّمنا عن بعضها في الموسوعة الفقهية، مثل العنوانين: «استغاثة» و«استشفاء»، وإن وفّقنا الله تعالى سوف نتكلّم عن غيرهما في مواطنها المناسبة إن شاء الله تعالى.



الفصل الثاني



إمامة أهل البيت عليهم السلام


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

إمامة أهل البيت عليهم السلام

تعريف الإمامة :

١ ـ الإمامة لغةً :

الإمامة مصدر أمَّ ، بمعنى قصد ، ومنه : ﴿ آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ ﴾[١] ، أي قاصديه . وتأتي بمعنى تقدّم أيضاً ، يقال : أمّ القوم ، أي تقدّمهم ، فهم يقتدون ويأتمّون به . والإمام من يتقدّم القوم فيأتمّون ويقتدون به[٢] .

٢ ـ الإمامة اصطلاحاً :

عرّف المتكلّمون الإمامة الكبرى[٣] بأنّها :

ـ رئاسة عامّة في الدنيا بالأصالة ، لا بالنيابة ، عمّن هو في دار التكليف[٤] .

ـ رئاسة عامّة في أمور الدين والدنيا بالأصالة في دار التكليف[٥] .

---

(١) المائدة : ٢ .

(٢) انظر : ترتيب كتاب العين ، والصحاح ، والمصباح المنير ، والمعجم الوسيط : « أمم » .

(٣) الإمامة الكبرى مقابل الإمامة الصغرى ، وهي إمامة الجماعة .

(٤) رسائل السيّد المرتضى (المجموعة الثانية) : ٢٦٤ ، رسالة الحدود والحقائق .

(٥) كتاب الألفين في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام : ١٢ .

ـ رئاسة عامّة لشخصٍ من الناس في أُمور الدين والدنيا [١].

ولا ينتقض التعريف بالنبيّ صلى الله عليه وآله ؛ لانطباق التعريف عليه [٢] ؛ لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله له منصب النبوّة والإمامة ، فانطباقه عليه بلحاظ الإمامة لا محذور فيه .

الإمامة من الأُصول أم الفروع ؟

اختلف المسلمون في أنّ الإمامة من أُصول الدين أم من فروعه .

فالذي عليه الإماميّة : أنّها من أُصول الدين [٣] ؛ خلافاً لغيرهم فعدّوها من فروع الدين ، وقد صرّح كثير منهم بذلك :

قال الغزالي : « اعلم أنّ النظر في الإمامة أيضاً ليس من المهمّات ، وليس أيضاً من فنّ المعقولات ، بل من الفقهيّات » [٤].

وقال التفتازاني : « لا نزاع في أنّ مباحث الإمامة بعلم الفروع أليق ... » [٥].

وقال الإيجي : « وهي عندنا من الفروع ... » [٦].

وقال الآمدي : « واعلم أنّ الكلام في الإمامة ليس من أُصول الديانات ، ولا من الأُمور اللابديّات بحيث لا يسع المكلّف الإعراض عنها والجهل بها ، بل لعمري

---

(١) النجاة في القيامة : ٤١.

(٢) انظر المواقف وشرحها ٣ : ٥٧٤ ، المرصد الرابع / المقصد الأوّل .

(٣) هذا متسالم عليه عندهم ؛ ولذلك تراهم يبحثون عن الإمامة في علم الكلام ، ولا يتطرّقون في الفقه إلّا إلى بعض الفروع الفقهيّة المرتبطة بالإمام ، كحرمة الخروج عليه ، ووجوب إطاعته ، وحدود ولايته ، وتوقّف الجهاد على إذنه ، واستحقاقه للخمس والأنفال ، وانعزال وكلائه بموته ، ونحو ذلك .

(٤) الاقتصاد في الاعتقاد (للغزالي) : ٢٣٤ .

(٥) شرح المقاصد ٥ : ٢٣٢ .

(٦) المواقف وشرحها ٣ : ٥٧٤ و ٥٧٨ .

إنّ المعرض عنها لأرجى من الواغل فيها...»[١].

ويرجع هذا الخلاف إلى خلاف آخر وهو الاختلاف في كيفيّة تفسير الإمامة عند الفريقين:

فإنّ الإماميّة ينظرون إلى الإمامة بأنّها امتداد للنبوّة، إلّا أنّه لا نبوّة بعد نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله، ومعنى ذلك: أنّ الإمام كما يقوم بما كان يقوم به النبيّ صلى الله عليه وآله من: تبليغ الدين، وتدبير شؤون المسلمين وسياستهم، وجهاد الكفّار وأعداء الدين ونحو ذلك، ينبغي أن يقوم أيضاً بهداية الأُمّة وتربيتها تربية دينيّة سليمة من الانحراف واتّباع الهوى، كما كان يقوم به النبيّ صلى الله عليه وآله، ويرتقي بأفكار المسلمين إلى الذروة.

وبناءً على هذا، فكما أنّ النبوّة من أُصول الدين، والكلام فيها من وظائف علم الكلام، فكذلك الإمامة التي هي امتداد لها، لابدّ وأن تكون من أُصول الدين أيضاً، والكلام فيها من وظائف علم الكلام.

وأمّا غير الإماميّة فينظرون إلى الإمام والخليفة كرئيس دولة يقوم بإدارتها من الناحية الداخلية والخارجية والعسكرية، ولا ينظرون إلى الإمام كهادٍ ومرشد للأُمّة إلى المثل العليا في الإسلام؛ ولذلك جوّزوا إمامة الفاسق، وحرّموا الخروج عليه، وأوجبوا طاعته وإن ظلم وجارّ[٢].

وبناءً على هذا صارت الإمامة عندهم من الفروع لا من الأُصول.

ضرورة البحث عن الإمامة:

يرى البعض أنّه لا ضرورة للبحث عن الإمامة:

---

(١) غاية المرام في علم الكلام (للآمدي): ٣٦٣.

(٢) انظر: الموسوعة الفقهيّة (إصدار وزارة الأوقاف الكويتية) ٦: ٢١٩ ـ ٢٢٠، عنوان «الإمامة الكبرى»، والإلهيّات (للعلّامة السبحاني) ٤: ١٣ ـ ١٥.

ـ إمّا لأنّه لابدّ من التسليم بالواقع ؛ لأنّ التخلّف عنه أو الخلاف معه ، بل ومجرّد البحث فيه ، مثيرٌ للفتنة .

هذا هو الرأي السائد والمشهور بين أهل السنّة . قال الغزالي : « اعلم أنّ النظر في الإمامة أيضاً ليس من المهمّات ، وليس من فنّ المعقولات ، بل من الفقهيّات ، ثمّ إنّها مثار للتعصّبات ، والمعرِض عن الخوض فيها أسلم من الخائض فيها وإنْ أصاب ، وكيف إذا أخطأ ؟ ! »[1] .

وكذا قال غيره[2] .

ـ وإمّا لأنّه لا تأثير له في حياتنا فعلاً ، فأيّ فائدة لنا في أن نعرف أنّ زيداً كان أحقّ بالخلافة أو عَمراً ؟ فإنّ هذا شيءٌ قد مضى .

وهذا ما يتصوّره بعض الناس .

ويرى الشيعة الإماميّون : أنّه لابدّ من البحث عن موضوع الإمامة ومعرفة الإمام ؛ لأنّ إكمال الدين لا يكون إلّا بالاعتقاد الصحيح بالإمامة .

ويدلّ على وجوب المعرفة : العقل والنقل ، وقد جُمعا في قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[3] .

فإذا كانت الإمامة وسيلة لهداية الأُمّة ، وكان الإمام هادياً لها ، فينبغي البحث عن هذا الهادي وعن الشروط التي ينبغي وجودها فيه ؛ لأنّه لو لم يكن جامعاً للشروط اللازمة لكان مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ ﴾ .

وممّا يدلّ على وجوب المعرفة أيضاً ما اشتهر عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال : « من مات

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد (للغزالي) : ٢٣٤ .

(٢) انظر غاية المرام في علم الكلام (للآمدي) : ٣٦٣ .

(٣) يونس : ٣٥ .

بغير إمام، مات ميتة جاهليّة»[١]، أو «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهليّة»[٢]، أو «من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهليّة»[٣]، وعبارات مشابهة أخرى[٤].

وإذا لم تُعرف شروط الإمام كيف تمكن معرفة الإمام الذي ينبغي الائتمام به؟

إذن وجوب معرفة الإمام أمرٌ لا غبار عليه، ومنه تتّضح ضرورة البحث عن الإمامة.

وأمّا ما قيل: من أنّ البحث عن الإمامة مثير للفتنة، فيدفعه أنّ البحث إذا كان موضوعيّاً ومنصفاً ولم يتدخّل فيه من لا أهليّة له للبحث، وكان المقصود بالذات هو كشف الحقيقة، فلا موجب لكونه مثيراً للفتنة، بل قد يؤدّي إلى التقارب كما دلّت عليه التجارب[٥].

وأمّا القول بأنّ الاعتقاد بالإمامة لا تأثير له في حياتنا الفعليّة، فالجواب عنه: أنّ الاعتقاد بوجوب إطاعة الإمام العادل، بل المعصوم، وحرمة إطاعة الفاسق

---

(١) مسند أحمد ٤: ١١٩، مسند الشاميّين، حديث معاوية بن أبي سفيان، رقم الحديث ١٦٨٨٢.

(٢) صحيح مسلم ٣: ١٤٧٨، كتاب الإمارة، الباب ١٣، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، الحديث ٥٨.

(٣) البحار ٢٣: ٧٨، كتاب الإمامة، باب وجوب معرفة الإمام، الحديث ٩، وانظر البحار ٤٩: ٢٦٧، كتاب تاريخ الإمام الرضا عليه السلام، باب أحوال أصحابه، الحديث ٨، وأصول الكافي ١: ٣٧٦.

(٤) انظر المصدرين المتقدّمين، وصحيح البخاري ٤: ٢٢٢، كتاب الفتن، الباب ٢، الحديث ٢ و ٣، وصحيح مسلم ٢: ١٤٧٨، كتاب الإمارة، الباب ١٣، الحديث ٥٦، وغيرهما.

(٥) ومن أبرز مصاديق الحوار العلمي النزيه هو الذي جرى بين علَمين من أعلام الأمّة الإسلامية، وهما: السيّد عبدالحسين شرف الدين، والشيخ سليم البشري رئيس الأزهر في وقته. وقد طبع الحوار في كتاب «المراجعات» للسيّد شرف الدين. وكم لذلك من نظير.

كما عليه الشيعة الإماميّة ، ليس كالاعتقاد بوجوب إطاعة الإمام وإن كان فاسقاً وحرمة مخالفته والخروج عليه ، فإنّ كلّاً من الاعتقادين له آثاره في الحياة اليوميّة والاجتماعية .

والحاصل : أنّ هناك نظريّتين في الإمامة :

الأولى ـ نظرية التسليم بما وقع في طول تاريخ الإسلام وتبريره ودعمه وتوجيه مشروعيّته بالأدلّة .

الثانية ـ نظرية فرض الإمامة منصباً إلهيّاً كالنبوّة ، لها شروطها الخاصّة التي لا توجد إلّا في بعض الأشخاص ، وعدم تبرير الواقع التاريخي وتوجيهه والتسليم به .

وهذه هي نظرية الشيعة الإماميّة .

وكم فرق بين النظريّتين ! فلماذا ينبغي ترك البحث عن الإمامة وعدم الخوض فيها ؟

ضرورة نصب الإمام :

تحدّثنا فيما تقدّم عن ضرورة البحث عن موضوع الإمامة ، ونتحدّث فعلاً عن ضرورة نصب الإمام ، فنقول :

أجمعت الأمّة[1] ، بل أجمع عقلاء العالم على وجوب نصب قائد وإمام للرعيّة ، ولم تخلُ من ذلك حتّى المجتمعات البدائية والقبليّة ، وإلى هذا يشير قول الإمام

---

(١) نسب إلى بعض الخوارج عدم وجوبه ، انظر : كشف المراد : ١٨١ ، والألفين : ٢١ ، وربّما يؤيّده قول الإمام عليّ عليه السلام لهم لـمّا قالوا : « لا حكم إلّا لله » : « كلمة حقّ يراد بها باطل ، نعم إنّه لا حكم إلّا لله ، ولكن هؤلاء يقولون : لا إمرة إلّا لله ، وإنّه لابدّ للناس من أمير برّ أو فاجر ... » . نهج البلاغة : ٨٢ ، الخطبة ٤٠ .

وحتّى هؤلاء لم يلتزموا عملاً بما قالوا ، ولم يخلوا في زمان من أمير .

أمير المؤمنين عليه السلام: «لابدّ للناس من أمير»[١]، ولهذه الضرورة الاجتماعية قالت أمّ المؤمنين عائشة لعبدالله بن عمر: «يا بُنيّ، أبلغ عمر سلامي، وقل له: لا تدع أمّة محمّد بلا راعٍ، استخلف عليهم ولاتدعهم بعدك هملاً، فإنّي أخشى عليهم الفتنة»[٢].

من ينصّب الإمام؟

تقدّم أنّ نصب الإمام أمر فطري ارتكازي لم ينكره أحد عملاً وإن أنكره بعض لساناً، ولم تخلُ منه حتّى المجتمعات البدائية.

والآن يأتي دور السؤال عن أنّ النصب كيف يتحقّق، ومن يكون له حقّ النصب؟

توجد للإجابة عن هذا السؤال في إطار النظام الإسلامي نظريّتان:

- نظريّة التنصيص[٣]: أي لا يصحّ تعيين الإمام إلّا بالنصّ عليه من النبيّ أو الإمام المتقدّم عليه، وهي النظرية التي يقول بها الشيعة الإماميّة[٤].

---

(١) نهج البلاغة: ٨٢، الخطبة ٤٠.

(٢) الإمامة والسياسة: ٢٨، باب تولية عمر بن الخطّاب الستّة الشورى.

ومن هذا القبيل ما قاله عبدالله بن عمر لأبيه عندما طعن: «... استخلف على أمّة محمّد؛ فإنّه لو جاءك راعي إبلك أو غنمك وترك إبله أو غنمه لا راعي لها للُمته، وقلت له: تركت أمانتك ضائعة؟! فكيف يا أمير المؤمنين بأمّة محمّد؟ فاستخلف عليهم». مروج الذهب ٢: ٣٢١، وانظر حلية الأولياء ١: ٤٤، ترجمة عمر بن الخطّاب.

(٣) هذا التعبير من اصطلاحنا، تسهيلاً للبحث، وفيه إشارة إلى محتوى النظرية.

(٤) فتحت يوماً كتاب التعريفات للجرجاني لمراجعة معنى اصطلاح، فوقع نظري على كلمة «الإماميّة»، وقد جاء في تعريفها: «وهم الذين قالوا بالنصّ الجلي على إمامة عليّ عليه السلام وكفّروا الصحابة رضي الله عنهم. وهم الذين خرجوا على عليّ عليه السلام عند التحكيم وكفّروه، وهم اثنا عشر ألف رجل كانوا أهل صلاة وصيام، وفيهم قال النبيّ صلى الله عليه وآله: يحقّر أحدكم صلاته في جنب صلاتهم، وصومه في جنب صومهم، ولكن لم يتجاوز إيمانهم تراقيهم». ←

ـ نظرية التعميم[1]: بمعنى عدم انحصار النصب بالتنصيص، بل يمكن أن يكون به أو بغيره، كالشورى، وبيعة أهل الحلّ والعقد، ونحو ذلك.

وهذه هي النظرية السائدة عند أهل السنّة.

وسوف نقوم بدراسة موجزة عن هاتين النظريّتين لنرى ما يتمخّض عنها. ولنقدّم نظرية التعميم.

أوّلاً ـ نظريّة التعميم في الإمامة:

تبتني هذه النظرية ـ كما ألمحنا فيما سبق ـ على فرضيّة عدم التنصيص على الإمام من قِبل النبيّ صلى الله عليه وآله، وتوجيه ما وقع من كيفيّة تعيين الإمام، وتبريره شرعاً، وجعله حجّة شرعيّة في كيفيّة نصب الإمام.

والمتحصّل من هذه النظرية: أنّ الإمامة يمكن حصولها بإحدى الطرق التالية:

١ ـ البيعة:

والمقصود من البيعة: أن يعيّن أهل الحلّ والعقد الإمامَ فيبايعوه، ثمّ يبايعه سائر الناس، وبذلك يصبح إماماً للمسلمين.

ويعتقد أصحاب نظرية التعميم: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يعيّن خليفة من بعده، بل ترك

← التعريفات: ٥٢ عنوان «الإماميّة».

فقلت في نفسي: يا للعجب!! إذا كان هذا الشخص بهذا المقدار من الجهل بحيث لا يمكنه أن يميّز بين الإماميّة والخوارج فخلط بينهما وهما على طرفي النقيض، فكيف يمكن الاعتماد على سائر تعريفاته؟!

وليس ذلك إلّا من جهة التعصّب والتعتيم الإعلامي ضدّ الشيعة الإماميّة بحيث لا يعرف مذهبهم حتّى الخواص من مخالفيهم، فكيف بعوامهم! وكم لذلك من نظير، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

(١) هذا التعبير من اصطلاحنا أيضاً، تسهيلاً للبحث، وفيه إشارة إلى محتوى النظرية.

أمّته على حالها وفسح المجال لها أن تختار الخليفة الذي تريده؛ فلذلك بايع أهلُ الحلّ والعقد أبا بكر، فأصبح هو الخليفة بعد رسول الله ﷺ[(١)].

٢ ـ التنصيص والاستخلاف:

وبهذه الطريقة ينصّ النبيّ ﷺ أو الإمام أو الخليفة الحاضر على الإمام الذي يليه من بعده.

كانت هذه هي الطريقة المألوفة والمتداولة في تعيين الخلفاء على مرّ الزمن، وأوّل من عمل بها ـ على فرض أنّ النبيّ ﷺ لم يعمل بها ـ هو أبو بكر؛ لأنّه استخلف على الناس عمر بن الخطّاب، فإنّه لـمّا دنت منه الوفاة أملى على عثمان، فكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة آخر عهده في الدنيا نازحاً عنها، وأوّل عهده بالآخرة داخلاً فيها: أنّي استخلف عليكم عمر بن الخطّاب...»[(٢)].

٣ ـ الشورى:

وهي أن يكون اختيار الإمام عن طريق الشورى كما فعل عمر بن الخطّاب، فإنّه حينما طُعن ودنت منه الوفاة وأشير عليه بالاستخلاف جعل الأمر شورى بين ستّة من الصحابة، وعيّن صياغة خاصّة لهذه الشورى وكيفيّة توصّلها إلى تعيين الخليفة.

والظاهر أنّه لم يتحقّق مورد آخر مماثل له في طول تاريخ الخلافة.

٤ ـ الاستيلاء والغلبة:

ويجوز عند بعض أصحاب نظرية التعميم الوصول إلى منصب الإمامة عن طريق الاستيلاء والغلبة.

---

(١) انظر: المواقف وشرحها ٣: ٥٩١ ـ ٥٩٢، وشرح المقاصد ٥: ٢٣٣ و ٢٥٢، والإمامة والسياسة: ١٦، باب بيعة أبي بكر.

(٢) الإمامة والسياسة: ٢٤، باب مرض أبي بكر واستخلافه عمر.

قال التفتازاني : « وتنعقد الإمامة بطرق :

أحدها ـ بيعة أهل الحلّ والعقد . . .

الثاني ـ استخلاف الإمام وعهده ، وجعله الأمر شورى بمنزلة الاستخلاف . . .

الثالث ـ القهر والاستيلاء ، فإذا مات الإمام وتصدّى للإمامة من يستجمع شرائطها من غير بيعة واستخلاف ، وقهر الناس بشوكته ، انعقدت الخلافة له ، وكذا إذا كان فاسقاً أو جاهلاً على الأظهر .

وإذا ثبت الإمام بالقهر والغلبة ثمّ جاء آخر فقهره انعزل وصار القاهر إماماً . . . »[١] .

وطبقاً لهذه النظرية أعطيت الصبغة الشرعيّة لمثل خلافة المتغلّبين من الخلفاء والأمراء على غيرهم[٢] ، وهم ليسوا بالقليلين ، وقد روي عن ابن عمر قوله : « نحن مع من غلب »[٣] .

---

(١) شرح المقاصد ٥ : ٢٣٣ .

(٢) المغني (لابن قدامى) ١٠ : ٥٣ .

(٣) انظر الموسوعة الفقهيّة (إصدار وزارة الأوقاف الكويتية) ٦ : ٢٢٤ ، عنوان « الإمامة الكبرى » .

أقول : لا أدري لماذا لم يعمل عبدالله بما قاله حينما بايع الناس عليّاً عليه السلام ، فامتنع هو من بيعته ـ انظر : تاريخ الطبري ٣ : ٤٥١ و ٤٥٤ ، والإمامة والسياسة : ٥٢ ، والكامل في التاريخ ٣ : ١٩١ ـ كما لم يعمل برواية « من مات بغير إمام مات ميتة جاهليّة » ؟

ولعلّه لذلك ندم في أُخريات حياته فقال ـ في حديث ـ : « ما وجدت في نفسي من شيء في أمر هذه الآية [أي قوله تعالى : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا . . . ﴾ الحجرات : ٩] ما وجدت في نفسي أنّي لم أُقاتل هذه الفئة الباغية كما أمرني الله عزّ وجلّ » . المستدرك على الصحيحين ٣ : ١١٥ .

قال الحاكم بعد نقل الرواية : « هذا باب كبير قد رواه عن عبدالله بن عمر جماعة من كبار التابعين » .

ثمّ قال ـ مشيراً إلى سند الرواية ـ : « صحيح على شرط الشيخين » .

وقفة عند نظرية التعميم:

لسنا بصدد التفصيل في مناقشة هذه النظرية؛ لأنّها تستدعي مجالاً أوسع ممّا نحن فيه، وإنّما نشير إشارة خاطفة إلى بعض الأمور؛ لتكون دليلاً لمن أراد التوسّع في ذلك، فنقول:

يمكن مناقشة هذه النظرية بصورة عامّة من جهتين:

الأُولى ـ دعواها عدم استخلاف النبيّ صلى الله عليه وآله وعدم تنصيصه على الإمام والخليفة من بعده.

الثانية ـ مشروعيّة الطرق التي تتبنّاها في انتخاب الإمام والخليفة.

ويبدو أنّ الأفضل ترك الجهة الأُولى فعلاً لنبحث عنها عند الكلام على نظرية التنصيص، ويكون بحثنا الآن في خصوص الجهة الثانية.

قلنا: إنّ نظرية التعميم تفترض عدّة طرق لانتخاب الإمام، وهي: البيعة، والتنصيص، والشورى، والاستيلاء.

ولأجل أن نرى مشروعيّة هذه الطرق، لابدّ من عرضها على مصادر التشريع ليظهر مدى تطابقها معها، فنقول:

إنّ مصادر التشريع المتّفق عليها إنّما هي: الكتاب والسنّة والإجماع، على كلام في الأخير؛ لاحتمال رجوعه إلى السنّة.

إذن لابدّ من عرض الطرق المتقدّمة على هذه المصادر لنرى ما هو موقفها منها؟

١ ـ موقف الكتاب من البيعة:

الآيات القرآنية التي نزلت في البيعة إنّما ترتبط ببيعة الناس للنبيّ صلى الله عليه وآله، وهي:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾[1].

---

(١) الفتح: ١٠.

وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ ﴾[٢].

وهذه الآيات ـ كما هو واضح لمن تأمّل فيها ـ بصدد بيان بيعة المسلمين والمؤمنين للنبيّ صلى الله عليه وآله بعد ثبوت نبوّته، فالبيعة لا تثبت للنبيّ صلى الله عليه وآله نبوّة ولا إمامة، وإنّما توجب تعهّداً في ذمّة المبايع وعهدته.

وليس هناك نصّ من الكتاب العزيز يدلّ على أنّ بيعة الناس لشخص على أنّه إمام تمنحه منصب الإمامة، نعم يمكن أن يستفاد من الآيات السابقة أنّ الإمام بعد أن ثبتت إمامته بطريق آخر فبيعة الناس له توجب عهدة في ذمّتهم تجاه الإمام.

٢ ـ موقف السنّة من البيعة:

ليس في السنّة النبويّة ما يدلّ على أنّ بيعة الناس لشخص على أنّه إمام تمنحه منصب الإمامة.

وأمّا مثل حديث: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»[٣] فلا يدلّ على إعطاء منصب الإمامة الشرعيّة بمجرّد البيعة، بل غاية ما يدلّ عليه هو: أنّه لو تمّت إمامة شخص ـ مع غضّ النظر عن كيفيّة تنصيبه إماماً ـ وبايعه الناس، ثمّ ادّعى الخلافة

---

(١) الفتح: ١٨.

(٢) الممتحنة: ١٢.

(٣) صحيح مسلم ٣: ١٤٨٠، كتاب الإمارة، الباب ١٥، باب إذا بويع لخليفتين، وفيه حديث واحد.

أقول: الرواية حجّة على من لم يقاتل أهل الشام مع الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وكأنّ هذه الروايات وأمثالها تفقد مفهومها في أمثال هذه المواضع، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم. وقد تقدّم ـ في هامش الصفحة ١٢٠ ـ ندم عبدالله بن عمر على تأخّره عن قتالهم.

شخص آخر وبايعه جماعة آخرون ، فيجب قتال الآخر منهما .

إذن لم يثبت دليل على أنّ البيعة طريق إلى نصب الإمام ، لا من الكتاب ولا من السنّة .

٣ ـ هل ثبتت طريقيّة البيعة لنصب الإمام بالإجماع ؟

لم يبق من الأدلّة الثلاثة غير الإجماع . فهنا نتساءل هل هناك إجماع على كون البيعة طريقاً إلى نصب الإمام ؟

الجواب عن ذلك هو : أنّنا نناقش الإجماع صغرويّاً ، ولا نناقشه كبرويّاً ، فنفرض أنّه حجّة ، ونفرض أنّ المراد منه إجماع أهل الحلّ والعقد من الصحابة لا كلّهم .

وبناءً على هذين الفرضين نتساءل :

هل ثمّة إجماع على أنّ البيعة وسيلة لإثبات إمامة شخص ما ؟

الجواب : لم يكن هناك أيّ إجماع على ذلك ، وإثبات هذا المدّعى بحاجة إلى توضيح ما وقع بعد ارتحال الرسول صلى الله عليه وآله ، وتفصيله خارج عن طبيعة الكتاب ، ومن يراجع المصادر المدوّنة في ذلك يعرف شدّة الاختلاف الذي قد حصل في سقيفة بني ساعدة ، وامتناع جملة من كبار الصحابة وأهل الحلّ والعقد عن البيعة لأبي بكر[1] ، فأين الإجماع المدّعى على بيعة أبي بكر ؟

وأمّا دعوى : أنّ الممتنعين بايعوا بعد ذلك ، فالجواب عنها :

أنّ بيعتهم على فرض تحقّقها ، إنّما كانت إكراهاً ومخافة إثارة الفتنة وتشتّت

---

(١) امتنع عن البيعة عليّ عليه السلام وبنو هاشم وفيهم العبّاس وابنه عبدالله ، وسلمان ، والمقداد ، وأبو ذرّ ، وعمّار ، والزبير ، وخزيمة بن ثابت ، وأُبي بن كعب ، والبراء بن عازب ، وخالد بن سعيد بن العاص الأُموي ، وأبوسفيان ، وفروة بن عمرو بن ودقة الأنصاري وغيرهم .

انظر : المراجعات : ٢٤٨ ، المراجعة ٨٠ ، وشرح نهج البلاغة ١ : ٢١٩ ـ ٢٢٢ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٣٣١ ، والإمامة والسياسة : ١٧ ـ ١٨ .

المسلمين وتفرّقهم، وحفظاً لمصالح الإسلام، أو خوفاً على أنفسهم(١)، ومثل هذا التقرير العملي الذي لا يدعمه تقرير اعتقادي لا يكون دليلاً على كون البيعة وسيلة لإثبات منصب الإمامة.

ولأجل ذلك صرّح الكثير بعدم تحقّق الإجماع على بيعة أبي بكر، فإذا لم يكن ثمّة إجماعٌ لم يكن دليل على كون البيعة طريقاً لنصب الإمام.

وممّن صرّح بعدم تحقّق الإجماع في خلافة أبي بكر:

ـ الماوردي، حيث قال: «اختلف العلماء في عدد من تنعقد به الإمامة منهم على

---

(١) قال البراء بن عازب: «لم أزل لبني هاشم محبّاً، فلمّا قُبض رسول الله ﷺ خفت أن تتمالأ قريش على إخراج هذا الأمر عنهم، فأخذني ما يأخذ الوالهة العجول، مع ما في نفسي من الحزن لوفاة رسول الله ﷺ، فكنت أتردّد إلى بني هاشم وهم عند النبيّ ﷺ في الحجرة، وأتفقّد وجوه قريش، فإنّي كذلك إذ فقدت أبا بكر وعمر، وإذا قائل يقول: القوم في سقيفة بني ساعدة، وإذا قائل آخر يقول: قد بويع أبو بكر، فلم ألبث وإذا أنا بأبي بكر قد أقبل ومعه عمر وأبو عبيدة وجماعة من أصحاب السقيفة، وهم محتجزون بالأُزر الصنعانيّة، لا يمرّون بأحد إلّا خبطوه وقدّموه، فمدّوا يده فمسحوها على يد أبي بكر يبايعه، شاء ذلك أو أبى، فأنكرت عقلي، وخرجت أشتدّ حتّى انتهيت إلى بني هاشم والباب مغلق، فضربت عليهم الباب ضرباً عنيفاً، وقلت: قد بايع الناس لأبي بكر بن أبي قحافة، فقال العبّاس...». شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد) ١: ٢١٩، عند شرح كلامه ﷺ الذي قاله بعد وفاة النبيّ ﷺ حينما خاطبه العبّاس وأبو سفيان بن حرب في أن يبايعا له بالخلافة، وجاء فيه: «فإن أقل، يقولوا: حرص على الملك، وإن أسكت يقولوا: جزعَ من الموت، هيهات، بعد اللتيا والتي! والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمّه، بل اندمجتُ على مكنون علم لو بُحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطَّوِيِّ البعيدة». نهج البلاغة: ٥٢، الخطبة ٥.

وامتنع عن إجابة أبي سفيان حينما قال له: «ابسط يدك أبايعك، فوالله إن شئت لأملأنّها على أبي فصيل ـ يعني أبا بكر ـ خيلاً ورَجلاً». شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد) ١: ٢٢١.

مذاهب شتّى ، فقالت طائفة : لا تنعقد إلّا بجمهور أهل العقد والحلّ من كلّ بلد ؛ ليكون الرضا به عامّاً والتسليم لإمامته إجماعاً ، وهذا مذهبٌ مدفوع ببيعة أبي بكر على الخلافة باختيار من حضرها ولم ينتظر ببيعته قدوم غائب عنها . . . »[1] .

ـ وقال إمام الحرمين الجويني : « اعلموا أنّه لا يشترط في عقد الإمامة الإجماع ، بل تنعقد الإمامة ، وإن لم تجمع الأُمّة على عقدها ، والدليل عليه : أنّ الإمامة لما عُقدت لأبي بكر ابتدر لإمضاء أحكام المسلمين ولم يتأنَّ لانتشار الأخبار إلى من نأى من الصحابة في الأقطار ، ولم ينكر عليه منكر ، فإذا لم يشترط الإجماع في عقد الإمامة لم يثبت عدد معدود ولا حدّ محدود ، فالوجه الحكم بأنّ الإمامة تنعقد بعقد واحد من أهل الحلّ والعقد »[2] .

ـ وقال القرطبي : « فإن عقدها واحد من أهل الحلّ والعقد فذلك ثابت ، ويلزم الغير فعله ، خلافاً لبعض الناس ، حيث قال : لا تنعقد إلّا بجماعة من أهل الحلّ والعقد ، ودليلنا : أنّ عمر عقد البيعة لأبي بكر ولم ينكر أحد من الصحابة ذلك[3] . . . »[4] .

ـ وقال القاضي عضدالدين الإيجي : « المقصد الثالث فيما تثبت به الإمامة ، وأنّها تثبت بالنصّ من الرسول ، ومن الإمام السابق بالإجماع ، وتثبت ببيعة أهل الحلّ والعقد خلافاً للشيعة . لنا : ثبوت إمامة أبي بكر بالبيعة »[5] .

---

(١) الأحكام السلطانية (للماوردي) : ٦ ـ ٧ .

(٢) الإرشاد : ٤٢٤ .

(٣) إنّ الإنسان ليندهش حينما يرى هذه الدعوى من أمثال هؤلاء ، فمن جهة لا يمكن أن يتّهموا بعدم الاطّلاع ، ومن جهة أخرى أنّ ما جرى في السقيفة وما بعدها يدلّ بكل وضوح على إنكار بعض الصحابة على ما وقع ، فماذا إذن ؟

(٤) تفسير القرطبي ١ : ٢٦٩ ، في تفسير الآية ٣٠ من سورة البقرة .

(٥) المواقف وشرحها ٣ : ٥٨٩ .

وقال: «وإذا ثبت حصول الإمام بالاختيار والبيعة، فاعلم أنّ ذلك لا يفتقر إلى الإجماع؛ إذ لم يقم عليه دليل من العقل أو السمع، بل الواحد والاثنان من أهل الحلّ والعقد كافٍ كعقد عمر لأبي بكر، وعقد عبدالرحمن بن عوف لعثمان»[١].

ـ وقال التفتازاني: «وتنعقد الإمامة بطرق:

أحدها ـ بيعة أهل الحلّ والعقد من العلماء والرؤساء ووجوه الناس الذين يتيسّر حضورهم من غير اشتراط عدد، ولا اتّفاق من في سائر البلاد، بل لو تعلّق أهل الحلّ والعقد بواحد مطاع كفت بيعته...»[٢].

إذن لم يكن ثمّة إجماع على أنّ البيعة من وسائل نصب الإمام.

فإن قيل: إنّ هؤلاء نفوا أن تكون إمامة أبي بكر قد ثبتت بالإجماع ولم ينفوا الإجماع على ثبوت الإمامة ببيعة بعض الناس، فالإجماع قائم على صحّة خلافة أبي بكر، وخلافته مبتنية على بيعة عمر بن الخطّاب له؛ لأنّها انعقدت بمجرّد بيعة عمر لأبي بكر.

قلنا: أنّى لهم إثبات مثل هذا الإجماع، بعد اختلافهم في أنّ بيعة الواحد أو الاثنين أو الخمسة كافية في انعقاد البيعة، أو لابدّ من بيعة أهل الحلّ والعقد كلّهم؟

ثمّ ما الدليل على مشروعيّة بيعة عمر لأبي بكر وثبوت خلافته بمجرّد هذه البيعة وقبل قيام الإجماع على كون مجرّد البيعة دليلاً على المشروعيّة؟! وكيف بدأ أبو بكر بالتصرّف في الأمور قبل تحقّق مثل هذا الإجماع؟

٤ ـ موقف الأدلّة الثلاثة من التنصيص:

تارةً نتكلّم عن التنصيص على مبنى نظرية التنصيص ونقول: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله

---

(١) المواقف وشرحها ٣: ٥٩٠.

(٢) شرح المقاصد ٥: ٢٣٣.

نصّ على الإمام واستخلف من بعده شخصاً معيّناً، فلاكلام؛ لأنّ فعل النبيّ ﷺ يكون هو المستند الشرعي لعمليّة الاستخلاف، كما سيأتي توضيحه في موضعه إن شاء الله تعالى.

وتارةً نتكلّم عنه على مبنى نظرية التعميم القائل بعدم تنصيص النبيّ ﷺ على الإمام من بعده.

فهنا نسأل ما هو المستند الشرعي لمشروعيّة التنصيص؟

وإذا فتّشنا الكتاب والسنّة لم نر ما يدلّ على ذلك بوضوح، وأمّا فعل الخليفة الأوّل فليس حجّة شرعيّة، بل هو بحاجة إلى حجّة شرعيّة.

وأمّا الإجماع فلا يعقل تصوّره هنا إلّا من النوع السكوتي منه، بأن نفرض أنّ الخليفة الأوّل نصّ على الخليفة الثاني وسكت عامّة المسلمين ولم يخالفوا.

لكن هذا النوع من الإجماع مختلف في حجّيته؛ لأنّ غايته إثبات عدم إظهار الخلاف، وهو أعمّ من إثبات الوفاق؛ لأنّه قد يكون عدم إظهار الخلاف من باب التقيّة.

هذا كلّه على فرض عدم ظهور الخلاف، وأمّا مع ظهوره فلا يتحقّق حتّى هذا الإجماع أيضاً.

٥ ـ موقف الأدلّة الثلاثة من الشورى:

قد يستدلّ على صحّة تعيين الإمام بالشورى بالكتاب، مثل قوله تعالى:

١ ـ ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[1].

٢ ـ ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[2].

---

(١) آل عمران: ١٥٩.

(٢) الشورى: ٣٨.

والإمامة أمر من الأمور فهي تصلح لأن تكون شورى بين المسلمين كما تحقّق في تعيين عثمان خليفة.

ولكن يتوجّه الإشكال على هذا الاستدلال كبرويّاً وصغرويّاً.

أمّا الإشكال الكبروي فهو: أنّ كلمة «الأمر» وإن كانت مطلقة بحسب الظاهر إلّا أنّها لا تُراد على إطلاقها قطعاً؛ لخروج كثير من الأمور ـ كتشريع الأحكام ـ عن دائرة التشاور؛ ولذلك اختلف المفسّرون[1] فيما كان النبيّ ﷺ مأموراً فيه بالمشاورة، فخصّه بعضهم بأمور الحرب. وعلى أي تقدير لم يثبت لنا أنّ تعيين الإمام بعد النبيّ ﷺ من جملة ما تشمله كلمة «الأمر»، بل ذلك أوّل الكلام. وبعبارة أخرى: أنّنا نشكّ في أنّ الإمامة من مصاديق «الأمر» الذي أُمرنا بالمشاورة فيه، والتمسّك بإطلاق «الأمر» لإثبات كون الإمامة داخلة فيه تمسّك بالعامّ في الشبهة المصداقية، وهو غير صحيح كما ثبت ذلك في علم الأُصول[2].

هذا كلّه من حيث الإشكال الكبروي، وأمّا الإشكال الصغروي فحاصله: أنّ الصيغة التي أمر عمر بن الخطّاب بتشكيل الشورى طبقها كانت فاقدة للركن الأساسي للمشورة، وهو حرّية إعطاء الرأي؛ لأنّه قال ـ بعد إحضار خمسة[3] من أهل الشورى ـ: «تشاوروا ثلاثة أيّام، فإن جاءكم طلحة إلى ذلك، وإلّا فأعزم عليكم باللّه أن لا تتفرّقوا من اليوم الثالث حتّى تستخلفوا أحدكم، فإن أشرتم بها إلى طلحة، فهو لها أهل ـ إلى أن قال: ـ ويحضر ابني عبداللّه مستشاراً وليس له من الأمر شيء ـ إلى أن قال: ـ إن استقام أمر خمسة منكم وخالف واحد فاضربوا عنقه، وإن استقام

---

(١) انظر: الكشّاف ١: ٢٣٢، ومجمع البيان (١ ـ ٢): ٥٢٧، وسائر كتب التفسير في ذيل الآيتين المتقدّمتين.

(٢) انظر: محاضرات في أُصول الفقه ٥: ١٨٣، وأُصول الفقه (للشيخ المظفّر) ١: ١٣٩.

(٣) وهم عليّ ﷺ، والزبير، وعثمان، وسعد بن أبي وقّاص، وعبدالرحمن بن عوف، وكان طلحة غائباً فحضر.

أربعة واختلف اثنان فاضربوا أعناقهما ، وإن استقرّ ثلاثة واختلف ثلاثة فاحتكموا إلى ابني عبدالله ، فلأيّ الثلاثة قضى ، فالخليفة منهم وفيهم ، فإن أبى الثلاثة الآخرون ذلك فاضربوا أعناقهم »[١].

وفي نقل آخر : « ... فإن لم يرضوا بحكم عبدالله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبدالرحمن بن عوف واقتلوا الباقين إن رغبوا ... »[٢].

والإشكال الذي يرد على هذه الصياغة للشورى هو :

أوّلاً ـ أنّ هذه الشورى كانت فاقدة للأصل الأوّلي للمشورة وهو حريّة إبداء الرأي من دون أيّ خوف أو تهديد ، فإنّ المخالف لآراء الآخرين كان مهدّداً بالقتل ، فأي حريّة تبقى بعد ذلك ؟

ثانياً ـ أنّ هذه الصياغة كانت أقرب إلى التنصيص من الشورى ؛ لأنّ أعضاءها عُيّنوا من قبل الخليفة ؛ ولأنّ الخليفة جعل بعض المرجّحات عند تعارض الآراء وكانت تميل إلى طرف واحد ؛ فإنّ رغبة عبدالله بن عمر عن عليّ عليه السلام كانت معلومة ، ورغبة عبدالرحمن في عثمان كانت معلومة أيضاً ؛ لأنّه كان صهراً لعثمان ، وكان سعد بن أبي وقّاص ابن عمّه لا يخالفه .

إذن كان هذان المرجّحان اللذان وضعهما الخليفة يشيران إلى عثمان ، ولهذا السبب عدّ بعضهم هذه الشورى نوعاً من التنصيص ولكن بدائرة أوسع من التنصيص على شخص معيّن[٣].

ويبقى الكلام عن موقف السنّة والإجماع من الشورى فنقول :

---

(١) الإمامة والسياسة : ٢٨ ـ ٢٩ ، باب تولية عمر بن الخطّاب الستّة الشورى .

(٢) تاريخ الطبري ٣ : ٢٩٤ .

(٣) انظر الموسوعة الفقهية (إصدار وزارة الأوقاف الكويتية) ٦ : ٢٢٢ ، عنوان « الإمامة الكبرى / ثانياً ولاية العهد » .

أمّا السنّة ، فلم يرد فيها ما يدلّ على كون الإمامة من جملة ما يمكن أن يستشار فيه ، فإنّ غاية ما يدلّ عليه ما ورد من فعل النبيّ صلى الله عليه وآله أو قوله ممّا يدلّ على مدح التشاور ، وأمّا أنّ مثل الإمامة تنعقد بالمشورة أيضاً فلم يرد شيءٌ في ذلك .

وأمّا الإجماع ، فالكلام فيه كالكلام في الإجماع على كون البيعة أو التنصيص طريقاً لنصب الإمام ، فإنّ عمر لم يجعل مشروعيّة الشورى دائرة مدار إجماع أهل الحلّ والعقد على الرضا بما توصّل إليه المشاورون ، بل جعل نتيجة الشورى شرعيّة وإن لم يحصل إجماع ، وقد تقدّم أنّه هدّد المخالف منهم بالقتل .

تنبيه :

هنا يتبادر سؤال إلى الذهن وهو : أنّ ولاية الخليفة وسلطته إنّما تدور مدار حياته ، فإذا كان حيّاً فتكون ولايته ثابتة ، وأمّا بعد وفاته فلا ولاية له على غيره ، فإذا كان كذلك ، فبأيّ وجهٍ شرعيٍّ أمر الخليفة بقتل من خالف من أهل الشورى بعد وفاته ؟[(١)]

٦ ـ موقف الأدلّة الثلاثة من الاستيلاء والغلبة :

ليس هناك دليل على أنّ مجرّد الغلبة طريق شرعي لإحراز منصب الإمامة ، لا من الكتاب ولا من السنّة ، ولم يكن إجماع على ذلك ؛ لأنّهم اختلفوا في كون هذا طريقاً لنصب الإمام ، فلم يذكره بعضهم واكتفى بذكر الطريقتين : البيعة والاستخلاف ، قال الماوردي : « الإمامة تنعقد من وجهين : أحدهما اختيار أهل الحلّ والعقد ، والثاني بعهد الإمام من قبل ... »[(٢)].

وقال أبو يعلى : « والإمامة تنعقد من وجهين : أحدهما باختيار أهل الحلّ والعقد ،

---

(١) نعم يمكن توجيه ذلك بناءً على مذهبنا في الإمام والإمامة كما ذكرناه في الموسوعة الفقهيّة ٥ : ٨٣ و ٨٤ ، « الإمامة الكبرى / انعزال الولاة بموت الإمام » .

(٢) الأحكام السلطانية (للماوردي) : ٦ .

والثاني بعهد الإمام من قبل...».

ثمّ نقل عن أحمد روايتين، إحداهما تدلّ على جواز الإمامة بالغلبة، جاء فيها: «ومن غلب عليهم بالسيف حتّى صار خليفة وسمّي أمير المؤمنين فلا يحلّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً برّاً كان أو فاجراً...»[1].

ثمّ نقل عن ابن عمر أنّه صلّى بأهل المدينة في زمن الحرّة، وقال: «نحن مع من غلب».

وممّن لم يذكر الغلبة: القاضي الايجي في المواقف، والجرجاني في شرحه[2].

وأمّا ما روي عن ابن عمر من قوله: «نحن مع من غلب»[3].

فلا يصحّ الاحتجاج به؛ لأنّه فعلُ صحابي، وهو ليس بحجّة، وإنّما الحجّة فعل النبيّ ﷺ وقوله، أي سنّته[4].

أضف إلى ذلك وقوع التدافع والتنافي بين أمور ثلاثة:

الأوّل ـ مشروعيّة خلافة المتغلّب.

الثاني ـ ما أوردوه: من أنّه «إذا بويع لخليفتين قاتلوا الآخر منهما»[5].

الثالث ـ اشتراط العدالة في الخليفة.

فإنّ المتغلّب مصداق لـ«الخليفة الآخر» الذي يجب قتاله؛ لأنّه باغٍ، والباغي فاسق؛ لخروجه على الإمام، فلا تصحّ إمامته إذا اشترطنا العدالة فيها.

وإذا لم نشترط عدالة الخليفة فعلى الإسلام السلام.

---

(١) و (٣) الأحكام السلطانية (لأبي يعلى): ٢٣.

(٢) المواقف وشرحها ٣: ٥٩١ ـ ٥٩٢.

(٤) تكلّم الأصوليّون عن حجّية السنّة الشريفة، وأردفه بعضهم بالكلام عن سنّة الصحابي وأثبت عدم حجّيّتها. انظر الأصول العامّة للفقه المقارن: ١٣٥ ـ ١٤٣، والمستصفى ١: ٢٦٠.

(٥) صحيح مسلم ٣: ١٤٨٠، كتاب الإمارة، الباب ١٥، باب إذا بويع لخليفتين.

وكذا لو لم نعتبر البغي فسقاً، وخاصّة إذا كان لمجرّد أمور الدنيا كما هو الغالب.

إذن لا يمكن إثبات حجّية الطرق المذكورة لتعيين الإمام في نظرية التعميم.

ثانياً ـ نظرية التنصيص:

بنيت هذه النظرية ـ كما تقدّم ـ على فكرة أنّ الإمامة لا تصحّ إلّا بالنصّ من النبيّ صلى الله عليه وآله، وأمّا سائر الطرق فليست طُرقاً شرعيّة لانتخاب الإمام الذي يكون خليفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقد تقدّم الكلام عن العقد السلبي لهذه النظريّة عند مناقشة نظرية التعميم، وبقي الكلام عن العقد الإيجابي لها، وهو أنّ الإمام يتعيّن بالنصّ عليه.



وهذا ما سنقوم بالاستدلال عليه:

الاستدلال على نظرية التنصيص:

استدلّ على النظرية بأدلّة عديدة نشير إلى أهمّها إجمالاً تاركين التفصيل إلى علم الكلام:

الدليل الأوّل ـ الإمامة مجعولة من قِبل الله تعالى:

هناك مجموعة من الأدلّة تثبت أنّ الإمامة مجعولة من قِبل الله تعالى بواسطة النبيّ صلى الله عليه وآله وسنشير إلى بعضها إجمالاً، وهي:

أوّلاً ـ الكتاب:

يستفاد من بعض الآيات أنّ الإمامة بحاجة إلى جعل، والجاعل هو الله تعالى. وأهمّ هذه الآيات:

ـ قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾[1].

---

(١) البقرة: ١٢٤.

والآية تدلّ على المطلوب من جهتين :

الأولى ـ إسناده تعالى لجعل إبراهيم إماماً إلى نفسه حيث قال: ﴿إنّي جاعلك...﴾. فيستفاد منه : أنّ جعْل شخص إماماً إنّما يكون بيد الله تعالى .

الثانية ـ تعبيره تعالى عن الإمامة بالعهد ثمّ إضافته إلى نفسه ، فقال: ﴿لا يَنالُ عَهْدِي الظّالِمِينَ﴾ . فيستفاد من الآية : أنّ الإمامة عهد من الله تعالى يجعله في عهدة من يشاء من عباده الذين اصطفاهم .

ربّما يقال : إنّ الإمامة المذكورة في الآية إنّما هي النبوّة والرسالة ، لا الإمامة المصطلحة ، فلا تكون الآيات دليلاً على المطلوب .

والجواب : أنّ الإمامة المذكورة في الآية إنّما هي الإمامة المصطلحة ، ويدلّ على ذلك :

أنّ إبراهيم عليه السلام سأل الإمامة لذرّيّته في كبر سنّه وبعد مضيّ شطر من نبوّته ورسالته ، فالذي طلبه إبراهيم ليس هو النبوّة والرسالة ، بل هو الإمامة .

ويدلّ على ذلك :

١ ـ إنّه تعالى جعل إبراهيم إماماً بعد أن ابتلاه بكلمات ، ثمّ أتمهنّ ، وهذه الابتلاءات والامتحانات إنّما هي : ابتلاؤه بالأصنام ، ونار نمرود ، وإسكان ذرّيّته بوادٍ غير ذي زرع ، والأمر بذبح ولده ، ونحوها ممّا أهّلته لمنصب الإمامة ، ومن المعلوم أنّ هذه الابتلاءات إنّما حصلت أيام نبوّة إبراهيم ورسالته ، فتكون الإمامة التي طلبها غير النبوّة .

٢ ـ إنّ إبراهيم عليه السلام كان آيساً من الذرية حتّى بشّرته الملائكة بها في كبر سنّه كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلاماً قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ * قَالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ * قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ

نَبِمَ تُبَشِّرُونَ * قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ ﴾[١].

وطلب إبراهيم الإمامة لذريّته إنّما كان بعد اقتناعه بوجود ذرّيّة له، أو ـ على الأرجح ـ بعد علمه بوجود ذرّيّة له بالفعل، وإنّما تحقّق ذلك في كبر سنّه كما دلّت عليه الآيات المتقدّمة، وكان إبراهيم نبيّاً قبل ذلك بكثير.

إذن فالإمامة التي طلبها إبراهيم ليست هي النبوّة.

وإلى ذلك كلّه يشير ما ورد عن أبي جعفر عليه السلام: «إنّ الله اتّخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتّخذه نبيّاً، واتّخذه نبيّاً قبل أن يتّخذه رسولاً، واتّخذه رسولاً قبل أن يتّخذه خليلاً، واتّخذه خليلاً قبل أن يتّخذه إماماً، فلمّا جمع له هذه الأشياء ـ وقبض يده[٢] ـ قال له: يا إبراهيم، إنّي جاعلك للناس إماماً، فمن عِظَمها في عين إبراهيم عليه السلام قال: يا ربّ ومن ذرّيّتي؟ قال: لا ينال عهدي الظالمين»[٣].

ومن قبيل الآية المتقدّمة:

ـ قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ﴾[٤].

ـ وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[٥].

---

(١) الحجر: ٥١ ـ ٥٥.

(٢) أي قبض الإمام عليه السلام يده ليبيّن للراوي جمع هذه الأشياء لإبراهيم عليه السلام، فجملة «وقبض يده» من كلام الراوي.

(٣) أصول الكافي ١: ١٧٥، باب طبقات الأنبياء والرسل والأئمّة عليهم السلام، الحديث ٤، وانظر الحديث ٢.

(٤) الأنبياء: ٧٢ ـ ٧٣.

(٥) السجدة: ٢٤.

فالآيتان صريحتان في أنّ اللّه تعالى هو الذي جعل من ذرّيّة إبراهيم أئمّة يهدون بأمره تعالى .

ثانياً ـ السنّة :

هناك مجموعة كبيرة من النصوص الواردة عن النبيّ صلى الله عليه وآله تدلّ على أنّ الإمامة في أهل البيت عليهم السلام ، وسوف نشير إلى أهمّها فيما بعد . فهذه الروايات تدلّ على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله هو الذي يجعل الإمامة ـ بأمر اللّه تعالى ـ في من يصلح لذلك[١] .

وكانت هذه السنّة جارية في الأنبياء السابقين ، فكلّنا يعلم بأنّ الأنبياء كان لهم أوصياء ، وأنّهم هم الذين كانوا ينصّبون أوصياءهم ولكن بإذن اللّه تعالى ، ولا دليل على شذوذ هذه الأمّة عن الأمم السابقة ، وقد أخبر النبيّ صلى الله عليه وآله بأنّه يجري عليها كلّ ما كان يجري على الأمم السابقة[٢] .

ثالثاً ـ العقل :

يدلّ العقل على حاجة الإمامة إلى جعل اللّه تعالى من جهات :

١ ـ الإمامة إدامة لوظائف النبوّة ، والإمام يديم وظائف النبيّ صلى الله عليه وآله وشؤونه ، غير أنّه ليس نبيّاً ولم يوح إليه . فإذا كان الإمام كذلك ، فالعقل يحكم بأنّ جاعل الإمامة ينبغي أن يكون هو جاعل النبوّة ، وهو اللّه تعالى ؛ لأنّه أعرف بمن له قابلية تحمّل هذه المسؤولية .

---

(١) هذا مع غضّ النظر عمّا ورد من طرقنا في أنّ الإمامة عهد من اللّه تعالى عهد به إلى رسوله صلى الله عليه وآله وعهد به الرسول صلى الله عليه وآله إلى عليّ عليه السلام ، وكان كلّ إمام يعهد به إلى الذي يليه .
انظر البحار ٢٣ : ٦٦ ، كتاب الإمامة ، باب أنّ الإمامة لا تكون إلّا بالنصّ .

(٢) انظر : صحيح البخاري ٤ : ٢٦٤ ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة ، باب قول النبيّ صلى الله عليه وآله لتتبعنّ سنن من كان قبلكم ، وصحيح مسلم ٤ : ٢٠٥٤ ، كتاب العلم ، باب اتّباع سنن اليهود والنصارى .

٢ ـ الإمامة ولاية من قِبل الله تعالى على الناس، ولا يصحّ عقلاً أن يسلّط الله على عباده ـ تسليطاً تشريعيّاً ـ إلّا من كان أهلاً لذلك؛ لأنّه تعالى هو الذي يقول: ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾(١).

والأهليّة الواقعيّة لا يعلمها إلّا الله تعالى، فيكون جعل الإمامة بيده.

٣ ـ إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان أشفق على الناس من الوالد على ولده، حتّى إنّه أرشدهم إلى أمور كثيرة مندوبة، وكان صلى الله عليه وآله إذا سافر وترك المدينة يوماً أو يومين استخلف فيها من يقوم بأمر المسلمين، ومن هذه حاله كيف يُنسب إليه إهمال أمّته وعدم إرشادهم في أجلّ الأشياء وأسناها وأعظمها قدراً وأكثرها فائدة وأشدّهم حاجة إليها، أي المتولّي لأمورهم بعده؟! فوجب من سيرته صلى الله عليه وآله نصب إمام بعده، والنصّ عليه، وتعريفهم إيّاه(٢).



(١) يونس: ٣٥.

(٢) انظر كشف المراد: ١٨٨.

وممّا يدلّ بكلّ صراحة على عدم إهماله أمر أمّته من بعده ما رواه أصحاب الصحاح والمسانيد وكتب التاريخ: من أنّه صلى الله عليه وآله أراد أنْ يكتب للمسلمين كتاباً لن يضلّوا بعده أبداً، لكنّهم رموه بما رموه! فامتنع عن الكتابة، وإليك نصّ ما نقله البخاري بإسناده إلى عبيدالله بن عبدالله، عن ابن عبّاس، قال: «لـمّا حُضِر رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطّاب، قال النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: هَلُمَّ أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده، فقال عمر: إنّ النبيّ قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت [أي الموجودون في البيت بما فيهم عمر] فاختصموا، منهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم كتاباً لن تضلّوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر. فلمّا أكثروا اللغو والاختلاف عند النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: قوموا [وفي نقل آخر للبخاري: قوموا عنّي ولا ينبغي عندي التنازع]. قال عبيدالله: فكان ابن عبّاس يقول: إنّ الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بين رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب، ←

← من اختلافهم ولغطهم». صحيح البخاري ٤: ٧، كتاب المرض، باب قول المريض: «قوموا عنّي»، و ١: ٣٢، كتاب العلم، باب كتابة العلم.

ونقله مسلم بعدّة طرق في آخر كتاب الوصيّة، جاء في بعضها عن سعيد بن جبير، قال: «قال ابن عبّاس: يوم الخميس وما يوم الخميس؟! ثمّ بكى حتّى بلّ دمعه الحصى، فقلت: يابن عبّاس، وما يوم الخميس؟ قال: اشتدّ برسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم وجعه فقال: ائتوني أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعدي. فتنازعوا، وما ينبغي عند نبيّ تنازع، وقالوا: ما شأنه؟ أهَجَرَ؟ استفهموه [وفي نقل آخر: إنّ رسول الله يهجر]قال: دعوني، فالذي أنا فيه خير...». صحيح مسلم ٣: ١٢٥٧، كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه، الحديث ١٦٣٧.



وتناقله كثير من أرباب المسانيد والسنن والسير.

وهنا تخطر بالبال عدّة أسئلة، وهي:

أوّلاً ـ ما الذي أراد النبيّ صلى الله عليه وآله أن يأمر بكتابته؟

الجواب ـ إذا قارنّا بين ذلك وبين ما قاله مرّات عديدة: «إنّي مخلّف فيكم الثقلين ما إنْ تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً: كتاب الله وعترتي أهل بيتي» نعرف أنّه أراد أن يجعل الخلافة في أهل بيته عليهم السلام؛ لأنّ التمسّك بالكتاب وبهم يمنع من الضلال.

ثانياً ـ ما الذي هيّج عمر من كلام النبيّ صلى الله عليه وآله؟

الجواب ـ الذي هيّجه هو ما عرفه بفراسته من أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله يريد أن يجعل الخلافة في أهل بيته عليهم السلام.

ثالثاً ـ لماذا امتنع النبيّ صلى الله عليه وآله من الكتابة بعد ذلك؟

الجواب ـ إذا كان النبيّ صلى الله عليه وآله قد كتب ما أراد كتابته وكان لا يروقهم ذلك لقالوا: دعوا ما كتبه، فإنّه كتبه حال غلبة الوجع عليه، أو حال كونه يهجر. والعياذ بالله!

وبعد ذلك لم تبق أيّة حرمة لرسول الله صلى الله عليه وآله!

نعم، مُنع الرسول صلى الله عليه وآله من كتابة ما كان يمنع من الضلال، ووقع الضلال، فمن المسؤول إذن؟

وقد حاول بعضهم أن يجعل ما قاله عمر من فقهه وفطنته، وأنّه خشي أن يكتب ←

بل حتّى الخلفاء الذين ادّعوا إهمال النبيّ صلى الله عليه وآله أمر الخلافة لم يهملوها، وبذلك برّروا تنصيب الخليفة من بعدهم(١).

← النبيّ صلى الله عليه وآله أموراً ربّما عجزوا عنها واستحقّوا العقوبة بمخالفتها، فقال ذلك رأفة بالناس!!

لكن يرد عليه:

أوّلاً ـ أنّ ذلك استهانة بشأن النبيّ صلى الله عليه وآله لأجل تبرير كلام عمر وموقفه.

ثانياً ـ لو كان كذلك، فلماذا كان يتحسّر ابن عباس ويبكي ويقول: «الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب، من اختلافهم ولغطهم»؟ وما معنى «الرزيّة»؟

ثالثاً ـ وقع الشارحون لهذا الحديث والموجّهون لكلام عمر في خبط وتناقض ظاهر، لأنهم يرون أنّ فعل عمر مخالف لصريح القرآن، كقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ﴾ آل عمران: ١٣٢، و ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ الحشر: ٧، و ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ الأحزاب: ٣٦، و ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ النجم: ٢ و ٣، و ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ الحجرات: ٢، و ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ الأحزاب: ٥٧.

فمن التوجيهات المذكورة كلام ابن الأثير، حيث قال في مادة «هجر»: ومنه حديث مرض النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: وقالوا: ما شأنه؟ أهجر؟ أي اختلف كلامه بسبب المرض، على سبيل الاستفهام. أي: هل تغيّر كلامه واختلط لأجل ما به المرض؟ وهذا أحسن ما يقال فيه، ولا يجعل إخباراً، فيكون إمّا من الفحش أو الهذيان، والقائل كان عمر، ولا يظنّ به ذلك». النهاية (لابن الأثير): «هجر».

ولكن بالله عليك هل يرفع هذا التوجيه قبح الكلام، وكونه إهانة؟!

نرجو من القرّاء مراجعة كلماتهم وتأويلاتهم والتأمّل فيها بدقّة وإنصاف.

(١) قال الطبري: «دعا أبو بكر عثمان خالياً، فقال له: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين، أمّا بعد..

قال [أي الراوي]: ثمّ أغمي عليه، فذهب عنه، فكتب عثمان: أمّا بعد: فإنّي قد استخلفت عليكم عمر بن الخطّاب، ولم آلكم خيراً منه، ثمّ أفاق أبو بكر فقال: اقرأ ←

ومن المعلوم أنّ تنصيص النبيّ صلى الله عليه وآله لا يكون إلّا من قِبل الله تعالى ؛ لأنّه صلى الله عليه وآله : ﴿ مَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[1].

الدليل الثاني ـ ينبغي أن يكون الإمام معصوماً ، ولا يعلمه إلّا الله تعالى:

أمّا وجوب عصمة الإمام فيدلّ عليه قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾[2].

ووجه الدلالة : أنّ إبراهيم عليه السلام لـمّا عظمت منزلة الإمامة عنده طلبها لذرّيّته من الله تعالى ، ولم يرد الجواب بنفي أو إثبات في مرحلة الظاهر ، بل نفى فيه تعالى أن يشمل هذا العهد ـ وهو عهد الإمامة ـ الظالمين .

← عليّ ، فقرأ عليه ، فكبّر أبو بكر وقال : أراك خِفْتَ أن يختلف النّاس إنْ افتلتت نفسي في غشيتي ، قال : نعم ، قال : جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله ، وأقرّها أبو بكر » . الطبري ٢ : ٦١٣ ، حوادث سنة ١٣ ، ونقل قبله عن إسماعيل بن قيس ، قال : « رأيت عمر بن الخطّاب وهو يجلس والناس معه ، وبيده جريدة ، وهو يقول : أيّها النّاس ، اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله إنّه يقول : إنّي لم آلكم نصحاً ، قال [أي الراوي] : ومعه مولى لأبي بكر يقال له شديد ، معه الصحيفة التي فيها استخلاف عمر » .

أقول : انظر موقفه هذا من كتابة العهد ، وموقفه من كتابة النبيّ صلى الله عليه وآله كتاباً لا يضلّ المسلمون بعده .. واجعل الإنصاف نصب عينيك وقس بينهما .

ولمّا أحسّ عمر بالموت قال لابنه : « اذهب إلى عائشة وأقرئها منّي السلام ، واستأذنها أنْ أقبر في بيتها مع رسول الله وأبي بكر ، فأتاها عبدالله بن عمر ، فأعلمها ، فقالت : نعم وكرامة ، ثمّ قالت : يا بنيّ ، أبلغ عمر سلامي ، وقل له : لا تدع أمّة محمّد بلا راعٍ ، استخلف عليهم ، ولا تدعهم بعدك هملاً ، فإنّي أخشى عليهم الفتنة » . الإمامة والسياسة : ٢٨ .

وإن تعجب فعجب قولهم : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يستخلف ، لكنّهم حتّى النساء منهم ، كانوا أحرص على المسلمين من النبيّ صلى الله عليه وآله !!

(١) النجم : ٣ و ٤ .

(٢) البقرة : ١٢٤ .

وكلّ مذنب ظالم ؛ لأنّه ظلّم ربّه بمعصيته .

وكلّما تحقّق عنوان الظلم شمله حكمه وهو : عدم استحقاق نيل عهد الإمامة .

وبعبارة أُخرى يكفي لشمول الحكم صدور الذنب من العبد ولو مرّة واحدة ، فإذا صدر الذنب من العبد شمله إطلاق ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ . ولا أثر للتوبة عندئذٍ[1] .

هذا بالنسبة إلى العقد الأوّل من الاستدلال ، وهو : وجوب عصمة الإمام .

وأمّا العقد الثاني منه ، وهو أنّه لا يعرف المعصوم إلّا اللّه تعالى ، فهو واضح ؛

---

(١) إنّ نسبة الأحكام إلى موضوعاتها على نحوين :

فتارةً يترتّب الحكم على موضوعه حدوثاً وبقاءً ، بمعنى أنّ الحكم يدور مدار الموضوع ، فما دام الموضوع موجوداً يكون الحكم موجوداً أيضاً ، وأمّا إذا انعدم الموضوع فينعدم الحكم أيضاً . مثل عنوان « الفقير » بالنسبة إلى استحقاق الزكاة ، فمادام الشخص فقيراً فهو يستحقّ الزكاة ، أمّا إذا تبدّل هذا العنوان وصار الشخص غنيّاً فهو لا يستحقّ الزكاة ، وكذا عنوان « الجنب » فما دامت الجنابة باقية ـ وإن كان سببها وهو الاحتلام أو الوطء أو غيرهما قد زال ـ فيترتّب وجوب الاغتسال على الجنب إلى أن يغتسل ، فترتفع الجنابة ويتبدّل عنوان الجنب إلى عنوان المتطهّر .

وتارةً يبقى الحكم بمجرّد وجود الموضوع ، فلا يدور بقاؤه مدار بقاء موضوعه ، وذلك مثل : الحكم بوجوب قتل المرتدّ ، وتقسيم إرثه ، وبينونة زوجته إذا كان ارتداده عن فطرة على ما هو المشهور والمعروف . فإنّ هذه الأحكام تترتّب على المرتدّ الفطري بمجرّد صدق هذا العنوان ـ أي بمجرّد الارتداد ـ وإن تاب المرتدّ بعد ذلك ، وقبلت توبته .

والإمامة والظلم من قبيل الثاني ، أي بمجرّد تحقّق الظلم ، يصير الظالم غير مستحقّ للإمامة ، ويبقى كذلك ، وإن زال عنه عنوان الظالم بالتوبة .

وهناك تقريب آخر للاستدلال ، وهو : أنّ الظالم حين ارتكابه للظلم تشمله الآية قطعاً وإن تاب بعد ذلك ، فيصدق عليه قوله تعالى : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ ، ولـمّا لم تكن الآية مقيّدة بزمان ، بل هي مطلقة ، فيكون غير مستحقّ للإمامة في مطلق الأزمنة والأحوال وإن تاب . انظر : التبيان ١ : ٤٤٩ ، ومجمع البيان (١ ـ ٢) : ٢٠٢ .

لأنّ العصمة: «لطف يفعله اللّه تعالى بصاحبها لا يكون له معه داعٍ إلى ترك الطاعة وارتكاب المعصية»[1]، أو «ملكة نفسانيّة يمتنع معها المكلّف من فعل المعصية»[2]، ولكن لا يكون مُلجَأً إلى فعل الطاعة واجتناب المعصية، وإلّا ارتفع الحسن والقبح والثواب والعقاب.

ومن المعلوم أنّه لا يعلم أحد بوجود العصمة ـ بالمعنى المتقدّم ـ في جميع حالات المكلّف: الحال والماضي والمستقبل إلّا اللّه تعالى.

وقد سبق أن تكلّمنا عن ماهيّة العصمة، وعن عصمة أهل البيت عليهم السلام[3].

كان هذا إجمال الأدلّة على نظرية التنصيص، وأمّا بسط الكلام في ذلك فموكول إلى علم الكلام أيضاً.



من هو المنصوص عليه؟

عرفنا فيما سبق إجمال نظرية التنصيص، وأنّ الإمامة لا تكون إلّا بالنصّ، والآن نريد أن نعرف من هو المنصوص عليه بالإمامة من قبل النبي صلى الله عليه وآله، وما هي الأدلّة على ذلك؟

وقد تكفّل علماؤنا رضوان اللّه تعالى عليهم بالبحث عن ذلك بصورة تفصيلية منذ بدء ظهور النظريّتين وحتّى يومنا هذا، وكتب الكلام مشحونة بذلك، وإنّما نكتفي بعرض مختصر لبعض أدلّتهم بالنحو الآتي:

١ ـ حديث الدار:

وهو قول النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ بن أبي طالب عليه السلام أمام كبار قومه: «إنّ هذا أخي ووصيّي

---

(١) كشف المراد: ١٨٦.

(٢) النجاة في القيامة: ٥٥.

(٣) راجع الصفحة ٤٣.

وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا»(١).

---

(١) ذكر الواقعة عديد من الحفّاظ وأصحاب المسانيد والسنن وأرباب السير والمؤرّخين والمفسّرين، مثل: الإمام أحمد في مسنده ١: ١٣٨، الحديث ٨٨٦، من مسند عليّ بن أبي طالب عليه السلام، والصفحة ١٩٩، الحديث ١٣٧٥.

والإمام أبي جعفر الإسكافي في نقض العثمانية قائلاً: «وقد روي في الخبر الصحيح»، على ما ذكره ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٣: ٢٤٤ عند ذكر إسلام عليّ عليه السلام.

والطبري في تاريخه ٢: ٦٢ ـ ٦٣، وفي تفسيره ١٩: ٧٥، في تفسير سورة الشعراء ـ بتحريف مع الأسف ـ والكامل في التاريخ (لابن الأثير) ٢: ٦٣، وقد أرسله إرسال المسلّمات.

ونقله السيّد شرف الدين في المراجعات عن كثيرين مثل: ابن إسحاق، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي في سننه ودلائله، والثعلبي ـ في تفسير سورة الشعراء ـ والطحاوي، والضياء المقدسي في المختارة، وسعيد بن منصور في السنن.

ونقله الأميني عن أكثر هؤلاء وعن جماعة من الشعراء المتقدّمين والمتأخّرين، والكتّاب، والصحفيّين المعاصرين وغيرهم.

انظر تفصيل ذلك في الكتابين القيّمين: المراجعات، المراجعة ٢٠ و ٢٢، وكتاب الغدير ٢: ٢٧٨ ـ ٢٨٩، وقد ذكر الحديث بألفاظ مختلفة.

ومن تلك الألفاظ عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ما أخرجه الطبري، وجاء فيه: «لمّا نزلت هذه الآية على رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾». الشعراء: ٢١٤، ثمّ ذكر كيفيّة دعوة أقاربه إلى الطعام ثمّ قال:

«تكلّم رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم فقال: يا بني عبدالمطّلب، إنّي والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جئتكم به، إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأيّكم يوازرني على هذا الأمر على أنْ يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت ـ وإنّي لأحدثهم سنّاً ـ...: أنا يا نبيّ الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي ثمّ قال: إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا، قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع». تاريخ الطبري ٢: ٦٢ ـ ٦٣.

ولا شبهة في دلالة الحديث على خلافة الإمام عليّ عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصل.

والحديث تامّ سنداً. وقد قام بعض علمائنا الأبرار بجمع مصادر الحديث وطرقه والتنقيب عن أسناده، فأثبتوا صحّته.

وممّن قام بذلك العلاّمتان: السيّد شرف الدين والأميني في الكتابين القيّمين: المراجعات والغدير، وقد اعترف الشيخ سليم البشري -شيخ الأزهر- في المراجعة (٢٣) بصحّة الحديث، فقال: «راجعت الحديث في الصفحة ١١١ من الجزء الأوّل من مسند أحمد[1]، ونقّبت عن رجال سنده، فإذا هم ثقات أثبات حجج، ثمّ بحثت عن سائر طرقه فإذا هي متظافرة متناصرة يؤيّد بعضها بعضاً، وبذلك آمنت بثبوته»[2].

٢ ـ حديث المنزلة:

وهو قوله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي». والحديث صحيح مستفيض، بل متواتر، عند الفريقين[3]، ويدلّ على استحقاق

---

(١) مسند أحمد ١: ١٣٨، الحديث ٨٨٦ من طبعتنا التي أشرنا إليها في الصفحة المتقدّمة.

(٢) المراجعات: ١٣٤ ـ ١٣٥.

(٣) انظر: صحيح البخاري ٣: ٨٦، باب غزوة تبوك. وصحيح مسلم ٤: ١٨٧١، باب فضائل عليّ، ذكره بعدّة طرق، وسنن ابن ماجه ١: ٤٢، فضل عليّ بن أبي طالب، الحديث ١١٥ و١٢١، ومسند أحمد ١: ٢١٩، الحديث ١٤٩٤، والصفحة ٢٢١، الحديث ١٥٠٩ و١٥١٣، من حديث سعد بن أبي وقّاص، ومن طرق كثير من الأصحاب مثل: ابن عباس وأسماء بنت عميس وأبي سعيد الخدري، ومعاوية بن أبي سفيان وغيرهم. وقال ابن عبدالبرّ: «... وهو من أثبت الآثار وأصحّها رواه عن النبيّ صلى الله عليه وآله سعد بن أبي وقّاص، وطرق حديث سعد فيه كثيرة جدّاً، قد ذكرها ابن أبي خيثمة وغيره، ورواه ابن عبّاس، وأبو سعيد الخدري، وأمّ سلمة، وأسماء بنت عميس، وجابر بن عبدالله، وجماعة يطول ذكرهم». الاستيعاب بهامش الإصابة ٣: ٣٤. وذكرت للحديث مصادر كثيرة أخرى. انظر المراجعات، المراجعة ٢٨.

الإمام عليّ عليه السلام للخلافة.

ووجه الدلالة: أنّ الرواية تثبت لعليّ عليه السلام كلّ ما لهارون من منزلة غير النبوّة، والاستثناء دليل عموم المنزلة، وأظهر المنازل التي كانت لهارون من موسى إنّما هي منزلة الوزارة والخلافة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَاجْعَل لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾[2].

واحتمال اختصاص النصّ بموردٍ خاصّ ـ كاستخلاف النبيّ صلى الله عليه وآله إيّاه بالمدينة في غزوة تبوك ـ يدفعه:

ـ عموم كلام النبيّ صلى الله عليه وآله.

ـ وعدم كون المورد مخصّصاً كما هو مسلّم به في سائر موارد التشريع.

ـ وورود هذا النصّ أو مضمونه في موارد عديدة ومناسبات مختلفة[3].

٣ ـ حديث الغدير:

ومن أقوى الحجج على إمامة عليّ بن أبي طالب عليه السلام وخلافته للنبيّ صلى الله عليه وآله بلا فصل، هو تصريحه ـ أي النبيّ صلى الله عليه وآله ـ في الخطبة التي خطبها بغدير خم،

---

(١) طه: ٢٩ ـ ٣٢.

(٢) الأعراف: ١٤٢.

(٣) ذكرها السيّد شرف الدين مع مصادرها من الصحاح والمسانيد في كتابه المراجعات، المراجعة ٣٢. ومن تلك الموارد يوم المؤاخاة، ويوم سدّ الأبواب في المسجد غير باب عليّ عليه السلام، وموارد أخرى يظهر من مجموعها: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان بصدد التأكيد على التشابه بين عليّ وهارون من جهات كثيرة حتّى من جهة تسمية الأولاد، فإنّ الحسن والحسين ومحسّن بمعنى شُبّر وشبير ومشبّر، وهم أولاد هارون. انظر مسند أحمد ١: ١٢٣، مسند عليّ بن أبي طالب، الحديث ٧٧٢.

يكون عليّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وإليك نصّ الخطبة ـ أي محلّ الشاهد منها ـ برواية أحمد بن حنبل عن البراء بن عازب وزيد بن أرقم ، والنصّ للأوّل وليس بينهما اختلاف مهم :

قال البراء بن عازب : «كنّا مع رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم في سفر فنزلنا بغدير خم ، فنودي فينا الصلاة جامعة ، وكُسح لرسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم تحت شجرتين ، فصلّى الظهر وأخذ بيد عليّ رضي الله تعالى عنه ، فقال : ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى ، قال : ألستم تعلمون أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه ؟ قالوا : بلى ، قال : فأخذ بيد عليّ فقال : من كنت مولاه فعليٌّ مولاه ، اللهمّ والِ من والاه وعاد من عاداه . قال : فلقيه عمر بعد ذلك فقال له : هنيئاً يا بن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة »[١] .

ورويت الرواية بهذه الصيغة عن كثير من الصحابة ، ولكن اختزلها بعضهم فاكتفى برواية قوله صلى الله عليه وآله : « من كنت مولاه فعليٌّ مولاه » .

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٤ : ٣٤٥ ، مسند الكوفيّين ، مسند البراء بن عازب ، الحديث ١٨٥٠٨ .

ونقل عن عطية الكوفي ، قال : « سألت زيد بن أرقم فقلت له : إنّ ختناً لي حدّثني عنك بحديث في شأن عليّ رضي الله تعالى عنه يوم غدير خم ، فأنا أحبّ أن أسمعه منك ، فقال : إنّكم معاشر أهل العراق فيكم ما فيكم ! فقلت له : ليس عليك منّي بأس ، فقال : نعم ، كنّا بالجحفة ، فخرج رسول الله صلّى الله عليه [وآله]وسلّم إلينا ظهراً وهو آخذ بعضد عليّ رضي الله تعالى عنه ، فقال : يا أيّها النّاس ، ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى ، قال : فمن كنت مولاه فعليٌّ مولاه » . مسند أحمد بن حنبل ٤ : ٤٥٠ ، مسند الكوفيّين ، مسند زيد بن أرقم ، الحديث ١٩٣٠١ .

ولزيد رواية أخرى يبيّن فيها قسماً آخر من الخطبة ، ذكرها أحمد في أوّل مسنده ـ أي مسند زيد ـ ومسلم في صحيحه ٤ : ١٨٧٣ ، باب من فضائل عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، الحديث ٢٤٠٨ .

ووجه دلالة الحديث على إمامة عليّ بن أبي طالب عليه السلام هو : أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله بعد أن أخذ الإقرار من المسلمين بأنّه أولى بهم من أنفسهم طبقاً للآية الشريفة : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾[1] ، قال : « من كنت مولاه فعليٌّ مولاه » ، ومعنى هذا الكلام : من كنت أولى به من نفسه ، فعليٌّ أولى به من نفسه .

وهذا المقام لا يناسب إلّا مقام الخلافة والإمامة .

دفع شبهة :

ربّما يقال : إنّ هذا الاستدلال إنّما يتمّ بناءً على النصّ الكامل المتضمّن لعبارة : « ألست أولى بكم من أنفسكم ؟ ... » وأمّا بناءً على النصوص الخالية من ذلك والمقتصرة على عبارة « من كنت مولاه فعليٌّ مولاه » فلا يتمّ الاستدلال ؛ لأنّ « المولى » له معانٍ عديدة ربّما بلغت العشرين ، فإن لم يناسب كلّها المقام فإنّ بعضها مناسب له ، مثل : المحبّ والناصر والولي ، فلِمَ لا يكون المراد من « المولى » في هذا النصّ هو المحبّ أو الناصر ؟ ولا أقلّ من الاشتراك ، وتعيينه يحتاج إلى قرينة ، فما هي القرينة ؟

وللجواب عن ذلك نقول :

بعد وضوح استعمال « المولى » بمعنى الولي في اللغة[2] ، يندفع احتمال إرادة

---

(١) الأحزاب : ٦ .

(٢) جاء استعمال « مولى » بمعنى أولى في موارد كثيرة ، منها :

قوله تعالى : ﴿ مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ ﴾ . الحديد : ١٥ ، أي النار أولى بكم . انظر : تفسير الكشّاف ٤ : ٤٧٦ ، وتفسير القرطبي ١٧ : ٢٤٨ ، ومجمع البيان (٩ ـ ١٠) : ٢٣٦ .

وقوله تعالى : ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ ﴾ . النساء : ٣٣ ، أي جعلنا من هو أولى بالميراث . انظر مجمع البيان (٣ ـ ٤) : ٤١ .

وروي عنه صلى الله عليه وآله قوله : « أيّما امرأة أنكحت نفسها بغير إذن مولاها ... » ، أي متولّي أمرها . انظر النهاية (لابن الأثير) : « ولي » .

←

المحبّ والناصر منه، بوجود قرائن تدلّ على ذلك، فمن جملتها:

١ - إنّه صلى الله عليه وآله أمر في ذلك الحرّ الشديد باجتماع الناس والصلاة جامعة، ثمّ قام خطيباً فيهم آخذاً بيد عليّ عليه السلام قائلاً ضمن خطبته: «من كنت مولاه فهذا عليّ

← وقول الأخطل:

فأصبحت مولاها على الناس كلّهم ... وأحرى قريش أن تهاب وتحمدا

ديوان الأخطل: ١٠٧.

وقول لبيد:

كلا الفرجين تحسب أنّه ... مولى المخافة خلفها وأمامها

يريد: أنّه أولى موضع أن تكون فيه الحرب. انظر الصحاح: «ولي».

وقال الزمخشري: «وَلِيَ الأمر وتولّاه، وهو وليّه ومولاه». أساس البلاغة: «ولي».

وقال الفرّاء في كتاب معاني القرآن: «الولي والمولى في كلام العرب واحد».

وقال المبرّد: «هو [أي المولى] تأويل الأولى».

وقال ابن الأنباري في مشكل القرآن: «المولى هو الأولى بالشيء».

ولذلك كلّه قال التفتازاني: «المولى قد يراد به المعتِق والمعتَق، والحليف، والجار، وابن العمّ، والناصر، والأولى بالتصرّف، قال الله تعالى: ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ أي أولى بكم، ذكره أبو عبيدة، وقال النبيّ: "أيما امرأة أنكحت نفسها بغيرإذن مولاها..." أي الأولى بها، والمالك لتدبير أمرها، ومثله في الشعر كثير.

وبالجملة: استعمال المولى بمعنى المتولّي والمالك للأمر والأولى بالتصرّف شائع في كلام العرب، منقول عن كثير من أئمّة اللغة، والمراد أنّه اسم لهذا المعنى لا صفة بمنزلة الأولى ليعترض بأنّه ليس من صيغة اسم التفضيل، وأنّه لا يستعمل استعماله، وينبغي أن يكون المراد به في الحديث هو هذا المعنى، ليطابق صدر الحديث؛ ولأنّه لا وجه للخمسة الأول، وهو ظاهر، ولا للسادس؛ لظهوره وعدم احتياجه إلى البيان وجمع الناس لأجله» إلى أن قال: «ولا خفاء في أنّ الولاية بالناس، والتولّي، والمالكية لتدبير أمرهم، والتصرّف فيهم، بمنزلة النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، وهو معنى الإمامة». شرح المقاصد ٥: ٢٧٣ - ٢٧٤.

مولاه»، فهل يتصوّر عاقل - إن لم يغلبه شيءٌ آخر - أنّ النبيّ ﷺ أراد أن يبيّن للناس: أنّ من كنت محبّه وناصره فعليٌّ محبّه وناصره؟

٢ - قد ورد هذا النصّ مع عبارة «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم» في موارد أُخرى غير يوم الغدير، منها ما أورده أحمد في مسنده عن بريدة الأسلمي، أنّه قال: «غزوت مع عليٍّ اليمن، فرأيت منه جفوة، فلمّا قدمت على رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ذكرت عليّاً فتنقّصته، فرأيت وجه رسول الله ﷺ يتغيّر، فقال: يا بريدة، ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»[١].

ونقلت هذه الصيغة في موارد عديدة أُخرى.

فهل يبقى شك عندئذٍ في أنّ المراد من «المولى» هو الأولى بالتصرّف في نصّ الغدير؟

٣ - وورد بطرق عديدة عن النبيّ ﷺ قوله:

«هو وليّ كلّ مؤمن بعدي»، أو «هو وليّكم بعدي»[٢]، ونحو ذلك.

٤ - تهنئة المسلمين عليّاً عليه السلام بالولاية، حتّى نقلت تهنئة عمر بن الخطّاب له بالخصوص[٣].

وهل يناسب ذلك إلّا التنصيب للولاية والخلافة؟

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٥: ٤٠٧، مسند بريدة الأسلمي، الحديث ٢٣٠٠٩.

(٢) انظر: صحيح الترمذي ٥: ٦٣٢، باب مناقب عليّ بن أبي طالب، الحديث ٣٧١٣، ومسند أحمد ٤: ٥٢٤، مسند عمران بن حصين، الحديث ١٩٩٥٠، وغيرهما من المصادر الكثيرة التي ذكرها السيّد شرف الدين في هامش المراجعة ٣٦ من كتابه القيّم المراجعات.

(٣) تقدّم في رواية البراء بن عازب - في الصفحة ١٤٥ - نصّ التهنئة، وقد نقلت بصيغة أُخرى.

٥ ـ مناشدة الإمام عليّ عليه السلام وأهل بيته للصحابة في مواطن عديدة، وأخذ الاعتراف والإقرار منهم بواقعة الغدير ومقالة النبيّ صلى الله عليه وآله في حقّه عليه السلام [1].

ومناشدته عليه السلام للصحابة أيّام خلافته في الرحبة مشهورة[2]، رواها جمع غفير جمعهم العلّامة الأميني، فأحصى (٢٤) صحابياً ممّن اعترف بالقضية في ذلك اليوم.

والمهمّ فعلاً أصل مناشدة الإمام عليّ عليه السلام الصحابة لأن يشهدوا بالواقعة، وهذا ممّا لا ريب فيه.

وهنا نسأل: هل كانت المناشدة لإثبات كونه محبّاً أو ناصراً لمن كان رسول الله صلى الله عليه وآله محبّاً وناصراً له؟ أوكانت لإثبات كونه مستحقّاً للخلافة والولاية؟

الصحيح هو الثاني؛ لأنّ الأوّل لا يحتاج إلى هذه العناية، ولم يكن مفيداً له بعد موقف الناكثين والقاسطين والمارقين، بل كان بحاجة إلى ما يدعم خلافته ويؤكّدها؛ فلذلك استشهد بقضيّة الغدير ليثبت أنّه أحقّ بالخلافة وإن أُقصيت عنه مدّة من الزمن.

---

(١) جمعها العلّامة الأميني في كتابه القيّم الغدير ١: ١٥٩ ـ ٢١٣.

(٢) من ذلك ما رواه أحمد بطرق وأسانيد عديدة، منها ما رواه عن عبدالرحمن بن أبي ليلى، قال: «شهدت عليّاً عليه السلام في الرحبة ينشد الناس: أنشد الله من سمع رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يقول يوم غدير خم: "من كنت مولاه فعليٌّ مولاه"، لـمّا قام فشهد. قال عبدالرحمن: فقام اثنا عشر بدريّاً، كأنّي أنظر إلى أحدهم، فقالوا: نشهد أنّا سمعنا رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يقول يوم غدير خم: "ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجي أمّهاتهم"؟ فقلنا: بلى يا رسول الله. قال: "فمن كنت مولاه، فعليٌّ مولاه، اللهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه"». مسند أحمد بن حنبل ١: ١٤٨، مسند عليّ بن أبي طالب، الحديث ٩٦٥.

وذكروا: أنّ بعضهم امتنع عن الشهادة فأصابته دعوته عليه السلام. انظر الغدير ١: ١٩١ ـ ١٩٥.

٦ ـ نتاجات الشعراء في الصدر الأوّل وما بعده ، وفهمهم من النصّ معنى الأولوية بالأمر ، يؤيّد أنّ المراد من المولى هو الأولى بالتصرّف في النصّ المذكور[1].

٧ ـ وأهمّ قرينة على أنّ المراد من « المولى » هو الأولى : ما نزل من الذّكر الحكيم بهذه المناسبة سواء قبلها أو بعدها ، فمن ذلك :

أ ـ قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾[2].

والمستفاد من الآية : أنّ النبيّ ﷺ كان مأموراً بإبلاغ شيء إلى الناس ، لكن كانت تواجهه بعض الصعوبات وبعض المشاكل ، فأمره تعالى بإبلاغ ذلك الأمر وأنّه تعالى سيعصمه من الناس .

ويستفاد أيضاً : أنّ ذلك الأمر كان بمكان من الأهمّية بحيث لو لم يبلّغه كان كما لو لم يبلّغ أصل الرسالة ، وبعبارة أخرى كان من حيث الأهمّية في عرض الرسالة .

ولا يمكننا أن نتصوّر شيئاً كذلك إلّا الإمامة والولاية بعد رسول الله ﷺ .

ب ـ قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً ﴾[3].

وكأنّ الآية تشير إلى حدوث حادثة في يوم خاصّ ، وبتلك الحادثة حصل إكمال الدين ، ورضي الله تعالى الإسلام لنا ديناً ، وكأنّه بدون ما حدث لم يكن الإسلام كاملاً ، ولم يتحقّق ذلك الإسلام الذي كان يرتضيه لنا الله تعالى .

---

(١) انظر الغدير ٢ : ٣٤ ، فقد ذكر فيه أشعار حسّان بن ثابت ، وذكر أشعار قيس بن سعد بن عبادة في الصفحة ٦٧ ، وأشعار الكميت في الصفحة ١٨٠ ، والسيّد الحميري في ٢١٣ ، والعبدي الكوفي في ٢٩٠ ، وأبي تمام في ٣٢٩ ، ودعبل الخزاعي في ٣٤٩ ، وغيرهم .

(٢) المائدة : ٦٧ .

(٣) المائدة : ٣ .

فهنا نسأل ما هو هذا الأمر ؟ هل كان الصلاة أو الحجّ أو الجهاد أو الصوم أو... ؟

الجواب : لا ؛ لأنّ هذه الأمور كلّها قد شُرّعت وبُيّنت أحكامها وعمل بها المسلمون ، وإنّما الباقي كان تعيين الخليفة والوصيّ بعد النبيّ صلى الله عليه وآله الذي يَكمُل الدين بتحقّقه .

ولعلمائنا رضوان الله تعالى عليهم دراسات مستوعبة في الموضوع ، من أرادها فليراجع كتب التفسير والكلام[١] .

كلّ ما تقدّم كان بالنسبة إلى دلالة حديث الغدير ، وأمّا الكلام في سنده ، فنقول :

إنّ حديث الغدير حديث متواتر وهو حجّة بلا إشكال ، فقد عدّ العلّامة الأميني مئة وعشرة من الصحابة الذين رووا حديث الغدير ، وقال : « ولعلّ فيما ذهب علينا أكثر من ذلك بكثير »[٢] .

وعدّ أربعة وثمانين من التابعين الذين رووا الحديث[٣] .

ثمّ عدّ ثلاثمئة وستّين من العلماء والحفّاظ وأصحاب الصحاح والمسانيد الذين رووا حديث الغدير طوال القرون الماضية[٤] .

وأخيراً عدّ ستّة وعشرين مؤلّفاً في خصوص حديث الغدير وواقعته ممّا عثر عليه[٥] ، وأمّا ما لم يعثر عليه أو أُلّف بعده فهو أكثر من ذلك بكثير قطعاً .

---

(١) انظر على سبيل المثال : الميزان في تفسير القرآن ٥ : ١٦٧ ـ ١٨٢ ، و١٩٢ ـ ٢٠١ ، و٦ : ٤٢ ـ ٦١ ، والغدير ١ : ٢١٤ ـ ٢٣٨ ، حيث ذكرت فيها روايات الفريقين بشأن نزول الآيتين في واقعة الغدير ، مع التحقيق في مفادهما .

(٢) انظر الغدير ١ : ١٤ ـ ٦١ .

(٣) انظر المصدر المتقدّم : ٦١ ـ ٧٢ .

(٤) انظر المصدر المتقدّم : ٧٣ ـ ١٥١ .

(٥) انظر المصدر المتقدّم : ١٥٢ ـ ١٥٧ ، وقال في آخر هذا القسم تحت عنوان « تكملة » : ←

ومع هذا كلّه فهل يبقى شكٌّ في تواتر الحديث، أو لا أقلّ من وصوله إلى درجة كبيرة من الاستفاضة تقرب من التواتر ؟

وأمّا الإشكال بأنّه :

إذا كان الحديث كذلك فلماذا لم يخرجه الشيخان في صحيحيهما ؟

والجواب :

أوّلاً ـ أنّ مسلماً أخرج الحديث في فضائل الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن طريق زيد بن أرقم[1]، لكن أسقط منه عبارة « من كنت مولاه فعليّ مولاه ».

ثانياً ـ أنّ الشيخين أسقطا كثيراً من الروايات الصحيحة على شرطهما ولم يخرّجا شيئاً منها، يكفيك ما أخرجه الحاكم في مستدركه على الصحيحين، ومنه حديث الغدير.

ثالثاً ـ هل من الصحيح الأخذ بكلّ ما أورده الشيخان في الصحيحين ورفض كلّ ما لم يذكراه ؟ وهل يتعامل علماء السنّة بهذه المعاملة مع جميع ما ورد في الإسلام من عقائد وأحكام وحوادث ؟

الحاصل :

أنّ حديث الغدير تامٌّ سنداً ودلالةً، فهو يدلّ على خلافة الإمام عليّ عليه السلام بلا فصل، والحمد لله.

← « قال ابن كثير في البداية والنهاية ٥ : ٢٠٨ : وقد اعتنى بأمر هذا الحديث أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ، فجمع فيه مجلّدين أورد فيهما طرقه وألفاظه، وكذلك الحافظ الكبير أبو القاسم عليّ بن عساكر أورد أحاديث كثيرة في هذه الخطبة، نحن نورد عيون ما روى في ذلك » فراجعه فإنّ فيه فوائد أخرى.

(١) انظر صحيح مسلم ٤ : ١٨٧٣، كتاب فضل الصحابة، باب فضائل عليّ بن أبي طالب، الحديث ٢٤٠٨.

٤ ـ حديث الثقلين :

وممّا يدلّ على إمامة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وخلافته بعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله، قوله صلى الله عليه وآله : «إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب اللّه، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلّفوني فيهما ؟»[1].

والنصّ يدلّ على أمور:

الأوّل ـ أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله خلّف من بعده خليفتين، وهما: كتاب اللّه، وأهل بيته، وأنّهما لن يفترقا إلى يوم القيامة، فهم أهل للخلافة الإلٰهيّة وإمامة المجتمع الإسلامي، الإمامة بمفهومها الصحيح التي تحمل معنى الهداية، وتكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[2].

الثاني ـ عدم انقطاع وجود متأهّل منهم للتمسّك به إلى يوم القيامة، كما أنّ الكتاب العزيز كذلك.

الثالث ـ أنّ المتمسّك بالكتاب وأهل البيت عليهم السلام لا يضلّ أبداً.

وأمّا الكلام عن سند الحديث، فقد تقدّم، وقلنا: إنّه متواتر، وتكلّمنا عن الجوانب الأخرى له، فلتراجع هناك[3].

هذا، وهناك أدلّة كثيرة أخرى من الكتاب والسنّة استدلّ بها علماؤنا على إمامة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ولهم كتب مدوّنة في ذلك مختصرة ومطوّلة، يرجع إليها من أراد[4]، وقد ذكرنا في الفصل الأوّل عند الكلام عن أهل البيت عليهم السلام ما يكون

---

(١) سنن الترمذي ٥: ٦٦٣، كتاب المناقب، مناقب أهل البيت عليهم السلام، الحديث ٣٧٨٨.

(٢) الأنبياء: ٧٣.

(٣) راجع الصفحة ٥٢.

(٤) انظر: الشافي (للسيّد المرتضى /ت٤٣٦هـ) وتلخيصه (للشيخ الطوسي /ت ٤٦٠هـ)، ←

مؤيّداً لما مرّ من الأدلّة، وسيأتي مزيد لذلك[1].

شروط الإمام:

ذكر المتكلّمون شروطاً للإمام، نكتفي بذكر أهمّها، وهي:

١ ـ الذكورة. ٢ ـ الأعلميّة والأفضليّة. ٣ ـ العصمة.

وهذه الثلاثة متسالم عليها عند الإماميّة ولا يشوبها شكّ أو شبهة، وقد تكلّمنا عن العصمة بصورة عامّة، وعن خصوص عصمة أصحاب الكساء عليهم السلام في الفصل الأوّل[2].

وأمّا شرطية الذكورة، فالظاهر أنّها مجمع عليها بين جميع المسلمين.

وأمّا اشتراط الأعلميّة والأفضليّة:

ـ فلأنّ الإمامة بناءً على تفسير الإماميّة امتداد للنبوّة، فكما أنّ النبيّ ينبغي أن يكون أفضل من غيره، فكذا الإمام.

ـ ولأنّ المفضول بحاجة إلى الهداية فكيف يكون هادياً وقد قال اللّه تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمْ مَن لَا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَى﴾[3]؟

ـ والذخيرة (للسيّد المرتضى أيضاً)، ونهج الحقّ وكشف الصدق (للعلّامة الحلّي / ت٧٢٦هـ)، وكشف المراد، والألفين له أيضاً، وغاية المرام (للسيّد هاشم البحراني / ت١١٠٧هـ)، وإحقاق الحقّ (للقاضي نور اللّه التستري /ت١٠١٩هـ)، ودلائل الصدق (للشيخ محمّدحسين المظفّر /ت ١٣٧٥هـ)، والمراجعات (للسيّدعبدالحسين شرف الدين /ت١٣٧٧هـ)، وموسوعةالغدير (للشيخ عبدالحسين الأميني /ت١٣٩٠هـ)، وعشرات الكتب الأخرى المدوّنة في هذا الموضوع بالخصوص.

(١) في الصفحة: ٢٢٦ وما بعدها عند الكلام عن فضائل الإمام عليّ عليه السلام.

(٢) راجع الصفحة: ٤٣.

(٣) يونس: ٣٥.

ـ ولأنّ الإمام الذي يتصدّى لهداية الأُمّة لابدّ من أن يكون متمكّناً من تحمّل هذه المسؤولية ، ولا يمكن ذلك إلّا مع كونه أفضل من غيره .

والكلام عن أفضليّة الإمام عليّ عليه السلام باب واسع طرقه العلماء سنّة وشيعة ، وذكروا فيه فضائله الكثيرة مع التعتيم الإعلامي الذي كان ضدّه من قِبل أعدائه ، ومع خوف الموالين له من نشر فضائله[1] ، حتّى انجرّ الكلام إلى أنّه لا تشترط الأفضليّة في

(١) قال أبو جعفر الإسكافي المعتزلي عند الكلام عن إسلام عليّ عليه السلام وأنّه أوّل من أسلم ، في مقام ردّ مقالة العثمانية : ولولا ما غلب على الناس من الجهل وحبّ التقليد ، لم نحتج إلى نقض ما احتجّت به العثمانيّة ، فقد علم الناس كافة أنّ الدولة والسلطان لأرباب مقالتهم ، وعرف كلّ أحد علوّ أقدار شيوخهم وعلمائهم وأمرائهم ، وظهور كلمتهم وقهر سلطانهم وارتفاع التقيّة عنهم ، والكرامة والجائزة لمن روى الأخبار والأحاديث في فضل أبي بكر ، وما كان من تأكيد بني أُميّة لذلك ، وما ولّده المحدّثون من الأحاديث طلباً لما في أيديهم ، فكانوا لا يألونَ جهداً في طول ما ملكوا أنْ يُخمِلوا ذكر عليّ عليه السلام ووِلده ، ويطفئوا نورهم ، ويكتموا فضائلهم ومناقبهم وسوابقهم ، ويحملوا على شتمهم وسبّهم ولعنهم على المنابر ، فلم يزل السيف يقطر من دمائهم مع قلّة عددهم وكثرة عدوّهم ، فكانوا بين قتيل وأسير ، وشريد وهارب ، ومستخفٍ ذليل ، وخائف مترقّب ، حتّى إنّ الفقيه والمحدّث والقاضي والمتكلّم ، ليتقدّم إليه ويتوعّد بغاية الإيعاد وأشدّ العقوبة ألّا يذكروا شيئاً من فضائلهم ، ولا يرخّصوا لأحد أن يطيف بهم ، وحتّى بلغ من تقيّة المحدّث أنّه إذا ذكر حديثاً عن عليّ عليه السلام كنّى عن ذكره ، فقال : قال رجل من قريش ، وفعل رجل من قريش ، ولا يذكر عليّاً عليه السلام ولا يتفوّه باسمه .

ثمّ رأينا جميع المختلفين قد حاولوا نقض فضائله ، ووجّهوا الحيل والتأويلات نحوها : من خارجيّ مارق ، وناصب حَنِق ، وثابت مستبهم ، وناشئ معاند ، ومنافق مكذّب ، وعثماني حسود يعترض فيها ويطعن ، ومعتزلي قد نقض في الكلام ، وأبصر علم الاختلاف ، وعرف الشبه ومواضع الطعن وضروب التأويل ، قد التمس الحيل في إبطال مناقبه وتأويل مشهور فضائله ، فمرّة يتأوّلها بما لا يحتمل ، ومرّة يقصد أن يضع من قدرها بقياس منتقض ، ولا يزداد مع ذلك إلّا قوّة ورفعة ووضوحاً واستنارة ، وقد علمت أنّ ←

الإمام، بل يجوز تقديم المفضول، وبهذا تمكّنوا من المحافظة على أمرين:

الأوّل ـ أفضليّة الإمام عليّ عليه السلام التي لم تكن قابلة للنقاش عند العلماء المتفتّحين.

الثاني ـ الاعتراف بما جرى وتحقّق في الخارج، وهو خلافة أبي بكر بعد النبيّ صلى الله عليه وآله مع وجود الأفضل وهو الإمام عليّ عليه السلام، وإلّا لما كان مورداً للبحث عن أنّ خلافة المفضول صحيحة أم لا؟

ويكفيك ما رواه أرباب السنن والمسانيد عن ابن عبّاس أنّه ذكر لعليّ عليه السلام بضع عشرة فضيلة لم يشاركه فيها غيره(١) سوى ما كان يشارك غيره فيها من الفضائل

← معاوية ويزيد ومن كان بعدهما من بني مروان أيّام ملكهم ـ وذلك نحو ثمانين سنة ـ لم يدّخروا جهداً في حمل الناس على شتمه ولعنه وإخفاء فضائله وستر مناقبه وسوابقه ...».

ثمّ أخذ يذكر نماذج ممّا فعله بنو أميّة وغيرهم ممّا ذكره من أنواع الظلم. انظر شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد) ١٣ ـ ١٤: ٢١٩ ـ ٢٢٠، نقلاً عن نقض العثمانية لأبي جعفر الإسكافي المعتزلي المتوفّى في حدود ٢٤٠هـ.

ويؤيّد كلامه ما نقله البخاري عن ابن سيرين أنّه قال: «إنّ عامّة ما يروى على عليّ الكذب». صحيح البخاري ٢: ٣٠١، في آخر باب مناقب عليّ بن أبي طالب [عليه السلام].

(١) روى أحمد وغيره عن عمرو بن ميمون قال: «إنّي لجالس إلى ابن عبّاس، إذ أتاه تسعة رهط فقالوا: يابن عبّاس، إمّا أن تقوم معنا، وإمّا أن تخلونا هؤلاء، فقال ابن عبّاس: بل أقوم معكم، قال: وهو يومئذٍ صحيح قبل أن يعمى، قال: فابتدأوا فتحدّثوا، فلا ندري ما قالوا، قال: فجاء ينفض ثوبه ويقول: أُفّ وتفّ! وقعوا في رجلٍ له عشر [وفي مستدرك الحاكم: بضع عشرة فضائل ليست لأحد غيره]، وقعوا في رجلٍ قال له النبيّ صلى الله عليه وآله: "لأبعثنّ رجلاً لا يخزيه الله أبداً، يحبُّ الله ورسوله"، قال: فاستشرف لها من استشرف [تأمّل في هذه العبارة رجاءً] قال: أين عليّ؟ قالوا: هو في الرحل يطحن! قال: وما كان أحدكم ليطحن [تأمّل في هذه أيضاً] قال: فجاء وهو أرمد لا يكاد يبصر، قال: فنفث في عينيه، ثمّ هزّ الراية ثلاثاً فأعطاها إيّاه، فجاء بصفيّة بنت حُيَيّ، قال: ثمّ بعث فلاناً [يعني أبا بكر] بسورة التوبة، فبعث عليّاً خلفه فأخذها منه، قال: "لا يذهب بها إلّا رجلٌ منّي وأنا منه"، قال: وقال لبني عمّه: أيّكم يواليني في الدنيا والآخرة؟ ـ وعليٌّ معه جالس ـ فأبوا، ←

وكان يمتاز عليهم بها. وفيما يلي نشير إلى بعض النماذج ممّا نزل في حقّه من القرآن الكريم، تاركين التفصيل إلى الكتب المختصّة بذلك:

ممّا نزل في حقّه عليه السلام من الذّكر الحكيم:

أوّلاً ـ نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ

← فقال عليّ: أنا أواليك في الدنيا والآخرة، قال: «أنت وليّي في الدنيا والآخرة»، قال: فتركه ثمّ أقبل على رجل منهم، فقال: أيّكم يواليني في الدنيا والآخرة؟ فأبوا، قال: فقال عليّ: أنا أواليك في الدنيا والآخرة، فقال: «أنت وليّي في الدنيا والآخرة». قال: وكان أوّل من أسلم من الناس بعد خديجة، قال: وأخذ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ثوبه فوضعه على عليّ وفاطمة وحسن وحسين فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣].

قال: وشرى عليٌّ نفسه، لبس ثوب النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ثمّ نام مكانه، قال: وكان المشركون يرمون رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ـ إلى أن قال: ـ وخرج بالناس في غزوة تبوك، قال: فقال له عليّ: أخرج معك؟ قال: فقال له نبيّ الله، لا، فبكى عليٌّ، فقال له: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟ إلّا أنّك لست بنبيٍّ، إنّه لا ينبغي أن أذهب إلّا وأنت خليفتي»، قال: وقال له رسول الله: «أنت وليّي في كلّ مؤمن بعدي» [وفي مستدرك الحاكم: وليّ كلّ مؤمن بعدي]، وقال: «سُدّوا أبواب المسجد غير باب عليٍّ، فقال: فيدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره، قال: وقال: «من كنت مولاه فإنّ مولاه عليّ»...».

مسند أحمد بن حنبل ١: ٤٣٠، مسند عبدالله بن عبّاس، الحديث ٣٠٦٢، ورواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٣: ١٣٢، ثمّ قال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه [أي الشيخان] بهذه السياقة».

وأخرجه السيّد شرف الدين عن جماعة آخرين في المراجعة ٢٦ من كتابه المراجعات.

والروايات الواردة في علمه، وجهاده، وتقواه، وتصلّبه في ذات الله، ونكران ذاته في الله تعالى، فوق حدّ الإحصاء.

وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾[1] في حقّه عليه السلام.

فقد صرّح الكثير من المفسّرين والمؤرّخين من أهل السنّة، وأطبق الشيعة بأنّ الآية نزلت في حقّه حينما كان يصلّي في المسجد، فسأل سائل أهل المسجد فلم يعطه أحد شيئاً، فأشار عليه السلام إلى السائل بخنصره ليأخذ الخاتم من يده، أو رماه هو عليه السلام إليه[2].

وقد استدلّوا بالآية على إمامته بعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله بلا فصل؛ لأنّ الولاية هنا بمعنى الأولى بالتصرّف، كما تقدّم عند الكلام عن حديث الغدير، وحصرت الآية بكلمة «إنّما» هذه الولاية في اللّه ورسوله والذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة حال ركوعهم، ومصداقه الوحيد حين نزول الآية كان هو الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام. وإتيان الجمع لإفادة التفخيم والتعظيم[3].

ثانياً ـ نزول قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾[4].

نزلت الآية في قضيّة مباهلة النبيّ صلى الله عليه وآله نصارى نجران، والقضيّة كما ينقلها الرازي هي:

---

(١) المائدة: ٥٥.

(٢) انظر على سبيل المثال: التفسير الكبير (للرازي) ١٢: ٢٦، وتفسير الكشّاف (للزمخشري) ١: ٦٢٤، والدرّ المنثور (للسيوطي) ٢: ٢٩٣، وتفسير النسفي ١: ٤٥٦، وتفسير ابن كثير ٢: ٧٤، وأسباب النزول (للواحدي): ١٣٧، وجامع البيان (للطبري) ٦: ٣٨٩، وأحكام القرآن (للجصّاص) ٢: ٥٥٧، وشواهد التنزيل (للحاكم الحسكاني) ١: ٢٠٩، ومصادر كثيرة أُخرى، غير ما ورد في مصادر الشيعة.

(٣) انظر: التبيان (للشيخ الطوسي) ٣: ٥٥٩، ومجمع البيان (للطبرسي) ٣ ـ ٤: ٢١٠ ـ ٢١١.

(٤) آل عمران: ٦١.

«أنّه عليه السلام لمّا أورد الدلائل على نصارى نجران، ثمّ إنّهم أصرّوا على جهلهم، فقال صلى الله عليه وآله: "إنّ الله أمرني إن لم تقبلوا الحجّة أنْ أُباهلكم" -إلى أن قال: ـ وكان رسول الله صلّى الله عليه [وآله] خرج وعليه مرط من شعر أسود وكان قد احتضن الحسين، وأخذ بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعليّ عليه السلام خلفها، وهو يقول: "إذا دعوت فأمّنوا".

فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى، إنّي لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة، ثمّ قالوا: يا أبا القاسم، رأينا أن لا نباهلك وأن نُقرّك على دينك -إلى أن قال: ـ وقال [أي النبيّ صلى الله عليه وآله]: "والذي نفسي بيده، إنّ الهلاك قد تدلّى على أهل نجران..."».

ثمّ قال -أي الرازي ـ: «وروي أنّه عليه السلام لمّا خرج في المرط الأسود، فجاء الحسن عليه السلام فأدخله، ثمّ جاء الحسين عليه السلام فأدخله، ثمّ فاطمة، ثمّ عليّ رضي اللّه عنهما، ثمّ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1]».

ثمّ عقبه بقوله: «واعلم أنّ هذه الرواية كالمتّفق على صحّتها بين أهل التفسير والحديث»[2].

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) التفسير الكبير (للرازي) ٨: ٨٠، وانظر إضافة إلى المصدرين الآتيين: صحيح مسلم ٤: ١٨٧١، باب من فضائل عليّ بن أبي طالب [عليه السلام]، الحديث ٢٤٠٤، ونقله عن سعد بن أبي وقّاص، ورواه عنه أيضاً الترمذي في سننه ٥: ٦٣٨، باب مناقب عليّ بن أبي طالب، الحديث ٣٧٢٤، والدرّ المنثور ٢: ٣٩، فقد أخرجه عن عدّة طرق منها طريق سعد، وتفسير النسفي ١: ٢٦١، والإصابة ٢: ٥٠٩ في ترجمة الإمام عليّ عليه السلام، وأسباب النزول (للواحدي): ٧٤، والمستدرك على الصحيحين ٣: ١٥٠، والسنن الكبرى (للبيهقي) ٧: ٦٣، ومسند أحمد ١: ٢٣٤، مسند سعد بن أبي وقّاص، الحديث ١٦١٣، وعشرات المصادر الأُخرى غير المصادر الشيعيّة التي روت ذلك.

وقال الزمخشري ـ بعد نقل الرواية بكاملها ـ: « وفيه دليلٌ لا شيءَ أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام ، وفيه برهان واضح على صحّة نبوّة النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ؛ لأنّه لم يرو أحد من موافق ولا مخالف أنّهم أجابوا إلى ذلك »[١].

وقال البيضاوي ـ بعد نقل الرواية أيضاً ـ: « وهو دليل نبوّته ، وفضل من أتى بهم من أهل بيته »[٢].

وأمثال هذه التصريحات كثيرة يطول ذكرها.

فالقضيّة بكاملها ، ونزول الآية تدلّان على فضل أصحاب الكساء ، كما صرّحوا بذلك ، وقالوا : إنّ المراد من ﴿ أَبْنَاءَنَا ﴾ : الحسن والحسين عليهما السلام ، و﴿ نِسَاءَنَا ﴾ : فاطمة الزهراء عليها السلام ، والمراد من ﴿ أَنْفُسَنَا ﴾ : عليّ عليه السلام . فأيّ مزيّة أعظم من هذا ؟!

وللإماميّة التفاتة أخرى ، وهي : أنّ الآية تدلّ على مماثلة النفس العلويّة للنفس المحمّديّة من جميع الجهات ، إلّا ما أخرجه الدليل ، وهو النبوّة وفضلها ؛ فإنّها مختصّة برسول الله صلى الله عليه وآله.

وبهذا الدليل يقول الإماميّة بأفضليّة عليّ بن أبي طالب عليه السلام على غيره من الصحابة.

بل وبهذا الدليل أيضاً يقولون باستحقاقه للخلافة عن النبيّ صلى الله عليه وآله بلا فصل ؛ لأنّ مع وجود مَن هو مثل النبيّ صلى الله عليه وآله إلّا في النبوّة كيف يتعدّاه إلى غيره ؟! وكيف يرجّح غيره عليه ؟!

هل يشترط أن يكون الإمام قرشيّاً أو هاشميّاً أو علويّاً ؟

لم يذكر أصحابنا شيئاً من ذلك بعنوان شرط الإمامة ؛ لأنّه لا يمتنع عقلاً ألّا يكون كذلك ، لكن لمّا كان مذهب الإماميّة في الإمامة هو التنصيص ، وقد ثبت انحصار النصّ في إمامة الإمام عليّ عليه السلام وولديه الحسنين عليهما السلام وذرّيّة الحسين عليهم السلام ، فقد تعيّن

---

(١) تفسير الكشّاف (للزمخشري) ١: ٤٣٤.

(٢) تفسير البيضاوي ١: ١٦٣.

أنْ يكون الإمام علويّاً فاطميّاً.

وعلى هذا الأمر يحمل ما ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله: من «أنّ الأئمّة من قريش» فإنّ الروايات في ذلك مستفيضة عن طريق السنّة، منها:

ما رواه مسلم عن جابر بن سمرة، قال: «دخلت مع أبي على النبيّ صلّى اللّه عليه [وآله] وسلّم فسمعته يقول: إنّ هذا الأمر لا ينقضي حتّى يمضي فيهم اثنا عشر خليفةً، قال: ثمّ تكلّم بكلام خفي عليّ، قال: فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلّهم من قريش»[1].

وهذا النصّ لا يمكن توجيهه إلّا على مذهب الإماميّة.

وكذا ما رواه مسلم والبخاري عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان»[2].

فإنّ هذا المعنى لا ينطبق إلّا على نظرية الإماميّة؛ لأنّ كلمة «لا يزال» تدلّ على الاستمرار في المستقبل، ولم يتحقّق هذا المعنى إلّا في الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام.

وهل يُعرف القرشي في هذا الزمان إلّا عن طريق أهل البيت عليهم السلام؟

والحمد للّه ربّ العالمين.

تنبيه:

كلّ ما تقدّم كان بالنسبة إلى أصل نظرية الإمامة عند الإماميّة، ثمّ تطبيقها على الإمام عليّ عليه السلام، يبقى السؤال عن الدليل على إمامة سائر الأئمّة.

والجواب: أنّ إمامة كلّ إمام تتشخّص وتتعيّن بتنصيص الإمام الماضي، وهو كافٍ لإثبات الإمامة، خاصّة مع فرض كون الإمام الناصّ معصوماً.

---

(١) صحيح مسلم ٣: ١٤٥٢، كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش، الحديث ١٨٢١.

(٢) المصدر المتقدّم: الحديث ١٨٢٠، وصحيح البخاري ٢: ٢٦٥، كتاب بدء الخلق، باب مناقب قريش، الحديث ٢، و٤: ٢٣٣، كتاب الأحكام، باب الأمراء من قريش، الحديث ٢، وفيه: «ما بقي منهم اثنان».

خلاصة نظرية الإمامة عند الإماميّة:

أوّلاً ـ تقوم نظريّة الإمامة عند الإماميّة على أساس أنّ الإمامة منصبٌ إلـهيٌ مثل النبوّة، والإمام يقوم بما يقوم به النبيّ من المسؤولية، مثل: تبليغ الدين، وإرشاد المسلمين، وإدارة شؤونهم، وهدايتهم الروحيّة، وتهذيب نفوسهم؛ ليتحقّق قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ ﴾[(١)].

نعم، ليس الإمام نبيّاً، ولم يوح إليه؛ لأنّه لا نبيّ بعد نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله.

ثانياً ـ أنّ الإمامة بالتفسير المتقدّم تكون بحاجة إلى جعل من الله تعالى؛ لأنّه هو الذي يعلم من له استحقاق هذا المنصب الإلـهي كالنبوّة.

إذن لابدّ من التنصيص على الإمام من قبل الله تعالى بواسطة النبيّ صلى الله عليه وآله.

ثالثاً ـ قامت الأدلّة القاطعة على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله نصّ بأمر من الله تعالى على إمامة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقد ذكرنا بعضها وبقي الكثير منها، يراجعها من أرادها في الكتب المعدّة لها.

رابعاً ـ يشترط في الإمام ـ إضافة إلى الذكورة ـ: العصمة والأفضليّة، وقد قامت الأدلّة على عصمة الإمام عليّ عليه السلام وأفضليّته على سائر الصحابة.

خلاصة نظرية الإمامة عند أهل السنّة:

أوّلاً ـ تقوم نظريّة الإمامة عند أهل السنّة على تبرير ما وقع بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وتوجيهه ودعمه بالأدلّة. وبعبارة أُخرى تبتنى هذه النظرية على توجيه ما وقع لا الفحص عمّا ينبغي أن يقع.

ثانياً ـ ليست الإمامة في هذه النظرية منصباً إلـهيّاً مثل النبوّة.

---

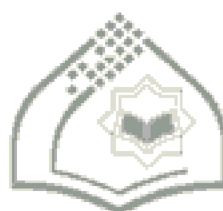
(١) يونس: ٣٥.

ثالثاً ـ وبناءً على ماتقدّم يمكن أن يكون جعل الإمامة بيد الناس، كما قد تحقّق ذلك بالفعل خارجاً.

رابعاً ـ الطرق التي يتعيّن الخليفة بها طبقاً لهذه النظرية هي: البيعة، والاستخلاف الذي هو التنصيص، والشورى ـ التي عدّوها نوعاً من الاستخلاف، وخاصّة ما تحقّق منها بأمر عمر ـ والاستيلاء والغلبة.

خامساً ـ ناقشنا هذه الطرق وقلنا: لا دليل من الكتاب والسنّة على صحّتها، ولم يقم إجماع عليها وإن ادّعي ذلك، وقد ناقشنا تحقّقه.

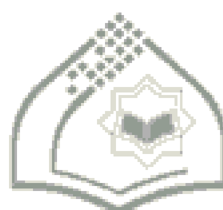
نعم، قام الدليل على صحّة جعل الإمامة بالتنصيص بناءً على نظرية الإماميّة التي تقوم على أساس أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله نصب عليّاً عليه السلام خليفة، فعمل الرسول صلى الله عليه وآله هذا يكون دليلاً على صحّة النصب بالتنصيص.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الثالث



حياة أهل البيت عليهم السلام


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فاطمة الزهراء عليها السلام[1]

اسمها ونسبها:

هي فاطمة بنت محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء والمرسلين.

وأمّها: خديجة بنت خويلد أمّ المؤمنين رضي الله عنها.

كنيتها ولقبها:

أشهر كناها: أمّ الحسن، وأمّ الحسين، وأمّ أبيها[2].

وأشهر ألقابها: الزهراء، الحوراء، الراضية، المرضيّة، البتول، الطاهرة، السيّدة، الزكيّة، الصدّيقة الكبرى، المحدّثة[3].

مولدها:

المعروف عند الشيعة أنّها ولدت بعد البعثة بخمس سنين[4]، ويرى بعضهم

---

(١) كان الأنسب تقديم حياة أمير المؤمنين عليه السلام، ولكن لمّا ذكرنا حياة الأئمّة عليهم السلام بما هم أئمّة على الترتيب، فلذلك قدّمنا حياة أمّ الأئمّة فاطمة الزهراء عليها السلام.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣: ٣٥٧.

(٣) انظر المصدر المتقدّم، والخصال: ٤١٤، باب التسعة، الحديث ٣.

(٤) انظر: أصول الكافي ١: ٤٥٨، باب مولد الزهراء عليها السلام، ومصباح المتهجّد: ٧٣٣، ←

أنّها ولدت بعده بسنتين(١).

وقال غيرهم: إنّها ولدت قبل البعثة بخمس سنين(٢).

وأمّا اليوم والشهر، فالمشهور أنّها ولدت في العشرين من جمادى الثانية(٣).

وفاتها:

لا خلاف في أنّها توفّيت في السنة الحادية عشر بعد الهجرة، بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بمدّة قصيرة، لكن اختلفوا في هذه المدّة، وسيأتي الكلام عنها في آخر البحث.

مدّة عمرها:

المشهور بين الشيعة أنّ عمرها: كان ثمانية عشرة سنة وأشهر؛ بناءً على أنّ مولدها كان في السنة الخامسة بعد البعثة، ووفاتها في السنة الحادية عشرة للهجرة(٤).

وهناك أقوال أخر تبتني على الاختلاف في مولدها ووفاتها.

← وإعلام الورى ١: ٢٩٠، والبحار ٤٣: ٦ ـ ١٠، تاريخ سيّدة النساء، باب ولادتها، عن عدّة مصادر.

(١) انظر البحار ٤٣: ٨، نقلاً عن المفيد في كتابه حدائق الرياض.

(٢) انظر: الإصابة ٤: ٣٧٧، ترجمة فاطمة الزهراء عليها السلام، نقلاً عن الواقدي بإسناده عن الباقر عليه السلام، نقلاً عن العبّاس، وفيه: «قال العبّاس: ولدت فاطمة والكعبة تُبنى، والنبيّ صلى الله عليه وآله ابن خمس وثلاثين سنة»، ثمّ قال: «وبهذا جزم المدائني».

(٣) انظر: مسارّ الشيعة: ٣١، والبحار ٤٣: ٨، نقلاً عن المفيد في كتابه حدائق الرياض، ومصباح المتهجّد: ٧٣٣، قال الشيخ التستري: «رواه الطبري الإمامي عن الصادق عليه السلام، ولم نقف على مخالف صريح، وإن سكت كثير». تواريخ النبيّ والآل: ٢٤.

(٤) انظر أُصول الكافي ١: ٤٥٨، باب مولد الزهراء عليها السلام، وإعلام الورى ١: ٢٩٠.

الزهراء ﷺ مع أبيها ﷺ :

فقدت الزهراء أمّها خديجة وهي في حدود الخامسة من عمرها، أو أكثر بقليل ـ بناءً على ولادتها بعد البعثة بخمس سنين ـ ترى آثار الحزن الشديد على أبيها لفقد من كان يعتمد عليه في نشر دعوته: أبي طالب وخديجة، حتّى سمّى العام الذي توفّيا فيه بعام الحزن(١).

كانت الزهراء وهي الصغيرة بعمرها، الكبيرة بمكانتها من رسول اللّه ﷺ تحاول أن تملأ الفراغ الحاصل من فقد أمّها خديجة، فكانت تحنّ على أبيها، ذلك الحنان الذي جعلته يكنّيها بـ «أمّ أبيها»(٢).



هجرتها إلى المدينة :

هاجرت إلى المدينة ـ بعد هجرة النبيّ ﷺ إليها ـ برفقة سائر الفواطم(٣)، وبرعاية عليّ بن أبي طالب ﷺ، فاستقرّت مع أبيها في بيت أبي أيّوب الأنصاري حتّى بنيت دار النبيّ ﷺ(٤).

زواجها بعليّ ﷺ :

لا شكّ أنّها تزوّجت بعليّ ﷺ بعد الهجرة، وإنّما الخلاف في تاريخ ذلك، فقيل:

ـ إنّه كان بعد الهجرة بشهرين(٥).

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ ٢: ٩٠، وسيرة النبيّ ﷺ (لابن هشام) ٢: ٢٥، وإعلام الورى ١: ٥٣.

(٢) هذا من كناها المشهورة، انظر: مناقب آل أبي طالب ٣: ٣٥٧، والإصابة ٤: ٣٧٧.

(٣) وهنّ: فاطمة الزهراء ﷺ، وفاطمة بنت أسد، وفاطمة بنت الزبير بن عبدالمطّلب.

(٤) انظر إعلام الورى ١: ١٦٠.

(٥) انظر تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٤.

ـ أو بعدها بسنة[١].

ـ أو بعدها باثنين وعشرين شهراً[٢].

ـ وقيل : تزوّج بها ـ أي عقدها ـ في السنة الأُولى ، وبنى عليها ـ أي دخل بها ـ في السنة الثانية[٣].

والروايات في كيفيّة الخطبة والزواج كثيرة ، نقتصر على ذكر ما نقله المجلسي في البحار عن أمالي الشيخ الطوسي بإسناده إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، قال :

«أتاني أبو بكر وعمر فقالا : لو أتيت رسول اللّه صلى الله عليه وآله فذكرت له فاطمة .

قال : فأتيته ، فلمّا رآني رسول اللّه صلى الله عليه وآله ضحك ، ثمّ قال : ما جاء بك يا أبا الحسن ، حاجتك ؟

قال : فذكرت له قرابتي ، وقدمي في الإسلام ، ونصرتي له ، وجهادي ، فقال : يا عليّ ، صدقت ، فأنت أفضل ممّا تذكر ، فقلت : يا رسول اللّه ، فاطمة تزوّجنيها ؟

فقال : يا عليّ ، إنّه قد ذكرها قبلك رجال[٤] ، فذكرت ذلك لها ، فرأيت الكراهة في وجهها ، ولكن على رسلك حتّى أخرج إليك .

فدخل عليها ،فقامت ، فأخذت رداءه ، ونزعت نعليه ، وأتته بالوضوء ، فوضّأته

---

(١) انظر الكافي (الروضة) ٨ : ٣٤٠ ، رقم الحديث ٥٣٦ ، حديث إسلام عليّ عليه السلام ، نقلاً عن عليّ بن الحسين عليه السلام .

(٢) انظر تاريخ الطبري ٢ : ١٢٤ ، حوادث السنة الثانية من الهجرة .

(٣) انظر مروج الذهب ٢ : ٢٨٨ ، حوادث السنة الثانية من الهجرة .

(٤) جاء في مناقب آل أبي طالب ٣ : ٣٤٥ : وقد اشتهر في الصحاح بالأسانيد عن أمير المؤمنين ، وابن عبّاس ، وابن مسعود ، وجابر الأنصاري ، وأنس بن مالك ، والبراء بن عازب ، وأُمّ سلمة بألفاظ مختلفة ومعاني متّفقة : أنّ أبا بكر وعمر خطبا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فاطمة مرّة بعد أُخرى ، فردّهما » ، وانظر الصواعق : ١٦٣ ، ومجمع الزوائد ٩ : ٢٠ ، باب في فضل فاطمة وتزويجها بعليّ عليه السلام .

بيدها، وغسلت رجليه، ثمّ قعدت[١]، فقال لها: يا فاطمة، فقالت: لبّيك، لبّيك، حاجتك يا رسول الله؟

قال: إنّ عليّ بن أبي طالب مَن قد عرفتِ قرابته وفضله وإسلامه، وإنّي قد سألت ربّي أن يزوّجك خير خلقه وأحبّهم إليه، وقد ذكر من أمرك شيئاً، فما ترين؟ فسكتت ولم تولّ وجهها، ولم يرَ فيه رسول الله صلى الله عليه وآله كراهة، فقام وهو يقول: الله أكبر، سكوتها إقرارها.

فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمّد، زوّجها عليّ بن أبي طالب، فإنّ الله قد رضيها له، ورضيه لها.

قال عليّ: فزوّجني رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ أتاني فأخذ بيدي فقال: قم باسم الله، وقل: على بركة الله، وما شاء الله، ولا قوّة إلّا بالله، توكّلت على الله. ثمّ جاءني حتّى أقعدني عندها عليها السلام، ثمّ قال: اللّهمّ إنّهما أحبّ خلقك إليّ، فأحبّهما، وبارك في ذرّيّتهما، واجعل عليهما منك حافظاً، وإنّي أعيذهما بك وذرّيّتهما من الشيطان الرجيم»[٢].

أمّا مراسيم الزفاف، فقد ذكرتها المصادر، وفيها الصفاء والعظمة المعنويّة بجانب البساطة الماديّة، ولا يسع المجال بيان ذلك.

وأمّا مهرها، فالمروي: أنّه كان ثمن درع حطميّة كانت لعليّ عليه السلام[٣].

والمعروف عند أهل البيت عليهم السلام: أنّه «ما زوّج رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً من بناته،

---

(١) انظر إلى هذا الحنان، فهنيئاً لك يا أبا القاسم، يارسول الله، بابنتك الصدّيقة، وهنيئاً لك يا أبا الحسن بهذه الزوجة! فلا غرو إذن أن يجزع على فراقها عليّ، كما سيأتي.

(٢) البحار ٤٣: ٩٣، تاريخ سيّدة النساء عليها السلام، باب تزويجها، الحديث ٤.

(٣) انظر الوسائل ٢١: ٢٥٠، الباب ٥ من أبواب المهور، الحديث ٤، ولكن فيه أنّه كان يساوي ثلاثين درهماً، وانظر: مناقب آل أبي طالب ٣: ٣٥١، والإصابة ٤: ٣٧٧، وبهامشه الاستيعاب.

ولا تزوّج شيئاً من نسائه على أكثر من اثنتي عشرة أوقية ونشّ، والأوقية أربعون، والنشّ عشرون درهماً»[1]، فيكون المجموع خمسمئة درهم، وهو المروي أيضاً[2].

وهل كان ثمن الدرع ذلك، أو كان أقلّ فأكمله؟ فيه كلام[3].

فضائلها ومناقبها عليها السلام:

ورد لسيّدة النساء فضائل كثيرة كتاباً وسنّة، نشير فيما يلي إلى نماذج منها:

أوّلاً ـ بعض الآيات الواردة بشأنها:

وردت آيات عديدة بشأن أهل البيت، ومن جملتهم الزهراء عليها السلام، نذكر على سبيل المثال بعضها:

١ ـ آية التطهير:

من الآيات التي نزلت في حقّها مع سائر أصحاب الكساء، آية التطهير، وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[4].

فقد تقدّم[5] أنّها نزلت في أهل البيت بمعناه الأخصّ، وهم: عليّ وفاطمة والحسن والحسين، عندما جمعهم رسول الله صلى الله عليه وآله وشملهم ونفسه بردائه، وقال:

---

(١) الوسائل ٢١: ٢٤٦، الباب ٤ من أبواب المهر، الحديث ٤.

(٢) المصدر المتقدّم: ٢٤٥، الحديث الأوّل.

(٣) روي في مجمع الزوائد: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله منعه من بيع فرسه، وأمره ببيع درعه، فباعه بأربعمئة وثمانين درهماً، وفي رواية أخرى: أمره أن يجمع ما استطاع، فأتى باثنتي عشرة أوقية بأربعمئة وثمانين درهماً. انظر مجمع الزوائد ٩: ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

ويظهر من الرواية الثانية أنّه باع درعه وأكمل ثمنه بأربعمئة وثمانين درهماً.

(٤) الأحزاب: ٣٣.

(٥) راجع الصفحة ٢١ وما بعدها.

«اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي، أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً»[١]، فنزلت الآية. وقد تقدّم الكلام عن الآية وما يستفاد منها على نحو التفصيل في الفصل الأوّل، وقلنا: إنّها تدلّ على عصمة أصحاب الكساء.

٢ـ آية المباهلة:

ومن الآيات النازلة بشأنها مع سائر أصحاب الكساء، آية المباهلة، وهي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[٢].

وقد تقدّم الكلام عن الآية، وذكرنا تصريحات العلماء في دلالتها على عظيم فضل أصحاب الكساء[٣].

٣ـ آية الإطعام:

وهي قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً﴾[٤].

قال الشيخ الطوسي: «قد روت الخاصّة والعامّة: أنّ هذه الآيات نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فإنّهم آثروا المسكين واليتيم والأسير، ثلاث ليال على إفطارهم وطووا عليهم السلام، ولم يفطروا على شيء من الطعام، فأثنى اللّه عليهم هذا الثناء الحسن، وأنزل فيهم هذه السورة، وكفاك بذلك فضيلة جزيلة تتلى إلى يوم القيامة»[٥].

---

(١) سنن الترمذي ٥: ٦٩٩، كتاب الفضائل، باب فضائل فاطمة [عليها السلام]، الحديث ٣٨٧١.

(٢) آل عمران: ٦١.

(٣) راجع الصفحة: ١٥٩.

(٤) الدهر: ٧ـ ٩.

(٥) التبيان في تفسير القرآن ١٠: ٢١١.

←

ولا غرو أن يقول جبرائيل ـ كما ذكرت الروايات ـ عند نزول السورة: «خذها يا محمّد، هنّاك الله في أهل بيتك».

← اختلفت الروايات في كيفيّة القضيّة، فالمشهور: أنّ الحسنين عليهما السلام مرضا، فزارهما النبيّ صلى الله عليه وآله وبعض الصحابة، فقالوا لعلي: لو نذرت صوماً لشفائهما، فبرءا، فأصبح عليّ عليه السلام صائماً وصاموا معه حتّى جاريتهم فضّة، فاستقرض عليّ من شمعون اليهودي، أو غيره، ثلاثة أصوع من الشعير ـ وفي بعض الروايات أخذ منه صوفاً لتغزله فاطمة عليها السلام بدل الشعير ـ فطحنت صاعاً وخبزته خمسة أقراص، وعند الإفطار دقّ السائل الباب، وإذا هو مسكين يستعطي فأعطى عليّ عليه السلام خبزه له وأعطى سائر أهل البيت خبزهم له، وهكذا في اليوم الثاني، وكان الطارق فيه يتيماً، وفي الثالث أسيراً، فباتوا ثلاثة أيّام جياعاً... الخ.

وروى عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبدالله بن ميمون القداح، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «كان عند فاطمة شعير، فجعلوه عصيدة، فلمّا أنضجوها ووضعوها بين أيديهم جاء مسكين، فقال المسكين: رحمكم الله، أطعمونا ممّا رزقكم الله، فقام عليّ عليه السلام فأعطاه ثلثها، فما لبث أن جاء يتيم، فقال اليتيم: رحمكم الله، أطعمونا ممّا رزقكم الله، فقام عليّ عليه السلام، فأعطاه ثلثها الثاني، فما لبث أن جاء أسير، فقال الأسير: يرحمكم الله، أطعمونا ممّا رزقكم الله، فقام عليّ عليه السلام فأعطاه الثلث الباقي، وما ذاقوها، فأنزل الله فيهم...». تفسير القمّي ٢: ٣٩١.

وروى الواحدي، عن عطاء، عن ابن عبّاس، قال: «إنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام نوبة آجر نفسه يسقي نخلاً بشيء من شعير ليلة حتّى أصبح وقبض الشعير وطحن ثلثه، فجعلوا منه شيئاً ليأكلوا يقال له: الخزيرة، فلمّا تمّ إنضاجه، أتى مسكين فأخرجوا إليه الطعام، ثمّ عمل الثلث الباقي، فلمّا تمّ إنضاجه أتى يتيم، فسأل فأطعموه، ثمّ عمل الثلث الباقي، فلمّا تمّ إنضاجه أتى أسير من المشركين فأطعموه وطووا يومهم ذلك، فأنزلت فيه هذه الآية». أسباب النزول: ٣٢٢.

وانظر إضافة إلى ما تقدّم: مجمع البيان (٩ ـ ١٠): ٤٠٤ ـ ٤٠٥، والكشّاف ٤: ١٩٧، وأنوار التنزيل (تفسير البيضاوي) ٢: ٥٥٣، والدرّ المنثور ٦: ٢٩٩، وتفسير النسفي ٣: ٥٧٨، وشواهد التنزيل ٢: ٢٩٤، الحديث ١٠٤٢، وغيرها من كتب التفسير والتراجم والسيرة.

ثانياً ـ بعض ما ورد بشأنها عليها السلام من السنّة :

سجّل التاريخ فضائل كثيرة للسيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام ، رغم كلّ التحدّيات والممانعات عن تدوينها وذكرها ، وسنذكر فيما يلي بعض ما ورد بشأنها من أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثمّ نردفه ببعض سيرتها العمليّة التي تعكس جانباً من فضائلها :

١ ـ روى البخاري بإسناده عن عائشة ، قالت : « إنّا كنّا أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله عنده جميعاً لم تغادر منّا واحدة ، فأقبلت فاطمة عليها السلام تمشي ، لا والله ما تخفى مشيتها من مشية رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ، فلمّا رآها رحّب ، قال : مرحباً يا بنتي ، ثمّ أجلسها عن يمينه أو عن شماله ، ثمّ سارّها ، فبكت بكاءً شديداً ، فلمّا رأى حزنها ، سارّها الثانية ، إذا هي تضحك ، فقلت لها أنا من بين نسائه : خصّك رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم بالسرّ من بيننا ، ثمّ أنت تبكين ، فلمّا قام رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ، سألتها عمّا سارّك ؟ قالت : ما كنت لأفشي على رسول الله صلى الله عليه وآله سرّه ، فلمّا توفّي قلت لها : عزمت عليكِ بما لي عليك من الحقّ لما أخبرتيني ، قالت : أمّا الآن فنعم ، فأخبرتني ، قالت : أمّا حين سارّني في الأمر الأوّل ، فإنّه أخبرني أنّ جبريل كان يعارضه بالقرآن كلّ سنة مرّة ، وإنّه قد عارضني به العامّ مرّتين ، ولا أرى الأجل إلّا قد اقترب ، فاتّقي الله واصبري ، فإنّي نِعم السلف أنا لكِ ، قالت : فبكيت بكائي الذي رأيتِ ، فلمّا رأى جزعي سارّني الثانية ، قال : يا فاطمة ، ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء المؤمنين ، أو سيّدة نساء هذه الأمّة »[١].

---

(١) صحيح البخاري ٤ : ٩٦ ، كتاب الاستئذان ، باب من ناجى بين النّاس ، و ٢ : ٢٨٣ ـ ٢٨٤ ، باب علامات النبوّة في الإسلام ، و ٢ : ٣٠١ ، باب مناقب قرابة رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم وقرابة فاطمة عليها السلام ، و ٤ : ٩٦ ، كتاب الاستئذان ، باب من ناجى بين يدي النّاس ، واللفظ من الأخير ، ورواه مسلم في صحيحه ٤ : ١٩٠٥ ، باب فضائل ←

وفي بعض ألفاظ الحديث: « سيّدة نساء العالمين »[١].

٢ ـ وروى البخاري بسنده عن المسوّر بن مخرمة: أنّ رسول اللّه ﷺ قال: « فاطمة بضعة منّي، فمن أغضبها أغضبني »[٢].

وروى مسلم بسنده عنه أنّه قال ﷺ: « إنّما فاطمةُ بضعة منّي، يؤذيني ما آذاها »[٣].

وروي عنه ﷺ أنّه قال: « إنّ اللّه يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك »[٤].

والروايات بهذه المضامين كثيرة.

شدّة حبّ النبيّ ﷺ لها:

كانت فاطمة ﷺ أحبّ النساء إلى رسول اللّه ﷺ، كما كان عليّ أحبّ الرجال إليه.

١ ـ روى الترمذي بإسناده عن بريدة، قال: « كان أحبّ النساء إلى رسول اللّه ﷺ فاطمة، ومن الرجال عليّ »[٥].

← فاطمة [ﷺ]، الحديث ٢٤٥٠، وفضائل الصحابة: ٧٧، مناقب فاطمة [ﷺ]، وابن ماجة في سننه ١: ٥١٨، كتاب الجنائز، باب مرض رسول اللّه ﷺ، الحديث ١٦٢١، وعشرات المصادر الأُخرى غير ما ورد في المصادر الشيعيّة.

(١) انظر: المستدرك على الصحيحين ٣: ١٥٦، باب فضائل فاطمة [ﷺ]، وحلية الأولياء ٢: ٤٠.

(٢) صحيح البخاري ٢: ٣٠٢، باب منقبة فاطمة ﷺ.

(٣) صحيح مسلم ٤: ١٩٠٣، باب فضائل فاطمة [ﷺ].

(٤) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد عن الطبراني، وقال: « إسناده حسن ».
مجمع الزوائد ٩: ٢٠٣، وانظر المستدرك على الصحيحين ٣: ١٥٤، وقال: « هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه ».

(٥) سنن الترمذي ٥: ٦٩٨، باب فضائل فاطمة [ﷺ]، الحديث ٣٨٦٨.

٢ ـ وروى عن عائشة أنّها حينما سئلت : أيّ النّاس كان أحبّ إلى رسول الله ﷺ ؟ قالت : « فاطمة ، فقيل : من الرجال ؟ قالت : زوجها ان كان ما علمت صوّاماً قوّاماً »[1].

٣ ـ وروى أحمد بإسناده عن النعمان بن بشير أنّه قال : « استأذن أبو بكر على رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ودخل فسمع صوت عائشة عالياً وهي تقول : والله لقد عرفت أنّ عليّاً وفاطمة أحبّ إليك من أبي ومنّي ، مرّتين أو ثلاثاً ، فاستأذن أبو بكر فدخل ، فأهوى إليها ، فقال : يا بنت فلانة ، ألا أسمعك ترفعين صوتك على رسول الله ﷺ »[2].

٤ ـ وروى الحاكم بإسناده عن عائشة أيضاً أنّها قالت : « ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً من فاطمة برسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ، وكانت إذا دخلت عليه رحّب بها وقام إليها ، فأخذ بيدها فقبّلها وأجلسها في مجلسه »[3].

ثمّ قال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ».

٤ ـ وروى الحاكم أيضاً بإسناده إلى ثعلبة الخشني ، أنّه قال :

« كان رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم إذا رجع من غزاة أو سفر أتى

---

(١) سنن الترمذي ٥ : ٧٠١ ، باب فضائل فاطمة [؏] ، الحديث ٣٨٧٤.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٤ : ٣٣٧ ، مسند الكوفيّين ، مسند النعمان بن بشير ، الحديث ١٨٤٥٠ ، ومجمع الزوائد (للهيثمي) ٩ : ٢٠١ ـ ٢٠٢.

أقول : ولعلّ كان ذلك قبل نزول قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ الحجرات : ٢.

وإلّا فكيف ترفع أمّ المؤمنين صوتها على النبيّ ﷺ بعد نهيه تعالى عن ذلك ؟!

ولكن ـ مع الأسف ـ لم تنحصر القضيّة بهذا المورد بالخصوص !

(٣) المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٥٤ ، باب فضائل فاطمة ؏ .

المسجد فصلّى فيه ركعتين ، ثمّ ثنى بفاطمة رضي اللّه عنها ، ثمّ يأتي أزواجه ، فلمّا رجع ، خرج[١] من المسجد ، تلقّته فاطمة عند باب البيت تلثم فاه وعينه تبكي ، فقال لها : يا بنيّة ، ما يبكيك ؟! قالت : يا رسول اللّه ، ألا أراك شَعِثاً نَصِباً قد أخلولقت ثيابك !! قال[٢] فقال : فلا تبكي ، فإنّ اللّه عزّ وجلّ بعث أباك لأمر لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا شعر إلّا أدخل اللّه به عزّاً أو ذلّاً حتّى يبلغ حيث بلغ الليل »[٣].

ثمّ قال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ».

عبادتهـــا :

روى الصدوق بإسناده عن الحسن عليه السلام ، قال : « رأيت أمّي فاطمة عليها السلام ، قامت في محرابها ليلة جمعتها ، فلم تزل راكعة ساجدة حتّى اتّضح عمود الصبح ، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم وتكثر الدعاء لهم . ولا تدعو لنفسها بشيء فقلت لها : يا أمّاه لم لا تدعونَ لنفسك كما تدعونَ لغيرك ؟ فقالت : يا بني ، الجّار ثمّ الدار »[٤].

وعن الحسن البصري : « ما كان في هذه الأمّة أعبد من فاطمة ، كانت تقوم حتّى تورّم قدماها ، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله لها : أيُّ شيءٍ خيرٌ للمرأة ؟ قالت : أن لا ترى رجلاً ، ولا يراها رجل ، فضمّها إليه وقال : ذرّيّة بعضها من بعض »[٥].

---

(١) كذا ، ولعلّ هناك سقطاً .

(٢) أي قال الراوي .

(٣) المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٥٥ ، باب فضائل فاطمة عليها السلام .

(٤) البحار ٤٣ : ٨٤ ، تاريخ فاطمة الزهراء عليها السلام ، باب سيرها ، الحديث ٣ ، نقلاً عن علل الشرائع : ١٨١ ، الباب ١٤٥ ، الحديث الأوّل .

(٥) المصدر المتقدّم : ٨٤ ، الحديث ٧ ، نقلاً عن المناقب ٣ : ٣٤١ .

أقول : ولعلّ المراد من : أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل هو الرؤية مع عدم مراعاة ←

زهدها وانقطاعها عن الدنيا:

١ ـ روي عن جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، وعن جابر بن عبدالله الأنصاري: «أنّه رأى النبيّ صلى الله عليه وآله فاطمة وعليها كساء من أجلّة الإبل وهي تطحن بيدها وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: يا بنتاه، تعجّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة، فقالت: يا رسول الله، الحمد لله على نعمائه، والشكر لله على آلائه، فأنزل الله: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾[1]»[2].

والمعروف أنّ سورة الضحى مكّيّة، وليس من البعيد نزول خصوص الآية مرّتين، أو أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله تلاها عندئذٍ[3].

٢ ـ وروى أحمد بإسناده عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا سافر آخر عهده بإنسان من أهله فاطمة، وأوّل من يدخل عليه إذا قدم فاطمة، قال: فقدم من غزاة له، فأتاها، فإذا هو بمسح[4] على بابها، ورأى على الحسن والحسين قلبين[5] من فضّة، فرجع ولم يدخل عليها، فلمّا رأت ذلك فاطمة

← شؤون الحجاب أو قلّة مراعاته، وإلّا فكانت تدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله، وربّما كان بعض الصحابة عنده، وكان ربّما يدخل عليها ومعه بعض الصحابة، كما يظهر من بعض الروايات.

(١) الضحى: ٥.

(٢) البحار ٣: ٨٥ ـ ٨٦، الحديث ٩، نقلاً عن المناقب ٣: ٣٤٢، وهو بدوره نقله عن تفسير الثعلبي عن جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، وعن تفسير القشيري عن جابر، وأخرجه عنه السيوطي في الدرّ المنثور ٦: ٣٦١، وأخرجه الطبرسي في مجمع البيان (٩ ـ ١٠): ٥٠٥ عن الصادق أيضاً. وانظر: شواهد التنزيل ٢: ٤٤٥، وفتح القدير ٥: ٤٦٠.

(٣) وهو يلائم نقل الطبرسي للرواية.

(٤) المسح: الكساء من الشعر. لسان العرب: «مسح».

(٥) القُلب: سوار المرأة. القاموس المحيط: «قلب».

ظنّت أنّه لم يدخل عليها من أجل ما رأى، فهتكت الستر، ونزعت القلبين من الصبيّين، فقطّعتهما، فبكى الصبيان، فقسّمته بينهما، فانطلقا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهما يبكيان، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وآله منهما، فقال: "يا ثوبان، اذهب بهذا إلى بني فلان، أهل بيت في المدينة، واشتر لفاطمة قلادة من عصب وسوارين من عاج، فإنّ هؤلاء أهل بيتي، ولا أحبّ أن يأكلوا طيّباتهم في حياتهم الدنيا"»[1].

سيرتها في البيت:

١ ـ روى الكليني بإسناده عن زيد بن الحسن، قال: «سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: كان عليّ عليه السلام أشبه النّاس طعمة وسيرة برسول الله صلى الله عليه وآله، وكان يأكل الخبز والزيت ويطعم النّاس الخبز واللحم، قال: وكان عليّ عليه السلام يستقي ويحتطب، وكانت فاطمة عليها السلام تطحن وتعجن وتخبز وترقع، وكانت من أحسن النّاس وجهاً، كأنّ وجنتيها وردتان، صلّى الله عليها وعلى أبيها وبعلها وولدها الطاهرين»[2].

٢ ـ وروى أبو نعيم عن ابن أعبد، قال: «قال عليّ: يابن أعبد، ألا أخبرك عنّي وعن فاطمة؟ اكانت ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأكرم أهله عليه، وكانت زوجتي، فجرّت بالرحا حتّى أثّرت الرحا بيدها، واستقت بالقربة حتّى أثّرت القربة بنحرها، وقمّت البيت حتّى اغبرّت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتّى دنست ثيابها، وأصابها من ذلك ضرّ»[3].

ربّما يقال: إنّ هذا هو العمل السائد للنساء في بيوتهنّ، فلا يختصّ ذلك بها

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٥: ٣٢٤، الحديث ٢٢٤٢٦، مسند الأنصار، حديث ثوبان، ورويت القضيّة في مصادر كثيرة أخر، ربّما يختلف بعضها في كيفيّة تصوير القضيّة، ولكن جوهرها واحد.

(٢) الكافي (الروضة) ٨: ١٦٥، حديث النّاس يوم القيامة، الحديث ١٧٦.

(٣) حلية الأولياء ٢: ٤١، ترجمة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

كي يكون فخراً لها.

والجواب: أنّه مع ملاحظة جميع الجهات والجوانب لا بدّ من الإقرار بفضلها؛ لأنّه مع فرض أنّها بنت أشرف النّاس وأعظمهم قدراً، فاللازم أن تكون مثل سائر بنات العظماء والأشراف في رفاهيّة العيش، لكنّها لم تكن حياتها كذلك، بل عاشت -كما ذكرته الروايات- في منتهى البساطة، وفي حدّ حياة العوائل التي تقاسي الفقر، وكان مربّيها أبوها رسول الله صلى الله عليه وآله يراقب هذا الأمر بشدّة لئلّا تعلو حياتها عن فقراء المسلمين.

نعم، هكذا أدّبها من أدبه الله تعالى، فأعظم بالمؤدِّب وأنعم بالمؤدَّب!

ومن هذا التأديب ما تظافر نقله عند الخاصّة والعامّة: من أنّها طلبت من أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله خادماً تساعدها في خدمة البيت.

فقال لها ولزوجها: «أفلا أعلّمكما ما هو خير لكما من الخادم، إذا أخذتما منامكما فسبّحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبّرا أربعاً وثلاثين... فقالت: رضيت عن الله ورسوله، ورضيت عن الله ورسوله، ورضيت من الله ورسوله»[1].

وروى ذلك الصدوق نفسهُ في الفقيه[2]، ولكن مع تقديم التكبير وتأخير التحميد، ويبدو أنّ الأشهر[3] تقديم التكبير، ثمّ التحميد، ثمّ التسبيح، وإن ورد بكلّ من هذه الصور رواية[4].

---

(١) علل الشرائع: ٣٦٦، الباب ٨٨. والرواية طويلة يتضمّن صدرها ما أوردناه عن أبي نعيم آنفاً. ويكوّن هذا المقطع ذيلها، وانظر صحيح البخاري ٢: ١٩٠، باب أنّ الخمس لنوائب رسول الله صلى الله عليه وآله، وغيره، فالرواية مشهورة بين العامّة والخاصّة.

(٢) من لا يحضره الفقيه ١: ٣٢٠، التعقيب، الحديث ٩٤٧.

(٣) انظر المنتهى ٥: ٢٤٤، والمروي في صحيح البخاري كذلك.

(٤) انظر الوسائل ٦: ٤٤٤ ـ ٤٤٦، الباب ١٠ و ١١ من أبواب التعقيب.

علمهـا عليها السلام :

وأمّا علمها ، فيكفيك أنّها بنت خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله ، وزوجة وصيّه عليه السلام .

وقد تكلّمنا فيما تقدّم عن مصحف فاطمة وحقيقته وما يتضمّن من العلوم ، والذي كان الأئمّة من ولدها يتوارثونه ويختصّون به .

وليست خطبتها أمام الصحابة إلّا لمعة خاطفة من النور الإلهي المكنون في صدرها التي ألجأتها الضرورة للإجهار بها .

وممّا يؤسف له أسفاً شديداً ، أنّ الأمّة لم تستفد من هذه العين الصافية ، بل حالت دون ذلك القدرات المناوئة .

أضف إلى ذلك قصر مدّة بقائها بعد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله ، وتناقل الحديث إنّما كان بعد وفاته صلى الله عليه وآله .

فهذا وذاك وعوامل أُخر صارت سبباً ليقلّ النقل عن النبيّ صلى الله عليه وآله بواسطتها .

ما جرى عليها بعد وفاة أبيها :

لا يمكننا فعلاً سرد كلّ ما جرى عليها بعد وفاة أبيها حتّى اختارت لقاء اللّه ؛ لأنّ بناءنا على الاختصار ، ولكنّا نشير إلى إجمال ذلك ، فنقول :

أوّلاً ـ أنّها شملها الحزن الشديد للمصاب الجلل والفادح الذي أصابها بفقد أبيها سيّد الرسل صلى الله عليه وآله ، فكانت تكثر البكاء عليه ، حتّى قيل : « البكّاؤون خمسة : آدم ، ويعقوب ، ويوسف ، وفاطمة بنت محمّد ، وعليّ بن الحسين عليهم السلام »[١] .

ثانياً ـ شاهدت انحراف الخلافة عن مسيرها الصحيح الذي رسمه رسول الله صلى الله عليه وآله ،

---

(١) البحار ٤٣ : ١٥٥ ، تاريخ الزهراء عليها السلام ، باب ما وقع عليها من الظلم ، الحديث الأوّل ، نقلاً عن الخصال : ٢٧٢ ، باب الخمسة ، الحديث ١٥ .

والذي وصّى به مراراً، صراحة وكنايةً، فرأت كيف تمالأ القوم على بعلها فتركوه مشغولاً بتجهيز النبيّ ﷺ، واغتنموا الفرصة لعقد الخلافة لأبي بكر في سقيفة بني ساعدة(١).

ثالثاً ـ وللسبب المتقدّم، ولما سيأتي من غصب حقّها، امتنعت من البيعة مع أبي بكر حتّى ماتت وهي ساخطة وواجدة عليه، وعلى من خطّ الخلافة له(٢).

قضيّة فدك:

رابعاً ـ كانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ؛ لأنّها ممّا أفاءه الله على رسوله ﷺ بغير خيل ولا ركاب(٣)، فلمّا نزل قوله تعالى: ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ

---

(١) انظر تصوير القضيّة على لسان البراء بن عازب، في هامش الصفحة ١٢٤.

(٢) ونقل البخاري في صحيحه عن عائشة: أنّ فاطمة ابنة رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله أن يقسم لها ميراثها ممّا ترك رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، ممّا أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر: «إنّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم قال: لا نورث ما تركناه صدقة، فغضبت فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتّى توفّيت، وعاشت بعد رسول الله ستّة أشهر...». صحيح البخاري ٢: ١٨٦، باب فرض الخمس، ورواه في آخر باب غزوة خيبر، وجاء فيه: «...فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها [أي ممّا أفاء الله على رسوله في المدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر] شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك، فهجرته فلم تكلّمه حتّى توفّيت، وعاشت بعد النبيّ ﷺ ستّة أشهر...». وانظر صحيح ابن حبّان ١١: ١٥٢ ـ ١٥٤، الحديث ٤٨٢٣، والمصنّف لعبدالرزّاق ٥: ٤٧٢، وغير ذلك.

(٣) قال ياقوت الحموي: «فدك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان، وقيل: ثلاثة، أفاءها الله على رسوله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، لمّا نزل خيبر وفتح حصونها ولم يبق إلّا ثلاث واشتدّ بهم الحصار راسلوا رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يسألونه أن ينزلهم على الجلاء وفعل. وبلغ ذلك أهل فدك، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ أن يصالحهم على النصف من ثمارهم وأموالهم، فأجابهم إلى ذلك، فهي ممّا لم يوجف عليه ←

حقّهُ﴾[1] أعطاها فاطمة عليها السلام، لكن أخذها أبو بكر بعد أن صار خليفة بحجّة أنّ

← بخيل ولا ركاب، فكانت خالصة لرسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، وفيها عين فوّارة ونخيل كثيرة، وهي التي قالت فاطمة رضي الله عنها: إنّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم نحلنيها، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أُريد لذلك شهوداً، ولها قصّة..». معجم البلدان ٤: ٢٣٨، «فدك».

وقال الطبري: «ولمّا فرغ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فدك حين بلغهم ما أوقع الله بأهل خيبر، فبعثوا إلى رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يصالحونه على النصف من فدك، فقدمت عليه رسلهم بخيبر أو بالطريق، وأمّا بعد ما قدم المدينة، فقبل ذلك منهم، فكانت فدك لرسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم خاصّة؛ لأنّه لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب». تاريخ الطبري ٢: ٣٠٦.

وذكر الحموي ـ بعد عبارته المتقدّمة ـ: أنّ بعض الخلفاء ردّها إلى وِلدها، ثمّ أُخذت من قِبل مَن أتى بعدهم، وهكذا... فالذين ردّوها: عمر بن عبدالعزيز، والسفّاح، والمهدي، والمأمون في سنة ٢١٠هـ، فكتب إلى قثم بن جعفر عامله على المدينة: «أنّه كان رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم أعطى ابنته فاطمة رضي الله عنها فدك، وتصدّق عليها بها، وأنّ ذلك كان أمراً ظاهراً معروفاً عند آله، عليه الصلاة والسلام، ثمّ لم تزل فاطمة تدّعي منه بما هي أولى مَن صُدِّق عليه، وأنّه قد رأى ردّها إلى ورثتها وتسليمها إلى محمّد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ومحمّد بن عبدالله بن الحسين بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما، ليقوما بها لأهلهما»، ثمّ استرجعها المتوكّل من أيديهم.

وفي ردّ مأمون فدك للفاطميّين قال دعبل الخزاعي:

أصبح وجه الزمان قد ضحكا ... بردّ مأمون هاشم فدكا

معجم البلدان ٤: ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

وممّا يدلّ على أنّ فدك كانت في يد فاطمة عليها السلام تصريح عليّ عليه السلام في كتابه إلى عثمان بن حنيف الأنصاري عامله على البصرة حيث جاء فيه: «بلى كانت في أيدينا فدك من كلّ ما أظلّته السماء...».

(١) الإسراء: ٢٦، والروم: ٣٨.

←

الولاية الشرعيّة على فدك إنّما هي للوليّ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

مطالبة الزهراء عليها السلام فدك عن طريق دعوى النحلة:

طالبت الزهراء عليها السلام أبا بكر بفدك في عدّة مراحل:

فأتته في المرحلة الأولى وطالبته بفدك على أنّه نِحلة من رسول الله صلى الله عليه وآله، نحلها رسول الله صلى الله عليه وآله إيّاها قبل وفاته، فطالبها أبو بكر بالشهود.

وعندئذٍ شهد لها عليٌّ وأمّ أيمن، فقال: قد علمت يا بنت رسول الله أنّه لا تجوز إلّا برجلين أو رجل وامرأتين، فانصرفت[1].

← قال السيوطي: «وأخرج البزّار، وأبو يعلى، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: لمّا نزلت هذه الآية ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة، فأعطاها فدك».

ثمّ قال: «وأخرج ابن مردويه عن ابن عبّاس رضي الله عنه، قال: لمّا نزلت آية ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ أقطع رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة فدكاً». الدرّ المنثور ٤: ١٧٧، ذيل آية الإسراء.

وروى الطبرسي بإسناد واحد عن الحاكم الحسكاني، وهو بدوره بإسناده عن أبي سعيد الخدري، قال: «لمّا نزل قوله: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة فدكاً».

ثمّ قال: «قال عبدالرحمن بن صالح: كتب المأمون إلى عبدالله بن موسى يسأله عن قصّة فدك، فكتب إليه عبدالله بهذا الحديث ـ رواه الفضيل بن مرزوق عن عطيّة ـ فردّ المأمون فدكاً إلى ولد فاطمة». مجمع البيان (٥ ـ ٦): ١١، ذيل آية الإسراء.

أقول: لا منافاة بين كون سورة الإسراء مكّيّة وكون هذه الآية والآيات الأخر مدنيّة، كما صرّحوا بذلك.

(١) روى البلاذري: بإسناده عن ابن جعرنة عن أبيه، قال: «قالت فاطمة لأبي بكر: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله جعل لي فدك فأعطني إيّاها، وشهد لها عليّ بن أبي طالب، فسألها شاهداً آخر، فشهدت لها أمّ أيمن، فقال: قد علمت يا بنت رسول الله أنّه لا تجوز إلّا شهادة رجلين أو رجل وامرأتين، فانصرفت». فتوح البلدان ١: ٣٥. ←

والمؤاخذات على أبي بكر في هذه المرحلة هي :

١ ـ أنّ القضاء في الحقوق والأموال يصحّ بشهادة واحدٍ مع يمين المدّعي .

→ ونقل ابن أبي الحديد عن أبي بكر الجوهري في كتاب السقيفة وفدك : أنّ فاطمة عليها السلام قالت : «إنّ فدك وهبها لي رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : فمن يشهد بذلك؟ فجاء عليّ بن أبي طالب عليه السلام فشهد ، وجاءت أمّ أيمن فشهدت أيضاً ...» شرح النهج ١٦ : ٢١٦ .

وتقدّم كلام الحموي ، وفيه دعوى فاطمة عليها السلام النِحلة .

وزادت بعض المصادر شهادة الحسنين أيضاً . انظر : المواقف (للقاضي اللايجي) وشرحها (للجرجاني) ٣ : ٦٠٨ ، مباحث الإمامة .

ومن مصادر الشيعة التي ذكرت مطالبة الزهراء فدكاً بعنوان النِحلة وورد فيها شهادة الحسنين عليهما السلام لها : التهذيب ، فقد جاء فيه :

«لمّا ورد أبو الحسن موسى عليه السلام على المهدي وجده يردّ المظالم ، فقال له : ما بال مظلمتنا يا أمير المؤمنين لا تردّ؟ فقال له : وما هي يا أبا الحسن؟ فقال : إنّ الله عزّ وجلّ لمّا فتح على نبيّه صلّى الله عليه وآله فدك وما والاها ، ولم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ، فأنزل الله تعالى على نبيّه صلى الله عليه وآله : ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾ ، فلم يدر رسول الله صلى الله عليه وآله مَن هم ، فراجع في ذلك جبرائيل عليه السلام فسأل الله عزّ وجلّ عن ذلك ، فأوحى الله إليه أن ادفع فدك إلى فاطمة عليها السلام ، فدعاها رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فقال لها : يا فاطمة ، إنّ الله تعالى أمرني أن أدفع إليك فدك ، فقالت : قد قبلت يا رسول الله من الله ومنك ، فلم يزل وكلاؤها فيها حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلمّا ولي أبو بكر أخرج عنها وكلاءها ، فأتته فسألته أن يردّها عليها ، فقال لها : آتيني بأسود أو أحمر ليشهد لك بذلك ، فجاءت بأمير المؤمنين والحسن والحسين وأمّ أيمن ، فشهدوا لها بذلك ، فكتب لها بترك التعرّض ، فخرجت بالكتاب معها ، فلقيها عمر ، فقال لها : ما هذا معك يا بنت محمّد؟ قالت : كتاب كتبه لي ابن أبي قحافة ، فقال لها : أرينيه ، فانتزعه من يدها ، فنظر فيه ، وتفل فيه ومحاه وخرّقه ، وقال : هذا لأنّ أباك لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب ، وتركها ومضى ...» . التهذيب ٤ : ١٤٨ ـ ١٤٩ ، باب زيادات الخمس ، الحديث ٣٣ ، ورواه المفيد في المقنعة : ٢٨٨ ـ ٢٩٠ ، والكليني في أصول الكافي ١ : ٥٤٣ ، باب الفيء والأنفال ، الحديث ٥ ، ولكن لم يذكر الحسنين عليهما السلام .

وهذا ممّا رواه الفريقان، وقد حكم طبقه كلّ من أبي بكر وعمر، كما هو المروي[1]،

---

(١) جاء في صحيح مسلم عن ابن عبّاس: «أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله قضى بيمين وشاهد» صحيح مسلم ٣: ١٣٣٧، كتاب الأقضية، باب القضاء باليمين والشاهد.

وعلّق عليه ابن حجر العسقلاني قائلاً: «إسناده جيّد، وقال ابن عبدالبرّ: لا مطعن لأحد في إسناده» سبل السلام ٤: ١٣١.

ونقل صاحب المغني عن أحمد قوله: «مضت السنّة أن يقضى باليمين مع الشاهد الواحد، فإن أبى أن يحلف استحلف المطلوب، وهذا قول مالك والشافعي...» المغني ١٢: ١٢.

وقال قبل ذلك: «وأكثر أهل العلم يرون ثبوت المال لمدّعيه بشاهد ويمين، روي ذلك عن أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ (رض)، وهو قول الفقهاء السبعة و...».

ثمّ استدلّ على ذلك بما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله: أنّه قضى باليمين مع الشاهد الواحد، ثمّ فنّد دليل القائل بعدم الحكم، ثمّ قال: «وقول محمّد في نقض قضاء من قضى بالشاهد واليمين، يتضمّن القول بنقض قضاء رسول اللّه صلى الله عليه وآله والخلفاء الذين قضوا به، وقد قال اللّه تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾، والقضاء بما قضى به محمّد بن عبداللّه صلى الله عليه وآله أولى من قضاء محمّد بن الحسن، المخالف له» المغني ١٢: ١٠ ـ ١١.

أقول: هذا النصّ يكشف لنا: أنّ طريقة السلف كانت القضاء طبقاً لليمين والشاهد الواحد، تبعاً للنبيّ صلى الله عليه وآله، فكيف يمكن التوفيق بين هذا وبين فعل أبي بكر في قضيّة فدك؟! إلّا أن يكون قد تناقض في عمله، فعمل بذلك في الموارد الأُخرى دون هذا المورد!

فهنا يصدق: أنّه لم يحكم بما أنزل اللّه على رسوله صلى الله عليه وآله، ولم يحكم طبقاً لما حكم به الرسول صلى الله عليه وآله.

وأمّا دعوى: أنّ شهادة الزوج لا تقبل في حقّ زوجته؛ لوجود التهمة، فإنّ الزوج يرث الزوجة فيصل إليه ما يصل إلى الزوجة، فهي دعوى باطلة لم تستند إلى دليل علمي، ولذلك قال بقبول شهادته جماعة من السلف. انظر المغني ١٢: ٦٨.

مضافاً إلى ذلك: أنّ التهمة إنّما تتصوّر في غير عليّ وفاطمة عليهما السلام لا فيهما، بعد ورود الفضائل الكثيرة في حقّهما والتي من جملتها الاعتراف بصدق اللهجة، وبذل كلّ ←

فكان اللازم أن يقضي أبو بكر طبقاً لذلك أيضاً، فيطلب من الصدّيقة عليها السلام اليمين، لا أن يبطل الدعوى.

وعلى فرض أنّه لم يرَ صحّة القضاء بشاهد ويمين ـ كما يدّعيه من يحرص على توجيه ما وقع ويجعله دليلاً للتشريع ـ كان اللازم عليه ـ كما يستوجبه أسلوب القضاء ـ أن يحلف هو بصفته منكراً للدعوى، لا أن يبطل الدعوى رأساً.

٢ ـ كانت هناك موارد مشابهة لهذه الدعوى، لكنّ أبا بكر لم يطالب المدّعي ببيّنة ولا دليلاً آخر، بل أعطى المدّعي ما ادّعاه، فمن ذلك:

أ ـ أنّ أبا بكر ترك حجرات النبيّ صلى الله عليه وآله بيد زوجاته ولم يطالبهنّ بالبيّنة، فما الفرق إذن؟!



ـــ مالهما في سبيل الله، أفيهما تتصوّر التهمة؟! معاذ الله!! *

أضف إلى ذلك كلّه: أنّ أبا بكر حينما ردّ دعوى الزهراء عليها السلام إنّما استند إلى عدم إكمال الشهادة، كما تقدّم في المتن، ولم يستند إلى نظرية عدم قبول شهادة الزوج بحقّ زوجته، فالعلّة في الردّ ـ إذن ـ هي دعوى عدم إكمال الشهادة، وهي مردودة بما تقدّم.

* ـ روى أبو نعيم بإسناده إلى عمرو بن دينار، قال: «قالت عائشة: ما رأيت أحداً قطّ أصدق من فاطمة غير أبيها. قال: وكان بينهما [أي بين عائشة والزهراء عليها السلام] فقالت: يا رسول الله، سلها، فإنّها لا تكذب». حلية الأولياء ٢: ٤١، ترجمة فاطمة عليها السلام.

وقال ابن أبي الحديد: «سألت عليّ بن الفارقي مدرّس المدرسة الغربيّة ببغداد، فقلت له: أكانت فاطمة صادقة؟ قال: نعم، فقلت: فلم لم يدفع إليها أبو بكر فدك وهي عنده صادقة؟ فتبسّم، ثمّ قال كلاماً لطيفاً مستحسناً مع ناموسه وحرمته وقلّة دعابته، قال: لو أعطاها اليوم فدك بمجرّد دعواها، لجاءت إليه غداً وادّعت لزوجها الخلافة، وزحزحته عن مقامه، ولم يمكنه الاعتذار والموافقة بشيء؛ لأنّه قد أسجل على نفسه أنّها صادقة فيما تدّعي كائناً ما كان من غير حاجة إلى بيّنة ولا شهود». ثمّ قال ابن أبي الحديد: «وهذا كلام صحيح وإن كان أخرجه مخرج الدعابة والهزل». شرح النهج ١٦: ٢٨٤.

ومجرّد إضافة البيوت إلى الزوجات كقولهم: بيت عائشة وبيت أُمّ سلمة ونحو ذلك، لا يفيد الملكيّة؛ لأنّ الإضافة كما تفيد الملكيّة، تفيد الاختصاص أيضاً، مع أنّ تلك البيوت وردت مضافة إلى النبيّ ﷺ أيضاً كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾(١)، فما الدليل على ملكيّتهنّ للبيوت؟!

وسيأتي مزيد كلام في ذلك.

ب ـ قال أبو بكر ـ بعد تولّيه الخلافة ـ: من كان له عِدَةٌ من رسول الله ﷺ فليأت، فقام إليه بعض الصحابة وادّعى أنّ رسول الله ﷺ وعده أن يعطيه من مال البحرين إذا جاء، كذا وكذا فأعطاه ولم يطلب منه البيّنة على مدّعاه(٢).



(١) الأحزاب: ٥٣.

(٢) روى البخاري بإسناده عن جابر بن عبدالله، قال: «كان رسول الله ﷺ قال لي: لو قد جاءنا مال البحرين قد أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا، فلمّا قُبض رسول الله ﷺ وجاء مال البحرين، قال أبو بكر: مَن كانت له عند رسول الله ﷺ عدة فليأتني، فأتيته، فقلت: إنّ رسول الله ﷺ قد كان قال لي: لو قد جاءنا مال البحرين لأعطيتك هكذا وهكذا وهكذا، فقال لي: احثه، فحثوت حَثْيَةً، فقال لي: عدّها، فعددتها، فإذا هي خمسمئة، فأعطاني ألفاً وخمسمئة». صحيح البخاري ٢: ٢٠٢، كتاب الخمس، باب ما أقطع النبيّ من البحرين. ورواه مسلم في صحيحه ٤: ١٨٠٧، كتاب الفضائل، باب ما سُئل رسول الله ﷺ شيئاً قطّ فقال: لا، الحديث ٦٠ و ٦١ المسلسل العام ٢٣١٤.

وروى ابن سعد في الطبقات عن أبي سعيد الخدري: أنّه جاء أبو بشير المازني فقال: «إنّ رسول الله ﷺ قال: يا أبا بشير، إذا جاءنا شيءٌ فاتنا، فأعطاه أبو بكر حفنتين أو ثلاثاً، فوجدها ألفاً وأربعمئة درهم»، الطبقات الكبرى ٢: ٣١٨ ـ ٣١٩.

قال ابن حجر العسقلاني معلّقاً على الرواية: «وفيه: قبول خبر الواحد العدل من الصحابة ولو جرّ ذلك نفعاً لنفسه؛ لأنّ أبا بكر لم يلتمس من جابر شاهداً على صحّة دعواه». فتح الباري ٤: ٣٨٩، باب مَن تكفّل عن ميّت دَيناً.

وقال الطحاوي: «أمّا تصديق أبي بكر جابراً في دعواه فلقوله: "من كذب عليَّ ←

٣ ـ كان النبي قد بعث أبا سفيان لسعاية الصدقات، فرجع وقد توفّي النبيّ صلى الله عليه وآله، فكان موقفه من تعيين أبي بكر خليفة ما هو المشهور، فقال عمر لأبي بكر: إنّ أبا سفيان قد قدم وإنّا لا نأمن شرّه، فادفع له ما في يده، فقبل أبو بكر، فترك لأبي سفيان ما كان في يده فرضي[1].

والسؤال هو: أنّ فاطمة عليها السلام وهي بنت النبيّ صلى الله عليه وآله الذي كان له الحقّ الكبير على الأمّة الإسلاميّة، وخاصّة على أهل مكّة والمدينة، حيث صار سبباً لارتقائهم من جميع الجهات، فهل كان من المناسب أن تعامل بتلك المعاملة، ولا تعامل على أقلّ تقدير مثل ما عُومل به أبو سفيان الذي لم يكن بأمن من شرّه حتّى مثل أبي بكر وعمر؟! ولم تختصّ هبات أبي بكر من بيت المال لمن أحبّ بمن سبق، بل وهب لمعاذ ما جاء به، بعد رجوعه من اليمن حيث كان فيها من قبل الرسول صلى الله عليه وآله إلى أن توفّي[2].

← متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النّار" فهو وعيد، ولا يظنّ أنّ مثل جابر يُقدِم عليه». نقله عنه القزويني في كتابه فدك: ٨٣.

وهو كلام جيّد، والحقّ أنّ مثل جابر رضي الله عنه لا يظنّ به ذلك، ولكن أليست فاطمة عليها السلام وهي بنت النبيّ صلى الله عليه وآله وبضعته وسيّدة نساء أهل الجنّة والمطهّرة من الرجس، والمعروفة بالنزاهة، والعزوف عن الدنيا، وبذل الغالي والنفيس والرخيص كلّه في سبيل الله، أولى من جابر بقبول قولها؟!

ويزداد التعجّب لو كان مثل عليّ عليه السلام شاهداً لها، وهو مثلها من أصحاب الكساء ونفس النبيّ صلى الله عليه وآله، والذي لم يرد في حقّ واحد من الصحابة من الفضائل ما ورد في حقّه؟!

أضف إلى ذلك شهادة أمّ أيمن ـ حاضنة أولاد النبيّ صلى الله عليه وآله ـ التي شهد النبيّ صلى الله عليه وآله لها بالجنّة.

(١) روى ابن أبي الحديد عن كتاب السقيفة للجوهري أنّه قال: «إنّ أبا سفيان... لمّا قدم المدينة، قال: إنّي لأرى عجاجة لا يطفئها إلّا الدم! قال: تكلّم عمر أبا بكر، فقال: إنّ أبا سفيان قد قدم، وإنّا لا نأمن شرّه فدع له ما في يده، فتركه فرضي». شرح النهج ٢: ٤٤، وانظر: أنساب الأشراف (للبلاذري) ١: ٥٨٩، والعقد الفريد ٢: ٢٤٩.

(٢) انظر الاستيعاب بهامش الإصابة ٣: ٣٥٨ ـ ٣٥٩، ترجمة معاذ.

مطالبة الزهراء عليها السلام فدك عن طريق دعوى الميراث :

خامساً ـ وعندما ردّ أبو بكر الشهود ولم يقبل دعواها النّحلة ، جاءت تطالب حقّها ـ في مرحلة ثانية ـ عن طريق الميراث .

ولم ينحصر دعوى الميراث بفدك خاصّة ، بل شمل غيرها أيضاً ، وهي :

١ ـ الحوائط السبعة ، التي وهبها مخيريق اليهودي من بني النضير يوم أُحد لرسول الله صلى الله عليه وآله ، فكانت خالصة له[1] .

٢ ـ ما بقي من سهم رسول الله صلى الله عليه وآله بخيبر ، فإنّ قسماً من غنائمها كان للرسول صلى الله عليه وآله وذوي قرباه[2] .

فطالبت الصدّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام سهمها من ميراثها من فدك ـ بناءً على أنّه لم ينحلها إيّاها كما ادّعاه أبو بكر ـ وسهمها من ميراثها من الحوائط السبعة ـ بناءً على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يوقفها عليها ـ وسهمها من ميراثها من سهم رسول الله صلى الله عليه وآله من حصن

---

(١) قال الطبري : « وكان ممّن قتل يوم أُحد مخيريق اليهودي ، وكان أحد بني ثعلبة بن الفطيون ، لمّا كان ذلك اليوم ، قال : يا معشر اليهود ، والله لقد علمتم أنّ نصر محمّد عليكم لحقّ ، قالوا : إنّ اليوم يوم السبت ، فقال : لا سبت ، فأخذ سيفه وعدّته ، وقال : إن أُصبت فما لي لمحمّد ، يصنع فيه ما شاء ، ثمّ غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقاتل معه حتّى قتل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ـ فيما بلغني ـ : مخيريق خير يهود » . تاريخ الطبري ٢ : ٢٠٩ ، غزوة أُحد .

ونقل مثله في الاستيعاب فقال : « وكان أوصى بأمواله للنبيّ صلى الله عليه وآله وهي سبع حوائط : الميثب ، والصائفة ، والدلّال ، وحسنى ، وبرقه ، والأعواف ، ومشربة أمّ إبراهيم » . الإصابة ٣ : ٣٩٣ ، ترجمة مخيريق .

(٢) قال الطبري : « كانت المقاسم على أموال خيبر على : الشقّ ، ونطاة . والكتيبة [وهي من حصون خيبر] فكانت الشقّ ونطاة في سهمان المسلمين ، وكانت الكتيبة في خمس الله عزّ وجلّ وخمس النبيّ صلى الله عليه وآله وسهم ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وطعم أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله ... » تاريخ الطبري ٢ : ٣٠٦ ، غزوة خيبر .

الكتيبة ، وسهمها شخصياً من الحصن نفسه باعتبار أنّ من جملة مستحقّيه ومصارفه ذوي القربى(١).

وفي هذه المرّة ردّ دعواها بحديث لم يروه غيره عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو : « لا نورث ما تركناه صدقة »(٢).

---

(١) ورد التصريح بهذه المطالبات الثلاثة في رواية البخاري عن عائشة : « أنّ فاطمة عليها السلام بنت النبيّ صلى الله عليه وآله أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله ممّا أفاء الله عليه بالمدينة ، وفدك ، وما بقي من خمس خيبر... » ، وقد رواها البخاري في آخر باب غزوة خيبر.

(٢) أخرج ابن حجر الهيتمي عن البغوي وابن عساكر وغيرهما عن عائشة أنّها قالت ـ في حديث ـ : « ... واختلفوا في ميراثه ، فما وجدنا عند أحد في ذلك علماً ، فقال أبو بكر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : إنّا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة... ». الصواعق : ٣٣ ـ ٣٤.

وكلامه يدلّ على تفرّد أبي بكر بنقل الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله .

ويؤيّد ذلك كلام ابن أبي الحديد ، حيث قال : « إنّ أكثر الروايات أنّه لم يرو هذا الخبر إلّا أبو بكر وحده ، ذكر ذلك أعظم المحدّثين ، حتّى إنّ الفقهاء في أصول الفقه أطبقوا على ذلك في احتجاجهم في الخبر برواية الصحابي الواحد.

وقال شيخنا أبو عليّ : لا تقبل في الرواية إلّا رواية اثنين كالشهادة ، فخالفه المتكلّمون والفقهاء كلّهم ، واحتجّوا عليه بقبول الصحابة رواية أبي بكر وحده " نحن معاشر الأنبياء لا نورث " ». شرح النهج ١٦ : ٢٢٧.

إذن فرواية غير أبي بكر إنّما كانت مستندةً إلى روايته بلا شبهة.

وأمّا لفظ الرواية ، فمختلف فيه ، ونحن نورد ما أورده البخاري ، فقد روى في باب فرض الخمس ، عن عائشة : « أنّ فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله سألت أبا بكر الصدّيق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقسم لها ميراثها ممّا ترك رسول الله صلى الله عليه وآله ممّا أفاء الله عليه ، فقال أبو بكر : إنّ رسول الله قال : لا نورث ما تركناه صدقة ، فغضبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فهجرت أبا بكر ، فلم تزل مهاجرته حتّى توفّيت ».

←

ولكنّ الصدّيقة الزهراء عليها السلام فنّدت هذه الدعوى مستدلّة بعموم آيات الإرث وإطلاقها، مثل قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾(١)، وخصوص ما نزل في إرث الأنبياء، مثل قوله تعالى حكاية عن زكريا: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾(٢).

ومن المؤاخذات على أبي بكر في هذه المرحلة من المحاكمة مع غضّ النظر عمّا أوردته الصدّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام عليه هو:

١ ـ أنّه خالف هذا الحديث الذي رواه عن النبيّ صلى الله عليه وآله عملاً؛ وذلك لأنّه ترك

← وروى في آخر غزوة خيبر عن عائشة أيضاً: «أنّ فاطمة عليها السلام بنت النبيّ صلى الله عليه وآله أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله ممّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إنّ رسول الله قال: لا نورث ما تركناه صدقة إنّما يأكل آل محمّد من هذا المال...».

(١) النساء: ١١.

(٢) مريم: ٥ ـ ٦.

والمراد من الإرث في الآية هو إرث المال، كما يرشد إليه قوله تعالى حكاية عن زكريا: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي ﴾، فإنّه خاف أن يرثه بنو عمّه، فيتصرّفون في المال بما لا يكون صلاحاً. فدعا أن يرزقه الله ولداً رضيّاً يرثه.

ولا معنى لإرث النبوّة؛ لأنّها يجعلها الله في من يستحقّها ولا تكون وراثيّة، مضافاً إلى أنّ قوله: ﴿ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ دعاء لأن يكون الوارث رضيّاً، وهذا لا معنى له إذا كان الوارث المطلوب وجوده نبيّاً، فإنّ كلّ نبيّ رضيّ البتّة.

ولذلك لم يقتنع الرازي بالأقوال التي فسّرت الوراثة بالعلم أو النبوّة أو نحوها، فقال: «والأولى أن يحمل ذلك على كلّ ما فيه نفع وصلاح في الدين، وذلك يتناول النبوّة، والعلم، والسيرة الحسنة، والمنصب النافع في الدين، والمال الصالح...» التفسير الكبير ٢١: ١٨٤.

فاعترف بوراثة المال بين الأنبياء، ولم يعبأ بخبر «لا نورث».

زوجات النبيّ صلى الله عليه وآله في بيوت النبيّ صلى الله عليه وآله في حين أنّه لم يورث على زعم أبي بكر.

ثمّ بأيّ دليل شرعي أذنت بنته عائشة أن يدفن أبوها أبو بكر في الحجرة ؟ ثمّ أذنت أن يدفن عمر، ولم تأذن أن يدفن ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن بن عليّ عند جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله ؟!

أكانت مالكة للحجرة أم لا؟ فإذا كانت مالكة فبأيّ سبب: أبالإرث أم بغيره ؟

فإن كان بالإرث، عاد الإشكال من رأس، وزاد عليه أنّ عائشة لم تستحقّ من الحجرة إلّا تسعاً من الثمن، فكيف تصرّفت في الكلّ ؟!

وإن لم يكن بالإرث فبأيّ شيء آخر، وما الدليل عليه ؟

وإن لم تكن مالكة فكلّ هذه التصرّفات باطلة.

لا يقال: كانت تتصرّف بإذن وليّ الأمر، وهو أبوها أو عمر.

لأنّه يقال: «إنّ عمر لمّا أحسّ بالموت، قال لابنه: اذهب إلى عائشة، وأقرئها منّي السلام، واستأذنها أن أقبر في بيتها مع رسول الله ومع أبي بكر، فأتاها عبدالله بن عمر، فأعلمها، فقالت: نعم وكرامة»[1].

فإنّ كلامه صريح في أنّ تصرّفات عائشة في البيت كان تصرّف المـلّاك في أملاكهم، لا أنّه كان بإذن الخليفة.

وعندئذٍ ترد الأسئلة المتقدّمة.

٢ ـ إنّ الصيغة المذكورة للحديث إنّما تكون حجّة لأبي بكر إذا كان لفظ «صدقة» مرفوعاً على الإخبار به عن «ما» الموصولة في قوله: «ما تركناه»، ولا سبيل إلى إثبات ذلك؛ لأنّه من المحتمل أن تكون «ما» في محلّ نصب على المفعوليّة لـ«تركناه»، ويكون لفظ «صدقة» منصوباً على الحاليّة لـ«ما»، فيكون المعنى: إنّ ما نتركه في أيدينا من الصدقات لا حقّ لوارثنا فيه. وهذا ممّا لا نزاع فيه

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ٢٨، وانظر تاريخ الطبري ٢: ٣٦٥، ذكر الخبر عن مقتل عمر.

ولم تدّعه فاطمة عليها السلام .

٣ ـ كان من الأنسب أن يعامل أبو بكر بنت الرسول صلى الله عليه وآله كما عامل غيرها على الأقلّ ، فيمنحها فدك ؛ لأنّ الولاية له على زعمه ، وهو مخوّل في أن يتصرّف في بيت المال كيف يراه مصلحة(١) .

الهجوم على دار فاطمة عليها السلام :

سادساً ـ لمّا امتنع عليّ عليه السلام من البيعة وتابعه جماعة من الأصحاب وبنوهاشم

---

(١) قال ابن أبي الحديد : « لقد كان التكرّم ورعاية حقّ رسول الله صلى الله عليه وآله وحفظ عهده يقتضي أن تعوّض ابنته بشيء يرضيها إن لم يستنزل المسلمون عن فدك وتسلّم إليها تطييباً لقلبها ، وقد يسوغ للإمام أن يفعل ذلك من غير مشاورة المسلمين إذا رأى المصلحة فيه » . شرح النهج ١٦ : ٢٨٦ .

وقال الأُستاذ أبو ريّة في كتابه : « شيخ المضيرة أبو هريرة » عند الكلام عن عثمان : « وأمّا مروان بن الحكم فقد اختصّ به واتّخذه لنفسه وزيراً ومشيراً ، وأمر له بمئة ألف ، وكان قد زوّجه ابنته أمّ أبان ، ثمّ أقطعه فدك التي كانت ملكاً للنبيّ صلى الله عليه وآله ، وكانت فاطمة (رضي الله عنها) طلبتها من أبي بكر ، فدفعت عنها بحديث أوردوه ، ونصّه كما قالوه : " لا نورث ما تركناه صدقة " . ثمّ علّق عليه في الهامش بقوله : « كنّا نشرنا كلمة بمجلّة الرسالة المصريّة عن موقف أبي بكر من الزهراء في هذا الميراث ، ننقل منها ما يلي :

لا بدّ أن نقول فيه كلمة صريحة : ذلك هو موقف أبي بكر من فاطمة رضي الله عنها ، بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ، وما فعل معها في ميراث أبيها ؛ لأنّا إذا سلّمنا بأنّ خبر الآحاد الظنّي يخصّص الكتاب القطعي ، وأنّه قد ثبت أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد قال : إنّه لا يورث ، وأنّه لا تخصيص في عموم هذا الخبر ، فإنّ أبا بكر كان يسعه أن يعطي فاطمة رضي الله عنها بعض تركة أبيها صلى الله عليه وآله كأن يخصّها بفدك ، وهذا من حقّه الذي لا يعارضه فيه أحد ؛ إذ يجوز للخليفة أن يخصّ من يشاء بما شاء ... قال : وقد خصّ هو نفسه الزبير بن العوّام ومحمّد بن مسلمة وغيرهما ببعض متروكات النبيّ صلى الله عليه وآله ، على أنّ فدكاً هذه التي منعها أبو بكر لم تلبث أن أقطعها الخليفة عثمان لمروان » . أبو هريرة : ١٦٩ ، الطبعة الثالثة ، ومجلّة الرسالة المصريّة ، العدد ٥١٨ ، من السنة الحادية عشرة .

ثقل ذلك على السلطة الحاكمة ، وكان عمر أشدّهم على هذا الأمر ، فحرّض أبا بكر على أن يرسل إلى عليّ عليه السلام من يأتي به إلى المسجد ليبايع .

قال ابن قتيبة : «إنّ أبا بكر رضي الله عنه تفقّد قوماً تخلّفوا عن بيعته عند عليّ كرّم الله وجهه ، فبعث إليهم عمر ، فجاء ، فناداهم وهم في دار عليّ ، فأبوا أن يخرجوا ، فدعا بالحطب ، وقال : والذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقنّها على مَن فيها ، فقيل له : يا أبا حفص ، إنّ فيها فاطمة ، فقال : وإنْ[١] ، فخرجوا فبايعوا إلّا عليّاً ، فإنّه زعم أنّه قال : حلفت أن لا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتّى أجمع القرآن ، فوقفت فاطمة رضي الله عنها على بابها ، فقالت : لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم ، تركتم رسول الله صلى الله عليه وآله جنازة بين أيدينا ، وقطعتم أمركم بينكم ، لم تستأمرونا ، ولم تردّوا لنا حقّاً . فأتى عمر أبا بكر ، فقال له : ألا تأخذ هذا المتخلّف عنك بالبيعة ؟ فقال أبو بكر لقنفذ وهو مولى له : اذهب فادع لي عليّاً ...» .

ثمّ نقل إرسال قنفذ للمرّة الثانية بتحريض عمر أيضاً ورجوعه خاسراً ، ثمّ قال : «ثمّ قام عمر ، فمشى معه جماعة حتّى أتوا باب فاطمة ، فدقّوا الباب ، فلمّا سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها : يا أبت يا رسول الله ، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب وابن أبي قحافة ، فلمّا سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين وكادت قلوبهم

---

(١) وفي هذا يقول شاعر النيل حافظ إبراهيم:

وقولة لعليٍّ قالها عمر	أكرم بسامعها أعظم بملقيها
حرّقت دارك لا أبقي عليك بها	إن لم تبايع وبنت المصطفى فيها
ما كان غير أبي حفص يفوه بها	أمام فارس عدنان وحاميها

وهذه الأبيات مشهورة عنه ، ونقلت عن ديوانه المطبوع بمصر .

لكن أخطأ من جهة تخيّله أنّ ما أقدم به أبو حفص كان من شجاعته ، لا ؛ لأنّ تاريخ الغزوات والحروب لا تثبت له شيئاً من ذلك ، بل لأنّه كان يعلم بأنّ عليّاً مأمور بالصبر على ما سيحدث .

تتصدّع، وأكبادهم تنفطر، وبقي عمر ومعه قوم، فأخرجوا عليّاً فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا له: بايع، فقال: إن أنا لم أفعل فمه؟ قالوا: إذاً واللّه الذي لا إله إلّا هو نضرب عنقك، فقال: إذاً تقتلون عبد اللّه وأخا رسوله، قال عمر: أمّا عبد اللّه فنعم، وأمّا أخو رسوله فلا -إلى أن قال-: فلحق عليٌّ بقبر رسول اللّه صلى الله عليه وآله يصيح ويبكي، وينادي: يابن أمّ، إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني...»[1].

ونقل ابن أبي الحديد عن كتاب السقيفة لأبي بكر الجوهري أنّه «جاء عمر إلى بيت فاطمة في رجال من الأنصار ونفر قليل من المهاجرين، فقال: والذي نفسي بيده، لتخرجنّ إلى البيعة أو لأحرقنّ البيت عليكم، فخرج إليه الزبير مصلتاً بالسيف، فاعتنقه زياد بن لبيد الأنصاري ورجل آخر، فندر السيف من يده، فضرب به عمر الحجر، فكسّره، ثمّ أخرجهم بتلابيبهم يساقون سوقاً عنيفاً حتّى بايعوا أبا بكر»[2].

وقال: «قد روي في رواية أخرى: أنّ سعد بن أبي وقّاص كان معهم في بيت فاطمة عليها السلام، والمقداد بن الأسود أيضاً، وأنّهم اجتمعوا على أن يبايعوا عليّاً عليه السلام، فأتاهم عمر ليحرق عليهم البيت، فخرج إليه الزبير بالسيف، وخرجت فاطمة عليها السلام تبكي وتصيح...»[3].

وقال الطبري: «أتى عمر بن الخطّاب منزل عليٍّ وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين، فقال: واللّه لأحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعة، فخرج الزبير مصلتاً بالسيف، فعثر فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه»[4].

وروى المسعودي عن النوفلي في كتابه «الأخبار» عن ابن عائشة، عن أبيه،

---

(١) الإمامة والسياسة: ١٩ ـ ٢٠، كيفيّة أخذ البيعة من عليّ عليه السلام.
(٢) شرح النهج ٦: ٤٨، ورواه عنه في ٢: ٥٦ أيضاً.
(٣) شرح النهج ٢: ٥٦.
(٤) تاريخ الطبري ٢: ٤٤٣، عند ذكر الأخبار الواردة باليوم الذي توفّي فيه النبيّ صلى الله عليه وآله.

عن حمّاد بن سلمة، أنّه قال: «كان عروة بن الزبير يعذر أخاه إذا جرى ذكر بني هاشم وحصره إيّاهم في الشِعب، وجمعه لهم الحطب لتحريقهم، ويقول: إنّما أراد بذلك إرهابهم ليدخلوا في طاعته [كما فعل عمر بن الخطّاب ببني هاشم لمّا تأخّروا عن بيعة أبي بكر، فإنّه أحضر الحطب لتحرق عليهم الدار][1]؛ إذ هم أبو البيعة فيما سلف».

وقال قبل ذلك بقليل: «وقد كان ابن الزبير عمد إلى مَن بمكّة من بني هاشم فحصرهم في الشعب، وجمع لهم حطباً عظيماً لو وقعت فيه شرارة من نار لم يسلم من الموت أحد، وفي القوم محمّد بن الحنفيّة».

والمصادر التي ذكرت الهجوم كثيرة لا يمكن حصرها فعلاً؛ لأنّ بناءنا في هذا الكتاب على الاختصار، ولذلك تركنا البحث عن أمور كثيرة تحتاج إلى تحقيق وبحث وزمان وفراغ نفقده فعلاً.

أقول: الظاهر من مجموع النصوص ومقايسة بعضها مع بعض: أنّ الهجوم على الدار كان متعدّداً، وكان التجاسر على بضعة النبيّ صلى الله عليه وآله ووصيّه عليّ بن أبي طالب في

---

(١) وقع تحريف في العبارة في الطبعات المختلفة لكتاب مروج الذهب، فالذي نقلناه يطابق نقل ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٢٠: ١٤٧، وقد أشار إلى المصدر محقّق الكتاب محمّد أبو الفضل إبراهيم، وهو مروج الذهب ٣: ٨٦، ط. دار السعادة ـ ١٩٤٨م، والعبارة الموجودة في طبعة المطبعة الميمنيّة بتحقيق محيي الدين عبدالحميد كذلك أيضاً كما أخبرت.

وحذفت العبارة بكاملها في طبعة دار الأندلس الطبعة الأولى عام ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، وهي التي عندي، وأُضيف بدلها عبارة: «كما أُرهِب بنو هاشم وجُمع لهم الحطب لإحراقهم» في طبعات أُخرى من طبعة دار الأندلس.

راجع مروج الذهب ٣: ٧٧، ط. دار الأندلس، وليس ذلك بعزيز ـ مع الأسف ـ في مصادر العامّة.

المرّة الأخيرة، ولم يكن في البيت ـ بحسب الظاهر ـ غير أهل البيت عليهم السلام.

والذي يدلّ على ما قلناه:

١ ـ تصريح ابن قتيبة بإرسال أبي بكر عمَر لإخراج من تخلّف عن البيعة من دار عليّ عليه السلام، وتهديد عمر إيّاهم بإحراق البيت عليهم لو لم يخرجوا.

ثمّ تحريض عمر أبا بكر ثانية لأخذ البيعة من خصوص عليّ عليه السلام وإرسال قنفذ عدّة مرّات، وذهاب عمر مع جماعة في الأخيرة وتهديده بإحراق البيت ثمّ اقتحامه البيت وإخراج عليّ.

٢ ـ ما جاء في خبر السقيفة برواية سليم بن قيس الهلالي، حيث قال بعد أن ذكر إرسال قنفذ عدّة مرّات، وذهاب عمر مع قنفذ وخالد بن الوليد في المرّة الأخيرة وإحراق الباب وضرب[1] فاطمة عليها السلام بالسيف وهو في غمده في جنبها، وضربها بالسوط في ذراعها، ثمّ دخولهم الدار واشتباكهم مع عليّ عليه السلام قال: «وأقبل المقداد وسلمان وأبو ذرّ وعمّار وبريدة الأسلمي حتّى دخلوا الدار أعواناً لعليّ عليه السلام ...».

فظاهر العبارة أنّ هؤلاء لم يكونوا في الدار، فعدم وجود غيرهم يكون بطريق أولى.

نعم رواية سليم هذه لم تذكر هجوماً آخر مقروناً بوجود بعض الصحابة مع عليّ عليه السلام في الدار، ولعلّها أغفلته.

فالجمع بين النصوص ـ كما قلنا ـ يقتضي وقوع أكثر من هجوم على دار فاطمة عليها السلام.

---

(١) وعبارته هذه: «فرفع [عمر] السيف وهو في غمده فوجئ به جنبها، فصرخت، فرفع السوط فضرب به ذراعها، فصاحت يا أبتاه». البحار ٢٨: ٢٩٩، كتاب الفتن، الباب الرابع، الحديث ٤٨.

وفاة الصدّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام :

سابعاً ـ وعلى أثر ذلك الهجوم وما جرى عليها بقيت مهمومة مغمومة حتّى اختار الله لها دار الآخرة ، تحمل بين أضلاعها آلاماً كثيرة وهي في ريعان شبابها .

وعندما حضرتها الوفاة دعت عليّاً عليه السلام لتوصي إليه ، فقال لها : « أوصيني بما أحببت يا بنت رسول الله ! فجلس عند رأسها ، وأخرج مَن كان في البيت ، ثمّ قالت : يابن عمّ ، ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ، ولا خالفتك منذ عاشرتني ، فقال عليه السلام : معاذ الله أنت أعلم وأبرّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفاً من الله [من] أن أوبّخك بمخالفتي ، قد عزّ عليّ مفارقتك ، وتفقّدك ، إلّا أنّه أمرٌ لا بدّ منه ، والله جدّدتِ عليّ مصيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وقد عظمت وفاتك وفقدك ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون من مصيبة ما أفجعها وآلمها ، وأمضّها وأحزنها ، هذه والله مصيبة لا عزاء لها ، ورزيّة لا خلف لها .

ثمّ بكيا جميعاً ساعة ، وأخذ عليّ رأسها وضمّها إلى صدره ، ثمّ قال : أوصيني بما شئت ، فإنّك تجدني فيها أمضي كما أمرتني به ، وأختار أمرك على أمري .

ثمّ قالت : جزاك الله عنّي خير الجزاء يابن عمّ رسول الله ، أوصيك :

أوّلاً ـ أن تتزوّج بعدي بابنة [أختي] أمامة[١] ، فإنّها تكون لولدي مثلي ، فإنّ الرجال لا بدّ لهم من النساء ...

ثمّ قالت : أوصيك يابن عمّ أن تتخذ لي نعشاً ، فقد رأيت الملائكة صوّروا صورته . فقال لها : صفيه لي ، فوصفته ، فاتّخذه لها[٢] ...

---

(١) التي تزوّجها عليّ عليه السلام إنّما هي أمامة بنت زينب أخت الزهراء عليها السلام .

(٢) وفي رواية أخرى أنّ أسماء بنت عميس لمّا كانت في الحبشة مع زوجها جعفر ، رأت أنّهم يصنعون النعش لموتاهم ، فوصفتها للزهراء ، فاستحسنته ، راجع : البحار ٤٣ : ٢١٢ ، تاريخ الزهراء ، باب ما وقع عليها من الظلم ، الحديث ٤٣ ، نقلاً عن التهذيب ، ←

ثمّ قالت : أُوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني وأخذوا حقّي ، فإنّهم عدوّي وعدوّ رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولا تترك أن يصلّي عليّ أحدٌ منهم ، ولا من أتباعهم[1] ، وادفنّي بالليل إذا هدأت العيون ونامت الأبصار .

ثمّ توفّيت صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها ... » .

« واجتمع النّاس فجلسوا وهم يضجّون وينتظرون أن تخرج الجنازة فيصلّون

← والاستيعاب بهامش الإصابة ٤ : ٣٧٨ .

(١) قال البخاري في حديث منع فدك عنها : « ... فهجرت أبا بكر ، فلم تزل مهاجرته حتّى توفّيت ... » صحيح البخاري ٢ : ١٨٦ ، باب فرض الخمس ، وانظر أيضاً ٣ : ٥٥ آخر باب غزوة خيبر ، وجاء فيه : « فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك ، فهجرته فلم تكلّمه حتّى توفّيت ، وعاشت بعد النبي صلى الله عليه وآله ستّة أشهر ، فلمّا توفّيت دفنها زوجها عليّ ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر » .

وقال ابن أبي الحديد نقلاً عن كتاب السقيفة لأبي بكر الجوهري زيادة عمّا تقدّم : « فلمّا توفّيت دفنها عليّ عليه السلام ليلاً ، ولم يؤذن بها أبا بكر » شرح النهج ١٦ : ٢٥٨ .

وقال ابن قتيبة ـ بعد أن نقل الهجوم على الدار ـ « فاستأذنا [أي الشيخان] على فاطمة ، فلم تأذن لهما ، فأتيا عليّاً فكلّماه ، فأدخلهما عليها ، فلمّا قعدا عندها ، حوّلت وجهها إلى الحائط ، فسلّما عليها ، فلم تردّ عليهما السلام ، فتكلّم أبو بكر ، فقال : يا حبيبة رسول الله ، والله! إنّ قرابة رسول الله أحبّ إليّ من قرابتي! ... » إلى أن قال : « فقالت : نشدتكما الله ، ألم تسمعا رسول الله يقول : رضا فاطمة من رضاي ، وسخط فاطمة من سخطي ، فمن أحبّ فاطمة ابنتي فقد أحبّني ، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني ، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟ قالا : نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله ، قالت : فإنّي أُشهد الله وملائكته أنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني ، ولئن لقيت النبيّ لأشكونّكما إليه ... » الإمامة والسياسة ١ : ٢٠ .

وقال الطبري : « ... فهجرته فاطمة فلم تكلّمه في ذلك حتّى ماتت ، فدفنها عليّ ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر ... » ٢ : ٤٤٨ ، حديث السقيفة .

ونقل ابن شهرآشوب في المناقب عن الواقدي : « أنّ فاطمة لمّا حضرتها الوفاة أوصت عليّاً أن لا يصلّي عليها أبو بكر وعمر ، فعمل بوصيّتها » . مناقب آل أبي طالب ٣ : ٣٦٣ .

عليها، وخرج أبو ذرّ وقال: انصرفوا، فإنّ ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله قد أُخّر إخراجها في هذه العشية، فقام النّاس وانصرفوا».

فلمّا أن هدأت ومضى شطر من الليل أخرجها عليّ والحسن والحسين عليهم السلام، وعمّار، والمقداد، وعقيل، والزبير، وأبو ذرّ، وسلمان، وبريدة ونفر من بني هاشم وخواصّه[1]، صلّوا عليها ودفنوها في جوف الليل، وسوّى عليّ عليه السلام حواليها قبوراً مزوّرة مقدار سبعة حتّى لا يُعرف قبرها[2]. وقال بعضهم من الخواصّ: قبرها سوّي مع الأرض مستوياً فمسح مسحاً سواه مع الأرض حتّى لا يعرف موضعه»[3].

---

(١) اختلفوا في مَن كان معه من النساء والرجال عند غسله ودفنه فاطمة عليها السلام. قال ابن شهرآشوب: «وفي رواياتنا صلّى عليها أمير المؤمنين والحسن والحسين وعقيل وسلمان وأبو ذرّ والمقداد وعمّار وبريدة، وفي رواية: والعبّاس وابنه الفضل، وفي رواية: وحذيفة وابن مسعود». ولم يذكر الزبير.

(٢) إخراج الجنازة ليلاً وتشييعها وحضور من ذُكر وتسوية قبور مزوّرة حولها لا ينافي القول بدفنها في بيتها، أو في الروضة، لاحتمال دفنها في بيتها وصنع كلّ ما ذُكر تمويهاً على النّاس ليبقى قبرها مجهولاً، لمصلحة كان عليه السلام يراها، ولعلّه فعله خوفاً من نبش قبرها بحجّة الصلاة عليها، كما هُدّد من قِبل عمر بذلك.

(٣) البحار ٤٣: ١٩١، تاريخ فاطمة الزهراء عليها السلام، باب ما وقع عليها من الظلم، الحديث ٢٠.

ونقلت كيفيّة أُخرى لوفاتها منقولة عن سلمى امرأة أبي رافع، فقد روى ابن شهرآشوب عن جماعة منهم أحمد بن حنبل بإسنادهم عن سلمى امرأة أبي رافع أنّها قالت: «اشتكت فاطمة شكواها التي قُبضت فيها، وكنت أُمرّضها، فأصبحت يوماً أسكن ما كانت، فخرج عليّ إلى بعض حوائجه. فقالت: اسكبي لي غسلاً، فسكبت وقامت واغتسلت أحسن ما يكون من الغسل، ثمّ لبست أثوابها الجدد، ثمّ قالت: افرشي فراشي وسط البيت، ثمّ استقبلت القبلة ونامت وقالت: أنا مقبوضة وقد اغتسلت فلا يكشفني أحد، ثمّ وضعت خدّها على يدها وماتت»، مناقب آل أبي طالب ٣: ٣٦٤، وعنه البحار ٤٣: ١٨٣.

أقول: لا ينافي عدم كشفها تغسيلها؛ لأنّه ممكن من وراء الثياب، ولا ملازمة بين عدم الكشف وعدم الغسل لكي يستشكل في ذلك كما يتوهّم، كما يمكن حمل النهي ←

وروى الكلبي بإسناده إلى أبي عبدالله الحسين عليه السلام أنّه قال: «لما قبضت فاطمة عليها السلام دفنها أمير المؤمنين عليه السلام سرّاً وعفا على موضع قبرها، ثمّ قام فحوّل وجهه إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ قال:

« السلام عليك يا رسول الله عنّي! والسلام عليك عن ابنتك وزائرتك والبائتة في الثرى ببقعتك، والمختار الله لها سرعة اللحاق بك، قلّ يا رسول الله عن صفيّتك صبري، وعفا عن سيّدة نساء العالمين تجلّدي، إلّا أنّ في التأسّي لي بسنّتك في فرقتك، موضع تعزٍّ، فلقد وسّدتك في ملحودة قبرك، وفاضت نفسك بين نحري وصدري.

بلى! وفي كتاب الله لي أنعم القبول، إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فقد استرجعت الوديعة، وأُخذت الرهينة، وأُخلست[1] الزهراء، فما أقبح الخضراء والغبراء يا رسول الله!

أمّا حزني فسرمد، وأمّا ليلي فمسهّد، وهمٌّ لا يبرح من قلبي أو يختار الله لي دارك التي أنت فيها مقيم، كَمَد[2] مقيّح[3]، وهمٌّ مهيّج، سرعان ما فرّق بيننا وإلى الله أشكو، وستنبّئك ابنتك بتظافر أمّتك على هضمها، فأحفها[4] السؤال، واستخبرها

← على النهي عن الكشف للغَسْل؛ لأنّها غسّلت نفسها، لا للغُسْل، فإنّه يمكن من وراء الثياب، كما تقدّم.

(١) خلس الشيء واختلسه: إذا سلبه، وقيل: إذا استلبه في نُهزة ومخاتلة، أي بخديعة. انظر: النهاية (لابن الأثير)، والمعجم الوسيط: «سلب».

(٢) الكَمَد: تغيّر اللون، وذهاب صفائه، والحزن الشديد ومرض القلب منه. القاموس المحيط: «كمد».

(٣) القيح: المِدّة لا يخالطها دم. القاموس المحيط: «قيح». وهو افراز ينشأ من التهاب الأنسجة. المعجم الوسيط: «قيح».

(٤) إحفاء السؤال: الاستقصاء فيه. المعجم الوسيط: «حفي».

الحال ، فكم من غليل[١] معتلج[٢] بصدرها لم تجد إلى بثّه سبيلاً ، وستقول ، ويحكم الله وهو خير الحاكمين .

سلام مودّع لا قالٍ ولا سئم ، فإن أنصرف فلا عن ملالة ، وإن أقم فلا عن سوء ظنّ بما وعد الله الصابرين ، واهاً واهاً ، والصبر أيمن وأجمل ، ولولا غلبة المستولين ، لجعلت المقام واللبث لزاماً معكوفاً ، ولأعولت إعوال الثكلى على جليل الرزيّة .

فبعين الله تدفن ابنتك سرّاً ، وتهضم حقّها ، وتمنع إرثها ، ولم يتباعد العهد ، ولم يخلق منك الذّكر ، وإلى الله يا رسول الله المشتكى ، وفيك يا رسول الله أحسن العزاء ، صلّى الله عليك ، وعليها السلام والرضوان »[٣] .

وروي أنّه ﷺ لمّا دفنها أنشأ على شفير قبرها :

لكلّ اجتماع من خليلين فرقة ... وكلّ الذي دون الفراق قليل
وإنّ افتقادي فاطماً بعد أحمد ... دليل على أن لا يدوم خليل[٤]

هذا وقد اختلفوا في تاريخ الوفاة ومكان الدفن .

أمّا زمن الوفاة ، فقد لخّص القول فيه أبو الفرج الإصفهاني فقال : «كانت وفاة فاطمة ﷺ بعد وفاة النبيّ ﷺ بمدّة يختلف في مبلغها ، فالمكثر يقول : بستّة أشهر ، والمقلّل يقول : أربعين يوماً ، إلّا أنّ الثابت في ذلك ، ما روي عن أبي جعفر محمّد بن عليّ [ﷺ] : أنّها توفّيت بعده بثلاثة أشهر »[٥] ، ثمّ ذكر سنده إلى أبي جعفر ﷺ .

---

(١) الغليل : الحقد ، الغيظ . القاموس المحيط ، والمعجم الوسيط : « غلل » .

(٢) اعتلج الهمّ في صدره : اجتمع . المعجم الوسيط : « علج » .

(٣) أصول الكافي ١ : ٤٥٨ ـ ٤٥٩ ، باب مولد الزهراء ﷺ ، الحديث ٣ .

(٤) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٣٦٥ .

(٥) مقاتل الطالبيّين : ٣١ .

واختار الشيخان المفيد[1] والطوسي[2]، والطبرسي[3] وجماعة[4]: أنّها توفّيت بعد خمس وتسعين يوماً، وهو يوافق القول المتقدّم.

وروى الكليني في خبرين صحيحين، بل ثلاث صحاح، عن الصادق عليه السلام: أنّها توفّيت بعد خمس وسبعين يوماً[5].

وأمّا مكان دفنها عليها السلام، فقد اختلف فيه، قال الصدوق: «اختلفت الروايات في موضع قبر فاطمة سيّدة نساء العالمين عليها السلام.

فمنهم، من يروي: أنّها دفنت بالبقيع.

ومنهم من روى أنّها دفنت بين القبر والمنبر، وأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله إنّما قال: ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنّة؛ لأنّ قبرها بين القبر والمنبر.

ومنهم من روى أنّها دفنت في بيتها، فلمّا زادت بنو أميّة في المسجد صارت في المسجد.

وهذا هو الصحيح عندي، وإنّي لمّا حججت بيت الله الحرام كان رجوعي على المدينة بتوفيق الله تعالى ذكره، فلمّا فرغت من زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله قصدت إلى

---

(١) انظر مسارّ الشيعة: ٣١.

(٢) انظر مصباح المتهجّد: ٧٣٣.

(٣) انظر إعلام الورى ١: ٣٠٠.

(٤) نسبه إليهم السيّد ابن طاووس في الإقبال: ٦٣٣.

(٥) انظر: الكافي ١: ٤٥٨، باب مولد الزهراء، الحديث الأوّل، وفيه: «إنّ فاطمة عليها السلام مكثت بعد رسول الله خمسة وسبعين يوماً، وكان يدخلها حزن شديد على أبيها ...».

والكافي ٣: ٢٢٨، باب زيارة القبور، الحديث ٣، وفيه: «عاشت فاطمة عليها السلام بعد أبيها خمسة وسبعين يوماً لم تُرَ كاشرة ولا ضاحكة ...».

والكافي ٤: ٥٦١، باب إتيان المشاهد وقبور الشهداء، الحديث ٤ بالمضمون المتقدّم.

ورواه ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ١: ٢٠، وغيره.

بيت فاطمة ﷺ ، وهو من عند الاسطوانة التي تدخل إليها من باب جبرئيل ﷺ إلى مؤخّر الحظيرة التي فيها النبيّ ﷺ ، فقمت عند الحظيرة ، ويَساري إليها وجعلت ظهري إلى القبلة واستقبلتها بوجهي وأنا على غسل وقلت : السلام عليكِ ... »[1].

وقال في معاني الأخبار ـ بعد أن روى عن الصادق ﷺ تعليل قوله ﷺ : « ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنّة » ؛ لأنّ قبر فاطمة ﷺ كان فيه ـ :

روي هذا الحديث هكذا وأوردته لما فيه من ذكر المعنى ، والصحيح عندي في موضع قبر فاطمة ﷺ ما حدّثنا به أبي ﷺ ... »

ثمّ ذكر سنده إلى أحمد بن محمّد بن أبي نصر البزنطي ، قال : « سألت أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا ﷺ عن قبر فاطمة صلوات اللّه عليها فقال : دفنت في بيتها ، فلمّا زادت بنو أميّة في المسجد صارت في المسجد »[2].

ونقل الكليني هذا المعنى عن البزنطي عن الرضا ﷺ أيضاً[3].

ولكن قال المفيد : « إنّها مقبورة في الروضة »[4].

وقال الشيخ الطوسي ـ بعد نقل الأقوال مشيراً إلى رواية الروضة والبيت ـ : « وهاتان الروايتان كالمتقاربتين ... » ، ثمّ قال : « وأمّا مَن قال إنّها دفنت بالبقيع فبعيد من الصواب »[5]

فالسلام عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها مدى الأيّام والدهور ، وجعلنا اللّه من محبّيها ومواليها ، ورزقنا شفاعتها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى اللّه بقلب سليم ، والحمد للّه ربّ العالمين .

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٢ : ٥٧٢ ، زيارة فاطمة ﷺ .

(٢) معاني الأخبار : ٢٦٧ ـ ٢٦٨ .

(٣) أُصول الكافي ١ : ٤٦١ ، باب مولد الزهراء ﷺ ، الحديث ٩ .

(٤) انظر المقنعة : ٤٥٩ .

(٥) التهذيب ٦ : ٩ .

أوّلاً ـ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام

اسمه ونسبه:

هو عليّ[1] بن أبي طالب[2] بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف.

وكان أبو طالب وعبد الله أخوين لأب وأمّ.

وأمّه فاطمة[3] بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف. فكان هو ـ وإخوته ـ

---

(١) قالوا: سمّته أمّه حيدرة باسم أبيها أسد؛ لأنّ الحيدرة من أسماء الأسد. وإليه يشير عليه السلام مرتجزاً يوم خيبر:

أنا الذي سمّتني أمّي حيدرة . . . .

انظر شرح النهج ١: ١٢.

ولكن سمّاه أبوه عليّاً، وقال:

سمّيته بعليٍّ كي يدوم له عزّ العلوّ وفخر العزّ أدومه

انظر الفصول المهمّة (لابن الصباغ المالكي): ٣٠.

(٢) سيّد البطحاء، شيخ قريش، ورئيس مكّة، وكانت قريش تسمّيه: «الشيخ»، فهو الذي كفل رسول الله صلى الله عليه وآله صغيراً، وحماه وحاطه كبيراً، ومنعه من مشركي قريش، ولقي لأجله عنتاً عظيماً، وقاسى بلاءً شديداً، وصبر على نصره والقيام بأمره، وجاء في الخبر: أنّه لمّا توفّي أبو طالب أوحي إلى النبيّ صلى الله عليه وآله: أخرج منها، فقد مات ناصرك.

انظر شرح النهج ١: ٢٩.

(٣) من سابقات المؤمنات إلى الإيمان، وأبرّ الناس برسول الله صلى الله عليه وآله، فقد كانت له بمنزلة الأمّ، ربّته في حجرها. وهي من أوائل المهاجرات إلى المدينة، حيث خرجت مع ولدها عليّ عليه السلام وسائر الفواطم. كفّنها رسول الله صلى الله عليه وآله عند موتها بقميصه، وتوسّد في قبرها. ←

أوّل هاشمي ولد من هاشميّين[١].

كنيته ولقبه:

كنيته المشهورة: أبو الحسن، وكنّي أيضاً بأبي الحسين، وأبي السبطين، وأبي الريحانتين[٢].

وكنّاه رسول الله صلى الله عليه وآله بأبي تراب[٣].

ولقبه: أمير المؤمنين ـ ولم يجوّز أصحابنا رضي الله عنهم أن يلقّب غيره من

← انظر: أصول الكافي ١: ٤٥٣، والإرشاد ١: ٥، وإعلام الورى ١: ٣٠٦، وشرح النهج ١: ١٣ ـ ١٤، والفصول المهمّة: ٣٠ ـ ٣١.

(١) انظر المصادر المتقدّمة.

(٢) انظر: إعلام الورى ١: ٣٠٧، والفصول المهمّة: ١٢٤.

(٣) انظر: إعلام الورى ١: ٣٠٧، وشرح النهج ١: ١١.

وذكروا وجوهاً لذلك:

منها: أنّه صلى الله عليه وآله وجده نائماً في تراب، قد سقط عنه رداؤه، وأصاب التراب جسده، فجاء حتّى جلس عند رأسه وأيقظه، وجعل يمسح التراب عن ظهره ويقول له: اجلس، إنّما أنت أبو تراب.

ومنها: أنّه صلى الله عليه وآله قال له ذلك لمّا رآه ساجداً معفّراً وجهه في التراب.

وكانت أحبّ كناه إليه، وروى مسلم: «أنّه استعمل على المدينة رجلٌ من آل مروان، فدعا سهل بن سعدٍ، فأمره أن يشتم عليّاً، فأبى سهل، فقال له: قل: لعن الله أبا التراب! فقال سهل: ماكان لعليّ اسمٌ أحبُّ إليه من أبي التراب، وإن كان ليفرح إذا دعي بها». صحيح مسلم ٤: ١٨٧٤، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عليّ [عليه السلام]، الحديث ٢٤٠٩.

وقال ابن أبي الحديد: «كانت من أحبّ كناه إليه صلوات الله عليه، وكان يفرح إذا دعي بها، وكانت ترغّب بنو أُميّة خطباءَها أنْ يسبّوه بها على المنابر، وجعلوها نقيصة له، ووصمة عليه، فكأنّما كسوه بها الحليّ والحلل، كما قال الحسن البصري...». شرح النهج ١: ١١ ـ ١٢.

الأئمّة عليهم السلام بهذا اللقب[١] ـ والمرتضى، وله ألقاب كثيرة أخرى مقتبسة ممّا ورد في حقّه عن النبيّ صلى الله عليه وآله[٢].

مولده:

ولد عليه السلام بمكّة في البيت الحرام[٣] في الثالث عشر من شهر رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة، أي قبل البعثة بعشر سنين[٤]. هذا هو المعروف، وقيل

---

(١) انظر إعلام الورى ١: ٣٠٧.

(٢) مثل: الوصي، وسيّد الأوصياء، وإمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجّلين، ويعسوب الدين أو يعسوب المؤمنين، وسيّد المسلمين، وغير ذلك.

انظر: إعلام الورى ١: ٣٠٧، وشرح النهج ١: ١٢ ـ ١٣، وحلية الأولياء ١: ٦٦ ـ ٦٧، والبحار ٣٥: ٤٥ ـ ٦٧، والفصول المهمّة: ١٢٤.

(٣) انظر: الإرشاد ١: ٥، وإعلام الورى ١: ٣٠٦، والفصول المهمّة: ٢٩، والمستدرك على الصحيحين ٣: ٤٨٣ ـ وجاء فيه: « تواترت الأخبار أنّ فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه في جوف الكعبة » ـ ومروج الذهب ٢: ٣٤٩، ونقل السيّد الأمين في أعيان الشيعة عن الآلوسي في شرح عينية عبد الباقي العُمري قوله: « وكون الأمير كرّم الله وجهه ولد في البيت أمرٌ مشهور في الدنيا، وذُكر في كتب الفريقين: السنّة والشيعة ».

ومحلّ الشاهد من القصيدة هو قوله:

أنت العليّ الذي فوق العُلى رفعا ... ببطن مكّة وسط البيت إذ وضعا

ونقل أيضاً عن السيّد الحميري قوله:

ولدته في حرم الإله وأمنِهِ ... والبيت حيث فناؤه والمسجد

بيضاء طاهرة الثياب كريمة ... طابت وطاب وليدها والمولد

أعيان الشيعة ١: ٣٢٣ ـ ٣٢٤، ترجمة الإمام عليّ عليه السلام، وانظر أيضاً كتاب عليٌّ وليد الكعبة، للشيخ محمّد علي الأردوبادي الغروي.

(٤) انظر: أُصول الكافي ١: ٤٥٢، والإرشاد ١: ٥، وإعلام الورى ١: ٣٠٦، والإصابة ٢: ٥٠٧، ترجمة الإمام عليّ.

←

غير ذلك[1].

وفـــاته:

استشهد عليه السلام ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان سنة ٤٠ من الهجرة على أثر ضربة أشقى الأوّلين والآخرين عبد الرحمن بن ملجم المرادي ـ لعنة الله عليه ـ على أمّ رأسه في مسجد الكوفة، وقد خرج عليه السلام يوقظ الناس لصلاة الصبح[2] ليلة تسع عشرة من الشهر نفسه[3].

وقد كان عليه السلام يعلم ذلك ويخبر به[4].

← ويرى بعضهم: أنّ ولادته كانت قبل البعثة بأكثر من ذلك، ومن هنا وقع الخلاف في عمره عند إسلامه، كما سيأتي الحديث عنه.

(١) جمعت الأقوال المذكورة في أعيان الشيعة ١: ٣٢٣.

(٢) انظر: الإرشاد ١: ٩ ـ ١٠، وإعلام الورى ١: ٣٠٩ ـ ٣١٠، وقال ابن عبد البرّ: «... واختلفوا أيضاً هل ضربه في الصلاة أو قبل الدخول فيها، وهل أتمّ بهم الصلاة أو هو أتمّها؟ والأكثر أنّه استخلف جعدة بن هبيرة فصلّى بهم تلك الصلاة». الاستيعاب بهامش الإصابة ٣: ٥٩، وكان جعدة ابن أخته عليه السلام أمّ هانئ.

(٣) هذا هو المعروف، وقيل: في الليلة السابعة عشرة، قاله جماعة من العامّة، وعلّله ابن أبي الحديد في شرح النهج ١: ١٦: بأنّها ليلة بدر، وقد ورد: أنّه يقتل عليه السلام في ليلة بدر.

(٤) وقد استفاضت الأخبار التي ذكر فيها أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أخبر بمقتله، وأخبر هو بذلك أيضاً، فمنها:

ما رواه ابن الصبّاغ عن أنس بن مالك، قال: «مرض عليّ [عليه السلام] فدخلت عليه وعنده أبو بكر وعمر وعثمان فجلست عنده معهم، فجاء النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم فنظر في وجهه، فقال أبو بكر وعمر: قد تخوّفنا عليه يا رسول الله! فقال: لا بأس عليه، ولن يموت الآن، ولا يموت حتّى يملأ غيظاً، ولن يموت إلّا مقتولاً». الفصول المهمّة: ١٢٤.

ونقل قضيّة أخرى مشابهة إلّا أنّ القائل والمخبر فيها الإمام نفسه.

ونقل المفيد في إرشاده قضايا عديدة، منها كيفيّة أخذ الإمام عليه السلام البيعة من ←

وتولّى غسله وتكفينه ابناه الحسن والحسين عليهما السلام بأمره، وحملاه إلى الغري من نجف الكوفة، ودفناه هناك ليلاً، وعمّيا موضع قبره وفقاً لوصيّته إليهما.

ولم يزل قبره مخفيّاً حتّى دلّ عليه الصادق عليه السلام عند زيارته له، وذلك عندما استقدمه المنصور أيّام كان بالحيرة(١).

عمره الشريف:

كان عمره ثلاثاً وستّين سنة، بناءً على ما هو المعروف من كونه أسلم وهو ابن عشر سنين، وأمّا بناءً على كونه أسلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة، فيكون عمره ستّاً وستين سنةً.

أقام مع رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثاً وثلاثين سنة، عشرٌ منها قبل البعثة، وثلاث عشرة

← ابن ملجم، وفيها إخباره إجمالاً بما سيحدث، ومنها نعيه نفسه مراراً، حتّى روى عن أبي زيد الأحول، عن الأجلح، أنّه سمع أشياخ كندة أكثر من عشرين مرّة يقولون: «سمعنا عليّاً عليه السلام على المنبر يقول: ما يمنع أشقاها أن يخضّبها من فوقها بدم؟! ويضع يده على لحيته عليه السلام». الإرشاد ١: ١١ ـ ١٣.

(١) انظر: الإرشاد ١: ١٠، وإعلام الورى ١: ٣١٢، وشرح النهج ١: ١٦، والفصول المهمّة: ١٢٩.

قال ابن أبي الحديد: «وما يدّعيه أصحاب الحديث من الاختلاف في قبره... باطل كلّه، لا حقيقة له، وأولاده أعرف بقبره، وأولاد كلّ الناس أعرف بقبور آبائهم من الأجانب، وهذا القبر الذي زاره بنوه لمّا قدموا العراق، منهم جعفر بن محمّد عليه السلام وغيره من أكابرهم وأعيانهم». شرح النهج ١: ١٦.

والسبب في وصيّته بإخفاء قبره هو: علمه عليه السلام بما كان ينتهي إليه الأمر من استيلاء بني أُميّة على الخلافة، وعدم مبالاتهم واكتراثهم بما يرتكبونه من قبيح الأقوال والأعمال في سبيل ترسيخ حكومتهم. انظر الإرشاد ١: ١٠.

مضافاً إلى ذلك وجود الخوارج بالكوفة وهم ألدّ أعدائه الذين لا تقلّ عداوتهم له من معاوية، وكانوا لا يتورّعون من ارتكاب أيّة جناية متأوّلين في ذلك.

سنة بعدها، وعشر سنين بالمدينة بعد الهجرة، وعاش بعد ما قبض النبيّ صلى الله عليه وآله ثلاثين سنة إلّا خمسة أشهر وأياماً[١].

إســـلامه:

أسلم وهو ابن عشر سنين على ما هو المعروف، كما تقدّم، وقيل: ابن ثلاث عشرة سنة[٢]. وقيل: ابن خمس عشرة أو ستّ عشرة سنة[٣].

وكان أوّل الناس إسلاماً[٤].

---

(١) انظر إعلام الورى ١: ٣١١ ـ ٣١٢.

(٢) انظر شرح النهج ١: ١٤.

(٣) رواه ابن عبد البرّ، انظر الاستيعاب بهامش الإصابة ٣: ٣٠، ترجمة الإمام عليّ عليه السلام.

(٤) هذا رأي الشيعة كافّة، وأمّا غيرهم، فقد قال ابن أبي الحديد منهم: «ذهب أكثر أهل الحديث إلى أنّه عليه السلام أوّل الناس اتّباعاً لرسول الله صلّى الله عليه [وآله] إيماناً به، ولم يخالف في ذلك إلّا الأقلّون، وقد قال هو عليه السلام: "أنا الصدّيق الأكبر، وأنا الفاروق الأوّل، أسلمت قبل إسلام الناس، وصلّيت قبل صلاتهم". ومن وقف على كتب أصحاب الحديث تحقّق ذلك وعلمه واضحاً. وإليه ذهب الواقدي، وابن جرير الطبري، وهو القول الذي رجّحه ونصره صاحب كتاب الاستيعاب». شرح النهج ١: ٣٠، وانظر: تاريخ الطبري ٢: ٥٥، والاستيعاب بهامش الإصابة ٣: ٢٦ ـ ٣٣.

وقال ابن حجر العسقلاني: «أوّل الناس إسلاماً في قول كثير من أهل العلم». الإصابة ٢: ٥٠٧.

ونقل ابن حجر الهيتمي عن بعضهم دعوى الإجماع على أنّ عليّاً عليه السلام أوّل من أسلم. انظر الصواعق: ١٢٠.

وممّا اشتهر نقله ما رووه عن عفيف الكندي: أنّه نزل على العبّاس بن عبد المطّلب في الجاهلية، فرأى شاباً وامرأة عن خلفه وغلاماً عن يمينه يصلّون، فقال عفيف: يا عبّاس، أمرٌ عظيم؟ فقال العبّاس: أمرٌ عظيم، ثمّ عرّفهم له، فقال: هذا محمّد بن عبد الله ابن أخي، وهذا عليّ بن أبي طالب ابن أخي، وهذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي، وهذا ←

مـدّة إمــامته:

بلغت إمامته ثلاثين سنة إلّا خمسة أشهر وأياماً[(١)]، وهي المدّة التي عاشها بعد رسول الله ﷺ.

هذا على مبنانا من كونه إماماً وخليفة لرسول الله ﷺ بلا فصل، وأمّا على مبنى غيرنا، فهي مدّة حكمه ؑ.

مـدّة حكمه:

وتبدأ من أوّل انتقال الخلافة والحكومة إليه بعد مقتل عثمان بن عفّان إلى يوم استشهاده ؑ. وهي عبارة عن خمس سنين إلّا ثلاثة أشهر[(٢)].



كيفيّة البيعة له:

لمّا قتل عثمان، انثال[(٣)] النّاس وفيهم الصحابة من المهاجرين والأنصار على

← ـ أي الرسول ﷺ ـ حدّثني: «أنّ ربّك ربّ السماء أمرهم بهذا الذي تراهم عليه، وايم الله ما أعلم على ظهر الأرض كلّها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة».

وكان عفيف يقول بعد إسلامه: «فليتني كنت آمنت يومئذٍ فكنت أكون ثالثاً» أي ثالث المؤمنين بالنبيّ ﷺ، أو كان يقول: «يا ليتني كنت رابعاً» أي رابع المصلّين.

انظر: تاريخ الطبري ٢: ٥٦ ـ ٥٧، والاستيعاب بهامش الإصابة ٣: ٣٢، وشرح النهج ١: ٢٩، والإرشاد ١: ٢٩ ـ ٣٠.

وأمّا تصريحاته هو ؑ بذلك فكثيرة، ذكرت ضمن خطبه في نهج البلاغة وغيرها.

(١) انظر إعلام الورى ١: ٣١١ ـ ٣١٢.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٤: ١١٧.

(٣) إلى ذلك يشير ؑ في الخطبة الشقشقيّة: «فما راعني إلّا والنّاس كعرف الضبع إليّ، ينثالون عليّ من كلّ جانبٍ، حتّى لقد وطئ الحسنانِ، وشقّ عطفاي، مجتمعين حولي كربيضةِ الغنم. فلمّا نهضتُ بالأمرِ نكثتْ طائفةٌ، ومرقتْ أُخرى، وقسط آخرون». ←

الإمام عليّ عليه السلام ليبايعوه، لكنّه كان يمتنع من ذلك، فكان منهم الإلحاح ومنه الامتناع[(١)] حتّى أجابهم إلى البيعة في المسجد، وقال: إنّ بيعتي لا تكون خفيّة ولا تكون إلّا عن رضا المسلمين.

فخرج عليه السلام إلى المسجد، فبايعه النّاس[(٢)].

وتخلّف عن بيعته نفر من الصحابة[(٣)].

← نهج البلاغة: ٤٩، الخطبة الشقشقيّة.

وقال في خطبة أخرى: «وبسطتمْ يدي فكففتها، ومددتموها فقبضتها، ثمّ تداككتمْ عليّ تداكّ الإبلِ الهيمِ على حياضها يومَ وِردها، حتّى انقطعتِ النّعلُ، وسقط الرداءُ، ووطئ الضعيفُ، وبلغ من سرورِ النّاسِ ببيعتهمْ إيّايَ أنِ ابتهجَ بها الصغيرُ، وهدجَ إليها الكبيرُ، وتحامل نحوها العليلُ، وحسرتْ إليها الكعابُ». نهج البلاغة: ٣٥٠، الخطبة ٢٢٩

(١) فكان عليه السلام يقول: «دعوني والتمسوا غيري... وأنا لكمْ وزيراً، خيرٌ لكمْ منّي أميراً». نهج البلاغة: ١٣٦، الخطبة ٩٢.

(٢) روى الطبري بإسناده إلى محمّد بن الحنفيّة، قال: «كنت مع أبي حين قتل عثمان فقام، فدخل منزله فأتاه أصحاب رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، فقالوا: إنّ هذا الرجل قد قتل ولا بدّ للنّاس من إمام، ولا نجد اليوم أحداً أحقّ بهذا الأمر منك، لا أقدم سابقة، ولا أقرب من رسول الله صلّى الله عليه وآله، فقال: لا تفعلوا، فإنّي أكون وزيراً، خير من أن أكون أميراً، فقالوا: لا والله ما نحن بفاعلين حتّى نبايعك، فقال: ففي المسجد، فإنّ بيعتي لا تكون خفياً، ولا تكون إلّا عن رضا المسلمين...».

وروى أيضاً عن أبي بشير العابدي، قال: «كنت بالمدينة حين قتل عثمان واجتمع المهاجرون والأنصار فيهم طلحة والزبير، فأتوا عليّاً فقالوا: يا أبا حسن، هلمّ نبايعك، فقال: لا حاجة لي في أمركم، أنا معكم، فمن اخترتم فقد رضيت به، فاختاروا، فقالوا: والله ما نختار غيرك...». تاريخ الطبري ٣: ٤٥٠، خلافة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

(٣) اختلفوا في من تخلّف عن البيعة، فقد عدّ منهم المسعودي: سعد بن أبي وقّاص وعبدالله ابن عمر ـ قال: وبايع يزيد بعد ذلك، والحجّاج لعبدالملك بن مروان ـ وقدامة بن ←

ثمّ نكث طلحة والزبير بيعتهما وخرجا إلى مكّة يحرّضان عائشة على المطالبة بدم عثمان، كما سيأتي.

وكانت بيعته في المسجد يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجّة على ما نقله الطبري[1].

ولمّا ولي الخلافة، «انتزع أملاكاً كان عثمان أقطعها جماعة من المسلمين، وقسّم ما في بيت المال على النّاس، ولم يفضّل أحداً على أحد»[2].

ومن كلام له عليه السلام في هذا المجال ـ كما رواه الرضي ـ: «واللهِ لو وجدتهُ قد تُزوِّجَ به النّساءُ، ومُلِكَ به الإماءُ، لرددتهُ، فإنّ في العدلِ سعةً. ومنْ ضاقَ عليه العدلُ، فالجورُ عليهِ أضيقُ!»[3].

قال ابن أبي الحديد ـ معلّقاً على هذا الكلام ـ: «وقد كان عثمان أقطع كثيراً من بني أميّة وغيرهم من أوليائه وأصحابه قطائع من أرض الخراج على هذه»[4].

← مظعون، واهبان بن صيفي، وعبدالله بن سلام، والمغيرة بن شعبة الثقفي.

ومن الأنصار: أبو سعيد الخدري، ومحمّد بن مسلمة، وزيد بن ثابت، ونعمان بن بشير وغيرهم. انظر مروج الذهب ٢: ٣٥٣.

(١) انظر تاريخ الطبري ٣: ٤٥٧، خلافة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام. وكان مقتل عثمان في اليوم الثامن عشر. لكن ذكر المسعودي: أنّه بويع له في اليوم الذي قتل فيه عثمان، انظر مروج الذهب ٢: ٣٤٩، ولو صحّ هذا، لكان يوم وصوله إلى الخلافة الظاهريّة مطابقاً ليوم نصبه بيد النبي صلى الله عليه وآله في غدير خم!

(٢) مروج الذهب ٢: ٣٥٣.

(٣) نهج البلاغة: ٥٧، الخطبة ١٥.

(٤) شرح النهج ١: ٢٦٩. وتنقل الخطبة برواية أخرى، وهي: «ألا وإنّ كلّ قطيعةٍ أقطعها عثمانُ، وكلّ مالٍ أعطاهُ من مالِ اللهِ، فهو مردودٌ في بيتِ المالِ، فإنّ الحقّ القديم لا يبطلهُ شيءٌ، ولو وجدتهُ قد تزوّجَ به النّساء، وفُرّقَ في البلدانِ لرددتهُ إلى حالهِ؛ فإنّ في العدلِ سعةً، ومن ضاقَ عنه الحقّ فالجورُ عليهِ أضيقُ». ←

ثمّ نقل عن عمر أيضاً أنّه أقطع قطائع ، لكن فرّق بينهما: بأن ما أقطعه عمر كان لمن يستحقّه ـ على زعمه ـ لعنائه في الحرب ، وأمّا ما أقطعه عثمان فكان صلة لرحمه .

أهمّ الأحداث في مدّة حكمه:

كانت الحروب الثلاثة التي وقعت أيّام حكومته عليه السلام أهمّ الأحداث في مدّة حكمه ، وهي : الجمل ، وصفّين ، والنهروان ، وقد أخبره النبيّ صلى الله عليه وآله بوقوعهنّ[1] .

١ ـ حرب الجمل:

قاد هذه الحرب طلحة والزبير وعائشة ، وكانت راكبة على جمل ؛ ولذلك سمّيت هذه الحرب بحرب الجمل .

أمّا طلحة والزبير ، فكانا قد بايعا عليّاً عليه السلام بعد مقتل عثمان ، لكنّهما نكثا البيعة وخرجا إلى عائشة[2] ، وكانت بمكّة ، فألّباها على الخروج ورغّباها في

← ثمّ قال في شرحه : « وتفسير هذا الكلام : أنّ الوالي إذا ضاقت عليه تدبيرات أُموره في العدل ، فهي في الجور أضيق عليه؛ لأنّ الجائر في مظنّة أن يمنع ويصدّ عن جوره » .

(١) أخبر بذلك بقوله له : « ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين » .

قال ابن أبي الحديد ـ بعد ذكر الرواية ـ : « وهذا الخبر من دلائل نبوّته صلوات الله عليه؛ لأنّه إخبار صريح بالغيب ، لا يحتمل التمويه والتدليس كما تحتمله الأخبار المجملة » . شرح النهج ١ : ٢٠١ ، وسيأتي مزيد بيان لذلك عند الكلام عن حرب النهروان .

(٢) قال ابن أبي الحديد : « دخل الزبير وطلحة على عليّ عليه السلام ، فاستأذناه في العمرة ، فقال : ما العمرة تريدان ، فحلفا له بالله أنّهما ما يريدان غير العمرة ، فقال لهما : ما العمرة تريدان ، وإنّما تريدان الغدرة ، ونكث البيعة؛ فحلفا بالله ما الخلاف عليه ، ولا نكث بيعته يريدان ، وما رأيهما غير العمرة ، قال لهما : أعيدا البيعة لي ثانية ، فأعاداها بأشدّ ما يكون من الأيمان والمواثيق ، فأذن لهما ، فلمّا خرجا من عنده قال لمن كان حاضراً: والله لا ترونهما إلاّ في فتنة يقتتلان فيها ، قالوا: يا أمير المؤمنين ، فمر بردّهما عليك ، قال : ليقضي الله أمراً كان مفعولاً » شرح النهج ١ : ٢٣٢ ، وانظر الإمامة والسياسة ١ : ٥١ .

ذلك فأجابتهما [١].

ولمّا سارت عائشة مع القوم ووصلت إلى ماءٍ يسمّى حوأب نبحت عليهم كلابها، فصرخت بأعلى صوتها ثمّ ضربت عضد بعيرها فأناخته، ثمّ قالت: «أنا واللّه صاحبة كلاب الحوأب [٢] طُروقاً ردّوني»، تقول ذلك ثلاثاً، فامتنعت من المسير حتّى جاءها

(١) وكانت قبل ذلك تحرّض الناس على قتل عثمان وتقول: «اقتلوا نعثلاً».

ولمّا سمعت بقتله قالت: «أبعده اللّه! ذلك بما قدّمت يداه، وما اللّه بظلّام للعبيد».

وعندما سمعت ببيعة الناس لعليّ عليه السلام قالت ـ مشيرة إلى السماء والأرض ـ: «لوددت أنّ هذه وقعت على هذه». ثمّ قالت: «قتلوا ابن عفّان مظلوماً». انظر شرح النهج ٦: ٢١٥ ـ ٢١٦، وتاريخ الطبري ٣: ٤٧٦ ـ ٤٧٧، والإمامة والسياسة ١: ٥٣.

وروى الطبري فقال: أقبل غلام من جهينة على محمّد بن طلحة ـ وكان محمّد رجلاً عابداً ـ فقال: أخبرني عن قتلة عثمان، فقال: نعم، دم عثمان ثلاثة أثلاث، ثلث على صاحبة الهودج ـ يعني عائشة ـ وثلث على صاحب الجمل الأحمر ـ يعني طلحة ـ وثلث على عليّ بن أبي طالب، وضحك الغلام، وقال: ألا أراني على ضلال، ولحق بعليّ، وقال في ذلك شعراً:

سألت ابن طلحة عن هالكٍ ... بجوف المدينة لم يُقبرِ
فقال: ثلاثة رهطٍ هُمُ ... أماتوا ابن عفّان واستعبرِ
فثلث على تلك في خدرها ... وثلث على راكب الأحمرِ
وثلث على ابن أبي طالب ... ونحن بدوّيّة قرقرِ
فقلت: صدقت على الأوّلين ... وأخطأت في الثالث الأزهرِ

ونقل عن بعضهم مخاطباً طلحة والزبير:

صنتم حلائلكم وقُدتم أُمّكم ... هذا لعمرك قلّة الإنصاف
أُمِرَت بجرّ ذيولها في بيتها ... فهوت تشقّ البيد بالايجاف
غرضاً يقاتل دونها أبناؤها ... بالنبل والخطّي والأسياف
هُتكت بطلحة والزبير ستورها ... هذا المخبّر عنهم والكافي

تاريخ الطبري ٣: ٤٨٢.

(٢) ذكر ابن أبي الحديد: أنّ عائشة حاولت إقناع أمّ سلمة للخروج معها، لكنّها امتنعت من ←

ابن الزبير فقال: النجاء، النجاء، فقد أدرككم والله عليّ بن أبي طالب، فارتحلوا[١].

ثمّ وصلوا إلى البصرة واحتدموا مع عامل الإمام عليّ عليه السلام عليها، وهو عثمان بن حنيف، فتوطؤوه وما بقيت في وجهه شعره، وكذا ابنه أبان، وقد أمرت عائشة بقتله، لكن نهاها بعض النسوة، لصحبة عثمان من رسول الله صلى الله عليه وآله[٢].

ولمّا سمع عليّ عليه السلام ذلك عزم على المسير إلى البصرة، فلمّا وصلها أتمّ الحجّة عليهم وأمر أصحابه ألّا يبدأوهم بقتال، ثمّ بدأ أهل الجمل القتال وانتهى إلى هزيمتهم، وقُتل الزبير بعد أن انحاز من المعركة[٣]، قتله ابن جرموز. وقُتل طلحة،

← ذلك وذكّرت عائشة بأمور، منها: أنّها قالت لها: «واذكّرك أيضاً، كنت أنا وأنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وأنتِ تغسلين رأسه وأنا أحيس له حيساً، وكان الحيس يعجبه، فرفع رأسه وقال: "يا ليت شعري أيتكّن صاحبة الجمل الأذنب تنبحها كلاب الحوأب، فتكون ناكبة عن الصراط" فرفعت يدي من الحيس، فقلت: أعوذ بالله وبرسوله من ذلك، ثمّ ضرب على ظهرك، وقال: "إيّاك أن تكونيها"، ثمّ قال: "يا بنت أبي أميّة، إيّاك أن تكونيها يا حميراء، أمّا أنا فقد أنذرتك". قالت عائشة: نعم أذكر هذا». شرح النهج ٦: ٢١٧ ـ ٢١٨. وانظر تاريخ الطبري ٣: ٤٨٥.

والحيس: تمر يخلط بسمن وأقط فيعجن شديداً، ثمّ يندر نواه. القاموس المحيط: «حيس».

(١) انظر تاريخ الطبري ٣: ٤٧٥.

(٢) انظر المصدر المتقدّم: ٤٨٥.

(٣) وكان سبب انحيازه ما ذكره ابن أبي الحديد قائلاً: «لمّا خرج عليّ عليه السلام لطلب الزبير خرج حاسراً، وخرج إليه الزبير دارعاً مدجّجاً، فقال للزبير: يا أبا عبدالله، قد لعمري أعددت سلاحاً، وحبّذا، فهل أعددت عند الله عذراً؟ فقال الزبير: إنّ مردّنا إلى الله، قال علي عليه السلام: ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾، ثمّ أذكره الخبر، فلمّا كرّ الزبير راجعاً إلى أصحابه نادماً واجماً، رجع عليّ عليه السلام إلى أصحابه جذلاً مسروراً.. الخ».

ومقصوده من الخبر الذي ذكّر به عليّ عليه السلام الزبيرَ هو ما قاله قبل ذلك: من أنّه لمّا اجتمع عليّ عليه السلام والزبير قال عليّ عليه السلام للزبير: إنّما دعوتك لأذكّرك حديثاً قاله لي ولك ←

قتله مروان بن الحكم[١].

وأرجع عليّ عليه السلام عائشة إلى المدينة مراعياً لها حرمة الزوجيّة لرسول الله صلى الله عليه وآله، وبعث معها أخاها عبد الرحمن بن أبي بكر وثلاثين رجلاً وعشرين امرأة من ذوات الدين ألبسهنّ العمائم وقلّدهنّ السيوف، وأمرهنّ أن لا يعلمن عائشة بذلك[٢].

وأمّا عليّ عليه السلام فقد سار إلى الكوفة وجعلها مركزاً لحكومته.

٢ ـ حرب صفّين:

لمّا وصل عليّ عليه السلام إلى الكوفة راسل معاوية كي ينتهي عن المخالفة، وتكرّرت المراسلات، لكنّه كان يمتنع عن الإجابة.

ثمّ قاد كلٌّ من الإمام عليّ عليه السلام ومعاوية جيشاً كبيراً، والتقوا جميعاً على الفرات في الرقّة.

دامت الحرب مئة وعشرة أيّام تقريباً، قتل فيها خلق كثير، أكثرهم من أهل الشام.

← رسول الله صلى الله عليه وآله، أتذكر يوم رآك وأنت معتنقي، فقال لك: أتحبّه؟ قلت: وما لي لا أحبّه وهو أخي وابن خالي، فقال: أما إنّك ستحاربه وأنت ظالم له، فاسترجع الزبير وقال: أذكرتني ما أنسانيه الدهر ورجع إلى صفوفه»، ثمّ ذكر تعيير ابنه له، ثمّ انحيازه وقتله بيد ابن جرموز. شرح النهج ١: ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

(١) قال ابن أبي الحديد ـ ناقلاً عن أبي مخنف ـ: «فأمّا طلحة، فإنّ أهل الجمل لمّا تضعضعوا، قال مروان: لا أطلب ثأر عثمان من طلحة بعد اليوم! فانتحى له بسهم فأصاب ساقه، فقطع أكحله، فجعل الدم يبضّ فاستدعى من مولى له بغلة فركبها وأدبر، وقال لمولاه: ويحك! أما من مكان أقدر فيه على النزول، فقد قتلني الدم! فيقول له مولاه: أنج، وإلّا لحقك القوم، فقال: بالله ما رأيت مصرع شيخ أضيع من مصرعي هذا! حتّى انتهى إلى دار من دور البصرة فنزلها ومات بها». وقال ـ ناقلاً عن أبي مخنف أيضاً ـ: «وقد قال عبدالملك بن مروان: لولا أنّ أبي أخبرني أنّه رمى طلحة فقتله، ما تركت تيميّاً إلّا قتلته بعثمان، قال: يعني أنّ محمّد بن أبي بكر وطلحة قتلاه، وكانا تيميّين». شرح النهج ٩: ١١٣ ـ ١١٤.

(٢) انظر مروج الذهب ٢: ٣٧٠.

وقد احتوى جيش عليّ عليه السلام على كثير من الصحابة وكبار المهاجرين والأنصار، كان منهم عمّار بن ياسر، ولمّا استشهد اطمأنّ أصحاب عليّ عليه السلام بكونهم على حقّ؛ لأنّهم سمعوا عن النبيّ صلى الله عليه وآله قوله في عمّار: «تقتلك الفئة الباغية».

وشاع هذا الخبر في معسكر معاوية وارتبك الناس، فقال عمرو: إنّما قتله من جاء به[1]!

وكادت الغلبة تكون لجيش الإمام عليه السلام وبيد الأشتر[2]، لولا احتيال عمرو بن العاص ـ بطلب من معاوية ـ برفع المصاحف والمطالبة بتحكيم القرآن، فوقع الخلاف في جيش عليّ عليه السلام، وكان أكثرهم إصراراً على قبول التحكيم الأشعث بن

---

(١) انظر: تاريخ الطبري ٤: ٢٩، والإمامة والسياسة ١: ١١٠، وقال ابن حجر العسقلاني ـ بعد قوله: إنّ كلاً من الفريقين مجتهد ـ: «وظهر بقتل عمّار أنّ الصواب كان مع عليّ، واتّفق على ذلك أهل السنّة بعد اختلاف كان في القديم، ولله الحمد». الإصابة ٢: ٥٠٨.

وروى ابن أبي الحديد تفصيل استشهاد عمّار، وقال فيما قال: «وقد كان ذو الكلاع يسمع عمرو بن العاص يقول: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله يقول لعمّار: "تقتلك الفئة الباغية، وآخر شربك ضياح من لبن" فقال ذو الكلاع لعمرو: ويحك ما هذا؟! قال عمرو: إنّه سيرجع إلينا ويفارق أبا تراب، وذلك قبل أن يصاب عمّار، فلمّا أصيب عمّار في هذا اليوم أصيب ذو الكلاع، فقال عمرو لمعاوية: والله ما أدري بقتل أيّهما أنا أشدّ فرحاً! والله لو بقي ذو الكلاع حتّى يقتل عمّار لمال بعامّة قومه إلى عليّ، ولأفسد علينا أمرنا» شرح النهج ٨: ٣٤.

فيا عجباً لمن سمع هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وآله فيفرح بقتل عمّار!!

(٢) قال ابن قتيبة ـ بعد أن ذكر استشهاد عمّار ـ: «وإنّ عليّاً دعا بفرسه التي كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ دعا ببغلة رسول الله صلى الله عليه وآله الشهباء، ثمّ تعصّب بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله السوداء، ثمّ نادى: من يبيع نفسه اليوم بربح غداً، يوم له ما بعده، وإنّ عدوّكم قد قدح كما قدحتم، فانتدب له ما بين عشرة آلاف إلى اثني عشر ألفاً، واضعي سيوفهم على عواتقهم وتقدّموا، فحمل عليّ والنّاس حملة واحدة، فلم يبق لأهل الشام صفّ إلّا أهمد، حتّى أفضى الأمر إلى معاوية وعليّ يضرب بسيفه، ولم يستقبل أحداً إلّا ولّى عنه، فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه...» الإمامة والسياسة ١: ١١١، وانظر تاريخ الطبري ٤: ٣٣ ـ ٣٤.

قيس وجماعته، وهدّده موافقو التحكيم بأنّه لو لم يقبل سيفعلون به ما فعلوا بعثمان[١].

فاضطرّ عليّ عليه السلام إلى التحكيم وأراد أن يبعث عبد الله بن عبّاس حَكماً من قِبله، لكنّهم رفضوا ذلك وأبوا إلّا أبا موسى الأشعري، وكان مخذّلاً للناس عن عليّ عليه السلام[٢].

وعيّن معاوية عمرو بن العاص حَكماً من قِبله، ثمّ التقيا في دومة الجندل، واحتال عمرو على أبي موسى قائلاً: ليخلع كلٌّ منّا صاحبه ونجعلها لشخص آخر[٣]، وفي رواية أخرى: نجعلها شورى.

فخلع أبو موسى عليّاً عليه السلام، لكن قال عمرو: إنّ أبا موسى خلع صاحبه وهو أعرف به، وأمّا أنا فأقرّ معاوية.

فعلم أبو موسى بالخدعة وكثر اللغط والكلام بينهما، فالتحق أبو موسى بمكّة وعمرو بالشام[٤].

ولمّا رأى عليّ عليه السلام الوهن وعدم الانتظام ينتشران في جيشه رجع إلى الكوفة.

٣ ـ حرب النهروان[٥]:

اجتمع أربعة آلاف ممّن اشترك معه في حرب معاوية بصفّين وغيرهم، واعترضوا عليه لقبوله التحكيم، وكان أكثرهم قد أصرّ عليه في قبوله، فكفّروه وطلبوا منه أن يتوب من ذلك ويرجع إلى قتال معاوية.

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٤: ٣٤.

(٢) المصدر المتقدّم: ٣٦.

(٣) كان أبو موسى يميل إلى صهره عبد الله بن عمر، انظر المصدرين التاليين.

(٤) انظر: تاريخ الطبري ٤: ٤١، ومروج الذهب ٢: ٣٩٨.

(٥) النهروان: كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي، حدّها الأعلى متّصل ببغداد. معجم البلدان: «نهروان».

وكان شعارهم: «لا حكم إلّا لله».

وكان محلّ اجتماعهم أوّلاً بحروراء[1]، ثمّ ساروا إلى النهروان، وقتلوا في طريقهم عبد الله بن خبّاب[2] فذبحوه ذبحاً، وبقروا بطن زوجته، وقتلوا نساءً أخر.

والتقاهم عليّ عليه السلام في النهروان، فأرسل إليهم عبد الله بن عبّاس فوعظهم، ثمّ خطبهم هو فقال:

«فأنا نذير لكم أن تصبحوا صرعى بأثناء هذا النهر... وقد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة، فأبيتم عليّ إباءالمخالفين المنابذين حتّى صرفت رأيي إلى هواكم...»[3].

ثمّ طالبهم بأن يدفعوا إليه قتلة عبد الله بن خبّاب ومن معه، فامتنعوا بعد أن أقرّوا

---

(١) حروراء: قرية بظاهر الكوفة، وقيل: موضع على ميلين منها، نزل به الخوارج الذين خالفوا عليّ بن أبي طالب [عليه السلام] فنسبوا إليها. معجم البلدان: «حروراء».

(٢) قالوا لعبد الله لمّا لقيهم: حدّثنا عن أبيك، فقال: «إنّي سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ستكون بعدي فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه، يمسي مؤمناً، ويصبح كافراً، فكن عبد الله، المقتول، ولا تكن القاتل».

ثمّ سألوه عن أشياء، منها رأيه في عليّ عليه السلام بعد التحكيم والحكومة، فقال: «إنّ عليّاً أعلم بالله وأشدّ توقّياً على دينه، وأنفذ بصيرة»، فقالوا: إنّك لست تتّبع الهدى، إنّما تتّبع الرجال على أسمائهم، ثمّ قرّبوه إلى شاطئ النهر فأضجعوه فذبحوه بعدما آمنوه.

ثمّ بقروا بطن امرأته وهي حبلى متمّ، وقتلوا ثلاث نسوة من طيّ.

ومن غريب فعلهم أنّ بعضهم قتل خنزيراً لنصراني فقالوا: هذا فسادٌ في الأرض، فألزموه بإرضاء صاحب الخنزير. وسقطت رطبة من نخلة فجعلها بعضهم في فيه فقال له آخر: بغير حلّها وبغير ثمن؟ فلفظها!

انظر: تاريخ الطبري ٤: ٦٠ ـ ٦١، وشرح النهج ٢: ٢٨١ ـ ٢٨٢، والإمامة والسياسة ١: ١٢٦.

(٣) نهج البلاغة: ٨٠، قسم الخطب، الخطبة ٣٦.

بقتله . ومع ذلك لم يبدأهم بالقتال ، بل كانوا هم البادئين به[(١)].

وقد أبيدوا بأجمعهم ، ولم يفلت منهم عشرة ، ولم يقتل من أصحاب الإمام عليّ عليه السلام عشرة كما أخبر هو عليه السلام بذلك[(٢)] وبغيره ، وسنذكر نماذج من إخباراته عند الكلام عن علمه عليه السلام .

هذا وقد عرف هؤلاء بالخوارج وبالمارقين ؛ لأنّهم مرقوا من الدين ، وقد سمّاهم النبيّ صلى الله عليه وآله بذلك ، وسمّى أصحاب الجمل بالناكثين ؛ لأنّهم نكثوا البيعة مع عليّ عليه السلام ، وأصحاب معاوية بالقاسطين ؛ لأنّهم قسطوا عن الحقّ[(٣)].

---

(١) انظر : تاريخ الطبري ٤ : ٦٣ ـ ٦٤ ، ومروج الذهب ٢ : ٤٠٥.

(٢) انظر : مروج الذهب ٢ : ٤٠٥ ـ وفيه : « ولا يفلت منهم إلّا عشرة » والظاهر أنّه سهوٌ ـ وشرح النهج ٢ : ٢٧٣ ، وفيه : « فقال عليّ عليه السلام لأصحابه : احملوا عليهم فوالله لا يقتل منكم عشرة ولا يفلت منهم عشرة ، فحمل عليهم فطحنهم طحناً ... قُتل من أصحابه عليه السلام تسعة ، وأفلت من الخوارج ثمانية » ، لكن في تاريخ الطبري ٤ : ٦٧ : « لم يقتل من أصحاب عليّ إلّا سبعة ».

(٣) انظر : نهج البلاغة : ٤٩ ، الخطبة ٣ المعروفة بالشقشقيّة ، والإرشاد ١ : ٣١٤ ـ ٣١٥ ، ومروج الذهب ٢ : ٤٠٤ ، والاستيعاب بهامش الإصابة ٣ : ٥٣ . وأخرج البخاري عن أبي سعيد ، قال : « بيناالنبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يقسم ، جاء عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي فقال : اعدل يا رسول الله ، فقال : ويلك ! من يعدل إذا لم أعدل ؟ قال عمر بن الخطّاب : دعني أضرب عنقه ، قال : دعه ، فإنّ له أصحاباً يحقّر أحدكم صلاته مع صلاته [ظ : صلاتهم] ، وصيامه مع صيامه [ظ : صيامهم] ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة ... آيتهم رجلٌ إحدى يديه ـ أو قال ثدييه ـ مثل ثدي المرأة ـ أو قال : مثل البضعة ـ تدَرْدَرُ ، يخرجون على فُرقة من الناس .

قال أبو سعيد : أشهد سمعت من النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ، وأشهد أنّ عليّاً قتلهم ، وأنا معه جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم » .

صحيح البخاري ٤ : ١٩٨ ، كتاب الفتن ، باب من ترك قتال الخوارج .

قال ابن أبي الحديد : « قد تظافرت الأخبار حتّى بلغت حدّ التواتر بما وعد الله ←

← تعالى قاتلي الخوارج من الثواب على لسان رسول اللّه صلّى اللّه عليه [وآله]، وفي الصحاح المتّفق عليها...»، ثمّ ذكر الرواية المتقدّمة.

ثمّ نقل عن مسند أحمد عن عائشة أنّها قالت في الخوارج: «إنّهم شرّ الخلق والخليقة، يقتلهم خير الخلق والخليقة، وأقربهم عند اللّه وسيلة».

ونقل عن كتاب صفّين للمدائني عن مسروق: أنّ عائشة قالت له ـ لمّا عرفت أنّ عليّاً عليه السلام قتل ذا الثديّة ـ: «لعن اللّه عمرو بن العاص! فإنّه كتب إليّ يخبرني أنّه قتله بالاسكندرية! ألا إنّه ليس يمنعني ما في نفسي أن أقول ما سمعته من رسول اللّه صلّى اللّه عليه [وآله] يقول: يقتله خير أمّتي من بعدي». شرح النهج ٢: ٢٦٥ ـ ٢٦٨.

وقد تواتر: أنّه حينما أخبروا عليّاً عليه السلام بأنّ الخوارج فرّوا وأدبروا وعبروا النهر قال لهم: «واللّه ما عبروه، ولن يعبروه. وأنّ مصارعهم لدون النطفة، والذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة...». والمراد من النطفة ماء النهر، كما قال الرضي.

وجاءت الفرسان تركض وتخبره بعبورهم النهر، فقام عليه السلام فركب فرسه وذهب بنفسه لينظر، فقال شاب: واللّه لأكوننّ قريباً منه، فإن كانوا عبروا النهر لأجعلنّ سنان هذا الرمح في عينيه، أيدّعي علم الغيب؟! فلمّا انتهى عليه السلام إلى النهر وجد القوم قد كسروا جفون سيوفهم، وعرقبوا خيلهم، وجثوا على ركبهم، وحكّموا تحكيمة واحدة بصوت عظيم له زَجل، فنزل ذلك الشاب، فقال: يا أمير المؤمنين، إنّي كنت شككت فيك آنفاً، وإنّي تائب إلى اللّه وإليك، فاغفر لي، فقال عليه السلام: إنّ اللّه هو الذي يغفر الذنوب، فاستغفره.

انظر: شرح النهج ٢: ٢٧٢، و٥: ٣ ـ ٤، والإرشاد ١: ٣١٧ ـ ٣١٩، وفيه: أنّ الشاب هو جندب بن عبد اللّه الأزدي.

وبعد انتهاء القتال طلب الإمام عليه السلام ذا الثدية طلباً شديداً، وقلّب القتلى، فلم يقدر عليه، فجعل يقول: واللّه ما كذبت ولاكذبت، اطلبوا الرجل، وإنّه لفي القوم، فلم يزل يتطلّبه حتّى وجده. فإذا لحم مجتمع على منكبه كثدي المرأة، له حلمة عليها شعرات سود، فسجد عليه السلام وكبّر وكبّر الناس سروراً.

انظر: شرح النهج ٢: ٢٧٦، وتاريخ الطبري ٤: ٦٥ ـ ٦٦، ومروج الذهب ٢: ٤٠٦، ومسند أحمد ١: ١١٠، مسند الإمام عليّ عليه السلام، الحديث ٦٧٥.

منزلته عند رسول الله صلى الله عليه وآله :

تربّى الإمام عليّ عليه السلام في حجر النبيّ صلى الله عليه وآله وشهد مشاهده كلّها إلّا غزوة تبوك ، حيث جعله خليفة على المدينة ، وقال له : «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي»[1].

وزوّجه ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام بعد أن ردّ خطبة كبار القوم لها[2].

وقال هو عليه السلام عن نفسه : «...وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة ، والمنزلة الخصيصة ، وضعني في حجره وأنا ولدٌ ، يضمّني إلى صدره ، ويكنفني في فراشه ، ويمسّني جسده ، ويشمّني عرفه ، وكان يمضغ الشيء ثمّ يلقمنيه ، وما وجد لي كذبة في قول ، ولا خطلة في فعل ، ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ، ليله ونهاره ، ولقد كنت أتّبعه اتّباع الفصيل أثر أمّه ، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه عَلَماً ، ويأمرني بالاقتداء به ، ولقد كان يجاور في كلّ سنة بحراء ، فأراه ولا يراه غيري ، ولم يجمع بيت واحد يومئذٍ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما ، أرى نور الوحي والرسالة ، وأشمّ ريح النبوّة...»[3].

---

(١) أمّا إنّه لم يفارقه في مشاهده إلّا تبوك ، فهو من المسلّمات ، انظر : الإصابة ٢ : ٥٠٧ ، ترجمة الإمام عليّ عليه السلام ، والاستيعاب بهامش الإصابة ٣ : ٣٤ ، ترجمة الإمام عليه السلام ، وأمّا الحديث فقد قال عنه في الاستيعاب : «وهو من أثبت الآثار وأصحّها» ، ثمّ ذكر للحديث طرقاً كثيرة ، منها طرق سعد بن أبي وقّاص ، وقال : «كثيرة جدّاً» . وانظر صحيح مسلم ٤ : ١٨٧٠ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عليّ [عليه السلام] ، الحديث ٢٤٠٣ .

(٢) انظر البحار ٤٣ : ٩٢ ، تاريخ سيّدة النساء فاطمة عليها السلام ، باب تزويجها ، الحديث ٣ و ٤ . وقال ابن حجر الهيتمي : «وأخرج أبو داود السجستاني أنّ أبا بكر خطبها فأعرض عنه صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ، ثمّ عمر ، فأعرض عنه ...» الصواعق المحرقة : ١٦٣ .

(٣) نهج البلاغة : ٣٠٠ ـ ٣٠١ ، الخطبة رقم ١٩٢ ، وهي المعروفة بالقاصعة .

فضائله ومناقبه:

قال ابن حجر العسقلاني: «ومناقبه كثيرةٌ حتّى قال أحمد: لم ينقل لأحد من الصحابة ما نقل لعليّ...وكلّما أرادوا إخماده وهدّدوا من حدّث بمناقبه لا يزداد إلّا انتشاراً... وتتبّع النسائي ما خُصّ به من دون أصحابه فجمع من ذلك شيئاً كثيراً بأسانيد أكثرها جياد»[١].

أمّا علمه:

فقد كان أعلم الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث لم يفارقه مدّة حياته، فكان يعلم بكلّ ما ينزل من القرآن وتفسيره وتأويله، ولم يكن غيره كذلك، ولم يعهد عن أحد غيره قول: «سلوني قبل أن تفقدوني، فوالذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، لو سألتموني عن آيةٍ آية، لأخبرتكم بوقت نزولها، وفي من نزلت، وأنبأتكم بناسخها من منسوخها، وخاصّها من عامّها، ومحكمها من متشابهها، ومكّيها من مدنيّها...»[٢]؛ ولذلك قال ابن عبّاس: «والله لقد أعطي عليّ بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، وايم الله لقد شارككم في العُشر العاشر»[٣]، وعن عبد الملك بن أبي سليمان، قال: قلت لعطاء: «أكان في أصحاب محمّد صلّى الله عليه [وآله] وسلّم أحدٌ أعلم من عليّ؟ قال: لا والله، ما أعلمه»[٤]، وقال سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص: «قلت لعبدالله بن عيّاش بن أبي ربيعة: يا عمّ لِم كان صغو الناس[٥] إلى عليّ؟! فقال:

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٢: ٥٠٧ ـ ٥٠٨، ترجمة الإمام عليّ عليه السلام.

(٢) الإرشاد ١: ٣٥، وانظر: الإصابة ٢: ٥٠٩، ترجمة الإمام عليّ عليه السلام، وبهامشه الاستيعاب ٣: ٤٣.

(٣) و(٤) الاستيعاب بهامش الإصابة ٣: ٤٠.

(٥) ما أروع هذا التعبير! وما أجمله! فإنّ مثل عمّار وخزيمة ذي الشهادتين، وأبي أيّوب الأنصاري، وأبي قتادة الأنصاري، ونحوهم كانوا مع عليّ، وعمرو بن العاص والمغيرة ←

يابن أخي ، إنّ عليّاً عليه السلام كان له ما شئت : من ضرسٍ قاطعٍ في العلم ، وكان له البسطة في العشيرة ، والقِدم في الإسلام ، والصهر لرسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ، والفقه في السنّة ، والنجدة في الحرب ، والجود في الماعون »(١).

وكم استنجد به الخلفاء في حلّ مشاكلهم العلميّة ، حتّى كان عمر يتعوّذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن عليه السلام(٢).

ولِمَ لا يكون كذلك وقد وسمه النبيّ صلى الله عليه وآله بوسام العلم ، فقال : « أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها ، فمن أراد العلم فليأته من بابه »(٣).

ولم يختصّ علمه بالشريعة ، بل كان يشمل ما سيحدث ، وهو القائل : « بل اندمجت على مكنون علمٍ لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية(٤) في الطّوي(٥) البعيدة »(٦).

والقائل : « واللهِ لو شئتُ أن أُخبرَ كلّ رجلٍ منكمْ بمخرجِهِ ومولجِهِ وجميعِ شأنِهِ لفعلتُ ، ولكن أخافُ أن تكفروا فيَّ برسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ . ألا وإنّي مفضيه إلى الخاصةِ ممّن يؤمَنُ ذلكَ منهُ .

والذي بعثهُ بالحقِّ ، واصطفاهُ على الخلقِ ، ما أنطقُ إلّا صادقاً ، وقد عهد إليَّ بذلكَ كلِّهِ ، وبمهلكِ من يهلكُ ، ومنجىٰ من ينجو ، ومآلِ هذا الأمرِ . وما أبقىٰ شيئاً

← ومروان بن الحكم ونحوهم كانوا مع معاوية ، وقس على ذلك في سائر الأزمنة .

(١) الاستيعاب بهامش الإصابة ٣ : ٤٣ ، ترجمة الإمام عليّ عليه السلام .

(٢) انظر الإصابة ٢ : ٥٠٧ ، وبهامشه الاستيعاب ٣ : ٣٩ .

(٣) الاستيعاب بهامش الإصابة ٣ : ٣٨ ، وقد نقل العلّامة الأميني في موسوعة الغدير ٦ : ٦١ - ٧٧ الحديث عن أكثر من مئة وأربعين من الحفّاظ وأصحاب المسانيد .

(٤) جمع الرشاء ، وهو الحبل . لسان العرب : « رشا » .

(٥) الطَّويّ : البئر المطوية بالآجر ، والبئر البعيدة . لسان العرب « طوى » .

(٦) نهج البلاغة : ٥٢ ، الخطبة ٥ .

يمرُّ على رأسي إلّا أفرغهُ في أُذُنيّ وأفضىٰ به إليّ »[١].

وذلك باب واسع وله نماذج كثيرة، منها قوله في الخوارج ـ حينما قالوا له: إنّ القوم عبروا جسر النهروان ـ: « مصارعهم دون النطفة، والله لا يفلت منهم عشرة، ولا يهلك منكم عشرة ».

قال ابن أبي الحديد: « هذا الخبر من الأخبار التي تكاد تكون متواترة؛ لاشتهاره ونقل الناس كافّة له، وهو من معجزاته وأخباره المفصّلة عن الغيوب »[٢].

وقد جُمع بعضها في كتاب مستقلّ أو ضمن كتاب آخر[٣].

وأمّا شجاعته:

« فهو الشجاع الذي ما فرّ قطُّ، لا ارتاع من كتيبة، ولا بارز أحداً إلّا قتله، ولا ضرب قطُّ فاحتاجت الأولى إلى ثانية، وفي الحديث: "كانت ضرباته وِتراً" ولمّا دعا معاوية إلى المبارزة... قال له عمرو: لقد أنصفك، فقال معاوية: ما غششتني منذ نصحتني إلّا اليوم، أتأمرني بمبارزة أبي الحسن وأنت تعلم أنّه الشجاع المطرِق ؟!

---

(١) انظر الخطبة وشرحها في شرح النهج ١٠: ١٠ ـ ١٥.

(٢) شرح النهج ٥: ٣، ومقصوده من النطفة ماء النهر.

(٣) انظر: الإرشاد ١: ٣١٢ ـ ٣٣٨، وشرح النهج ٢: ٢٨٦ ـ ٢٩٤، و ٦: ١٤٦ ـ ١٤٨.

ومن جملة ما ذكروه: إخباره بمقتله نفسه ومقتل جماعة من حواريه وأصحاب سرّه مع تفاصيل ما يجري عليهم، مثل ميثم التمّار، وعمرو بن الحمق الخزاعي ـ وأخبره بحمل رأسه إلى معاوية، وهو أوّل رأس حمل في الإسلام ـ وجويرية بن مسهر، ورشيد الهجري، وكميل بن زياد، وقنبر مولاه، وإخباره بواقعة كربلاء في مسيره إلى صفّين، وإخباره البراء بن عازب بمقتل الحسين عليه السلام وعدم نصرته إيّاه، فكان كما أخبر، وكان البراء يندم على ذلك، وإخباره بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين قبل وقوع ذلك، وإخباره بظهور الحجّاج، وبإمرة مروان وُلده، وعشرات الإخبارات الأُخر.

أراك طمعت في إمارة الشام بعدي!

وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته، وأمّا قتلاه، فافتخار رهطهم بأنّه ﷺ قتلهم أظهر وأكثر، قالت أخت عمرو بن ود[١] ترثيه:

لو كان قاتل عمرٍو غير قاتله   بكيته أبداً ما دُمتُ في الأبد
لكنّ قاتله من لا نظير له   وكان يدعى أبوه بيضة البلد[٢]،[٣]

وهو الذي قتل مرحباً اليهودي[٤]، وقلع باب خيبر، وقد اجتمع عليه عصبة

---

(١) برز يوم الأحزاب (الخندق) ينادي: هل من مبارز؟ فلم يجبه أحد، فقال:

ولقد بححت من النداء   ء بجمعهم: هل من مبارز؟

فنزل إليه عليّ ﷺ فقتله واحتزّ رأسه وجاء به إلى رسول الله ﷺ، ففرح وفرح المسلمون. ولمّا رأى الأحزاب ذلك انهزموا ﴿ وكفى الله المؤمنين القتال ﴾. الأحزاب: ٢٥. انظر: الإرشاد ١: ٩٨ ـ ١٠٢، وإعلام الورى ١: ٣٨٠ ـ ٣٨٢.

(٢) «بيضة البلد» من الأضداد، تارة يراد به المدح، وأخرى الذمّ، والمراد هنا المدح، أي منفرد في حسنه، ليس مثله أحد. انظر لسان العرب: «بيض»، والمراد من «بيضة البلد» على هذا النقل هو: أبو طالب، وعلى نقل اللسان: عليّ بن أبي طالب؛ لأنّه ذكر بدل كلمة «أبوه» كلمة «قديماً»؛ ولذلك فسّره به.

(٣) شرح النهج ١: ٢٠ ـ ٢١ و ٥: ٢١٧.

(٤) حيث خرج من الحصن وعليه مغفر وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه وهو يرتجز:

قد علمت خيبر أنّي مرحب   شاك سلاحي بطلٌ مجرّب

فقال ﷺ في جوابه:

أنا الذي سمّتني أمّي حيدره   ليث لغابات شديدٌ قسوره
أكيلكم بالسيف كيل السندره

فاختلفا ضربتين فبدره عليّ ﷺ فضربه ضربة فقدّت الحجر والمغفر ورأسه حتّى وقع السيف في أضراسه وخرّ صريعاً. انظر: الإرشاد ١: ١٢٦ ـ ١٢٧، وتاريخ الطبري ٢: ٣٠٠ ـ ٣٠١.

من الناس ليقلبوه فلم يقلبوه[١]، فعلى يده فتحت حصون خيبر بعد أن عجز غيره عن فتحها[٢]، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لأعطينّ الراية رجلاً يفتح الله على يديه، يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله»[٣]، ثمّ دفع الراية إلى عليّ عليه السلام، وقد كان به رمد فبصق صلى الله عليه وآله في عينيه ودعا له فبرأ، حتّى كأن لم يكن به وجع[٤].

وهو الذي قتل نصف المقتولين ببدر من المشركين[٥].

وهو الذي نام على فراش النبيّ يوم أراد المشركون قتله[٦].

وهو الذي عُرفت مشاهده في جميع الغزوات والسرايا، ولم يتخلّف عن رسول الله صلى الله عليه وآله فيها إلّا في غزوة تبوك كما تقدّم[٧].

وهو الذي اقتلع هبل من أعلى الكعبة، وكان عظيماً جدّاً، وألقاه إلى الأرض[٨].

وهو الذي اقتلع الصخرة العظيمة في أيام خلافته عليه السلام بيده ـ وهو في الستّينات من عمره ـ بعد عجز الجيش كلّه عن ذلك، وأنبط الماء من تحتها[٩].

---

(١) انظر: شرح النهج ١: ٢١، وتاريخ الطبري ٢: ٣٠١، والإرشاد ١: ١٢٨ ـ ١٢٩.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٢: ٣٠٠ ـ ٣٠١.

(٣) القضية من المسلّمات، ذكرها كلّ من تعرّض للغزوة أو لفضائل الإمام عليّ عليه السلام. انظر: صحيح مسلم ٤: ١٨٧١، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عليّ بن أبي طالب [عليه السلام]، وتاريخ الطبري ٢: ٣٠٠ ـ ٣٠١، والإرشاد ١: ١٢٤ ـ ١٢٧، وغيرها.

(٤) انظر المصادر المتقدّمة.

(٥) انظر: شرح النهج ١٤: ٢٠٨ ـ ٢١٢، والإرشاد ١: ٧٠ ـ ٧٢، وإعلام الورى ١: ١٧٠ ـ ١٧٣.

(٦) انظر: الإرشاد ١: ٥١، وإعلام الورى ١: ٣٧٤، وسيرة ابن هشام ٢: ٩٥، ومروج الذهب ٢: ٢٧٩.

(٧) تقدّم في الصفحة ٢٢٥.

(٨) انظر شرح النهج ١: ٢١.

(٩) انظر: شرح النهج ١: ٢١، والإرشاد ١: ٣٣٤.

وأمّا زهده:

« فهو سيّد الزهّاد ، وإليه تشدّ الرحال ، ما شبع من طعام قطّ ، وكان أخشن الناس مأكلاً وملبساً ، قال عبد الله بن أبي رافع : " دخلت إليه يوم عيد ، فقدّم جِراباً مختوماً ، فوجدنا فيه خبز شعير يابساً مرضوضاً ، فقدّم فأكل ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، فكيف تختمه ؟ قال : خفت هذين الولدين أن يلتّاه بسمن أو زيت " .

وكان ثوبه مرقوعاً بجلد تارةً وليف أخرى ، ونعلاه من ليف . وكان يلبس الكرباس الغليظ ...وكان يأتدم إذا ائتدم بخلّ أو ملح ، فإن ترقّى عن ذلك فبعض نبات الأرض ، فإن ارتفع عن ذلك فبقليل من ألبان الإبل ، ولا يأكل اللحم إلّا قليلاً ، ويقول : " لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوان " ، وكان مع ذلك أشدّ الناس قوّة وأعظمهم أيداً »[١] .

وكان عمر بن عبد العزيز يقول : « أزهد الناس في الدنيا عليّ بن أبي طالب »[٢] .

وكان يؤدّب أصحابه على ذلك ، وعتابه لعثمان بن حنيف على استجابته دعوة بعض الأشراف معروف ، وقد جاء فيه : « ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ، ومن طعمه بقرصيه ...فوالله ماكنزت من دنياكم تبراً ، ولا ادّخرت من غنائمها وَفْراً ، ولا أعددت لبالي ثوبي طِمْراً ، ولا حُزت من أرضها شبراً ، ولا أخذت منها إلّا كقوت أتانٍ دَبِرَة[٣] ... »[٤] .

---

(١) شرح النهج ١ : ٢٦.

(٢) أُسد الغابة ٤ : ٢٤.

(٣) الأتان : الأُنثى من الحمير ، والدَبِرة : المصابة بالدَّبَرة ، وهي القرحة التي تكون في ظهر الدابة . انظر لسان العرب : « أتن » و« دبر » . وكلامه عليه السلام كناية عن قلّة الأكل ، مثل أكل الدابة الدبرة حيث يقلّ أكلها .

(٤) نهج البلاغة : ٤١٧ ، قسم الرسائل ، الرسالة ٤٥.

وأمّا عبادته وخشيته من الله تعالى:

«فكان أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوماً؛ ومنه تعلّم الناس صلاة الليل، وملازمة الأوراد وقيام النافلة، وما ظنّك برجلٍ يبلغ من محافظته على وِردِه أن يبسط له بين الصفّين ليلة الهرير، فيصلّي عليه وِردَه، والسهام تقع بين يديه وتمرّ على صماخيه يميناً وشمالاً، فلا يرتاع لذلك، ولا يقوم حتّى يفرغ من وظيفته! وما ظنّك برجل كانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده...»[1].

روى المفيد بإسناده عن سعيد بن كلثوم، قال: «كنت عند الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام، فذكر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فأطراه ومدحه بما هو أهله، ثمّ قال: والله ما أكل عليّ بن أبي طالب عليه السلام من الدنيا حراماً قطّ حتّى مضى لسبيله، وما عرض له أمران قطّ هما لله رضا إلّا أخذ بأشدّهما عليه في دينه، وما نزلت برسول الله صلى الله عليه وآله نازلة إلّا دعاه فقدّمه ثقة به، وما أطاق عمل رسول الله صلى الله عليه وآله من هذه الأمّة غيره، وإن كان ليعمل عمل رجل كأنّ وجهه بين الجنّة والنار، يرجو ثواب هذه، ويخاف عقاب هذه، ولقد أعتق من ماله ألف مملوك في طلب وجه الله والنجاة من النار ممّا كدّ بيديه ورشح منه جبينه، وإن كان ليقوت أهله بالزيت والخلّ والعجوة، وما كان لباسه إلّا الكرابيس، إذا فضل شيءٌ عن يده من كمّه دعا بالجَلَم فقصّه، وما أشبهه من ولده وأهل بيته أحد أقرب شبهاً به في لباسه وفقهه من عليّ بن الحسين عليه السلام»[2].

وأمّا حسن خلقه:

فقد ضرب به المثل في حسن الخلق، وبِشر الوجه، وطلاقة المحيّا والتبسّم.

---

(١) شرح النهج ١: ٢٧.

(٢) الإرشاد ٢: ١٤١ ـ ١٤٢، وسوف يأتي ما يناسب ذلك في ترجمة الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام.

ولكنّ أعداءه عابوه بذلك، قال عمرو بن العاص لأهل الشام: «إنّه ذو دعابة[١] شديدة» فقال عليّ عليه السلام: «عجباً لابن النابغة! يزعم لأهل الشام أنّ فيَّ دعابة، وأنّي امرؤٌ تلعابة[٢]، أعافس[٣] وأمارس[٤]».

وعمرو بن العاص إنّما أخذها عن عمر بن الخطّاب؛ لقوله له لمّا عزم على الاستخلاف: «للهِ أبوك لولا دعابة فيك!».

وقال معاوية لقيس بن سعد: «رحم اللّه أبا حسن، فلقد كان هشّاً بشّاً، ذا فكاهة».

فقال قيس: «نعم، كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه [وآله] يمزح ويبتسم إلى أصحابه، وأراك تسِرُّ حسواً في ارتغاء[٥]، وتعيبه بذلك؟! أما واللّه لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة أهيب من ذي لبدتين قد مسّه الطوى؛ تلك هيبة التقوى، وليس كما يهابك طغام أهل الشام».

وعلّق ابن أبي الحديد بعد نقل ذلك كلّه بقوله: «وقد بقي هذا الخُلق متوارثاً متناقلاً في محبّيه وأوليائه إلى الآن، كما بقي الجفاء والخشونة والوعورة في الجانب الآخر، ومن له أدنى معرفة بأخلاق الناس وعوائدهم يعرف ذلك»[٦].

وأمّا حلمه:

فكان أحلم الناس، وأصفحهم، وقد ظهر ذلك في مواقفه خلال حروبه،

---

(١) الدعابة: المزاح. لسان العرب: «دعب».

(٢) التلعابة: صيغة مبالغة من اللعب، وهنا بمعنى كثرة المزاح. لسان العرب: «لعب».

(٣) المعافسة: معالجة الأمور وممارستها، ويراد بها المداعبة أيضاً. لسان العرب: «عفس».

(٤) الممارسة: أريد بها هنا ملاعبة النساء. انظر النهاية (لابن الأثير): «مرس».

(٥) في المثل: «يسِرُّ حسواً في ارتغاء»، يضرب لمن يُظهر أمراً وهو يريد غيره. لسان العرب: «رغا».

(٦) شرح النهج ١: ٢٥ ـ ٢٦.

فقد صفح عن مروان وكان أعدى الناس له، وأشدّهم بغضاً[١].

وصفح عن عبد الله بن الزبير ـ وهو العدوّ اللدود له ـ بعد أسره، ولم يزد على قوله عليه السلام له: «اذهب فلا أرَيَنَّك».

وصفح عن جميع من حاربه من أهل البصرة وسار بهم سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله مع أهل مكّة.

وإرساله عائشة مكرّمة إلى المدينة معروف، مع ما كانت عليه من العداء له.

ولمّا استولى معاوية على الفرات منع أصحاب عليّ عليه السلام من الشرب منه، لكنّه لمّا استولى هو وأصحابه على الفرات، لم يمنع معاوية وأصحابه من الماء[٢].

وقضاياه من هذا القبيل كثيرة.



وأمّا بلاغته وفصاحته:

فهي أبين من الشمس وأوضح من النهار. قال ابن أبي الحديد: «فهو عليه السلام إمام الفصحاء، وسيّد البلغاء، وفي كلامه قيل: دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوق، ومنه تعلّم الناس الخطابة والكتابة.

قال عبد الحميد بن يحيى[٣]: "حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع،

---

(١) ذكروا: أنّ مروان أُخذ أسيراً يوم الجمل، فاستشفع الحسن والحسين عليهما السلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فكلّماه فيه، فخلّى سبيله، فقالا له: يبايعك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: «أوَلَمْ يبايعني بعد قتل عثمان؟ لا حاجة لي في بيعته! إنّها كفٌّ يهودية، لو بايعني بكفّه لغدر بسبّته، أما إنّ له إمرة كلعقة الكلب أنفه، وهو أبو الأكبش الأربعة، وستلقى الأمّة منه ومن ولده يوماً أحمر». نهج البلاغة: ١٠٢، قسم الخطب، الخطبة ٧٣.

وهذا من إخباراته العجيبة بإمرة مروان وأنّها قصيرة كلعقة الكلب أنفه.

انظر تفاصيل ذلك في شرح النهج ٦: ١٤٦ ـ ١٤٨.

(٢) كلّ ذلك من المسلّمات، انظر شرح النهج ١: ٢٢ ـ ٢٤، و ٣: ٣١٢.

(٣) عبد الحميد بن يحيى المشهور بالكاتب، أديب بليغ، كان كاتباً لمروان بن محمّد ←

ففاضت ثمّ فاضت ". وقال ابن نباتة[١]: " حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيده الإنفاق إلّا سعة وكثرة، حفظت مئة فصل من مواعظ عليّ بن أبي طالب ".

ولمّا قال محفن بن أبي محفن لمعاوية: " جئتك من عند أعيا الناس! " قال له: " ويحك؟ كيف يكون أعيا الناس! فوالله ما سنّ الفصاحة لقريش غيره "، ويكفي هذا الكتاب الذي نحن شارحوه دلالة على أنّه لا يجارى في الفصاحة، ولا يبارى في البلاغة، وحسبك أنّه لم يدوّن لأحد من فصحاء الصحابة العُشر، ولا نصف العُشر ممّا دُوّن له...»[٢].

وأمّا عدالته:

فقد جسّد عليه السلام العدالة بكلّ ما لها من معنى، ودعا إليها قولاً وعملاً، فهو القائل حينما عوتب على التسوية في العطاء، وطُلب منه أن يرجّح الرؤساء والأشراف فيه، كي لا يميلوا إلى معاوية:

«أتأمروني أن أطلب النصر بالجور في من وُلّيت عليه؟! والله لا أطور به[٣] ما سمر سامر[٤]، وما أمّ[٥] نجمٌ في السماء نجماً، لو كان المال لي لسوّيت بينهم،

← (مروان الحمار) آخر حكّام بني أميّة.

قيل: قتله المنصور بعد العثور عليه. وفيات الأعيان ٣: ٢٢٨ ـ ٢٣٢.

(١) عبد الرحيم بن محمّد بن إسماعيل بن نباتة الحذاقي صاحب الخطب المشهورة، من أئمّة الأدب، عيّنه سيف الدولة ابن حمدان خطيباً لمدينة حلب.

قيل: توفّي سنة ٣٧٤هـ. وفيات الأعيان ٣: ١٥٦ ـ ١٥٨.

(٢) شرح النهج ١: ٢٤ ـ ٢٥.

(٣) أي: لا أقربه، ولا تطر حولنا، أي لا تقرب ما حولنا، أصله من طَوار الدار، وهو ما كان ممتدّاً معها من الفناء. شرح النهج ٨: ١١٠.

(٤) أي: ما بقي الدهر. المصدر المتقدّم.

(٥) أي: قصد؛ لأنّ النجوم تتبع بعضها بعضاً. انظر لسان العرب: «أمم».

فكيف وإنّما المال مال الله ! ألا وإنّ إعطاء المال في غير حقّه تبذير وإسراف، وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة، ويكرمه في الناس، ويهينه عند الله...»[١].

وقال في رسالته التي كتبها إلى الأشتر: «أنصف الله وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصّة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعيّتك، فإنّك إلّا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجّته، وكان لله حرباً، حتّى ينزع أو يتوب، وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامةٍ على ظلم، فإنّ الله سميع دعوة المضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد.

وليكن أحبّ الأمور إليك أوسطها في الحقّ، وأعمّها في العدل، وأجمعها لرضا الرعيّة...»[٢].

ويكفيك عدله أن يوصي بقاتله فيقول: «ألا لا تقتلنّ بي إلّا قاتلي. انظروا إذا أنا متُّ من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة، ولا تمثّلوا بالرجل، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إيّاكم والمُثلة ولو بالكلب العقور»[٣].

وقد اشتهرت عدالته بين غير المسلمين فضلاً عن المسلمين، وقد ألفوا الكتب فيها، منها ما كتبه المؤلّف المسيحي «جورج جرداق» في خمسة أجزاء وسمّاه «الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانيّة».

ولنختم الكلام بوصف ضرار عليّاً عليه السلام في مجلس معاوية.

فقد روي: «أنّ ضرار بن ضمرة الكناني دخل على معاوية فقال له: صف لي عليّاً. فقال: أو تعفيني يا أمير المؤمنين ؟! قال: لا أعفيك.

قال: أمّا إذ لا بدّ: فإنّه كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً،

---

(١) نهج البلاغة: ١٨٣، الخطبة ١٢٦.

(٢) نهج البلاغة: ٤٢٨ - ٤٢٩، قسم الرسائل، الرسالة ٥٣.

(٣) نهج البلاغة: ٤٢٢، قسم الرسائل، الرسالة ٤٧.

ويحكم عدلاً، يتفجّر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه. يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته.

كان والله غزير العبرة، طويل الفكرة، يقلّب كفّه، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما جشب.

كان والله كأحدنا، يدنينا إذا أتيناه، ويجيبنا إذا سألناه، وكان مع تقرّبه إلينا وقربه منّا لا نكلّمه هيبة له، فإن تبسّم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم.

يعظّم أهل الدين، ويحبّ المساكين، لا يطمع القويّ في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، فأشهد بالله، لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، يميل في محرابه قابضاً على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، فكأنّي أسمعه الآن وهو يقول: يا ربّنا، يا ربّنا - يتضرّع إليه - ثمّ يقول للدنيا:

إليّ تغرّرت؟! وإليّ تشوّفت؟! هيهات! هيهات! غرّي غيري، قد بتتّكِ ثلاثاً، فعمرك قصير، ومجلسك حقير، وخطرك يسير. آهٍ، آهٍ من قلّة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق!

فوكفت دموع معاوية على لحيته ما يملكها، وجعل ينشفها بكمّه، وقد اختنق القوم بالبكاء، فقال: كذا كان أبو الحسن رحمه الله. كيف وجدك عليه يا ضرار؟ قال: وجد من ذبح واحدها في حجرها، لا ترقأ دمعتها، ولا يسكن حزنها، ثمّ قام فخرج»[1].

كانت هذه بعض صفاته الحميدة وهي كثيرة، لا يسعنا التعرّض لها، ولذلك اكتفينا بالمقدار الذي ذكرناه؛ لبناء الكتاب على الاختصار، ونعترف بالقصور عن

---

(١) حلية الأولياء ١: ٨٤ - ٨٥.

أداء بعض ما علينا من الواجب تجاه هذا الإمام العظيم.

وقد تقدّم جانب آخر من فضائله مع فضائل سائر أهل البيت عليهم السلام عند الكلام عن «أهل البيت عليهم السلام»، كما وتقدّم أيضاً عند الكلام عن الإمامة.



ثانياً ـ الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام

اسمه ونسبه :

هو الحسن بن عليّ بن أبي طالب بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف . وأمّه فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ، فهو سبط الرسول صلى الله عليه وآله(١) .

كنيته ولقبه :

كنيته : أبومحمّد(٢) ، ولقبه : المجتبى ، والسيّد ، والسبط ، والزكي(٣) .

مولـــده :

ولد عليه السلام بالمدينة في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة(٤) ، وقيل : سنة اثنتين منها(٥) .

سمّاه جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله حسناً(٦) ، وعقّ عنه كبشاً في اليوم السابع(٧) .

---

(١) و(٢) انظر : الإرشاد ٢ : ٥ ، وإعلام الورى ١ : ٤٠٢ .

(٣) انظر الفصول المهمّة : ١٤٤ ، ولم يذكر المجتبى وذكر غيره .

(٤) انظر : الإرشاد ٢ : ٥ ، وإعلام الورى ١ : ٤٠٢ ، وتاريخ الطبري ٢ : ٢١٣ ، ومروج الذهب ٢ : ٢٨٨ ، والفصول المهمّة : ١٤٣ .

(٥) انظر : أصول الكافي ١ : ٤٦١ ، وتاريخ الطبري ٢ : ١٧٧ .

(٦) ذكرت بعض المصادر : أنّ اسم حسن وحسين ومحسن معرّب : شبّر ، وشُبَير ومُشَبّر ، وهي أسماء ولد هارون ، وقد أمر النبيّ صلى الله عليه وآله أن يسمّي ولد فاطمة وعليّ عليهما السلام بها .

(٧) انظر : الإرشاد ٢ : ٥ ، وإعلام الورى ١ : ٤٠٢ .

وفـــاته:

استشهد ـ صلوات اللّه عليه ـ بالسمّ على يد زوجته جعدة بنت الأشعث الكندي، حيث حرّضها معاوية على ذلك ووعدها بأن يزوّجها بيزيد، وبعد أن تمّ الأمر بعث إليها مئة ألف درهم، ولم يفِ لها بوعده[١]. وروى المسعودي أنّه: وفى لها معاوية بالمال وأرسل إليها: «إنّا نحبّ حياة يزيد، ولولا ذلك لوفينا لك بتزويجه»[٢]، وفيه تعريض بكونها قاتلة الأزواج.

وتولّى أخوه الحسين عليه السلام غسله وتكفينه، ولمّا أراد أن يجدّد به عهداً بجدّه رسول اللّه صلى الله عليه وآله هاج بنو أُميّة بقيادة مروان وأثاروا عائشة، فخرجت على بغلٍ ومنعت من أن تقرّب جنازة الحسن عليه السلام إلى قبر جدّه صلى الله عليه وآله، فدفنه الحسين عليه السلام عند جدّته فاطمة بنت أسد في البقيع؛ تنفيذاً لوصيّته[٣].

---

(١) انظر: الإرشاد ٢: ١٥ ـ ١٦، وإعلام الورى ١: ٤٠٣، وشرح النهج ١٦: ٤٩، ونقل عن أبي الفرج في مقاتل الطالبيّين أنّه: «أراد معاوية البيعة لابنه يزيد، فلم يكن عليه شيءٌ أثقل من أمر الحسن بن عليّ وسعد بن أبي وقّاص، فدسّ إليهما سمّاً فماتا منه»، ثمّ نقل قضيّة جعدة. مقاتل الطالبيّين: ٤٨.

(٢) مروج الذهب ٢: ٤٢٥.

(٣) قال المفيد: «وكادت الفتنة تقع بين بني هاشم وبني أُميّة، فبادر ابن العبّاس إلى مروان فقال له: ارجع يا مروان من حيث جئت، فإنّا ما نريد أن ندفن صاحبنا عند رسول اللّه صلى الله عليه وآله، لكنّا نريد أن نجدّد به عهداً بزيارته، ثمّ نردّه إلى جدّته فاطمة عليها السلام، فندفنه عندها بوصيّته بذلك، ولو كان وصّى بدفنه مع النبيّ صلى الله عليه وآله، لعلمت أنّك أقصر باعاً من ردّنا عن ذلك، لكنّه عليه السلام كان أعلم باللّه ورسوله وبحرمة قبره من أن يطرّق عليه هدماً كما طرّق ذلك غيره، ودخل بيته بغير إذنه.

ثمّ أقبل على عائشة، فقال لها: واسوأتاه يوماً على بغلٍ يوماً على جمل، تريدين أن تطفئي نور اللّه، وتقاتلين أولياء اللّه، ارجعي فقد كفيت الذي تخافين، وبلغت ما تحبّين، واللّه تعالى منتصرٌ لأهل هذا البيت ولو بعد حين. ←

وكانت وفاته في شهر صفر سنة تسع وأربعين أو خمسين من الهجرة[١].

وذكرت أقوال أخر في سنة وفاته، من خمس وأربعين إلى ثمان وخمسين[٢].

عمره الشريف:

كان عمره عليه السلام سبعة أو ثمانية وأربعين عاماً، على الخلاف في مولده ووفاته.

مدّة إمامته:

بلغت إمامته ما يقرب من عشر سنين[٣]، وهي المدّة التي عاشها بعد أبيه عليه السلام.

مدّة حكومته:

وهي ما بين بيعة الناس له بعد استشهاد أبيه عليه السلام، ووقوع الصلح بينه وبين معاوية، وتناهز ستّة أو سبعة أو ثمانية أشهر، على الخلاف في زمن وقوع الصلح[٤].

من ولادته إلى حكومته عليه السلام:

عاش الإمام عليه السلام مع جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله سبع سنين أو ثماني على الخلاف

← وقال الحسين عليه السلام: والله لولا عهد الحسن إليّ بحقن الدماء، وأن لا أهريق في أمره محجمة دم، لعلمتم كيف تأخذ سيوف الله منكم مأخذها، وقد نقضتم العهد بيننا وبينكم، وأبطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا». يشير بكلامه إلى نقض عهد الصلح الذي كان من بنوده عدم التعرّض لأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم من قِبل معاوية، كما سيأتي عن قريب.

انظر: الإرشاد ٢: ١٧ ـ ١٩، وإعلام الورى ١: ٤١٤ ـ ٤١٥، وشرح النهج ١٦: ٤٩ ـ ٥٢، وحاول تبرئة عائشة، وجعل اللوم على بني أُميّة!

(١) انظر: أُصول الكافي ١: ٤٦١، والتهذيب ٦: ٣٩، وإعلام الورى ١: ٤٠٣.

(٢) انظر أعيان الشيعة ١: ٥١٦ ـ ٥١٧.

(٣) أي من سنة أربعين من الهجرة إلى حدود الخمسين منها.

(٤) انظر أعيان الشيعة ١: ٥٧١، ترجمة الإمام الحسن عليه السلام.

في زمن ولادته[١].

وعاش مع أبيه سبعاً أو ثماني وثلاثين سنة على الخلاف في المولد، فكان ناظراً ما جرى على أبيه وأمّه بعد رسول الله ﷺ وكيفيّة إقصاء أبيه عن الخلافة، ثمّ بيعة الناس له بعد مقتل عثمان، ثمّ الحروب التي قامت ضدّه، فكان حاضرها، وكان المسرع في الجهاد بين يدي أبيه ﷺ حتّى صاح أبوه: «املكوا عنّي هذا الغلام لا يَهُدّني، فإنّني أنفس بهذين -يعني الحسنَ والحسينَ ﷺ- على الموت لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله ﷺ»[٢].

وروي: أنّ أمير المؤمنين ﷺ دعا محمّد بن الحنفية يوم الجمل، فأعطاه رمحه وقال له: اقصد بهذا الرمح قصد الجمل، فذهب فمنعوه بنو ضبة، فلمّا رجع إلى والده انتزع الحسن رمحه من يده وقصد قصد الجمل، وطعنه برمحه ورجع إلى والده وعلى رمحه أثر الدم، فتمعّر وجه محمّد من ذلك، فقال أمير المؤمنين ﷺ: لا تأنف، فإنّه ابن النبيّ ﷺ، وأنت ابن عليّ»[٣].

وأرسله أبوه عليّ ﷺ إلى الكوفة مع عمّار، بعدما خذّل أبو موسى الأشعري الناس عن المسارعة إلى اللحوق بعليٍّ لحرب الناكثين في البصرة[٤].

وروى نصر بن مزاحم: أنّ عبيدالله بن عمر بن الخطّاب أرسل -أيّام صفّين- إلى الحسن بن عليّ [ﷺ] وأنّ لي إليك حاجة فالقني، فلقيه الحسن [ﷺ]، فقال له عبيدالله: إنّ أباك قد وتر قريشاً أوّلاً وآخراً، وقد شنئوه، فهل لك أن تخلعه ونولّيك هذا الأمر؟ قال: كلا، والله لا يكون ذلك، ثمّ قال له الحسن: لكأنّي أنظر إليك مقتولاً في يومك أو غدك، أما إنّ الشيطان قد زيّن لك وخدعك، حتّى أخرجك مخلّقاً

(١) انظر إعلام الورى ١: ٤٠٢.

(٢) نهج البلاغة: ٣٢٣، الخطبة ٢٠٧.

(٣) مناقب آل أبي طالب ٤: ٢١.

(٤) انظر الفصول المهمّة: ٧١.

بالخلوق، تري نساء أهل الشام موقفك، وسيصرعك الله ويبطحك لوجهك قتيلاً.

قال نصر: فوالله ماكان إلّاكيومه أوكالغد وكان القتال، فخرج عبيدالله في كتيبة رقطاء كانوا أربعة آلاف عليهم ثياب خضر، ونظر الحسن عليه السلام، فإذا هو برجل متوسّدٍ رِجل قتيل، قد ركز رمحه في عينه وربط فرسه برجله، فقال الحسن عليه السلام لمن معه: انظروا من هذا؟ فإذا هو برجل من همدان، فإذا القتيل عبيدالله بن عمر بن الخطّاب، قد قتله وبات عليه حتّى أصبح»[١].

وأخيراً جعله أبوه الوصيّ من بعده، وجعل له الولاية على أوقافه، وبعده للحسين عليه السلام[٢].

من البيعة إلى وقوع الصلح:

خطب الإمام الحسن عليه السلام الناس صبيحة الليلة التي قُبض فيها أبوه الإمام عليّ عليه السلام ودفن فيها، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ ذكر فضل أبيه وأهل البيت عليهم السلام، فقال: «لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأوّلون بعمل، ولا يدركه الآخرون بعمل، لقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله فيقيه بنفسه، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يوجّهه برايته فيكتنفه جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتّى يفتح الله على يديه، ولقد توفّي عليه السلام في الليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم عليه السلام، وفيها قُبض يوشع بن نون وصيّ موسى، وما خلّف صفراء ولا بيضاء، إلّا سبعمائة درهم فضلت من عطائه، أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله»، ثمّ خنقته العبرة، فبكى وبكى النّاس معه، ثمّ قال: «أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، أنا ابن السراج المنير، أنا من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، أنا من أهل بيت افترض الله حبّهم في كتابه فقال: ﴿ قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ

---

(١) كتاب صفّين (لنصر بن مزاحم): ٢٩٧ ـ ٢٩٨.

(٢) انظر البحار ٤٢: ٢٥٠ و ٢٥١، تاريخ أمير المؤمنين ـ الباب ١٢٧ كيفيّة شهادته ووصيّته.

وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً ﴾ ، فالحسنة مودّتنا أهل البيت ».

ثمّ جلس ، فقام عبدالله بن عبّاس بين يديه ، فقال : « معاشر النّاس ، هذا ابن نبيّكم ووصيّ إمامكم فبايعوه » ، فاستجاب له النّاس وقالوا : ما أحبّه إلينا وأوجب حقّه علينا ، وتبادروا إلى البيعة له بالخلافة . وذلك في يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة ، فرتّب العمّال وأمّر الأمراء وأنفذ عبدالله بن عبّاس إلى البصرة[١].

ولـمّا بلغ معاوية ذلك بدأ بالدسائس وإثارة الشغب بين أهل العراق ، فأرسل الجواسيس والعيون ، وألقي القبض على اثنين منهم ، فأمر الحسن ﷺ بقتلهما ، ثمّ كتب إلى معاوية : « أمّا بعد : فإنّك دسست الرجال للاحتيال والاغتيال ، وأرصدت العيون ، كأنّك تحبّ اللقاء ، وما أوشك ذلك ، فتوقّعه إن شاء الله ... »[٢].

وكانت بين الحسن ﷺ وبين معاوية مكاتبات ومراسلات واحتجاجات للحسن ﷺ في استحقاقه الأمر ، وتوثّب من تقدّم على أبيه ﷺ وابتزاز حقّه .

فسار معاوية بأهل الشام ، ولمّا بلغ الحسن ﷺ ذلك بعث حجر بن عدي ، فأمر العمّال بالمسير ، واستنفر الناس للجهاد ، فتثاقلوا عنه ، ثمّ خفّ معه أخلاط من الناس ، بعضهم شيعة له ولأبيه ﷺ ، وبعضهم محكّمة وخوارج يؤثرون قتال معاوية بكلّ حيلة . وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم ، وبعضهم شُكّاك ، وبعضهم أصحاب عصبيّة اتّبعوا رؤساء قبائلهم ، لا يرجعون إلى دين[٣].

سار حتّى نزل ساباط ، وفيه وقع الشغب في الجيش بدسائس معاوية ، فحملوا

---

(١) الإرشاد ٢ : ٨ ـ ٩ ، وانظر شرح النهج ١٦ : ٣٠ ـ ٣١ ، نقلاً من مقاتل الطالبيّين لأبي الفرج الإصفهاني .

(٢) الإرشاد ٢ : ٩ .

(٣) المصدر المتقدّم : ١٠ .

عليه ونهبوه وضربوه بمغول[١] في فخذه، فأُخذ إلى المدائن، وبقي هناك يعالج نفسه.

فكتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالطاعة في السرّ واستحثّوه على السير نحوهم، وضمنوا تسليم الحسن عليه السلام إليه أو الفتك به[٢].

وأنفذ الحسن عليه السلام عبيد الله بن عبّاس وقيس بن سعد مع جيش للقاء معاوية، فأرسل معاوية إلى عبيد الله يرغّبه في المصير إليه، وضمن له ألف ألف درهم،

---

(١) سيف دقيق غمده سوط، يشدّه الفاتك في وسطه ليغتال به الناس. لسان العرب: «غول».

(٢) قال الصدوق: «دسّ معاوية إلى عمرو بن حريث، والأشعث بن قيس، وإلى حجر بن الحجر، وشبث بن ربعي، دسيساً أفرد كلّ واحد منهم بعين من عيونه: إنّك إن قتلت الحسن بن عليّ فلك مائتا ألف درهم، وجند من أجناد الشام، وبنت من بناتي، فبلغ الحسن عليه السلام ذلك، فاستلأم ولبس درعاً وكفّرها، وكان يحترز ولا يتقدّم للصلاة بهم إلّا كذلك، فرماه أحدهم في الصلاة بسهم فلم يثبت فيه؛ لما عليه من اللأمة، فلمّا صار في مظلم ساباط ضربه أحدهم بخنجر مسموم، فعمل فيه الخنجر، فأمر عليه السلام أن يعدل إلى بطن جريحى، وعليها عمّ المختار بن أبي عبيد مسعود بن قيلة، فقال المختار لعمّه: تعال حتّى نأخذ الحسن ونسلّمه إلى معاوية، فيجعل لنا العراق، فبدر بذلك الشيعة من قول المختار لعمّه، فهمّوا بقتل المختار، فتلطّف عمّه لمساءلة الشيعة بالعفو عن المختار ففعلوا، فقال الحسن عليه السلام: "ويلكم، إنّ معاوية لا يفي لأحد منكم بما ضمنه في قتلي"....». علل الشرائع: ٢٢٠ ـ ٢٢١، الباب ١٦٠، سبب موادعة الحسن عليه السلام معاوية.

وقال الطبري: «... فبينا الحسن في المدائن إذ نادى منادٍ في العسكر ألا إنّ قيس بن سعد قد قُتل، فانفروا، فنفروا ونهبوا سرادق الحسن عليه السلام حتّى نازعوه بساطاً كان تحته، وخرج الحسن حتّى نزل المقصورة البيضاء بالمدائن، وكان عمّ المختار بن أبي عبيد عاملاً على المدائن، وكان اسمه سعد بن مسعود، فقال له المختار وهو غلام شاب: هل لك في الغنى والشرف؟ قال: وما ذاك؟ قال: توثق الحسن وتستأمن به إلى معاوية! فقال له سعد: عليك لعنة الله! أثب على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فاوثقه؟! بئس الرجل أنت...». تاريخ الطبري ٤: ١٢٢، حوادث السنة ٤٠هـ.

فانسلّ عبيد الله إلى معاوية ليلاً مع خاصّته، فأصبح الناس وقد فقدوا أميرهم، فصلّى بهم قيس وأرسل إلى الحسن عليه السلام يخبره بذلك[١].

فهذه الأمور وغيرها برّرت للحسن عليه السلام أن يقبل الصلح مع معاوية.

وكانت شروط الصلح كثيرة، وفي الوفاء بها مصالح كثيرة أيضاً، منها:

١ ـ أن يترك معاوية سبّ أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ ـ أن لا يتعرّض لأحد من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام بسوء.

٣ ـ أن لا يبغي للحسن والحسين عليهما السلام ولا لغيرهما من أهل البيت سوءاً، ولا غائلة سرّاً أو جهراً.

٤ ـ أن يوصل إلى كلّ ذي حقّ حقّه.

٥ ـ ألّا يعهد إلى أحدٍ من بعده عهداً[٢].

وروى الصدوق في العلل عن ابن مازن الراشي، قال: «بايع الحسن بن عليّ صلوات الله عليه معاوية على أن لا يسمّيه أمير المؤمنين، ولا يقيم عنده شهادة، وعلى أن لا يتعقّب على شيعة عليّ شيئاً، وعلى أن يفرّق في أولاد من قُتل مع أبيه يوم الجمل وأولاد من قتل مع أبيه بصفّين ألف ألف درهم، وأن يجعل ذلك من خراج دارابجرد»[٣].

ثمّ لمّا توجّه معاوية إلى الكوفة، خطب الناس بالنخيلة، وقال فيما قال: «والله إنّي ما قاتلتكم لتصلّوا، ولا لتصوموا، ولا لتحجّوا، ولا لتزكّوا، إنّكم لتفعلون ذلك، وإنّما قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون، ألا وإنّي كنت منّيت الحسن وأعطيته أشياء، وجميعها تحت قدمي لا أفي بشيء منها له»[٤].

---

(١) انظر الإرشاد ٢: ١٠ ـ ١٣.

(٢) انظر: الإرشاد ٢: ١٤، والفصول المهمّة: ١٥٤.

(٣) علل الشرائع ١: ٢١٢، باب ١٥٩ ،العلّة التي من أجلها صالح الحسن عليه السلام، ذيل الحديث ٢.

(٤) الإرشاد ٢: ١٤، وانظر شرح النهج ١٦: ٤٦.

وخطب الناس بالكوفة، والحسن والحسين عليهما السلام جالسين تحت المنبر، فذكر عليّاً عليه السلام فنال منه، ثمّ نال من الحسن عليه السلام فقام الحسين عليه السلام ليردّ عليه، فأخذه الحسن عليه السلام بيده فأجلسه، ثمّ قام فقال: «أيّها الذاكر عليّاً، أنا الحسن، وأبي عليّ، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمّي فاطمة وأمّك هند، وجدّي رسول اللّه وجدّك عتبة بن ربيعة، وجدّتي خديجة وجدّتك قتيلة، فلعن اللّه أخملنا ذكراً، وألأمنا حسباً، وشرّنا قديماً وحديثاً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً»، فقالت طوائف من أهل المسجد: آمين[1].

وقال ابن قتيبة: «لمّا تمّ صلحهما صعد الحسن إلى المنبر، فحمد اللّه وأثنى عليه، ثمّ قال: أيّها النّاس، إنّ اللّه هدى أوّلكم بأوّلنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وكانت لي في رقابكم بيعة، تحاربون من حاربت، وتسالمون من سالمت، وقد سالمت معاوية، وبايعته فبايعوه، ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾، وأشار إلى معاوية»[2].

ولمّا استقرّ الصلح خرج الحسن عليه السلام إلى المدينة[3] فأقام بها إلى أن تمّ لمعاوية

(١) نقل ذلك ابن أبي الحديد، عن أبي الفرج الإصفهاني، عن أبي عبيد محمّد بن أحمد، عن الفضل بن الحسن البصري، عن يحيى بن معين، وكلّ واحد من هؤلاء قال بعد نقل الرواية: «وأنا أقول: آمين». شرح النهج ١٦: ٤٦ ـ ٤٧.

وأقول أنا ـ محمّد عليّ الأنصاري التستري مصنّف هذا الكتاب ـ: آمين، آمين، آمين.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ١٤٠ ـ ١٤١.

(٣) نقل في أعيان الشيعة ١: ٥٧٥ عن المدائني أنّه: «أقام الحسن بالكوفة أيّاماً ثمّ تجهّز للشخوص إلى المدينة، فدخل عليه المسيّب بن الفزاري وظبيان بن عمارة التميمي ليودّعاه، فقال الحسن عليه السلام: الحمد للّه الغالب على أمره، لو جمع النّاس جميعاً على أن لا يكون ما هو كائن ما استطاعوا ـ إلى أن قال: ـ فعرض له المسيّب وظبيان بالرجوع فقال: ليس إلى ذلك من سبيل، فلمّا كان من الغد خرج وتوجّه إلى المدينة هو وأخوه الحسين عليهما السلام، وأهل بيته وحشمه وجعل النّاس يبكون عند مسيرهم من الكوفة...».

عشر سنين من إمارته وعزم على البيعة لابنه يزيد ، فدسّ إلى جعدة بنت الأشعث مَن حملها على سمّه ، كما مرّ ذكره[١].

فضائله ومناقبه:

كان عليه السلام أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله ، فقد رووا : أنّه لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله من الحسن بن عليّ عليه السلام[٢].

قال فيه وفي أخيه الحسين عليه السلام جدُّهما رسول الله صلى الله عليه وآله :

ـ « اللهمّ إنّي أحبّهما فأحبّهما وأحبب من أحبّهما »[٣].

ـ « من أحبَّ الحسن والحسين أحببته ، ومن أحببته أحبّه الله ، ومن أحبّه الله عزّ وجلّ أدخله الجنّة ، ومن أبغضهما أبغضته ، ومن أبغضته أبغضه الله ، ومن أبغضه الله خلّده في النار »[٤].

ـ « إنّ ابنيّ هذين ريحانتاي من الدنيا »[٥].

ـ « الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة »[٦].

---

(١) انظر الصفحة ٢٤٠.

(٢) انظر : الإرشاد ٢ : ٥ ـ ٦ ، وسنن الترمذي ٥ : ٦٥٩ ، باب مناقب الحسن والحسين ، الحديث ٣٧٧٦.

(٣) الإرشاد ٢ : ٢٧ ـ ٢٨ ، وسنن الترمذي ٥ : ٦٥٦ ـ ٦٥٧ ، باب مناقب الحسن والحسين ، الحديث ٣٧٦٩.

(٤) الإرشاد ٢ : ٢٨ ، والمستدرك على الصحيحين ٣ : ١٦٦ ، وكنز العمّال ١٢ : ١١٩ ، الحديث ٣٤٢٨٤.

(٥) الإرشاد ٢ : ٢٨ ، وصحيح البخاري ٢ : ٣٠٦ ، باب مناقب الحسن والحسين ، وفيه : « هما ريحانتاي ... » ، وسنن الترمذي ٥ : ٦٥٧ ، باب مناقب الحسن والحسين ، الحديث ٣٧٧٠ ، وفيه : « إنّ الحسن والحسين هما ريحانتاي ... » ، وغيرها.

(٦) البحار ٤٣ : ٢٦٥ ، باب فضائل الحسنين عليهما السلام ، الحديث ١٩ ، وسنن الترمذي ←

- « من سرّه أن ينظر إلى سيّد شباب أهل الجنّة فلينظر إلى الحسن بن عليّ »[١].

- « إنّ ابني هذا سيّد، ولعلّ اللّه أن يصلح به بين فئتين من المسلمين »[٢].

وهو من الخمسة الذين نزلت فيهم آية التطهير[٣]، وآية المباهلة[٤]، وغيرهما من الآيات والروايات التي تقدّم بعضها عند الكلام عن « أهل البيت عليهم السلام ».

وروي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: « حدّثني أبي عن أبيه عليه السلام: أنّ الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام كان أعبد الناس في زمانه وأزهدهم وأفضلهم، وكان إذا حجّ حجّ ماشياً، وربّما مشى حافياً، وكان إذا ذكر الموت بكى، وإذا ذكر القبر بكى، وإذا ذكر البعث والنشور بكى، وإذا ذكر الممرّ على الصراط بكى، وإذا ذكر العرض على اللّه - تعالى ذكره - شهق شهقة يغشى عليه منها، وكان إذا قام في صلاته ترتعد فرائصه بين يدي ربّه عزّ وجلّ، وكان إذا ذكر الجنّة والنار اضطرب اضطراب السليم، وسأل اللّه الجنّة وتعوّذ به من النار.

وكان عليه السلام لا يقرأ من كتاب اللّه عزّ وجلّ: ﴿يا أيها الّذين آمنوا﴾ إلّا قال: " لبّيك اللهمّ لبّيك "...»[٥].

وورد: أنّه عليه السلام حجّ عشرين حجّة ماشياً، وتساق معه المحامل والرحال[٦].

← ٥: ٦٥٦، باب مناقب الحسن والحسين، الحديث ٣٧٦٨، وغيرها.

(١) إعلام الورى ١: ٤١١.

(٢) صحيح البخاري ٢: ٣٠٦، باب مناقب الحسن والحسين، وسنن الترمذي ٥: ٦٥٨، الحديث ٣٧٧٣، والبحار ٤٣: ٢٩٨، باب مناقبهما، الحديث ٦١، مع اختلاف في الألفاظ.

(٣) وهي قوله تعالى: ﴿إنّما يُريدُ اللهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجسَ أهلَ البَيتِ وَيُطَهِّرَكُم تَطهيراً﴾. الأحزاب: ٣٣.

(٤) وهي قوله تعالى: ﴿فَقُل تَعالَوا نَدعُ أبناءَنا وَأبناءَكُم ...﴾. آل عمران: ٦١.

(٥) البحار ٤٣: ٣٣١، باب مكارم أخلاق الحسن عليه السلام، الحديث الأوّل.

(٦) انظر المصدر المتقدّم: ٣٣٢، الحديث ٣.

وورد: أنّه عليه السلام قاسم الله ماله مرّتين أو ثلاثاً[(١)].

«وكان عليه السلام وصيّ أبيه أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليهما ـ في أهله وولده وأصحابه، ووصّاه بالنظر في وقوفه وصدقاته، وكتب له عهداً مشهوراً ووصية ظاهرة في معالم الدين، وعيون الحكمة والآداب، وقد نقل هذه الوصيّة جمهور العلماء، واستبصر بها في دينه ودنياه كثير من الفقهاء»[(٢)].

وروى في المناقب: أنّ شاميّاً رآه راكباً، فجعل يلعنه، والحسن لا يردّ، فلمّا فرغ أقبل الحسن عليه فسلّم عليه وضحك وقال: أيّها الشيخ، أظنّك غريباً ولعلّك شبّهت، فلو استعتبتنا أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا حملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسوناك... فلمّا سمع الرجل كلامه بكى، ثمّ قال: أشهد أنّك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته، وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إليّ، والآن أنت أحبّ خلق الله إليّ...»[(٣)].

وروى الكليني بإسناده عن محمّد بن مسلم، قال: «سمعت أبا جعفر وأبا عبدالله عليهما السلام يقولان: بينا الحسن بن عليّ في مجلس أمير المؤمنين عليه السلام؛ إذ أقبل قوم فقالوا: يا أبا محمّد، أردنا أمير المؤمنين عليه السلام، قال: وما حاجتكم؟ قالوا: أردنا أن نسأله عن مسألة، قال: وما هي تخبرونا بها، فقالوا: امرأة جامعها زوجها، فلمّا قام عنها، قامت بحموتها، فوقعت على جارية بكر، فساحقتها، فألقت النطفة فيها، فحملت، فما تقول في هذا؟ فقال الحسن عليه السلام: معضلة وأبو الحسن لها، وأقول: فإن أصبت فمن الله، ثمّ من أمير المؤمنين، وإن أخطأت فمن نفسي، فأرجو أن لا أخطئ

---

(١) انظر: البحار ٤٣: ٣٣٩، باب مكارم أخلاق الحسن عليه السلام، الحديث ١٣، وحلية الأولياء ٢: ٣٧ ـ ٣٨.

(٢) الإرشاد ٢: ٧، وانظر الوصيّة في نهج البلاغة: ٣٩١ ـ ٤٠٦، قسم الرسائل، الرسالة ٣١.

(٣) مناقب آل أبي طالب ٤: ١٩، نقلاً عن المبرّد وابن عائشة.

إن شاء اللّه : يعمد إلى المرأة فيؤخذ مهر الجارية البكر في أوّل وهلة ؛ لأنّ الولد لا يخرج منها حتّى يشقّ فتذهب عذرتها ، ثمّ ترجم المرأة ؛ لأنّها محصنة ، ثمّ ينتظر بالجارية حتّى تضع ما في بطنها ، ويردّ الولد إلى أبيه صاحب النطفة ، ثمّ تجلد الجارية الحدّ . قال : فانصرف القوم من عند الحسن عليه السلام فلقوا أمير المؤمنين ، فقال : ما قلتم لأبي محمّد وما قال لكم ؟ فأخبروه ، فقال : لو أنّني المسؤول ما كان عندي فيها أكثر ممّا قال ابني »[١].

وروى الصدوق بإسناده عن سدير ، قال : قال أبو جعفر عليه السلام ـ ومعنا ابني ـ : « يا سدير ، اذكرنا أمرك الذي أنت عليه ، فإن كان فيه إغراق كففناك عنه ، وإن كان مقصّراً أرشدناك » ، قال : فذهبتُ أتكلّم ، فقال أبو جعفر عليه السلام : أمسك حتّى أكفيك : إنّ العلم الذي وضع رسول الله صلى الله عليه وآله عند عليّ عليه السلام ، مَن عرفه كان مؤمناً ، ومَن جحده كان كافراً ، ثمّ كان من بعده الحسن عليه السلام ، قلت : كيف يكون بذلك المنزلة وقد كان منه ما كان ، دفعها إلى معاوية ؟! فقال : اسكت ، فإنّه أعلم بما صنع ، لولا ما صنع لكان أمرٌ عظيم »[٢].

وروي عن أبي سعيد عقيصاً ، قال : « قلت للحسن بن عليّ بن أبي طالب : يابن رسول الله ، لِمَ داهنت معاوية وصالحته وقد علمت أنّ الحقّ لك دونه ، وأنّ معاوية ضالٌ باغٍ ؟! فقال : يا أبا سعيد ، ألستُ حجّة الله تعالى ذكره على خلقه ، وإماماً عليهم بعد أبي عليه السلام ؟ قلت : بلى ، قال : ألستُ الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي : "الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا ؟" . قلت : بلى ، قال : فأنا إذن إمام لو قمت ، وأنا إمام إذ لو قعدت . يا أبا سعيد ، علّة مصالحتي لمعاوية علّة مصالحة رسول الله صلى الله عليه وآله لبني ضمرة ، وبني أشجع ، ولأهل مكّة حين انصرف من الحديبية ،

---

(١) الكافي ٧ : ٢٠٣ ، كتاب الحدود ، حدّ السحق ، باب آخر ، الحديث الأوّل .

(٢) علل الشرائع : ٢١٠ ، الباب ١٥٩ ، العلّة التي من أجلها صالح الحسن عليه السلام ...

أولئك كفّارٌ بالتنزيل ، ومعاوية وأصحابه كفّار بالتأويل . يا أبا سعيد ، إذا كنتُ إماماً من قِبل الله تعالى ذكره لم يجب أن يُسفَّه رأيي فيما أتيته من مهادنة أو محاربة ، وإن كان وجه الحكمة فيما أتيته ملتبساً ، ألا ترى الخضر عليه السلام لمّا خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار سخط موسى عليه السلام فعله ؛ لاشتباه وجه الحكمة عليه ، حتّى أخبره فرضي ، هكذا أنا ، سخطتم عليّ بجهلكم بوجه الحكمة فيه ، ولولا ما أتيت لما تُرك من شيعتنا على وجه الأرض إلاّ قُتل »[١].

فالسلام عليه يوم ولد ، ويوم استُشهد ، ويوم يُبعث حيّاً



---

(١) علل الشرائع : ٢١١ ، الباب ١٥٩ ، العلّة التي من أجلها صالح الحسن عليه السلام ...

ثالثاً ـ الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام

اسمه ونسبه:

هو الحسين بن عليّ بن أبي طالب بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف، وأمّه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله سيّدة نساء العالمين، فهو سبط الرسول صلى الله عليه وآله[1].

كنيته ولقبه:

كنيته: أبو عبد الله، ولقبه: السبط، والسيّد ـ أي سيّد شباب أهل الجنّة ـ والزكي[2].

مولـده:

ولد بالمدينة في الثالث[3] أو الخامس[4] من شعبان في السنة الرابعة من الهجرة. وقيل: في آخر شهر ربيع الأوّل، سنة ثلاث من الهجرة[5].

سمّـاه جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله حسيناً، وعقّ عنه كبشاً[6].

---

(١) انظر الإرشاد ٢: ٢٧، وغيره.

(٢) انظر: الفصول المهمّة: ١٦١ ـ ١٦٢، والبحار ٤٣: ٢٣٧، باب ولادة الحسنين عليهما السلام.

(٣) و(٤) انظر: مسارّ الشيعة: ٦١، ومصباح المتهجّد: ٨٢٦، وإعلام الورى ١: ٤٢٠.

(٥) انظر التهذيب ٦: ٤١، وهو يوافق ما نُقل: من أنّه كان بين مولد الحسن ومولد الحسين عليهما السلام ستّة أشهر وعشراً. انظر أصول الكافي ١: ٤٦٣ ـ ٤٦٤.

(٦) انظر الإرشاد ٢: ٢٧.

وفـــاته:

استشهد عليه السلام هو وجماعة من أهل بيته وأصحابه ـ رضوان اللّه تعالى عليهم ـ يوم عاشوراء سنة إحدى وستّين من الهجرة[١] في أرض الطفّ على أيدي الطغاة وأبناء الطلقاء، كما سيأتي بيانه إجمالاً.

عمره الشريف:

عاش سبعاً وخمسين سنة[٢]، عاصر جدّه رسول اللّه صلى الله عليه وآله سبع سنين، وأباه أمير المؤمنين عليه السلام سبعاً وثلاثين، وأخاه الحسن عليه السلام سبعاً وأربعين سنة.

هذا بناءً على ولادته في السنة الرابعة، وأمّا بناءً على ولادته في الثالثة فيكون عمره ثماني وخمسين سنة[٣].



مدّة إمامته:

بلغت إمامته عشر سنوات وعدّة أشهر[٤]، وهي المدّة التي عاشها بعد أخيه الحسن عليه السلام.

---

(١) انظر: التهذيب ٦: ٤١، وأصول الكافي ١: ٤٦٣، والإرشاد ٢: ١٣٣، وتاريخ الطبري ٤: ٣٠١.

(٢) و (٣) انظر: أصول الكافي ١: ٤٦٣، فمع أنّه قائل بولادته سنة ثلاث من الهجرة، فإنّه يقول: إنّ عمره سبع وخمسون سنة، ولعلّ توجيهه أنّه عليه السلام استشهد في أوّل سنة إحدى وستّين، فلا تعدّ سنةً في الحساب، فيصحّ ما قاله، لكن قال المفيد: مضى عليه السلام وسنّه يومئذٍ ثمانٍ وخمسون سنة، مع أنّه قال بولادته في السنة الرابعة من الهجرة. انظر الإرشاد ٢: ٢٧ و ١٣٣.

نعم قال الشيخ الطوسي بولادته في السنة الثالثة من الهجرة، وأنّ عمره ثمانٍ وخمسون سنة. انظر التهذيب ٦: ٤١ ـ ٤٢.

(٤) انظر: إعلام الورى ١: ٤٢٠، والإرشاد ١: ١٣٣، وفيه: «إحدى عشرة سنة».

موقفه من الخلافة:

كان الحسين عليه السلام في زمان أبيه وأخيه مأموماً مطيعاً لإمام زمانه ـ أبيه ثمّ أخيه ـ ولذلك لم يكن يبدي رأياً خاصّاً غير ما كان يراه أبوه أو أخوه.

ولمّا توفّي الحسن بن عليّ عليهما السلام تحرّكت الشيعة بالعراق [(١)] وكتبوا إلى الحسين عليه السلام في أن يخلع معاوية ويبايعوه، فامتنع عليهم، وذكر: أنّ بينه وبين معاوية عهداً وعقداً لا يجوز له نقضه حتّى تمضي المدّة، فإن مات معاوية نظر في ذلك.

ولمّا مات معاوية، كتب يزيد إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ـ وكان واليه على المدينة ـ أن يأخذ البيعة من الحسين عليه السلام لنفسه وأمره أن يضرب عنقه إن امتنع منها، فأنفذ الوليد إلى الحسين عليه السلام ليلاً فاستدعاه، وطلب منه البيعة، فذهب إليه الحسين عليه السلام مع جماعة من مواليه، فنعى الوليد موت معاوية، فاسترجع الحسين عليه السلام، ثمّ قرأ كتاب يزيد وما أمره فيه بأخذ البيعة، فاعتذر إليه الحسين عليه السلام بأنّ البيعة سرّاً لا فائدة فيها، فوافق الوليد، ولكن حرّضه مروان بأخذ البيعة منه أو ضرب عنقه، فقال له الحسين عليه السلام: «أنت يابن الزرقاء تقتلني أو هو؟! كذبت وأثمت» وخرج حتّى أتى منزله.

فأقام تلك الليلة، وفي عصر اليوم الثاني بعث الوليد الرجال لأخذ البيعة فقال لهم الحسين عليه السلام: «اصبحوا ثمّ ترون ونرى» فكفّوا تلك الليلة، فخرج مع أهل بيته متوجّهاً نحو مكّة، وهو يقرأ: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [(٢)].

---

(١) ما ذكرناه في هذا الموضوع مقتبس من كتاب الإرشاد (للمفيد) ٢: ٣٢ ـ ١٢٢، وإعلام الورى (للطبرسي) ٢: ٤٣٤ ـ ٤٧٧. ويلاحظ أيضاً تاريخ الطبري: حوادث السنتين: ٦٠ و ٦١.

(٢) القصص: ٢١.

وبعد ما علم أهل الكوفة بموت معاوية وما فعله الحسين عليه السلام اجتمعوا وتشاوروا فيما بينهم فأرسلوا إلى الحسين عليه السلام الرسائل والكتب يدعونه فيها للمسير إليهم، فأرسل إليهم ابن عمّه مسلم بن عقيل وأمره بتقوى اللّه وكتمان أمره، فإن رأى الناس مجتمعين أخبره بذلك.

وحينما ورد مسلم الكوفة بايعه من أهلها ثمانية عشر ألفاً، فكتب مسلم إلى الحسين عليه السلام يخبره بذلك.

ولمّا وصل النبأ إلى يزيد استشار سرجون مولى معاوية، فأشار عليه أن يعزل النعمان بن بشير عن الكوفة، ويعهد لعبيد اللّه بن زياد بولاية الكوفة، ويضمّ إليها ولاية البصرة.

وعندما وصل ابن زياد الكوفة أخذ العرفاء والناس أخذاً شديداً، ودسّ جواسيسه بين الموالين للحسين عليه السلام وأنصاره ليأتوه بالأخبار، وأمر رؤساء القبائل أن يخذّلوا الناس عن مسلم بن عقيل، ويعلموهم بوصول الجند من الشام.

فلمّا سمع الناس ذلك تفرّقوا عن مسلم وخذلوه، حتّى انتهى الأمر إلى إلقاء القبض عليه بعد قتالٍ بينه وبين جند ابن زياد، ثمّ استشهاده بأمر الطاغية عبيد اللّه بن زياد، واستشهد معه هانئ بن عروة رئيس قبيلة مذحج باتّهام إيوائه مسلم بن عقيل، فجرّوا جسديهما في أسواق الكوفة[1].

وسار الحسين عليه السلام من مكّة بعد تواتر الرسائل والرسل إليه، وعلمه ببيعة الناس لمسلم بن عقيل.

وفي الطريق وصله نبأ استشهاد مسلم وما فعله به أهل الكوفة، فلم يحل

---

(١) وفيهما قال عبد اللّه بن الزبير الأسدي:

إن كنتِ لا تدرين ما الموت فانظري ... إلى هانئٍ في السوق وابن عقيل

إلى آخر الأبيات. انظر الإرشاد ٢: ٦٤.

دون مسيره إليها ؛ لأنّ الرسالة والمسؤولية التي كان يتحمّلها الحسين عليه السلام كانت عظيمة جدّاً.

والتقى في طريقه الحرّ بن يزيد الرياحيّ الذي أرسله ابن زياد في ألف فارس لإلقاء القبض عليه، وقد جهدهم العطش، فسقاهم الحسين عليه السلام وأصحابه.

ولمّا حضرت الصلاة خطب الإمام عليه السلام الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: «أيّها الناس، إنّي لم آتكم حتّى أتتني كتبكم، وقدمت عليّ رسلكم: أن أقدم علينا فإنّه ليس لنا إمام، لعلّ الله يجمعنا بك على الهدى والحقّ، فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم فأعطوني ما أطمئنّ إليه من عهودكم ومواثيقكم، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي جئت منه إليكم».

فسكتوا ولم يتكلّم أحد منهم بكلمة.

فصلّى الحسين عليه السلام وصلّى الحرّ وأصحابه بصلاته.

وصلّى بهم العصر أيضاً، ثمّ خطبهم فقال بعد الحمد والثناء على الله تعالى: «أمّا بعد: أيّها الناس، فإنّكم إن تتّقوا الله وتعرفوا الحقّ لأهله يكن أرضى لله عنكم، ونحن أهل بيت محمّد وأولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور والعدوان، وإن أبيتم إلّا الكراهية لنا والجهل بحقّنا، فكان رأيكم الآن غير ما أتتني به كتبكم، وقدمت به عليّ رسلكم انصرفت عنكم».

فقال له الحرّ: أنا والله لا أدري ما هذه الكتب!

فأمر الحسين عليه السلام بإخراجها.

فقال الحرّ: إنّا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك.

ثمّ كانت محاورات قال فيها الحرّ: إنّه مأمور ألّا يفارق الحسين عليه السلام حتّى يقدمه الكوفة.

ثمّ توافقا على أن يسيرا مسيراً لا ينتهي إلى الكوفة حتّى يرون ماذا سيكون.

وانتهى بهم المسير إلى أرض نينوى ، وإذا بالكتاب من عبيد اللّه بن زياد : « أمّا بعد : فجعجع بالحسين حين يبلغك كتابي ويقدم عليك رسولي ، ولا تنزله إلّا بالعراء في غير حصن وعلى غير ماء ، فقد أمرت رسولي أن يلزمك ولا يفارقك حتّى يأتيني بإنفاذك أمري . والسلام » .

ففعل الحرّ ما أمر به وأنزلهم حيث لم يكن ماء .

فلمّا كان من الغد قدم عليهم عمر بن سعد بن أبي وقّاص من الكوفة في أربعة آلاف فارس .

وراسل عمر بن سعد الحسين عليه السلام يسأله عن سبب مجيئه ، فأجابه : بأنّهم كتبوا إليه في ذلك ، فإذا تغيّر رأيهم فسينصرف عنهم .

فكتب عمر بذلك إلى ابن زياد ، فأجابه : « ... اعرض على الحسين أن يبايع ليزيد هو وجميع أصحابه ، فإذا فعل ذلك رأينا رأينا ، والسلام » .

وتمّ لقاءٌ بين الحسين عليه السلام وابن سعد بين المعسكرين ، وتناجيا فيه طويلاً ، ثمّ كتب عمر إلى ابن زياد كتاباً جاء فيه : « إنّ اللّه قد أطفأ النائرة وجمع الكلمة وأصلح أمر الأمّة ، هذا حسين قد أعطاني أن يرجع إلى المكان الذي أتى منه ، أو أن يسير إلى ثغرٍ من الثغور ، فيكون رجلاً من المسلمين ... » .

فلمّا قرأ عبيد اللّه بن زياد الكتاب ، قال : « هذا كتاب ناصح مشفق على قومه » .

فقام إليه شمر بن ذي الجوشن ، فقال : « أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك وإلى جنبك ؟ واللّه لئن رحل من بلادك ولم يضع يده في يدك ، ليكوننّ أولى بالقوّة ، ولتكوننّ أولى بالضعف والعجز ... » .

قال له ابن زياد : « نِعْم ما رأيت ، الرأي رأيك ، اخرج بهذا الكتاب إلى عمر بن سعد ، فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي ، فإن فعلوا فليبعث بهم إليّ سلماً ، وإن هم أبوا فليقاتلهم ، فإن فعل فاسمع له وأطع ، وإن أبى أن يقاتلهم ،

فأنت أمير الجيش ، واضرب عنقه وابعث إليّ برأسه ».

وكتب ابن زياد إلى ابن سعد كتاباً جاء فيه : « انظر فإن نزل حسين وأصحابه على حكمي واستسلموا فابعث بهم إليّ سلماً ، وإن أبوا فازحف إليهم حتّى تقتلهم وتمثّل بهم فإنّهم لذلك مستحقّون ، وإن قتل الحسين فأوطئ الخيل صدره وظهره .... ».

ولمّا أقبل شمر بكتاب عبيد الله إلى عمر بن سعد ، قال له عمر : « ما لك ويلك ؟! لا قرّب الله دارك ، قبّح الله ما قدمت به عليّ ، والله إنّي لأظنّك أنت نهيته أن يقبل ما كتبت به إليه ، وأفسدت علينا أمرنا ، قد كنّا رجونا أن يصلح ، لا يستسلم والله حسينٌ ، إن نفس أبيه لبين جنبيه .... ».

وحاولوا إيقاع الحرب عصر اليوم التاسع من المحرم ـ أي تاسوعاء ـ ولكنّ الحسين عليه السلام استمهلهم ليلة العاشر؛ ليعبد الله فيها ، فكان له ولأصحابه في تلك الليلة دويٌّ كدويّ النحل ، فهم ما بين راكع وساجد وقارئ للقرآن ، وبين مستعدٍّ للّقاء .

ولمّا أصبح الحسين عليه السلام عبّأ أصحابه بعد صلاة الغداة ، وكان معه اثنان وثلاثون فارساً ، وأربعون راجلاً ، فجعل زهير بن القين على الميمنة ، وحبيب بن مظاهر على الميسرة ، وأعطى رايته العبّاس أخاه ، وجعلوا البيوت في ظهورهم .

وروي عن عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام أنّه قال : « لمّا صبّحت الخيل الحسينَ رفع يديه وقال : اللهمّ أنت ثقتي في كلّ كرب ، ورجائي في كلّ شدّة ، وأنت لي في كلّ أمرٍ نزل بي ثقة وعدّة ، كم من همٍّ يضعف فيه الفؤاد ، وتقِلّ فيه الحيلة ، ويخذل فيه الصديق ، ويشمت به العدوّ ، أنزلته بك وشكوته إليك رغبة منّي إليك عمّن سواك ، ففرّجته وكشفته ، وأنت وليّ كلّ نعمة ، وصاحب كلّ حسنة ، ومنتهى كلّ رغبة ».

ثمّ خطبهم ووعظهم وعرّفهم نفسه ، ثمّ سألهم ما الذي جعلهم يستحلّون دمه ؟!

ولكنّ اللّه قد طبع على قلوبهم، فلم تؤثّر فيهم الموعظة والنصيحة إلّا في من كان أهلاً لها.

وانحاز الحرّ بن يزيد الرياحي ـ وهو أوّل من لقى الحسين عليه السلام من قبل ابن زياد كما تقدّم ـ من عسكر ابن سعد وتوجّه نحو الحسين عليه السلام(١) وهو يرتعد ويقول لمن سأله عمّا به وعن سبب قدومه: «إنّي واللّه أخيّر نفسي بين الجنّة والنار، فواللّه لا أختار على الجنّة شيئاً ولو قُطّعْتُ وحرّقتُ».

جاء إلى الحسين عليه السلام فقال له: «جعلت فداك يابن رسول اللّه، أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع، وسايرتك في الطريق، وجعجعت بك في هذا المكان، وما ظننت أنّ القوم يردّون عليك ما عرضته عليهم... وإنّي لتائب إلى اللّه ممّا صنعت فترى لي من ذلك توبة ؟».

فقال له الحسين عليه السلام: «نعم، يتوب اللّه عليك فانزل».

ثمّ رمى ابن سعد وقال: «اشهدوا أنّي أوّل من رمى».

وبدأ القتال بين جيشين: أحدهما يقارب المئة أو يتجاوزها قليلاً لكنّهم لبسوا القلوب على الدروع منتظرين لقاء اللّه تعالى، والآخر أقلّ ما قيل فيه: إنّه كان أربعة آلاف(٢) مقاتل، يعلمون أنّهم يقاتلون ابن بنت نبيّهم صلى الله عليه وآله.

وعندئذٍ وقعت الواقعة الكبرى، والكارثة العظمى التي ما زال يعرق لها جبين الإنسانية خجلاً ممّا جنته أيدي الطغاة اللئام.

نعم، استشهد الإمام الحسين عليه السلام يوم العاشر من المحرّم بعد صلاة الظهر قتيلاً،

---

(١) انحاز إلى الحسين عليه السلام من جيش عمر بن سعد أشخاص آخرون أيضاً.

(٢) هؤلاء جاءوا مع ابن سعد، وقد جاء قبلهم ألف مع الحرّ، وكان يأتي المدد باستمرار، وقد قيل في عددهم: إنّهم كانوا ثلاثين ألفاً.

مظلوماً، ظمآن، صابراً، محتسباً، واستشهد معه ولداه[١]، وإخوته[٢]، وبنو أخيه الحسن عليه السلام[٣]، وبنو عمومته[٤]، وأصحابه[٥] بأبشع ما يتصوّره الإنسان، واحتزّوا رؤوسهم، وسلبوهم، وأجروا الخيل على صدورهم، وأحرقوا بيوتهم، وسبوا الأطفال والنساء، وساقوهنّ كما تساق الإماء، لم تراع لرسول الله صلى الله عليه وآله فيهم حرمة، ولم يمتثل قول الله تعالى: ﴿قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[٦]، بل امتثلوا قول ابن مرجانة لعنة الله عليه وعلى من ولّاه وتولّاه إلى يوم الدين، آمين ربّ العالمين.

دوافع النهضة الحسينيّة:

أمّا الدوافع التي حدت بالحسين عليه السلام إلى النهوض، فهي:

أوّلاً ـ تولّي الخلافة عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قِبل رجل فاسق فاجر لا يعرف عن الإسلام شيئاً، وهو يزيد بن معاوية.

وقد أشار الإمام الحسين عليه السلام إلى ذلك مراراً أثناء رسائله وخطبه، فمن ذلك:

ـ ما كتبه جواباً عمّا أرسله إليه معاوية، وقد جاء فيه: «واعلم: أنّ الله ليس

---

(١) وهما: عليّ وعبد الله الرضيع عليهما السلام.

(٢) وهم: العبّاس، وعبد الله، وجعفر، وعثمان، اُمّهم اُمّ البنين؛ وعبيد الله، وأبو بكر، اُمّهما ليلى بنت مسعود الثقفية.

(٣) وهم: القاسم، وأبو بكر، وعبد الله.

(٤) وهم: محمّد وعون ابنا عبد الله بن جعفر بن أبي‌طالب، واُمّهما زينب بنت عليّ عليه السلام؛ وعبد الله وجعفر وعبد الرحمن أبناء عقيل بن أبي طالب؛ ومحمّد بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب سلام الله ورحمته عليهم أجمعين.

(٥) ومنهم: حبيب بن مظاهر الأسدي، ومسلم بن عوسجة، وزهير بن القين، وبرير بن خضير الهمداني، والحرّ بن يزيد الرياحي، و...

(٦) الشورى: ٢٣.

بناسٍ لك قتلك بالظنّة، وأخذك بالتهمة، وإمارتك صبيّاً يشرب الشراب ويلعب بالكلاب(١)، وما أراك إلّا وقد أوبقت نفسك وأهلكت دينك، وأضعت الرعية، والسلام»(٢).

ـ ما قاله جواباً للوليد بن عتبة: «أيها الأمير، إنّا أهل بيت النبوّة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الوحي، بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق شارب الخمور قاتل نفس محرّمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله...»(٣).

ثانياً ـ أنّه عليه السلام كان يرى نفسه أحقّ بالخلافة من يزيد، وقد أشار إلى ذلك كراراً في خطبه أيضاً، فمن ذلك:

ـ ما قاله عند لقائه للحرّ بن يزيد الرياحي، وجاء فيه:

«ونحن أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله، وأولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور والعدوان...»(٤).

---

(١) قال المسعودي: «وكان يزيد صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب، وجلس ذات يوم على شرابه، وعن يمينه ابن زياد، وذلك بعد قتل الحسين، فأقبل على ساقيه، فقال:

اسقني شربة تروّي مشاشي ... ثمّ مِل فاسقِ مثلها ابن زياد
صاحب السرّ والأمانة عندي ... ولتسديد مغنمي وجهادي

ثمّ أمر المغنّين فغنّوا به.

وغلب على أصحاب يزيد وعمّاله ما كان يفعله من الفسوق. وفي أيامه ظهر الغناء بمكّة والمدينة، واستعملت الملاهي، وأظهر الناس شرب الشراب...». مروج الذهب ٣: ٦٧.

(٢) الإمامة والسياسة: ١٥٧.

(٣) مقتل الخوارزمي: ١٨٤، نقلاً عن أحمد بن أعثم الكوفي.

(٤) الإرشاد ٢: ٧٩، وتاريخ الطبري ٤: ٣٠٣.

ـ وما جاء في رسالته إلى رؤوس الأخماس[١] بالبصرة، وأشرافها، وهو قوله عليه السلام: « وأمّا بعد: فإنّ اللّه اصطفى محمّداً صلى الله عليه وآله على خلقه وأكرمه بنبوّته، واختاره لرسالته، ثمّ قبضه اللّه إليه، وقد نصح لعباده، وبلّغ ما أرسل به صلى الله عليه وآله وكنّا أهله وأولياءه وأوصياءه وورثته وأحقّ الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا وكرهنا الفرقة[٢] وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنّا أحقّ بذلك الحقّ المستحقّ علينا ممّن تولّاه »[٣].

ثالثاً ـ كثرة الرسائل والكتب التي أرسلت إليه من قبل أهل الكوفة، وقد أشار إلى ذلك في خطبه واحتجاجاته، منها عند لقائه للحرّ، ويوم عاشوراء، فممّا قاله يوم عاشوراء: « ياشبث بن ربعي، يا حجّار بن أبجر، يا قيس بن الأشعث، يا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إليّ: أن قد أينعت الثمار، واخضرّ الجناب، وإنّما تقدم على جند لك مجنّدة؟! »[٤].

وكانت الكتب الموجّهة إليه ـ من شيعته وغيرهم، ممّن ثبت على ولايته وممّن انحرف ـ كثيرة جدّاً[٥]، فكتب في جوابهم:

« بسم اللّه الرحمن الرحيم

من الحسين بن عليّ إلى الملأ من المسلمين والمؤمنين.

---

(١) قُسّمت البصرة خمسة أخماس: العالية، وبكر بن وائل، وتميم، وعبد القيس، والأزد. انظر لسان العرب: « خمس ».

(٢) تأمّل هذه العبارة، فإنّه يستفاد منها: أنّ عليّاً وبنيه عليهم السلام كانوا أحرص من غيرهم على عدم تفرقة الأمّة حتّى ولو استلزم ذلك ضياع حقّهم، وأنّ سكوتهم إنّما كان لمصلحة الأمّة، وغيرهم كان أحرص على حفظ منافعه وإن استلزم ذلك اختلاف الأمّة وتشتّتها!

(٣) وقعة الطفّ: ١٠٧.

(٤) الإرشاد ٢: ٩٨.

(٥) انظر الإرشاد ٢: ٣٦ ـ ٣٨.

أمّا بعد: فإنّ هانئاً وسعيداً قدما عليَّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليَّ من رسلكم، وقد فهمت كلّ الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جُلّكم: أنّه ليس علينا إمام، فاقبل لعلّ اللّه أن يجمعنا بك على الهدى والحقّ، وإنّي باعث إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي، فإن كتب إليّ أنّه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجا والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء اللّه، فلعمري ما الإمام إلّا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحقّ، الحابس نفسه على ذات اللّه. والسلام»[1].

رابعاً - هذا كلّه بحسب ظواهر الأمور، وأمّا بحسب الواقع فكلّ إمام - في معتقد الإمامية - مأمور بأمور يسير وفقها، والإمام الحسين عليه السلام كذلك، وقد كان هذا الأمر ظاهراً من كلماته وخطبه في طول طريقه من مكّة إلى كربلاء؛ لأنّه أقدم على ما فعله مع علم مسبق بما سيؤول إليه الأمر الذي أخبره به جدّه وأبوه عليهما السلام[2].

نتائج النهضة:

لقد استشهد الإمام الحسين عليه السلام هو وأهل بيته وأصحابه، وأسرت نساؤه وسائر أهل بيته، إلّا أنّ الآثار التي ترتّبت على قيامه ضدّ السلطة الأموية عظيمة جدّاً، من أهمّها:

أوّلاً - زعزعة السلطة الأموية بإيجاد الشكّ في مشروعيّتها، وكان من آثار هذا التزلزل:

١ - امتناع معاوية بن يزيد بن معاوية عن الاستخلاف من بعده، وانتقال الحكم من

---

(١) الإرشاد ٢: ٣٩.

(٢) انظر: الإرشاد ٢: ١٢٩ - ١٣٢، والبحار ٤٤: ٢٢٣ - ٢٦٨، تاريخ الحسين عليه السلام، الباب ٣٠ باب الإخبار بشهادته، ومقتل الحسين عليه السلام (للمقرّم): ٥٢ - ٥٥ و١٤٩ و١٥١ و١٩٤ و١٩٦ و٢٠٥ و٢١٣ و٢١٧ و٢١٩.

بني أُميّة إلى مروان وبنيه[١].

٢ ـ ظهور الثورات العديدة ضدّ الحكم الأموي، وقد بدأ ذلك بقيام أهل المدينة بقيادة عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة سنة ٦٢هـ، بهدف خلع يزيد؛ لمّا شاهدوا فسقه وفجوره وهتكه حرم الله وحرم رسوله ﷺ.

ثمّ قيام التوّابين ـ الذين ندموا على عدم التحاقهم بالحسين عليه السلام وعدم نصرتهم له ـ سنة ٦٥هـ بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي.

ثمّ قيام المختار بهدف الأخذ بثأر الحسين عليه السلام سنة ٦٦هـ[٢].

وثورات أخرى.

ثانياً ـ بيان انحطاط الحكم الأموي لارتكابه أبشع الجرائم وأفضعها تجاه أهل بيت النبيّ ﷺ الذين أمر الله تعالى بمودّتهم، ووصّى النبيّ ﷺ بمحبّتهم.

ثالثاً ـ الدروس والعبر التي خلّفتها النهضة والتي تجلّت بها المثل العليا في الخطّ العلوي مقابل الانحطاط في الخطّ الأموي، ومن نماذجها:

١ ـ التضحية بكلّ ما يملكه الإنسان من غالٍ ونفيس ـ حتّى الطفل الرضيع ـ

---

(١) قال المسعودي: «وملك معاوية بن يزيد بن معاوية بعد أبيه، فكانت أيّامه أربعين يوماً إلى أن مات، وقيل: شهرين ....».

ثمّ قال: «ولمّا حضرته الوفاة اجتمعت إليه بنو أُميّة فقالوا له: اعهد إلى من رأيت من أهل بيتك، فقال: والله ما ذقت حلاوة خلافتكم، فكيف أتقلّد وزرها؟ وتتعجّلون أنتم حلاوتها، وأتعجّل مرارتها، اللهمّ إنّي بريء منها، متخلّ عنها ....».

ثمّ قال: «فقالت له أُمّه: ليت أنّي خرقة حيضة ولم أسمع منك هذا الكلام، فقال لها: وليتني يا أُمّاه خرقة حيض ولم أتقلّد هذا الأمر، أتفوز بنو أُميّة بحلاوتها وأبوء بوزرها ومنعها أهلها؟ كلّا! إنّي لبريء منها».

ثمّ ذكر الاختلاف في سبب موته. انظر مروج الذهب ٣: ٧٢ ـ ٧٣.

(٢) انظر شرح هذه الثورات في تاريخ الطبري: حوادث السنوات ٦٢ و ٦٥ و ٦٦.

في سبيل الله وإعلاء كلمته.

٢ ـ الإباء عن قبول الضيم والذلّ مهما كانت النتيجة، وقد أشار إلى ذلك الإمام الحسين عليه السلام نفسه في قوله يوم عاشوراء ـ حينما قال له قيس بن الأشعث: «انزل على حكم بني عمّك، فإنّهم لم يريدوا بك إلّا ما تحبّ» ـ: «لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ [أقرّ] فرار [إقرار] العبيد...»[١].

وقال أيضاً: «ألا وإنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة، يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وحجز[٢] طهرت، وأنوف حميّة، ونفوس أبيّة...»[٣].

وقال عمر بن سعد لشمر: «... لا يستسلم والله حسين، إنّ نفس أبيه لبين جنبيه...»[٤].

٣ ـ ظهور التقابل والتباين التامّ بين الإمام الحسين عليه السلام وبين أعدائه، ومن نماذجه:

أ ـ التقابل في الهدف، فإنّ الدافع الذي كان يقود الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه نحو الجهاد والتضحية إنّما كان دافعاً إلهيّاً لا غير، وحتّى الرسائل التي أرسلت إليه إنّما كانت محفّزاً وحجّة للقيام، لا داعياً واقعياً، بل كان الدافع الواقعي هو إصلاح أمر الخلافة والأمّة كما صرّح بذلك مراراً.

في حين كان دافع من حاربه ومن ألّبهم على ذلك هو الدفاع عن السلطة الأموية

---

(١) انظر: الإرشاد ٢: ٩٨، وإعلام الورى ١: ٤٥٩، وتاريخ الطبري ٤: ٣٢٣، والكامل في التاريخ ٤: ٦٢ ـ ٦٣.

(٢) الحُجُز: جمع حجزة، وحجزة الإزار: جنبتيه، وقيل: حجزة الإنسان معقد السراويل والإزار. لسان العرب: «حجز». وكلامه عليه السلام كناية عن العفّة.

(٣) انظر: شرح النهج ٣: ٢٤٩ ـ ٢٥٠، وأعيان الشيعة ١: ٦٠٣.

(٤) انظر: الإرشاد ٢: ٨٩، وتاريخ الطبري ٤: ٣١٥، وفيه: «... نفساً أبيّة».

في مقابل الوعود والتهديدات التي كانوا يتلقّونها من ذوي السلطة ، وقد قال معاوية مخاطباً أهل الكوفة بعد الصلح بينه وبين الإمام الحسن عليه السلام : « والله إنّي ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا ، إنّكم لتفعلون ذلك ، وإنّما قاتلتكم لأتأمّر عليكم ، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون »(١).

إذا كان هذا هو الدافع لمعاوية في حربه للحسن عليه السلام ، فإنّ دافع يزيد كان ذلك بطريق أولى .

ب ـ التقابل في السيرة والعمل ، فإنّ الحسين عليه السلام كان عاملاً بجميع المبادئ الإنسانية ، في الوقت الذي فقد أعداؤه كلّ تلك المبادئ ومُثُلها ، ومن أمثلة ذلك :

ـ عدم بدء الإمام الحسين عليه السلام بالقتال مهما كثرت الحركات الاستفزازية من أعدائه(٢). وهذه كانت سيرة أخيه وأبيه من قبل .

في حين كان أعداؤه هم البادئين بالحرب .

ـ سقيه عليه السلام جيش الحرّ وقد أجهدهم العطش وبلغ عددهم الألف ، مع أنّه كان قد جاء لإلقاء القبض على الحسين عليه السلام(٣).

في حين أنّ أعداءه منعوا الماء عنه وعن أهل بيته وفيهم النساء والأطفال والرضّع عدّة أيام(٤).

وقد سبقت هذه السجية يوم عاشوراء ، فإنّ معاوية لمّا استولى على ماء الفرات في صفّين منع أصحاب عليّ عليه السلام الشرب منه ، ولكن لمّا استولى عليّ وأصحابه عليه

---

(١) شرح النهج ١٦ : ٤٦ ، وانظر الإرشاد ٢ : ١٤ .

(٢) قاله أكثر من مرّة ، فمن ذلك : عند لقائه جيش الحرّ واقتراح زهير بن القين قتالهم ، ويوم عاشوراء . انظر الإرشاد ٢ : ٨٤ و ٩٦ .

(٣) انظر الإرشاد ٢ : ٧٨ .

(٤) انظر المصدر المتقدّم : ٨٦ .

وهزموا أصحاب معاوية أذن لهم أن يشربوا منه[١].

ـ أمر ابن زياد عمر بن سعد أن يمثّل بالحسين عليه السلام وأصحابه، وأن يوطئ الخيل صدره وظهره، وهو سبط الرسول صلى الله عليه وآله[٢].

وفي مقابله نرى عليّاً ينهى أولاده عن التمثيل بقاتله عبد الرحمن بن ملجم؛ لأنّ الرسول صلى الله عليه وآله نهى عن المُثلة ولو بالكلب العقور[٣].

والنماذج من هذا القبيل كثيرة جدّاً، وهي بحاجة إلى استقراء وبحث مستقلّ ـ ليتبيّن للناس بشكل أوضح حقيقة المنهجين: منهج عليّ وبنيه عليهم السلام، ومنهج أعدائه، وتتّضح معالمهما وفوارقهما، وتفوّق المنهج العلوي الذي ينبع من عين الحقيقة الإلٰهيّة والإسلام الأصيل على غيره من المناهج.

فضائل الإمام الحسين عليه السلام ومناقبه:

كلّ ما ذكرنا من الفضائل والمناقب للإمام الحسن عليه السلام فهي صادقة بالنسبة إلى أخيه الحسين عليه السلام، وقد خصّه الله تعالى بفضيلة أُخرى وهي جعل الإمامة في وِلده عليهم السلام[٤]؛ ولعلّ ذلك لأجل ما لاقاه وأهل بيته من القتل الذريع والأسر من قِبل شرار خلق الله.

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٣: ٥٦٦ ـ ٥٦٩.

(٢) كتب ابن زياد إلى ابن سعد: «وإن قتل الحسين فأوطئ الخيل صدره وظهره...». الإرشاد ٢: ٨٨.

(٣) قال الإمام عليه السلام في وصيّته: «انظروا إذا أنا متّ من ضربته هذه، فاضربوه ضربة بضربة، ولا تمثّلوا بالرجل، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: "إيّاكم والمُثلة ولو بالكلب العقور"». نهج البلاغة: ٤٢٢، قسم الرسائل، الرسالة ٤٧.

(٤) انظر البحار ٤٤: ٢٢١، تاريخ الحسين بن عليّ عليه السلام، باب ما عوّضه الله بشهادته، الحديث الأوّل.

وقد ورد عن الأئمّة عليهم السلام في فضل زيارته ما لم يرد في زيارة غيره من الأئمّة عليهم السلام، وورد في رثائه والحزن عليه من الثواب ما لم يرد في حقّ غيره[1]، وقد رثاه الشعراء

---

(١) انظر هذا وما قبله في كتاب كامل الزيارات للشيخ جعفر بن محمّد بن قولويه القمّي (ت ٣٦٧هـ).

وممّا ذكره ما أورده بسنده عن مسمع بن عبدالملك كردين البصري، قال: «قال لي أبو عبدالله عليه السلام: يا مسمع، أنت من أهل العراق، أما تأتي قبر الحسين عليه السلام؟ قلت: لا، أنا رجلٌ مشهورٌ عند أهل البصرة، وعندنا من يتّبع هوى هذا الخليفة، وعدوّنا كثير من أهل القبائل من النصّاب وغيرهم، ولست آمنهم أن يرفعوا حالي عند ولد سليمان فيمثّلون بي، قال لي: أفما تذكر ما صنع به؟ قلت: نعم، قال: فتجزع؟ قلت: إي والله، وأستعبر لذلك حتّى يرى أهلي أثر ذلك عليّ فأمتنع من الطعام حتّى يستبين ذلك في وجهي، قال: رحم الله دمعتك، أما إنّك من الذين يعدّون من أهل الجزع لنا، والذين يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا، ويخافون لخوفنا، ويأمنون إذا أمنّا...». كامل الزيارات، الباب الثاني والثلاثون، ثواب مَن بكى على الحسين عليه السلام، الحديث ٦.

وروى بسنده عن محمّد بن مسلم، قال: «قال لي أبو جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام: هل تأتي قبر الحسين عليه السلام؟ قلت: نعم على خوف ووجل، فقال: ما كان من هذا أشدّ فالثواب فيه على قدر الخوف، ومَن خاف في إتيانه، أمّن الله روعته يوم القيامة، يوم يقوم النّاس لربّ العالمين، وانصرف بالمغفرة، وسلّمت عليه الملائكة، وزاره النبيّ صلى الله عليه وآله ودعا له، وانقلب بنعمة من الله وفضل لم يمسسه سوء، واتّبع رضوان الله...» الخ. كامل الزيارات، الباب الخامس والأربعون، ثواب مَن زار الحسين عليه السلام وعليه الخوف، الحديث ٥.

وروى بإسناده عن أبي هارون المكفوف، قال: «دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقال لي: أنشدني، فأنشدته، فقال: لا، كما تنشدون، وكما ترثيه عند قبره، قال: فأنشدته:

امرر على جدث الحسين ... فقل لأعظمه الزكيّة

قال: فلمّا بكى أمسكت أنا، فقال: مرّ، فمررت، قال: ثمّ قال: زدني، قال: فأنشدته:

يا مريم قومي فاندبي مولاكِ ... وعلى الحسين فاسعدي ببكاكِ

قال: فبكى وتهايج النساء، قال: فلمّا أن سكتن، قال لي أبو عبدالله عليه السلام: يا أبا هارون، مَن أنشد في الحسين عليه السلام فأبكى عشرة فله الجنّة، ثمّ جعل ينقص واحداً واحداً، حتّى ←

والأدباء قديماً وحديثاً، وألّفوا وصنّفوا كتباً كثيرة في قيامه وشخصيّته وإبائه وشجاعته وتضحيته في سبيل إعلاء كلمة الدين.

وقد استمرّت سيرة الشيعة في أن يجعلوا يوم عاشوراء يوم حزن وبكاء؛ لما لقي فيه الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه من المصائب، وأن يقيموا مجالس الخطابة؛ لتبيين وشرح قيام الإمام الحسين عليه السلام وأهدافه والنتائج المترتّبة على ذلك، إضافة إلى نشر الثقافة الإسلامية بصورة عامّة في هذه المجالس.



← بلغ الواحد فقال: مَن أنشد في الحسين فأبكى واحداً فله الجنّة، ثمّ قال: مَن ذكره فبكى فله الجنّة». كامل الزيارات: الباب الثالث والثلاثون، مَن قال في الحسين عليه السلام شعراً، الحديث ٥.

رابعاً ـ الإمام عليّ بن الحسين السجّاد عليه السلام

اسمه ونسبه:

هو عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام .

وأمّه : شاه زنان بنت يزدجرد آخر ملوك فارس . وقيل : شهربانو [1] .

---

(١) قال المفيد : وكان أمير المؤمنين عليه السلام ولّى حريث بن جابر الحنفي جانباً من المشرق ، فبعث إليه ببنتي يزدجرد بن شهريار بن كسرى . فنحل ابنه الحسين عليه السلام شاه زنان منهما ، فأولدها زين العابدين عليه السلام ، ونحل الأخرى محمّد بن أبي بكر فولدت له القاسم بن محمّد بن أبي بكر ، فهما ابنا خالة ». الإرشاد ٢ : ١٣٨ .

ونقل الكليني : أنّهما أسرتا في زمن عمر بن الخطّاب فأراد بيعهما ، فنهاه الإمام عليّ عليه السلام ؛ لما ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله من النهي عن بيع بنات الأشراف .

ثمّ خيّرهما فاختارت شهربانو الحسين عليه السلام .

ولذلك قيل لعليّ بن الحسين عليه السلام : ابن الخيرتين ؛ لأنّ خيرة الله من العرب هاشم ، ومن العجم فارس ، وفي ذلك يقول أبو الأسود الدؤلي :

وإنّ غلاماً بين كسرى وهاشمٍ　　لأكرم من نيطت عليه التمائم

انظر أصول الكافي ١ : ٤٦٦ ـ ٤٦٧ . ونقلت مصادر أخرى هذا المعنى أيضاً . انظر وفيات الأعيان ٣ : ٢٦٧ ، الترجمة ٤٢٢ ، حيث نقله عن الزمخشري في ربيع الأبرار .

ولكنّ القرائن تدلّ على صحّة ما نقله الشيخ المفيد ، وأهمّ هذه القرائن ما هو المعروف من ولادة الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام في زمن خلافة جدّه أمير المؤمنين عليه السلام سنة ٣٨هـ .

مضافاً إلى ضعف رواية الكليني بعمرو بن شمر . انظر رجال النجاشي : ٢٨٧ ، الترجمة ٧٦٥ .

←

كنيته ولقبه:

كنيته: أبو الحسن، وقيل: أبو محمّد.

وألقابه كثيرة، أشهرها: زين العابدين، وسيّد الساجدين، والسجّاد، وذو الثفنات[١].

مولـده:

ولد في شعبان[٢] سنة ثمان وثلاثين من الهجرة النبويّة.

وفـاته:

توفّي بالمدينة في شهر محرّم الحرام سنة خمس وتسعين[٣]، ودفن بالبقيع عند عمّه الحسن عليه السلام[٤].

وجاء في الفصول المهمّة: «يقال: إنّه مات مسموماً، وإنّ الذي سمّه الوليد بن

← ثمّ هل كانتا بنتين ليزدجرد نفسه بلا واسطة أو مع الواسطة، فيه تأمّل.

(١) انظر: إعلام الورى ١: ٤٨٠، والفصول المهمّة: ١٨٩، لقّب بذي الثفنات لكثرة عبادته وسجوده، وظهور ثفنات على مواضع سجوده مثل ثفنات البعير.

(٢) في اليوم الخامس أو التاسع منه، وقيل: في النصف من جمادى الآخرة، وقيل: في سنة ستّ أو سبع وثلاثين أيضاً. انظر: أُصول الكافي ١: ٤٦٦، والإرشاد ٢: ١٣٧، والتهذيب ٦: ٧٧، وإعلام الورى ١: ٤٨٠، والبحار ٤٦: ١٢ ـ ١٦، والفصول المهمّة: ١٨٩.

(٣) وقيل: سنة اثنتين أو أربع وتسعين، واختلف في يومه: هل هو الثاني عشر، أو الثامن عشر، أو الخامس والعشرون من محرّم؟ انظر المصادر المتقدّمة. ومروج الذهب ٣: ١٦٠. قال الطبري في حوادث سنة ٩٤: «وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء، مات فيها عامّة فقهاء أهل المدينة، مات في أوّلها عليّ بن الحسين عليه السلام، ثمّ عروة بن الزبير، ثمّ سعيد بن المسيّب، وأبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام» تاريخ الطبري ٥: ٢٦٣.

(٤) انظر إعلام الورى ١: ٤٨١.

عبد الملك »[١].

عمره الشريف:

كان عمره سبعاً وخمسين سنة، عاصر جدّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام سنتين، وبعده عمّه الحسن عليه السلام عشر سنين، وبعده أباه الحسين عليه السلام إحدى عشرة سنة[٢].

مدّة إمامته:

بلغت إمامته أربعاً وثلاثين سنة، وهي المدّة التي عاشها بعد أبيه صلوات اللّه عليهما.

حكّام عصره:

عاصره من حكّام بني أميّة: يزيد بن معاوية، وابنه معاوية الثاني، ومروان بن الحكم، وعبد الملك بن مروان، والوليد بن عبد الملك، وتوفّي في حكم الأخير[٣].

ما شاهده من الأحداث:

شاهد استشهاد جدّه أمير المؤمنين عليه السلام، واستشهاد عمّه الحسن عليه السلام بالسمّ.

---

(١) الفصول المهمّة: ١٩٦، وانظر الصواعق المحرقة: ٢٠١.

(٢) انظر الإرشاد ٢: ١٣٧.

(٣) انظر إعلام الورى ١: ٤٨١، وقال المسعودي: «وفي سنة خمس وتسعين قبض عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب في ملك الوليد، ودفن بالمدينة في بقيع الغرقد، مع عمّه الحسن بن عليّ، وهو ابن سبع وخمسين سنة، ويقال: إنّه قبض سنة أربع وتسعين، وكلّ [كان] عقب الحسين من عليّ بن الحسين هذا، وهو السجّاد على ما ذكرنا، وذو الثفنات، وزين العابدين». مروج الذهب ٣: ١٦٠.

وشاهد[1] في كربلاء وهو ابن اثنتين وعشرين سنة استشهاد أبيه وإخوته، وعمومته، وبني عمومته، وغيرهم من أهل البيت وبني هاشم وهم مضرّجون بدمائهم ومجزّرون كالأضاحي.

وشاهد إحراق خيام أبيه، وأسر أخواته وعمّاته وغيرهنّ من أهل البيت عليهم السلام، يسوقونهنّ سوق الإماء إلى ابن مرجانة وأميره يزيد بن معاوية، ويطاف بهنّ من بلدٍ إلى بلد، والجامعة في عنقه ويديه ورجليه.

وشاهد ابن زياد ينكت بمخصرته شفتي أبيه الحسين عليه السلام، ذلك الموضع الذي كان يقبّله رسول الله صلى الله عليه وآله دائماً.

ولم ينس محاولة ابن زياد لقتله، واعتناق عمّته زينب له ومنعها من ذلك، وقولها له: «حسبك يابن زياد من دمائنا ما سفكت، وهل أبقيت أحداً غير هذا، فإن أردت قتله فاقتلني معه».

ثمّ قوله ليزيد: «أما علمت: أنّ القتل لنا عادة، وكرامتنا من الله الشهادة».

وشاهد تهتّك يزيد بن معاوية، ودخوله عليه وعمّاته وأخواته ونساء أبيه والأطفال مكتّفين بالحبال، ويزيد على سريره شامخ بأنفه، ورأس الحسين عليه السلام أمامه ينكت ثغره بالقضيب، وهو وأهل بيته وقوف على درج باب الجامع حيث يقام السبي.

ولم ينس ما دار بينه وبين يزيد من الكلام ومحاولة يزيد قتله أيضاً.

كما لم ينس أنّه عليه السلام استأذن يزيد في الكلام فأذن له وقال: نعم، على أن لا تقل

---

(١) انظر ذلك كلّه في الإرشاد ٢: ١١٤ ـ ١٢٢، وإعلام الورى ١: ٤٧١ ـ ٤٧٥، والبحار ٤٥: ١٠٧ ـ ٢٠٠، تاريخ الحسين عليه السلام، الباب ٣٩ باب الوقائع المتأخّرة عن قتله عليه السلام، وتاريخ الطبري ٤: ٣٤٧ ـ ٣٥٩، والكامل في التاريخ ٤: ٨١ ـ ٩٠، ومقتل الإمام الحسين عليه السلام (للمقرّم): ٣٩٣ ـ ٤٥٥، ووقعة الطفّ (لليوسفي): ٢٥٦ ـ ٢٧٢.

هجراً، فقال عليه السلام : «لقد وقفت موقفاً لا ينبغي لمثلي أن يقول الهجر، ما ظنّك برسول الله صلى الله عليه وآله لو يراني على هذه الحال؟»، فأمر يزيد بأن يفكّ الغلّ منه.

ثمّ لم ينس صعود الخطيب المنبر وإكثاره من الثناء على معاوية والوقيعة في عليّ والحسين عليهما السلام ، فصاح -أي السجّاد عليه السلام - به قائلاً: «لقد اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق، فتبوّأ مقعدك من النار».

وهنا يستأذن الإمام السجّاد عليه السلام يزيد ثانية في أن يتكلّم ويمتنع من الإجابة، ولكنّ ولده معاوية والحاضرين أصرّوا على يزيد ليجيبه، وما زالوا كذلك حتّى أذن له.

وعندئذٍ صعد عليه السلام تلك الأعواد -على حدّ تعبيره عليه السلام ؛ لأنّها لا تحمل روح المنبر الواقعي- وقال بعد الحمد والثناء عليه:

«أيّها الناس، أعطينا ستّاً وفضّلنا بسبع، أعطينا العلم، والحلم، والسماحة، والفصاحة، والشجاعة، والمحبّة في قلوب المؤمنين، وفضّلنا: بأنّ منّا النبيّ صلى الله عليه وآله ، والصدّيق، والطيّار، وأسد الله وأسد رسوله، وسبطي هذه الأمّة.

أيّها الناس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي.

أيّها الناس، أنا ابن مكّة ومنى، أنا ابن زمزم والصفا، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الردا، أنا ابن خير من ائتزر وارتدى وخير من طاف وسعى، وحجّ ولبّى، أنا ابن خير من حُمل على البراق وبلغ به جبرئيل سدرة المنتهى، فكان من ربّه كقاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلّى بملائكة السما، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله ببدر وحنين، ولم يكفر بالله طرفة عين، أنا ابن صالح المؤمنين، ووارث النبيّين، ويعسوب المسلمين، ونور المجاهدين، وقاتل الناكثين، والقاسطين والمارقين، ومفرّق الأحزاب، أربطهم جأشاً، وأمضاهم عزيمة، ذاك أبو السبطين الحسن والحسين، عليّ بن أبي طالب.

أنا ابن فاطمة الزهراء، وسيّدة النساء، وابن خديجة الكبرى.

أنا ابن المرمّل بالدماء، أنا ابن ذبيح كربلا».

وعندئذٍ ضجّ الناس بالبكاء، فخشي يزيد اضطراب الناس، فأمر المؤذّن أن يؤذّن.

وعندما وصل المؤذّن إلى الشهادة بالرسالة، قال له زين العابدين عليه السلام: «أسألك بحقّ محمّد أن تسكت حتّى أكلّم هذا».

والتفت إلى يزيد قائلاً: «هذا الرسول العزيز الكريم جدّك أم جدّي؟ فإن قلت: جدّك، علم الحاضرون والناس كلّهم أنّك كاذب، وإن قلت: جدّي، فلم قتلت أبي ظلماً وعدواناً، وانتهبت ماله، وسبيت نساءه، فويلٌ لك يوم القيامة إذا كان جدّي خصمك».

فصاح يزيد بالمؤذّن: أقم للصلاة، فوقعت بين الناس همهمة وصلّى بعضهم وتفرّق الآخر.

كلّ ذلك صار سبباً لأن يطول بكاؤه بعد أبيه، ويقول لمن اعترض على ذلك: «إنّما أشكو بثّي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون، إنّي لم أذكر مصرع بني فاطمة إلّا خنقتني العبرة»[١].

أهمّ الأحداث التي شاهدها الإمام عليه السلام بعد حادثة كربلاء:

شاهد الإمام السجّاد عليه السلام حوادث عديدة بعد حادثة كربلاء:

أوّلها ـ واقعة الحرّة، وقد استشهد فيها كثير من الصحابة والتابعين وأهل المدينة بيد مسلم بن عقبة، وبأمر من يزيد بن معاوية؛ لخلعهم إيّاه عن الخلافة بسبب ارتكابه المنكرات والقبائح. فأباح مسلم المدينة ثلاثة أيام هتكت فيها الحرمات؛ فلذلك سمّي بعد ذلك مسرفاً؛ لإسرافه في سفك الدماء.

---

(١) البحار ٤٦: ١٠٨، تاريخ عليّ بن الحسين عليه السلام باب حزنه، الحديث الأوّل.

ولكنّ اللّه تعالى جنّب عليّ بن الحسين عليه السلام آثار ذلك، بوصيّة من يزيد إلى قائد جيشه مسلم بن عقبة[١].

ثانيها ـ هدم الكعبة في السنة الرابعة والستين على يد جيش يزيد في الحرب التي قامت بينه وبين ابن الزبير[٢].

---

(١) انظر: الإرشاد ٢: ١٥١ ـ ١٥٢، ومروج الذهب ٣: ٧٠ ـ ٧١، ولم يذكر الأخير الوصيّة، نعم ذكر كلٌّ منهما دعاءً للسجّاد عليه السلام يستدفع به شرّ مسلم بن عقبة، وأنّه آمنه بعد ذلك وشفّعه في كثير ممّن أُريد قتلهم.

والدعاء الذي نقله المفيد هو: «ربّ كم من نعمة أنعمت بها عليّ قلّ لك عندها شكري، وكم من بليّة ابتليتني بها قلّ لك عندها صبري، فيامن قلّ عند نعمته شكري فلم يحرمني، وقلّ عند بلائه صبري فلم يخذلني، ياذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً، وياذا النعماء التي لا تحصى عدداً، صلّ على محمّد وآل محمّد، وادفع عنّي شرّه، فإنّي أدرأ بك في نحره، وأستعيذ بك من شرّه». الإرشاد ٢: ١٥١ ـ ١٥٢.

وقال المسعودي: «وبايع الناس على أنّهم عبيد ليزيد، ومن أبى ذلك، أمرّه مسرف على السيف، غير عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب السجّاد، وعليّ بن عبد اللّه بن العبّاس بن عبد المطّلب...».

ثمّ قال: «ونظر الناس إلى عليّ بن الحسين السجّاد وقد لاذ بالقبر وهو يدعو، فأُتي به إلى مسرف وهو مغتاظ عليه، فتبرّأ منه ومن آبائه، فلمّا رآه قد أشرف عليه ارتعد، وقام له، وأقعده إلى جانبه، وقال له: سلني حوائجك، فلم يسأله في أحد ممّن قدّم إلى السيف إلّا شفّعه فيه، ثمّ انصرف عنه، فقيل لعليّ: رأيناك تحرّك شفتيك، فما الذي قلت؟ قال: قلت: "اللهمّ ربّ السماوات السبع وما أظللن، والأرضين السبع وماأقللن، ربّ العرش العظيم، ربّ محمّد وآله الطاهرين، أعوذ بك من شرّه، وأدرأ بك في نحره، أسألك أن تؤتيني خيره وتكفيني شرّه".

وقيل لمسلم: رأيناك تسبّ هذا الغلام وسلفه، فلمّا أُتي به إليك رفعت منزلته؟! فقال: ماكان ذلك لرأي منّي، لقد ملئ قلبي منه رعباً». مروج الذهب ٣: ٧٠ ـ ٧١.

(٢) انظر مروج الذهب ٣: ٧١.

ثالثها ـ ثورة التوّابين والطلب بثأر الحسين عليه السلام بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي سنة ٦٥هـ[(١)].

رابعها ـ ثورة المختار وإرساله رأس عبيد اللّه بن زياد إلى محمّد بن الحنفية وعليّ بن الحسين عليه السلام. وقد وصله الرأس وهو يتغدّى، فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: «أدخلت على ابن زياد وهو يتغدّى ورأس أبي بين يديه، فقلت: اللهمّ لا تمتني حتّى تريني رأس ابن زياد وأنا أتغدّى، فالحمد للّه الذي أجاب دعوتي»[(٢)].

وهكذا عاش عليه السلام وهو يرى ما يجري عليه وعلى شيعته وشيعة أبيه وجدّه من الظلم والاضطهاد والقتل والتشريد حتّى فارق الدنيا واستراح من همّها وغمّها.

فضائله ومناقبه:

إنّ مناقب الإمام عليه السلام كثيرة جدّاً وإن حاول بنو أميّة وغيرهم إطفاء نور اللّه، ولكنّ اللّه يأبى إلّا أن يتمّ نوره ولو كره المشركون والكافرون، فعليّ بن الحسين عليه السلام ـ كما قال سعيد بن المسيّب ـ: هو «الذي لا يسع مسلماً أن يجهله»[(٣)].

وهو الذي انفرج له الناس ليستلم الحجر، في حين أنّ هشام بن عبد الملك لم يتمكّن من ذلك، فسأله أهل الشام: من هذا؟ فتجاهل وقال: لا أعلم، فقال الفرزدق من فوره:

هذا الذي تعرف البطحاءُ وطأته ... والبيت يعرفه والحلّ والحرم
هذا ابن خير عباد اللّه كلّهم ... هذا التقيّ النقيّ الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

---

(١) انظر الصفحة ٢٦٥.

(٢) أعيان الشيعة ١: ٦٣٦.

(٣) وفيات الأعيان ٣: ٢٦٨، ترجمة عليّ بن الحسين عليه السلام، نقلاً عن الكامل (للمبرّد) ٢: ١٢٠.

هـذا ابـن فـاطمة إن كـنت جـاهله ... بـجدّه أنـبياء اللّـه قـد خُـتموا

وليس قـولك: من هـذا؟ بـضائره ... العُرب تعرف من أنكرت والعجم

والقصيدة طويلة تراجع في مظانّها[(١)].

وما عساني أقول في علمه، وعبادته، وزهده، وخشيته من اللّه تعالى، وإنفاقه في سبيل اللّه، وحلمه، وتواضعه، و...

أمّـا علمه:

فهو من الذين ورثوا العلم والفصاحة، وزُقّوا العلم زقّاً[(٢)].

قال المفيد: «وقد روى عنه فقهاء العامّة من العلوم ما لا يحصى كثرة، وحفظ عنه من المواعظ والأدعية وفضائل القرآن والحلال والحرام والمغازي والأيّام ما هـو مشهور بين العلماء...»[(٣)].

الصحيفة السجّاديّة لمعة من علم الإمام عليه السلام:

يكفي للدلالة على جانب من علم الإمام السجّاد عليه السلام ما أُثر عنه من العلوم في إطار الأدعية، التي جمعت باسم الصحيفة السجّاديّة.

والسبب في اتّخاذ الإمام عليه السلام هـذا المـنهج لتبيين المـعارف الإسلاميّة ـ واللّه العالم ـ هو الضغط والاختناق الشديد الذي عاشه النّاس، وخاصّة الإمام عليه السلام من قِبل السلطة الأموية، وقد ازداد هذا الضغط في خلافة عبدالملك بن مروان الذي طالت

---

(١) ذكرت القضية والقصيدة ـ مع اختلاف في عدد أبياتها وتقديمها وتأخيرها ـ في عديد من مصادر الأدب والسيرة. انظر: الإرشاد ٢: ١٥١، وديوان الفرزدق ٢: ١٧٨، والأغاني ٢١: ٣٧٦، والفصول المهمّة: ١٩٥، وحلية الأولياء ٣: ١٣٩، وغيرها.

(٢) نُقل هذا التعبير عن يزيد بن معاوية. انظر مقتل الحسين عليه السلام (للمقرّم): ٤٥٣.

(٣) الإرشاد ٢: ١٥٣.

حكومته واحداً وعشرين سنة تقريباً[١]، وكان كما قال المسعودي: «له إقدام على الدماء، وكان عمّاله على مثل مذهبه، كالحجّاج بالعراق، والمهلّب بخراسان، وهشام بن إسماعيل بالمدينة، وغيرهم بغيرها، وكان الحجّاج من أظلمهم وأسفكهم للدماء»[٢].

وعلى أثر هذا الاختناق حُرم المجتمع الإسلامي من علومه عليه السلام في المجالات المختلفة، ولذلك اتّخذ الإمام عليه السلام الدعاء وسيلة لبثّها.

وقد قام العلماء بشرح هذه الأدعية واستنباط المعارف الإسلاميّة السامية منها في طول تاريخ الإسلام[٣]، ومع ذلك فإنّ قدرها مجهول بين سائر

---

(١) كان بدء خلافته في غرّة رمضان سنة خمس وستّين، وهلاكه في اليوم الرابع عشر من شوّال سنة ستّ وثمانين. انظر مروج الذهب ٣: ٩١.

(٢) جعله عبدالملك والياً على مكّة والمدينة بعد القضاء على عبدالله بن الزبير ورمي الكعبة بالمنجنيق، «فلمّا قدم المدينة أقام بها شهراً أو شهرين، فأساء إلى أهلها واستخفّ بهم، وقال: أنتم قتلة أمير المؤمنين عثمان، وختم أيدي جماعة من الصحابة بالرصاص استخفافاً بهم كما يفعل بأهل الذمّة، منهم جابر بن عبدالله وأنس بن مالك وسهل بن سعد، ثمّ عاد إلى مكّة. فقال حين خرج منها: الحمد لله الذي أخرجني من أمّ نتن، أهلها أخبث بلد وأغشّه لأمير المؤمنين، وأحسدهم له على نعمة الله، والله لو ما كانت تأتيني كتب أمير المؤمنين فيهم لجعلتها مثل جوف الحمار، أعواداً يعودون بها! ورمّة قد بليت! يقولون منبر رسول الله وقبر رسول الله.

فبلغ جابر بن عبدالله قوله، فقال: إنّ وراءه ما يسوؤه، قد قال فرعون ما قال، ثمّ أخذه الله بعد أن أنظره» الكامل في التاريخ ٤: ٣٥٩.

فماذا ينتظر ممّن أهان الكعبة وقبر الرسول صلى الله عليه وآله ومدينته؟!

(٣) ذكر العلّامة الطهراني حدود خمسين شرحاً للصحيفة السجّادية - انظر الذريعة ١٣: ٣٤٥ - ٣٥٩، تحت عنوان شرح الصحيفة - منها رياض السالكين (للسيّد علي خان المدني الشيرازي)، المتوفّى عام ١١٢٠ في سبع مجلّدات، فيه فوائد جمّة من الأدب والتاريخ والفقه والكلام وغير ذلك من المعارف الإسلاميّة.

المسلمين حتّى الحين.

ومن تلك الأدعية دعاء عرفة الذي جاء فيه: «أَنْتَ الَّذي قَصُرَتِ الأَوْهامُ عَنْ ذاتِيَّتِكَ، وَعَجَزَتِ الأَفْهامُ عَنْ كَيْفِيَّتِكَ وَلَمْ تُدْرِكِ الأَبْصارُ مَوْضِعَ أَيْنِيَّتِكَ. أَنْتَ الَّذي لا تُحَدُّ فَتَكُونَ مَحْدُوداً، ولَمْ تُمَثَّلْ فَتَكُونَ مَوْجُوداً، وَلَمْ تَلِدْ فَتَكُونَ مَوْلُوداً، أَنْتَ الَّذي لا ضِدَّ مَعَكَ فَيُعانِدَكَ، وَلا عِدْلَ لَكَ فَيُكاثِرَكَ، وَلا نِدَّ لَكَ فَيُعارِضَكَ، أَنْتَ الَّذي ابْتَدَأَ وَاخْتَرَعَ وَاسْتَحْدَثَ وَابْتَدَعَ، وَأَحْسَنَ صُنْعَ ما صَنَعَ. سُبْحانَكَ ما أَجَلَّ شَأْنَكَ».

فهذه كلّها معارف إسلاميّة ـ فلسفيّة وكلاميّة ـ أوردها عليه السلام في قالب الدعاء.

ومن جملة الأدعية، دعاء مكارم الأخلاق، وهو يبتدئ بقوله عليه السلام: «اللّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَبَلِّغْ بِإِيماني أَكْمَلَ الإِيمانِ، وَاجْعَلْ يَقيني أَفْضَلَ الْيَقينِ، وَانْتَهِ بِنِيَّتي إِلىٰ أَحْسَنِ النِّيّاتِ، وَبِعَمَلي إِلىٰ أَحْسَنِ الأَعْمالِ... اللهُمَّ وَأَنْطِقْني بِالْهُدىٰ، وَأَلْهِمْنِي التَّقْوىٰ، وَوَفِّقْني لِلَّتي هِيَ أَزْكىٰ، وَاسْتَعْمِلْني بِما هُوَ أَرْضىٰ. اللّهُمَّ اسْلُكْ بِيَ الطَّريقَةَ الْمُثْلىٰ، وَاجْعَلْني عَلىٰ مِلَّتِكَ أَمُوتُ وَأَحْيىٰ. اللهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَمَتِّعْني بِالاقْتِصادِ، وَاجْعَلْني مِنْ أَهْلِ السَّدادِ، وَمِنْ أَدِلَّةِ الرَّشادِ، وَمِنْ صالِحِ الْعِبادِ...».

إلى غير ذلك من الأدعية التي تجعل المتدبّر فيها يسمو ويسمو.

وهناك أدعية أخرى مأثورة عنه عليه السلام، من قبيل: رسالة الحقوق التي ذكر فيها خمسين حقّاً [1]، وقد شرحها العلماء.

ومن قبيل الدعاء الذي نقله عنه أبو حمزة الثمالي (ثابت بن دينار) [2]،

(١) أورد هذه الرسالة الصدوق في الخصال: ٥٦٤، أبواب الخمسين بإسناده عن أبي حمزة الثمالي، وأوردها ابن شعبة في تحف العقول: ١٨٣.

(٢) تأتي ترجمته في الصفحة ٢٩٤.

ولذلك يعرف بدعاء أبي حمزة ، ويقرأ في ليالي شهر رمضان ، وفيه من المعنوية والقدسيّة ما شاء الله .

مواقف الإمام السجّاد عليه السلام ضدّ الانحرافات الفكريّة :

وكانت للإمام عليه السلام مواقف جليلة في التصدّي للانحرافات الفكرية والعقائدية إضافة إلى بيان الأحكام الشرعية ، ومن تلك المواقف :

١ ـ موقفه ضدّ القول بالجبر :

حاول بنو أميّة بدءاً من معاوية بثّ عقيدة الجبر ؛ لتبرير عمل الحكّام فيما يرتكبونه من أنواع الظلم والفساد ؛ لأنّ ما يصدر من الحاكم هو ما يريده الله ، فلا مسؤولية على الحاكم إذن[١] !

لكنّ الإمام عليه السلام حاول دحض هذه العقيدة وهو في الأسر ، فمن ذلك محاورته مع عبيد الله بن زياد :

« سأله عبيد الله : ما اسمك ؟

قال : عليّ .

قال ابن زياد : أليس قد قتل الله عليّاً ؟!

قال عليّ عليه السلام : كان لي أخ يسمّى عليّاً ، قتله الناس .

فقال ابن زياد : بل الله قتله .

فقال عليّ عليه السلام : ﴿ اللهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ »[٢] .

---

(١) انظر جهاد الإمام السجّاد : ١٠١ ، نقلاً عن القاضي عبد الجبّار في المغني في أبواب العدل والتوحيد .

(٢) تاريخ الطبري ٤ : ٣٥٠ ، والآية ٤٢ من سورة الزُّمر .

وجرى مثل هذا الحوار في مجلس يزيد أيضاً [١].

وعندما سُئل عليه السلام : أبقدر يصيب الناس ما أصابهم أم بعمل ؟

أجاب عليه السلام قائلاً: «إنّ القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد»، ثمّ أخذ يشرح ذلك بالتفصيل ثمّ قال: «ألا إنّ من أجور الناس من رأى جوره عدلاً، وعدل المهتدي جوراً...» [٢].

٢ ـ موقفه ضدّ الاعتقاد بالإرجاء:

الإرجاء ـ كما قيل ـ: هو الاعتقاد بأنّ المعصية مهما كانت لا تضرّ الإيمان [٣].

والقول بهذا يكون مبرّراً لما يفعله السلاطين والحكّام من الظلم والجور.

وكانت للأئمّة عليهم السلام مواقف شديدة ضدّ هذه العقيدة، فقد جاء عن عليّ سلام الله عليه: «علّموا صبيانكم ما ينفعهم الله به، لا تغلب عليهم المرجئة برأيها» [٤].

وقد قام الإمام السجّاد عليه السلام بدحض هذه الفكرة بأدعيته ومناجاته وفيها التضرّع والخوف والخشية من الله تعالى مع ما كان له من المقامات المعنوية، كما ستأتي الإشارة إلى ذلك.

٣ ـ موقفه ضدّ التجسيم والتشبيه:

حاول الإمام عليه السلام دحض فكرة تجسيم الربّ وتشبيهه بمخلوقاته، فمن جملة ذلك ما رووه:

من أنّه عليه السلام كان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم، إذ سمع قوماً يشبّهون الله

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٤: ٣٥٢.

(٢) توحيد الصدوق: ٣٦٦، والحديث فيه تفصيل وبيان لصدر كلامه.

(٣) انظر شرح المواقف ٣: ٧٠٧، الموقف السادس ـ الخاتمة.

(٤) الخصال: ٦١٤، حديث الأربعمئة.

تعالى بخلقه ، ففزع لذلك وارتاع له ، ونهض حتّى أتى قبر رسول اللّه صلى الله عليه وآله فوقف عنده ورفع صوته يناجي ربّه ، فقال في مناجاته له :

« إلٰهي ، بدت قدرتك ولم تبد هيئة فجهلوك ، وقدّروك بالتقدير على غير ما به أنت ، شبّهوك وأنا بريء يا إلٰهي من الذين بالتشبيه طلبوك ، ليس كمثلك شيء إلٰهي ولم يدركوك ، وظاهرٌ ما بهم من نعمة دليلهم عليك لو عرفوك ، وفي خلقك يا إلٰهي مندوحة أن ينالوك ، بل سوّوك بخلقك ، فمن ثَمَّ لم يعرفوك ، واتّخذوا بعض آياتك ربّاً فبذلك وصفوك ، فتعاليت يا إلٰهي عمّا به المشبّهون نعتوك »[١].

وبهذه الطريقة ـ أي طريقة الدعاء ـ تمكّن في تلك الظروف القاسية والشديدة أن يظهر للناس جانباً من العلم الإلٰهي الذي كان مكنوناً في صدره عليه السلام .

وأنت إذا تأمّلت الصحيفة السجادية ورسالة الحقوق وجدتهما منبعاً فيّاضاً من المعارف الإلٰهيّة بأسلوب الدعاء . وقد قام جمع من العلماء بشرحهما[٢]، كما تقدّم قبل صفحات .

٤ ـ موقفه ضدّ الغلوّ :

وقف ضدّ الغلوّ ، فقال لبعض القادمين من العراق : « أحِبّونا حبّ الإسلام ، فما زال حبّكم لنا حتّى صار شيناً علينا »[٣].

أي أحبّونا حبّاً يكون موافقاً لقانون الإسلام ولا يخرجكم عنه ، ولا تفرطوا في حبّكم لنا بحيث تقولون فينا ما لا نرضى به ، فتصيرون شيناً وعيباً علينا[٤].

وسيأتي له كلام آخر في هذا الموضوع ـ حسب ما هو المروي عنه ـ عند الكلام

---

(١) الإرشاد ٢ : ١٥٢ ـ ١٥٣ .

(٢) انظر الصفحتين : ٢٨٠ و ٢٨١ .

(٣) انظر : الإرشاد ٢ : ١٤١ ، وحلية الأولياء ٣ : ١٣٦ .

(٤) انظر البحار ٤٦ : ٧٣ ، تاريخ السجّاد عليه السلام ، الباب ٥ مكارم أخلاقه عليه السلام ، ذيل الحديث ٥٨ .

عن ترجمة «أبو خالد الكابلي» أحد المختصّين به[١].

وأمّا عبادته:

فناهيك بها أنّه كان يلقّب بزين العابدين، وسيّد الساجدين، وذي الثفنات.

وقد دخل عليه ابنه أبو جعفر الباقر عليه السلام، فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد، فرآه اصفرّ لونه من السهر، ورمصت عيناه من البكاء، ودبرت جبهته، وانخرم أنفه من السجود، وورمت ساقاه وقدماه من القيام في الصلاة، فقال أبو جعفر عليه السلام:

«فلم أملك ـ حين رأيته بتلك الحال ـ البكاء، فبكيت رحمة له، وإذا هو يفكّر، فالتفت إليّ بعد هنيهة من دخولي، فقال: يا بُنيّ، أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فأعطيته، فقرأ فيها شيئاً يسيراً، ثمّ تركها من يده تضجّراً، وقال: من يقوى على عبادة عليّ عليه السلام؟!»[٢].

وروي عن طاووس اليماني أنّه قال: «دخلت الحِجر في الليل، فإذا عليّ بن الحسين عليه السلام قد دخل فقام يصلّي، فصلّى ما شاء الله، ثمّ سجد، قال: فقلت: رجل صالح من أهل بيت الخير، لأستمعنّ إلى دعائه، فسمعته يقول في سجوده: "عبيدك بفنائك، مسكينك بفنائك، فقيرك بفنائك، سائلك بفنائك".

قال طاووس: فما دعوت بهنّ في كرب إلّا فُرّج عنّي»[٣].

وأمّا زهده:

فقد قال عنه حفيده أبو عبد الله عليه السلام ـ بعد أن شرح زهد جدّه عليّ بن

---

(١) في الصفحة: ٢٩٣.

(٢) الإرشاد ٢: ١٤٢.

(٣) انظر: الإرشاد ٢: ١٤٣ ـ ١٤٤، والفصول المهمّة: ١٩٠، ونقل عن مصادر عديدة أخرى ذكرت في هامش الإرشاد.

أبي طالب عليه السلام وسيرته ـ: «... وما أشبهه من ولده، ولا أهل بيته أحدٌ أقرب شبهاً به في لباسه وفقهه من عليّ بن الحسين عليه السلام»[١].

وروى الكليني بإسناده عن سعيد بن المسيّب، قال: «كان عليّ بن الحسين عليه السلام يعظ الناس ويزهّدهم في الدنيا، ويرغّبهم في أعمال الآخرة في كلّ جمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله» ثمّ نقل عنه خطبة طويلة جاء في أوّلها:

«أيّها الناس، اتّقوا الله واعلموا أنّكم إليه ترجعون، فتجد كلّ نفس ما عملت في هذه الدنيا من خير محضراً، وما عملت من سوء، تودّ لو أنّ بينها وبينه أمداً بعيداً، ويحذّركم الله نفسه، ويحك يابن آدم الغافل، وليس بمغفول عنه...».

وجاء في أثنائها: «فازهدوا فيما زهّدكم الله عزّ وجلّ فيه من عاجل الحياة الدنيا...».

ثمّ جاء في آخرها: «... فأسأل الله العون لنا ولكم على تزوّد التقوى والزهد فيها، جعلنا الله وإيّاكم من الزاهدين في عاجل زهرة الحياة الدنيا، والراغبين لآجل ثواب الآخرة فإنّما نحن به وله، وصلّى الله على محمّد النبيّ وآله وسلّم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[٢].

وأمّا حلمه وعفوه:

فحسبك أنّه آوى إليه جماعة من بني مروان ـ وخاصّة نساءهم ـ في واقعة الحرّة ومنع من وصول الأذى إليهم[٣]، في حين كان مروان العدوّ اللدود لأهل البيت عليهم السلام،

---

(١) الإرشاد ٢: ١٤٢.

(٢) الكافي (الروضة) ٨: ٧٢ ـ ٧٦.

(٣) قال الطبري: «...وقد كان عليّ بن الحسين لمّا خرج بنو أُميّة نحو الشام آوى إليه ثِقَل مروان بن الحكم وامرأته عائشة بنت عثمان بن عفّان»، وذكر أنّ مروان كلّم ابن عمر أن يفعل ذلك فامتنع، ثمّ كلّم عليّ بن الحسين عليه السلام فخرج بحرمه وحرم مروان حتّى وضعهم بينبع. ←

فقد اشترك في حرب الجمل وصفّين ضدّ الإمام عليّ ﷺ ، ومنع من أن يدفن الحسن ﷺ عند جدّه رسول اللّه ﷺ ، وأشار على الوليد بقتل الحسين ﷺ ، وغير ذلك من جرائمه[1].

وكان ﷺ قد لقي من هشام بن إسماعيل أذىً شديداً ، فلمّا عُزل أمر به الوليد أن يوقف للناس ، فمرّ به عليّ بن الحسين ﷺ وقد وقف عند دار مروان ، فسلّم عليه ، وقد تقدّم الإمام ﷺ إلى حامّته ألّا يعرض له أحد[2].

وروي : أنّه دعا مملوكه مرّتين فلم يجبه ، ثمّ أجابه في الثالثة ، فقال له : « يا بنيّ ، أما سمعت صوتي ؟ قال : بلى ، قال : فما بالك لم تُجبني ؟ قال : أمِنتك ، قال : الحمد للّه الذي جعل مملوكي يأمنّي »[3].

وسقط الإبريق من يد الجارية فشجّه ، فرفع رأسه إليها ، فقالت : « إنّ اللّه يقول : ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾ ، قال : قد كظمت غيظي ، قالت : ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ ، قال لها : عفا اللّه عنك ، قالت : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[4]، قال : اذهبي فأنت حرّة »[5].

إلى غير ذلك من القضايا الكثيرة .

وأمّا إنفاقه في سبيل اللّه تعالى :

فقد كان أهل المدينة يقولون : « ما فقدنا صدقة السرّ حتّى مات عليّ بن

← انظر تاريخ الطبري ٤: ٣٧٢.

(١) وهذه صورة أخرى يتجلّى فيها الخطّ العلوي وتمايزه من الخطّ الأموي .

ملكنا فكان العفو منّا سجيّة ولمّا ملكتم سال بالدم أبطح

(٢) و (٣) انظر الإرشاد ٢: ١٤٧.

(٤) آل عمران : ١٣٤.

(٥) الإرشاد ٢: ١٤٦ - ١٤٧.

الحسين »[١]، وكان ناسٌ من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم، فلمّا مات عليّ بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به في الليل[٢].

وعندما مات عليه السلام وغسّلوه جعلوا ينظرون إلى آثار سواد بظهره، فقالوا: ماهذا؟ فقيل: كان يحمل جُرب الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة[٣].

وروي: أنّه عليه السلام قاسم اللّه عزّوجلّ ماله مرّتين[٤].

ودخل على زيد ـ أو محمّد ـ بن أُسامة بن زيد في مرضه فجعل يبكي، فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام: «ما يبكيك؟ قال: عليّ خمسة عشر ألف دينار ولم أترك لها وفاءً، فقال عليه السلام: لا تبك، فهي عليّ، وأنت منها بريء» فقضاها عنه[٥].

وضمّ إلى عائلته أربعمئة من أهل المدينة في واقعة الحرّة، فكان يعولهم حتّى ذهاب مسلم بن عقبة منها ورجوع الحالة الاعتيادية إليها[٦].

وكان يتصدّق بالسكّر واللوز، فسئل عن ذلك، فقرأ قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[٧].

---

(١) حلية الأولياء ٣: ١٣٦.

(٢) انظر: المصدر المتقدّم، والإرشاد ٢: ١٤٩، وإعلام الورى ١: ٤٩١ ـ ٤٩٢، وذكرت بهامشهما مصادر أُخر.

(٣) حلية الأولياء ٣: ١٣٦.

(٤) انظر حلية الأولياء ٣: ١٤٠.

(٥) انظر: المصدر المتقدّم: ١٤١، وفيه: محمّد بن أُسامة، والإرشاد ٢: ١٤٩، وفيه: زيد بن أُسامة، ورويت قضيّة مشابهة بين الحسن والحسين عليهما السلام وأُسامة بن زيد، انظر أعيان الشيعة ١: ٥٨٠، ترجمة الإمام الحسين عليه السلام.

(٦) انظر البحار ٤٦: ١٠١، تاريخ علي بن الحسين عليه السلام، باب مكارم أخلاقه، الحديث ٨٨.

(٧) انظر البحار ٤٦: ٨٩، تاريخ علي بن الحسين عليه السلام، باب مكارم أخلاقه، الحديث ٧٧. والآية ٩٢ من سورة آل عمران.

كانت هذه بعض الجوانب من فضائل ومناقب الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام ولم يسعنا المجال للتطرّق إلى الجوانب الأُخر، مثل معاملته الجميلة للعبيد وعتقهم بأدنى سبب، ومقابلته بالإحسان لمن أساء إليه، وكثرة خشيته من الله واصفرار لونه عند إرادة الصلاة، وتواضعه وجلوسه مع الفقراء، وغير ذلك من صفاته الحميدة.

تلامذة الإمام السجّاد عليه السلام والمختصّون به:

روى عن الإمام السجّاد عليه السلام رغم الاختناق والضغط الشديدين جماعة كثيرة من الشيعة وغيرهم، وقد ذكر الشيخ الطوسي نحواً من مئة وسبعين شخصاً ممّن روى عنه عليه السلام[(١)]، منهم:

جابر بن عبدالله الأنصاري[(٢)]، وأبان بن تغلب[(٣)]، وأبو الأسود الدؤلي[(٤)]،

---

(١) انظر كتاب الرجال (للشيخ الطوسي): ٨١ - ١٠٢، أصحاب عليّ بن الحسين عليه السلام.

(٢) هو الصحابي الجليل المعروف، شهد بدراً وثمانية عشر غزوة مع النبيّ صلى الله عليه وآله، وكان رجلاً منقطعاً إلى أهل البيت عليهم السلام، وهو غنيٌّ عن التعريف، مات سنة ثمان وسبعين، انظر: رجال الشيخ الطوسي: ١٢، أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وقاموس الرجال ٢: ٥١٤، الترجمة ١٣٣٦، ومعجم رجال الحديث ٤: ١١، الترجمة ٢٠١٨، وغيرها من تراجم العامّة والخاصّة.

(٣) سوف تأتي ترجمته في حياة الإمام الباقر عليه السلام.

(٤) كان أديباً، شاعراً، سريع البديهة، فقيهاً، حضر مع عليّ عليه السلام صفّين وخلّفه عبدالله بن عبّاس مكانه في البصرة، ولمّا جاءه نعي أمير المؤمنين عليه السلام خطب النّاس ونعاه، ثمّ بكى بكاءً شديداً، ثمّ أخذ البيعة للحسن بن عليّ عليه السلام، وهو القائل:

أَلاَ أَبْلِغْ مُعاويةَ بنَ حَرْبٍ … فَلا قَرّتْ عُيونُ الشامتينا

أَفي شَهْرِ الصِّيامِ فَجَعْتُمونا … بخيرِ النّاسِ طُرّاً أجمعينا؟

إلى آخر الأبيات.

وهو الذي علّمه أمير المؤمنين عليه السلام أُسس علم النحو، وتقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف، ثمّ أمره الإمام عليه السلام بأن يستمرّ في ذلك. انظر: وفيات الأعيان ٢: ٥٣٥، الترجمة ←

والقاسم بن محمّد بن أبي بكر[(١)]، وسعيد بن المسيّب[(٢)]، وسعيد بن جبير[(٣)]، وإبراهيم بن يزيد النخعي[(٤)]، وعامر بن واثلة الكناني[(٥)]، ومحمّد بن شهاب

← ٣١٣، وقاموس الرجال ٥: ٥٧٩، الترجمة ٣٧٧١، وطبقات الفقهاء ١: ٤٠٩، الترجمة ١٧٨، وانظر لموضوع علم النحو كتاب تاريخ علم النحو (للأستاذ محمّد إبراهيم خليفة).

(١) كان ابن خالة الإمام السجّاد عليه السلام -كما تقدّم عند الكلام عن ميلاده عليه السلام - وكان من فقهاء المدينة المعروفين، وتزوّج الإمام الباقر عليه السلام بنته أسماء، المكنّاة بأمّ فروة، فولدت له الإمام الصادق عليه السلام. انظر: وفيات الأعيان ٤: ٥٩، وطبقات الفقهاء ١: ٤٨٩.

وروى الكليني بإسناده عن إسحاق بن جرير، قال: «قال أبو عبدالله عليه السلام: كان سعيد بن المسيّب والقاسم بن محمّد بن أبي بكر وأبو خالد الكابلي من ثقات عليّ بن الحسين». أصول الكافي ١: ٤٧٢، باب مولد أبي عبدالله عليه السلام، الحديث الأوّل.

(٢) كان صهراً لأبي هريرة وأحد فقهاء المدينة، لم يرضخ للحكم الأموي، فامتنع من البيعة ليزيد بن عبدالملك بعنوان كونه وليّ العهد، فلذلك هدّد بالقتل من قِبل والي المدينة هشام بن إسماعيل بأمر من عبدالملك، ولكن اكتفي بضربه خمسين سوطاً وطيف به في أسواق المدينة، ومنعوا النّاس أن يجالسوه. اختلفت الأقوال في سنة موته بين سنة ٩١ إلى ٩٥ هجرية. وفيات الأعيان ٢: ٣٧٥، الترجمة ٢٦٢، ومعجم رجال الحديث ٨: ١٣٢، الترجمة ٥١٨٠، وطبقات الفقهاء ١: ٢٧٥.

(٣) كان من الفقهاء أيضاً، خرج مع عبدالرحمن بن الأشعث على الحجّاج، وهرب بعد مقتل ابن الأشعث إلى مكّة، ثمّ أُخذ من قِبل واليها خالد القسري وأُرسل إلى الحجّاج، فقتله ولم يبلغ الخمسين، ما دامت حياة الحجّاج بعد قتل سعيد بن جبير إلّا قليلاً. انظر وفيات الأعيان ٢: ٣٧١، الترجمة ٢٦١.

(٤) كان أحد الفقهاء المشهورين، وقيل: كان يفتي بالمسح على القدمين، دون الغسل، كما هو مذهب الإماميّة، وكان يلعن الحجّاج ويقول: كفى بالرجل عمىً أن يعمى عن أمر الحجّاج، لكنّه لم يشترك مع الخارجين عليه، مات بالكوفة سنة ستّ أو خمس وتسعين وله ستّ أو تسع وأربعون سنة. انظر: وفيات الأعيان: ٢٥، الترجمة ١، وطبقات الفقهاء ١: ٢٧٤، الترجمة ٨٧.

(٥) قال ابن عبدالبرّ: «ولد عام أُحُد وأدرك من حياة النبيّ صلى الله عليه وآله ثمان سنين، نزل الكوفة ←

الزهري[1]، وغيرهم، سوى أبنائه مثل الإمام الباقر عليه السلام وزيد، وبني عمومته.

← وصحب عليّاً عليه السلام في مشاهده كلّها، فلمّا قتل عليّ عليه السلام انصرف إلى مكّة فأقام بها حتّى مات سنة مئة، ويقال: إنّه أقام بالكوفة ومات بها، والأوّل أصح -إلى أن قال: -كان فاضلاً، عاقلاً، حاضر الجواب، فصيحاً، وكان متشيّعاً في عليّ عليه السلام، ويفضّله ويثني على الشيخين!

-إلى أن قال: - قدم أبو الطفيل يوماً على معاوية، فقال له: كيف وجدك على خليلك أبي الحسن؟ قال: كوجد أمّ موسى على موسى، وأشكو إلى اللّه التقصير...». الاستيعاب بهامش الإصابة ٤: ١١٥ ـ ١١٧، باب الكنى.

وكان من شعراء الصحابة، قيل لأبي عبداللّه الصادق عليه السلام: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أقول كما قال أبو الطفيل:

وإنّ لأهل الحقّ لابدّ دولة ... على النّاس إيّاها أرجّي وأرقب

ثمّ قال عليه السلام: «أنا واللّه ممّن يرجّي ويرقب». اختيار معرفة الرجال: ٩٤، الترجمة ١٤٩.

وهو آخر من رأى النبيّ صلى الله عليه وآله من الصحابة، موتاً.

وقال أبو الفرج -كما في قاموس الرجال-: «كان من وجوه شيعة عليّ عليه السلام، وله منه محلّ خاصّ يستغني بشهرته عن ذكره، ثمّ خرج طالباً بدم الحسين عليه السلام مع المختار حتّى قتل المختار وأفلت أبو الطفيل، رمى بنفسه من القصر». قاموس الرجال ٥: ١٣٢، نقلاً عن الأغاني ٣: ١٦٨، ط. بولاق.

(١) كان من فقهاء المدينة، ثمّ ارتبط بالأمويّين فاختصّ بعبدالملك بن مروان وابنه هشام، واستقضاه يزيد بن عبدالملك.

وللإمام عليه السلام توصيات للزهري، وهناك رسالة خاصّة كتبها الإمام عليه السلام له، وروي أنّه أصاب دماً أيام مسؤوليّته، وامتنع أولياء المقتول من أخذ الدية، فأيس وانقطع عن النّاس، ثمّ علّمه الإمام زين العابدين عليه السلام كيفيّة دفع الدية ونهاه عن القنوط واليأس، ففرح بذلك وعاد إلى الحياة العادية.

واختلف أصحابنا وغيرهم فيه، فبين من يعدّه شيعيّاً، ومن يعدّه من مبغضي أهل البيت عليهم السلام، وجمع بينهما بعضهم بحمل البغض على أيام شبابه، والحبّ على أخريات حياته، وربّما قيل بالعكس. انظر: وفيات الأعيان ٤: ١٧٧، الترجمة ٥٦٣، ←

ونحن نترجم لثلاثة من المختصّين به ، وهم :

١ ـ يحيى بن أمّ الطويل :

كان من حواريي الإمام السجّاد عليه السلام ، ومن الذين ثبتوا على ولاية أهل البيت عليهم السلام بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام ، فإنّ النّاس فارقوهم خوفاً وبقي قليل منهم ، مثل : يحيى ، وأبو خالد الكابلي ، وجبير بن مطعم ، ثمّ التحق النّاس بهم[(١)].

روي أنّه كان يحيى يدخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ويقول : كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم البغضاء[(٢)].

وروي أيضاً : أنّه كان ينادي بأعلى صوته في كناسة الكوفة : « معشر أولياء الله ، إنّا براءٌ ممّا تسمعون ، من سبّ عليّاً عليه السلام فعليه لعنة الله ، ونحن براء من آل مروان وما يعبدون من دون الله ، ثمّ يخفض صوته فيقول : من سبّ أولياء الله فلا تقاعدوه ، ومن شكّ فيما نحن عليه فلا تفاتحوه ، ومن احتاج إلى مسألتكم من إخوانكم فقد خنتموه[(٣)] ، ثمّ يقرأ : ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً﴾[(٤)] »[(٥)].

← وروضات الجنّات ٧ : ٢٤٢ ، الترجمة ٦٣١ ، وقاموس الرجال ٩ : ٥٨٢ ، الترجمة ٧٢٧٦ ، وسفينة البحار ٣ : ٥٥٠ ، « الزهري » ، وانظر رسالته عليه السلام إلى الزهري في تحف العقول : ١٩٨ .

(١) انظر : الاختصاص (للشيخ المفيد) : ٦٤ ، ترجمة خزيمة بن ثابت ، ومرآة العقول ١١ : ٩٧ ، نقلاً عن الفضل بن شاذان .

(٢) انظر المصدرين المتقدّمين .

(٣) أي إذا جعلتم أخاكم المؤمن يسألكم بسبب الحاجة فقد خنتموه ؛ لأنّكم تركتموه يصل إلى هذه المرتبة من الاحتياج ولم ترفعوا حاجته قبل أن يضطرّ إلى المسألة .

(٤) التوبة : ١٨ .

(٥) أُصول الكافي ٢ : ٣٨٩ ، باب مجالسة أهل المعاصي ، الحديث ١٦ . وللمجلسي تعليق على هذه الرواية في مرآة العقول جاء فيها : « كان هؤلاء الأجلاء من خواصّ أصحاب ←

وروي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام : أنّ الحجّاج أمره بلعن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، ولمّا لم يسبّ ، أمر بقطع يديه ورجليه وقتله رضوان الله تعالى عليه[1].

ونقل المجلسي عن تاريخ المبرّد أيضاً : أنّ الحجّاج قتله ، وقبره بواسط[2].

٢ ـ أبو خالد الكابلي :

كان من خواصّ الإمام السجّاد عليه السلام ومن حوارييه ، وكان يميل إلى محمّد بن الحنفيّة في بادئ أمره ، ثمّ رجع إلى إمامة عليّ بن الحسين عليه السلام .

روى الكشّي بإسناده إلى أبي بصير ، قال : « سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : كان أبو خالد الكابلي يخدم محمّد بن الحنفيّة دهراً ، وما كان يشكّ في أنّه إمام حتّى أتاه ذات يوم فقال له : جعلت فداك ، إنّ لي حرمة ومودّة وانقطاعاً ، فأسألك بحرمة رسول الله وأمير المؤمنين إلّا أخبرتني أنت الإمام الذي فرض الله طاعته على خلقه ؟ قال : فقال : يا أبا خالد ، حلّفتني بالعظيم ، الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام عليّ وعليك وعلى كلّ مسلم ، فأقبل أبو خالد لمّا أن سمع ما قاله محمّد بن الحنفيّة ، فجاء إلى عليّ بن الحسين عليه السلام ، فلمّا استأذن عليه فأخبر أنّ أبا خالد بالباب ، فأذن له ، فلمّا دخل عليه دنا منه ، قال : مرحباً ياكنكر ! ماكنت لنا بزائر ، ما بدا لك فينا ؟ !

← الأئمّة عليهم السلام ، كانوا مأذونين من قبل الأئمّة عليهم السلام بترك التقيّة لمصلحة خاصّة خفيّة ، أو أنّهم كانوا يعلمون أنّه لا تنفعهم التقيّة ، وأنّهم يقتلون على كلّ حال بإخبار المعصوم أو غيره ، والتقيّة إنّما تجب إذا نفعت ، مع أنّه يظهر من بعض الأخبار : أنّ التقيّة إنّما تجب إبقاءً للدين وأهله ، فإذا بلغت الضلالة حدّاً توجب اضمحلال الدين بالكلّيّة ، فلا تقيّة حينئذٍ ، وإن أوجب القتل ، كما أنّ الحسين عليه السلام لمّا رأى انطماس آثار الحقّ رأساً ترك التقيّة والمسالمة » . مرآة العقول ١١ : ٩٨ .

(١) انظر مرآة العقول ١١ : ٩٨ .

(٢) البحار ٤٦ : ١٦ ، آخر الباب الأوّل من تاريخ الإمام السجّاد ، وانظر الكامل (للمبرّد) ٢ : ٩٣ ، ط . محمّد علي صبيح بمصر سنة ١٣٤٧ .

فخرّ أبو خالد ساجداً شاكراً لله تعالى ممّا سمع من عليّ بن الحسين عليه السلام، فقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتّى عرفت إمامي، فقال له عليّ عليه السلام: وكيف عرفت إمامك يا أباخالد؟ قال: إنّك دعوتني باسمي الذي سمّتني أمّي التي ولدتني...»[1].

ثمّ ذكر للإمام عليه السلام كيفيّة لقائه محمّد بن الحنفيّة وسؤاله إيّاه، وإرشاده إلى الإمام عليه السلام.

وروى الكشّي أيضاً بإسناده إلى ضريس، قال: «قال لي أبو خالد الكابلي: أما إنّي سأحدّثك بحديث إن رأيتموه وأنا حيّ، فقلت: صدقتني، وإن متُّ قبل أن تراه، ترحّمت عليّ ودعوتَ لي، سمعت عليّ بن الحسين عليه السلام يقول: إنّ اليهود أحبّوا عزيراً حتّى قالوا فيه ما قالوا، فلا عزير منهم، ولا هم من عزير، وأنّ النصارى أحبّوا عيسى حتّى قالوا فيه ما قالوا، فلا عيسى منهم ولا هم من عيسى، وأنا على سنّة من ذلك، إنّ قوماً من شيعتنا سيحبّونا حتّى يقولوا فينا ما قالت اليهود في عزير، وما قالت النصارى في عيسى بن مريم، فلا هم منّا ولا نحن منهم!»[2].

٣ ـ ثابت بن دينار (أبو حمزة الثمالي):

قال عنه النجاشي: «ثابت بن أبي صفيّة أبو حمزة الثمالي، واسم أبي صفيّة دينار... وأولاده: نوح ومنصور وحمزة، قتلوا مع زيد، لقي عليّ بن الحسين وأبا جعفر وأبا عبدالله وأبا الحسن عليهم السلام، وروى عنهم، وكان من خيار أصحابنا وثقاتهم ومعتمديهم في الرواية والحديث. وروي عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: "أبو حمزة في زمانه مثل سلمان في زمانه".

---

(١) اختيار معرفة الرجال: ١٢٠، ترجمة «أبو خالد الكابلي»، الفقرة ١٩٢.

(٢) المصدر المتقدّم: الفقرة ١٩١، وانظر لإكمال ترجمته: قاموس الرجال ١٠: ٤٢٨، الترجمة ٨٠٧٨، ترجمة وردان، و١١: ٣٠٦، الترجمة ٢٩٩ من قسم الكنى، ترجمة «أبو خالد الكابلي»، ومعجم رجال الحديث ١٤: ١٢٩، الترجمة ٩٧٥٦، ترجمة كنكر.

وروى عنه العامّة[1]، ومات في سنة خمسين ومئة ...»[2].

ثمّ ذكر كتبه، ومن جملتها كتاب تفسير القرآن، الذي يروي عنه الطبرسي في مجمع البيان كثيراً.

ومن جملتها أيضاً: رسالة الحقوق التي يرويها عن الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام.

والرسالة تحتوي على خمسين حقّاً، ذكرها الإمام عليه السلام على نحو الإجمال ثمّ التفصيل. وجاء في مقدّمتها:

«اعلم رحمك الله أنّ لله عليك حقوقاً محيطة بك في كلّ حركة تحركتها، أو سكنة سكنتها، أو منزلة نزلتها، أو جارحة قلبتها، أو آلة تصرّفت بها، بعضها أكبر من بعض ...».

ثمّ ذكر إجمال الحقوق، ثمّ عقّبها بتفصيل تلك الحقوق، فقال في تفصيلها:

« فأمّا حقّ الله الأكبر عليك أن تعبده ولا تشرك به شيئاً ...

- وحقّ نفسك عليك أن تستعملها بطاعة الله عزّ وجلّ.

- وحقّ اللسان إكرامه عن الخنى، وتعويده الخير، وترك الفضول ...

- وحقّ السمع تنزيهه عن سماع الغيبة، وسماع ما لا يحلّ سماعه.

- وحقّ البصر أن تغضّه عمّا لا يحلّ لك، وتعتبر بالنظر به.

- وحقّ يدك أن لا تبسطها إلى ما لا يحلّ.

---

(١) قيل: روى عنه سفيان الثوري، وشريك، وحفص بن غياث، وأبو أسامة، وعبدالملك بن أبي سليمان، وأبو نعيم، وعبدالله بن موسى.

وخرّج حديثه: الترمذي، وابن ماجة، والنسائي.

انظر الإمام الصادق والمذاهب الأربعة (١ ـ ٢): ٤٤٦ ـ ٤٤٧.

(٢) رجال النجاشي: ١١٥، الترجمة ٢٩٦، وانظر: معجم رجال الحديث ٣: ٣٨٥، الترجمة ١٩٥٣، وقاموس الرجال ٢: ٤٤٤، الترجمة ١٢٦٧، ترجمة ثابت بن دينار.

ـ وحقّ رجليك أن لا تمشي بهما إلى ما لا يحلّ لك...

ـ وحقّ بطنك أن لا تجعله وعاءً للحرام، ولا تزيد على الشبع.

ـ وحقّ فرجك أن تحصنه عن الزنا، وتحفظه من أن يُنظر إليه.

ثمّ ذكر حقّ الصلاة، والحجّ، والصوم، والصدقة، والهدي، والسلطان، والسائس بالعلم، والسائس بالملك، والرعيّة بالسلطان، والرعيّة بالعلم، وحقّ الزوجة، وحقّ المملوك، وحقّ الأمّ، وحقّ الأب، وحقّ الولد، وحقّ الأخ، وحقّ المولى المنعم، وحقّ المولى المنعَم عليه ـ أي المملوك ـ وحقّ ذي المعروف عليك، وحقّ المؤذّن، وحقّ إمام الجماعة في الصلاة، وحقّ الجليس، وحقّ الجار، وحقّ الصاحب، وحقّ الشريك، وحقّ المال، وحقّ الغريم، وحقّ الخليط، وحق الخصم المدّعي عليك، وحقّ الخصم الذي تدّعي عليه، وحقّ المستشير، والمشير، والمستنصح، والناصح، والكبير، والسائل، والمسؤول، وحقّ مَن سرّك لله تعالى، ومَن أساء إليك، وحقّ أهل ملّتك، وحقّ أهل الذمّة...

ولم يسمح المجال ـ مع الأسف ـ لذكر تفصيل هذه الحقوق[1].

(١) انظر: الخصال: ٥٦٤، أبواب الخمسين، الحديث الأوّل، ومن لا يحضره الفقيه ٢: ٦١٨، باب الحقوق، الحديث ٣٢١٤، وتحف العقول: ١٨٣.

خامساً ـ الإمام محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام

اسمه ونسبه:

هو محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام.

وأمّه فاطمة بنت الحسن عليه السلام، فهو هاشميٌّ من هاشميّين، وعلويٌّ من علويّين، وفاطميٌّ من فاطميّين[1].

وذكر أبو عبدالله الصادق عليه السلام جدّته أمّ أبيه يوماً، فقال: «كانت صدّيقة، لم تدرك في آل الحسن امرأة مثلها»[2].

كنيته ولقبه:

كنيته أبو جعفر لا غير. وأشهر ألقابه الباقر، لُقّب به لكثرة علمه وتبقّره فيه[3]، وفي ذلك يقول القُرَظيّ:

يـا بـاقر الـعـلم لأهـل الـتـقى　　　وخيرَ من لبّى عـلى الأجـبل[4]

والمـعروف أنّ هـذا اللـقب انـتزع ممّا ورد فـي حـقّه عـن رسـول الله صلى الله عليه وآله،

---

(1) انظر: الإرشاد ٢: ١٥٧ ـ ١٥٨، وإعلام الورى ١: ٤٩٨.

(2) أصول الكافي ١: ٤٩٦، باب مولد أبي جعفر الباقر عليه السلام، الحديث الأوّل.

(3) جاء في لسان العرب: مادة «بقر»: «التبقّر: التوسّع في العلم والمال، وكان يقال لمحمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ: الباقر ـ رضوان الله عليهم ـ لأنّه بقر العلم، وعرف أصله واستنبط فرعه وتبقّر في العلم». وجاء هذا المعنى في غيره من كتب اللغة.

(4) انظر الإرشاد ٢: ١٥٧.

وقد استفاض عن جابر رضي الله عنه أنّه قال له رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «يوشك أن تبقى حتّى تلقى ولداً لي من الحسين يقال له: محمّد، يبقر علم الدين بقراً، فإذا لقيته فأقرئه منّي السلام»[١].

مولـده:

ولد عليه السلام بالمدينة في غرّة رجب سنة سبع وخمسين، وقيل: في الثالث من صفر[٢].

وفـاته:

توفّي سنة مئة وأربع عشرة من الهجرة[٣] أيّام هشام بن عبدالملك.

وقيل: كانت وفاته في السابع من ذي الحجّة[٤].

---

(١) انظر: الإرشاد ٢: ١٥٨، وإعلام الورى ١: ٥٠٥ ـ ٥٠٦، ومناقب آل أبي طالب ٤: ١٩٦، والبحار ٤٦: ٢٢٣ ـ ٢٢٨، تاريخ علي بن الحسين عليه السلام، باب مناقبه. ورويت كيفيّة لقاء جابر للإمام الباقر عليه السلام وإخباره بذلك في عدّة روايات مستفيضة المعنى وإن اختلفت في البيان، منها ما رواه الشيخ المفيد عن ميمون القدّاح عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليهما السلام، قال: «دخلت على جابر بن عبد اللّه رحمة اللّه عليه، فسلّمت عليه، فردّ عليّ السلام ثمّ قال لي: من أنت؟ ـ وذلك بعدما كفّ بصره ـ فقلت: محمّد بن عليّ بن الحسين، فقال: يا بُنيّ، ادن منّي، فدنوت منه، فقبّل يديّ، ثمّ أهوى إلى رجلي يقبّلها فتنحيّت عنه، ثمّ قال لي: إنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقرئك السلام، فقلت: وعلى رسول اللّه السلام ورحمة اللّه وبركاته، وكيف ذلك يا جابر؟ فقال: كنت معه ذات يوم، فقال لي: يا جابر، لعلّك أن تبقى حتّى تلقى رجلاً من ولدي يقال له: محمّد بن عليّ بن الحسين يهب اللّه له النور والحكمة، فأقرئه منّي السلام». الإرشاد ٢: ١٥٨.

(٢) و (٣) انظر: الإرشاد ٢: ١٥٨، وأُصول الكافي ١: ٤٦٩، والتهذيب ٦: ٧٧، كتاب المزار، الباب ٢٤، ولم يذكروا اليوم والشهر، وإعلام الورى ١: ٤٩٨، وذكر فيه اليوم والشهر.

(٤) انظر إعلام الورى ١: ٤٩٨.

ودفن عند أبيه عليّ بن الحسين ﷺ في البقيع(١).

ورووا: أنّه ﷺ مات بالسمّ(٢).

عمره الشريف:

كان له من العمر سبع وخمسون سنة، عاش أربع سنين مع جدّه الحسين ﷺ(٣)، وتسعاً وثلاثين سنة مع أبيه، وثماني عشرة سنة بعده(٤).

مدّة إمامته:

بلغت إمامته ثماني عشرة سنة، وهي المدّة التي عاشها بعد أبيه ﷺ(٥).

حكّام عصره:

عاصره من حكّام بني أميّة أيّام إمامته: الوليد بن عبد الملك، وسليمان بن عبدالملك، وعمر بن عبدالعزيز، ويزيد بن عبد الملك، وهشام بن عبد الملك، وتوفّي ﷺ في أيامه(٦).

الوضع السياسي أيّام الإمام الباقر ﷺ:

كانت الصبغة العامّة لسلطة بني مروان هي ما رسمها عبدالملك ونفّذها

---

(١) انظر: الإرشاد ٢: ١٥٨، وأصول الكافي ١: ٤٦٩، والتهذيب ٦: ٧٧، كتاب المزار، الباب ٢٤، وإعلام الورى ١: ٤٩٨.

(٢) انظر الفصول المهمّة: ٢٠٩، والصواعق: ٢٠١.

(٣) انظر تاريخ اليعقوبي ٣: ٦٣.

(٤) و (٥) انظر إعلام الورى ١: ٤٩٨.

(٦) انظر: المصدر المتقدّم: ٤٩٩، ومروج الذهب ٣: ٢١٩، حيث قال عند بيان خلافة الوليد: «وفي أيام الوليد بن يزيد كانت وفاة أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم، وقد تنوزع في ذلك: فمن النّاس من رأى أنّ وفاته كانت في أيّام هشام....».

الحجّاج بن يوسف : من القتل الذريع ، والسجن ، والتنكيل بكلّ من لم يوافق السلطة ، فقد ذكر المؤرّخون : أنّه لمّا حضرته الوفاة جمع بنيه ، وقال للوليد ابنه : « اسمع يا وليد ، قد حضر الوداع ، وذهب الخداع ، وحلّ القضاء ، فبكى الوليد ، فقال له عبدالملك : لا تعصر عينيك عليَّ كما تعصر الأمة الوكساء ، إذا أنا متّ فاغسلني وكفّني ، وصلّ عليَّ وأسلمني إلى عمر بن عبدالعزيز يدلّيني في حفرتي ، واخرج أنت إلى النّاس ، والبس لهم جلد نمر ، واقعد على المنبر ، وادع النّاس إلى بيعتك ، فمن مال بوجهه عنك كذا ، فقل له بالسيف كذا ، وتنكّر للصديق والقريب ، واسمع للبعيد ، وأوصيك بالحجّاج خيراً ، فإنّه هو الذي وطّأ لكم المنابر ، وكفاكم تقحّم تلك الجرائم ... »[١].

كانت هذه الصورة العامّة لحكومة بني مروان ، وإن اختلف الحكّام في مراتب الشدّة والضعف ؛ لاقتضاء السياسة ذلك ، فإنّ المؤرّخين قد رووا : أنّ عبدالملك كان يتبعّد دماء آل أبي طالب ؛ إذ كتب إلى الحجّاج وهو على الحجاز : « جنّبني دماء آل أبي طالب ، فإنّي رأيت آل حرب لما تهجّموا بها لم ينصروا ... »[٢].

ولكن لم يترك الحجّاج شيعة عليّ عليه السلام ، فكان يطاردهم ويتعقّبهم تحت كلّ حجر ومدر ، كما كان يفعل بهم أسلافه من عمّال بني أُميّة أمثال زياد وابنه عبيدالله .

بل كان الوليد هو المتّهم في دم الإمام السجّاد عليه السلام ، كما تقدّم ، كما أنّ هشام بن عبدالملك كان متّهماً بدم الإمام الباقر عليه السلام . وفي أيّامه استشهد زيد بن عليّ عليه السلام[٣] أخو الإمام الباقر عليه السلام بعد وفاته ، ومن بعده يحيى بن زيد أيّام الوليد بن يزيد بن عبدالملك[٤].

---

(١) الإمامة والسياسة ٢ : ٤٧.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٣ : ٤٩.

(٣) انظر مروج الذهب ٣ : ٢٠٦، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٢٩.

(٤) انظر مروج الذهب ٣ : ٢١٢، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٧١.

نعم ، كانت أيّام عمر بن عبدالعزيز أيّام رخاء ـ نسبيّاً ـ على النّاس ومنهم بني هاشم ، فإنّه كتب إلى عامله بالمدينة : «أن أقسم في ولد عليّ بن أبي طالب عشرة آلاف دينار ، فكتب إليه : إنّ عليّاً قد وُلد له في عدّة قبائل من قريش ، ففي أيّ ولده ؟ فكتب إليه ، لو كتبت إليك في شاة تذبحها لكتبت إليّ أسوداء أم بيضاء ؟ إذا أتاك كتابي هذا فأقسم في ولد عليٍّ من فاطمة رضوان اللّه عليهم عشرة آلاف دينار ، فطالما تخطّتهم حقوقهم والسلام»(١) .

وذُكر له يوماً زين العابدين عليه السلام ، فقال : «ذهب سراج الدنيا وجمال الإسلام وزين العابدين ، فقيل له : إنّ ابنه أبا جعفر محمّد بن عليّ فيه بقيّةٌ ، وكتب عمر يختبره ، فكتب إليه محمّد [الباقر عليه السلام] كتاباً يعظه ويخوّفه ، فقال عمر : أخرجوا كتابه إلى سليمان ، فأُخرج كتابه فوجدوه يقرّضه ويمدحه ، فأنفذ إلى عامل المدينة وقال له : أحضر محمّداً ، وقل له : هذا كتابك إلى سليمان تقرظه ، وهذا كتابك إليّ مع ما أظهرت من العدل والإحسان ، فأحضره عامل المدينة وعرّفه ماكتب به عمر ، فقال : إنّ سليمان كان جبّاراً ، كتبت إليه بما يكتب إلى الجبّارين ، وإنّ صاحبك أظهر أمراً وكتبت إليه بما شاكله ، وكتب عامل عمر إليه بذلك ، فقال عمر : إنّ أهل هذا البيت لا يخليهم اللّه من فضل»(٢) .

وأعطى بني هاشم الخمس وردّ فدكاً ، وكان معاوية أقطعها مروان فوهبها لابنه عبدالعزيز فورثها عمر ، فردّها على ولد فاطمة عليها السلام ، فلم تزل في أيديهم حتّى ولي يزيد بن عبدالملك فقبضها(٣) .

ولكن لم تدم حكومته ، بل كانت سنتين ونصف سنة تقريباً(٤) .

---

(١) مروج الذهب ٣: ١٨٤.

(٢) و (٣) تاريخ اليعقوبي ٣: ٤٩ ـ ٥٠.

(٤) انظر مروج الذهب ٣: ١٨٢.

الحركة العلميّة في عصره ودوره الفعّال فيها :

كانت للإمام الباقر عليه السلام كأبيه وأجداده فضائل كثيرة ، فكان المشار إليه في العلم والعبادة(١) والتقوى والتواضع والحلم ، وغير ذلك من الصفات الحميدة ، ونقتصر فيما يأتي على إشارة إجمالية إلى الجانب العلمي ؛ لأنّ الحركة العلميّة اشتدّت في زمانه ، وكان له الدوّر الكبير والفعّال فيها .

قال المفيد : « لم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين عليهما السلام من علم الدين والآثار والسنّة وعلم القرآن والسيرة وفنون الآداب ما ظهر عن أبي جعفر عليه السلام ، وروى عنه معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين ، ورؤساء فقهاء المسلمين ، وصار بالفضل به علماً لأهله تضرب به الأمثال ، وتسير بوصفه الآثار والأشعار ... »(٢) .

وقال أيضاً : « وقد روى أبو جعفر عليه السلام أخبار المبتدأ وأخبار الأنبياء ، وكتب عنه

---

(١) روى الكليني بإسناده عن إسحاق بن عمّار ، قال : « قال لي أبو عبدالله عليه السلام : إنّي كنت أمهّد لأبي فراشه فأنتظره حتّى يأتي ، فإذا آوى إلى فراشه ونام قمت إلى فراشي ، وانّه أبطأ عليّ ذات ليلة ، فأتيت المسجد في طلبه وذلك بعد ما هدأ النّاس ، فإذا هو في المسجد ساجد ، وليس في المسجد غيره ، فسمعت حنينه وهو يقول : سبحانك اللّهمّ أنت ربّي حقّاً حقّاً ، سجدت لك يا ربّ تعبّداً ورقّاً ، اللّهمّ إنّ عملي ضعيف فضاعفه لي ، اللّهمّ قني عذابك يوم تبعث عبادك ، وتب عليّ إنّك أنت التوّاب الرحيم » الكافي ٣ : ٣٢٣ ، كتاب الصلاة ، باب السجود ، الحديث ٩ .

وروي عن أبي عبدالله عليه السلام أيضاً ، قال : « كان أبي عليه السلام كثير الذّكر ، لقد كنت أمشي معه وإنّه ليذكر اللّه ، وآكل معه الطعام وإنّه ليذكر اللّه ، ولقد كان يحدّث القوم وما يشغله ذلك عن ذكر الله ، وكنت أرى لسانه لازقاً بحنكه يقول : لا إله إلّا اللّه ، وكان يجمعنا فيأمرنا بالذّكر حتّى تطلع الشمس ، ويأمر بالقرائة من كان يقرأ منّا ، ومن كان لا يقرأ منّا أمره بالذّكر » . الكافي ٢ : ٤٩٨ ، كتاب الدعاء ، باب ذكر اللّه ، الحديث الأوّل .

(٢) الإرشاد ٢ : ١٥٨ .

الناس المغازي وأثروا عنه السُّنن ، واعتمدوا عليه في مناسك الحجّ التي رواها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وكتبوا عنه تفسير القرآن ، وروت عنه الخاصّة والعامّة الأخبار ، وناظر من كان يرد عليه من أهل الآراء ، وحفظ عنه الناس كثيراً من علم الكلام »[1].

وروى المفيد أيضاً بإسناده عن عبدالله بن عطاء المكّي ، قال : « ما رأيت العلماء عند أحد قطّ أصغر منهم عند أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين عليه السلام ، ولقد رأيت الحكم بن عتبة ـ مع جلالته في القوم ـ بين يديه ، كأنّه صبيٌّ بين يدي معلّمه »[2].

ورواه أبو نعيم أيضاً[3].

كما روى ـ على ما نقل عنه ـ : أنّه سأل رجل ابن عمر عن مسألة ، فلم يدرِ بما يجيبه ، فقال : اذهب إلى ذلك الغلام فسله وأعلمني بما يجيبك ، وأشار به إلى محمّد بن عليّ الباقر ، فأتاه فسأله ، فأجابه ، فرجع إلى ابن عمر فأخبره ، فقال ابن عمر : إنّهم أهل بيت مفهّمون »[4].

وقال ابن حجر الهيثمي : « أبو جعفر محمّد الباقر ، سمّي بذلك : من بقر الأرض ، أي شقّها وأثار مخبآتها ومكانها ، فلذلك هو أظهر من مخبّآت كنوز المعارف وحقائق الأحكام والحِكَم واللطائف ما لا يخفى إلّا على منطمس البصيرة أو فاسد الطوية والسريرة ، ومن ثمّ قيل فيه : هو باقر العلم وجامعه وشاهر علمه ورافعه . صفا قلبه ، وزكا علمه وعمله ، وطهرت نفسه ، وشرف خلقه ، وعمرت أوقاته بطاعة الله ،

---

(١) الإرشاد ٢ : ١٦٣ .

(٢) الإرشاد ٢ : ١٦٠ .

(٣) حلية الأولياء ٣ : ١٨٦ ، وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢٣ : ٧٩ .

(٤) نقله عنه ابن شهرآشوب في مناقب آل أبي طالب ٤ : ١٩٧ ، ثمّ نقله عنه المجلسي في البحار ٤٦ : ٢٨٩ ، تاريخ الإمام الباقر عليه السلام ، الباب ١٧ ، الحديث ١٢ ، ولم أعثر عليه في حلية الأولياء (طبعة دار الكتاب) الموجودة عندي .

ثمّ إنّ ابن عمر توفّي سنة ٧٣هـ ، وكان عمر الإمام عليه السلام عندئذٍ ما يقارب ١٧ سنة .

وله من الرسوم في مقامات العارفين ما تكلّ عنه ألسنة الواصفين ، وله كلمات كثيرة في السلوك والمعارف... »[1].

والكلمات من هذا القبيل فيه كثيرة لا يسمح المجال لذكرها[2]، كما أنّ المطّلع على تاريخ حياته غنيّ عنها.

ولم يقتصر علمه عليه السلام بالفقه والكلام والتفسير ونحوها ، بل كان عليه السلام يخبر عمّا سيحدث أيضاً[3].

احتجاجات الإمام الباقر عليه السلام ومناظراته :

كانت للإمام الباقر عليه السلام احتجاجات كثيرة على حملة الأفكار والعقائد المختلفة ،



(١) الصواعق : ٢٠١.

(٢) انظر الإمام الصادق والمذاهب الأربعة (٣ ـ ٤) : ٤٣٤ ـ ٤٤٠.

(٣) روى الكليني بإسناده عن أبي بصير ، قال: «كنت جالساً في المسجد إذ أقبل داود بن عليّ ، وسليمان بن خالد ، وأبو جعفر عبدالله بن محمّد أبو الدوانيق ، فقعدوا ناحية من المسجد ، فقيل لهم: هذا محمّد بن عليّ جالس ، فقام إليه داود بن عليّ [وهو داود بن عليّ بن عبدالله بن عبّاس]، وسليمان بن خالد ، وقعد أبو الدوانيق مكانه حتّى سلّموا على أبي جعفر عليه السلام ، فقال لهم أبو جعفر عليه السلام : ما منع جبّاركم من أن يأتيني؟ فعذروه عنده ، فقال عند ذلك أبو جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام : أما والله لا تذهب الليالي والأيّام حتّى يملك ما بين قطريها ، ثمّ ليطأن الرجال عقبه ، ثمّ لتذلنّ له رقاب الرجال ، ثمّ ليملكن ملكاً شديداً ، فقال له داود بن عليّ : وإن ملكنا قبل ملككم؟ قال: نعم يا داود ، إنّ ملككم قبل ملكنا ، وسلطانكم قبل سلطاننا» ، والرواية مطوّلة ، وفيها:

«ثمّ انطلق سليمان بن خالد فأخبر أبا الدوانيق ، فجاء أبو الدوانيق إلى أبي جعفر عليه السلام ، فسلّم عليه ثمّ أخبره بما قال له داود بن عليّ وسليمان بن خالد ، فقال له : نعم...». الكافي (الروضة) ٨: ٢١٠ ، الحديث رقم ٢٥٦ ، وروي مختصرها في كشف الغمّة ٢: ١٤٢.

وورد مثل هذا الإخبار عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً. انظر الإرشاد ٢: ١٩٠.

نشير إلى نماذج منها:

١ ـ احتجاجه على عبد الله بن نافع بن الأزرق(١):

له احتجاج على عبد الله بن نافع بمحضر من كبار أبناء المهاجرين والأنصار في قضيّة التحكيم في أمر الخوارج، وقد أمر الإمام عليه السلام أن يذكر الحاضرون فضائل عليّ عليه السلام فكان عبد الله يعترف بها، لكنّه كان يقول: إنّ عليّاً أحدث الكفر بعد ذلك، إلى أن ذكروا حديث: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله...» فقال أبو جعفر عليه السلام: «ما تقول في هذا الحديث؟ فقال: هو حقّ لا شكّ فيه، ولكن أحدث الكفر بعد.

فقال أبو جعفر عليه السلام: أخبرني عن الله جلّ ذكره أحبّ عليّ بن أبي طالب يوم أحبّه وهو يعلم أنّه يقتل أهل النهروان، أم لم يعلم؟ إن قلت: لا، كفرت، فقال: قد علم، قال: فأحبّه الله على أن يعمل بطاعته أو على أن يعمل بمعصيته؟ فقال: على أن يعمل بطاعته، فقال له أبو جعفر عليه السلام: فقم مخصوماً، فقام وهو يقول: حتّى يتبيّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، الله أعلم حيث يجعل رسالته»(٢).

---

(١) كان نافع بن الأزرق من رؤساء الخوارج انفرد عنهم، وأسّس فرقة الأزارقة، وهم قائلون بتكفير غيرهم، أقام هو وجماعته بالأهواز، وأباح قتل النساء والأطفال ونهب الأموال من سائر المسلمين، فقاتله أهل البصرة أيام عبد الله بن الزبير، فقتل هو في المعركة. انظر شرح النهج ٤: ١٣٦ ـ ١٤٠.

والظاهر أنّ عبد الله هذا هو ابنه. وذكر المفيد في الإرشاد محاورة بين الإمام الباقر عليه السلام وبين نافع هذا، ولكن تشكل ملاءمة الخبر تاريخياً مع زمان إمامة الإمام عليه السلام. انظر الإرشاد ٢: ١٦٤، ونسب الكليني إلى نافع مولى عبد الله بن عمر محاورة شبيهة بهذه المحاورة. انظر الكافي (الروضة) ٨: ١٢٠، الحديث ٩٣.

(٢) الكافي (الروضة) ٨: ٣٤٩ ـ ٣٥١، الحديث ٥٤٨.

٢ ـ احتجاجه على قتادة[١]:

روى الكليني عن أبي حمزة الثمالي، قال: «كنت جالساً في مسجد الرسول ﷺ إذ أقبل رجل فسلّم، فقال: من أنت يا عبد اللّه؟ قلت: رجل من أهل الكوفة، فقلت: ما حاجتك؟ فقال لي: أتعرف أبا جعفر محمّد بن عليّ ﷺ؟ فقلت: نعم، فما حاجتك إليه؟ قال: هيّأت له أربعين مسألة أسأله عنها، فما كان من حقّ أخذته، وما كان من باطل تركته، قال أبو حمزة: فقلت له: هل تعرف ما بين الحقّ والباطل؟ قال: نعم، فقلت له: فما حاجتك إليه إذا كنت تعرف ما بين الحقّ والباطل؟ فقال لي: يا أهل الكوفة، أنتم قومٌ ما تطاقون، إذا رأيت أبا جعفر [ﷺ] فأخبرني، فما انقطع كلامي معه حتّى أقبل أبو جعفر ﷺ وحوله أهل خراسان وغيرهم، يسألونه عن مناسك الحجّ، فمضى حتّى جلس مجلسه وجلس الرجل قريباً منه.

قال أبو حمزة: فجلست حيث أسمع الكلام وحوله عالَم من الناس، فلمّا قضى حوائجهم وانصرفوا التفت إلى الرجل، فقال له: من أنت؟ قال: أنا قتادة بن دعامة البصري، فقال له أبو جعفر ﷺ: أنت فقيه أهل البصرة؟ قال: نعم، فقال له أبو جعفر ﷺ: ويحك يا قتادة! إنّ اللّه جلّ وعزّ خلق خلقاً من خلقه فجعلهم حججاً على خلقه، فهم أوتاد في أرضه، وقوّام بأمره، نجباء في علمه، اصطفاهم قبل خلقه أظلّة عن يمين عرشه، قال: فسكت قتادة طويلاً، ثمّ قال: أصلحك اللّه، واللّه لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدّام ابن عبّاس، فما اضطرب قلبي قدّام واحد منهم

---

(١) هو قتادة بن دعامة السدوسي البصري الأكمه، كان تابعياً من علماء البصرة، وكان يمشي بدون قائد، فدخل المسجد فإذا بعمرو بن عبيد ونفر معه قد اعتزلوا حلقة الحسن البصري وحلقوا وارتفعت أصواتهم، فأمّهم، وهو يظنّ أنّها حلقة الحسن، فلمّا صار معهم عرف أنّها ليست هي، فقال: إنّما هؤلاء المعتزلة، ثمّ قام عنهم، فمذ يومئذٍ سمّوا المعتزلة.

توفّي سنة مئة وسبع عشرة.

انظر وفيات الأعيان ٤: ٨٥، الترجمة ٥٤١.

ما اضطرب قدّامك !

قال له أبو جعفر ﷺ : ويحك ! أتدري أين أنت ؟ أنت بين يدي ﴿ بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ﴾ ، فأنت ثمّ ونحن أولئك .

فقال له قتادة : صدقت والله ، جعلني الله فداك ، والله ما هي بيوت حجارة ولا طين .

قال قتادة : فأخبرني عن الجبن ؟ !

قال : فتبسّم أبو جعفر ﷺ ثمّ قال : رجعت مسائلك إلى هذا ؟

قال : ضلّت عليّ !

فقال : لا بأس به .



فقال : إنّه ربّما جعلت فيه إنفحة الميّت .

قال : ليس بها بأس ، إنّ الإنفحة ليس لها عروق ولا فيها دم ، ولا لها عظم ، إنّما تخرج من بين فرث ودم ، ثمّ قال : وإنّما الإنفحة بمنزلة دجاجة ميتة أخرجت منها بيضة ، فهل تؤكل تلك البيضة ؟

فقال قتادة : لا ولا آمر بأكلها .

فقال له أبو جعفر ﷺ : ولِمَ ؟

فقال : لأنّها من الميتة .

قال له : فإن حضنت تلك البيضة فخرجت منها دجاجة أتأكلها ؟

قال : نعم .

قال : فما حرّم عليك البيضة وحلّل لك الدجاجة ؟ !

ثمّ قال ﷺ : فكذلك الإنفحة مثل البيضة ، فاشتر الجبن من أسواق المسلمين من أيدي المصلّين ولا تسأل عنه إلّا أن يأتيك من يخبرك عنه »[1].

---

(١) الكافي ٦ : ٢٥٦ ـ ٢٥٧ .

والمستفاد من كلام الإمام عليه السلام في مسألة البيضة والجبن : أمران :

الأوّل ـ استثناء البيضة والإنفحة من حرمة أكل الميتة ، وقد صرّح الفقهاء بذلك[١].

الثاني ـ أنّ سوق المسلمين أمارة على كون الذي يباع فيها حلال وطاهر ، وعلى ذلك تكون سوق المسلمين من جملة الأمارات .

وللإمام عليه السلام احتجاج آخر مع قتادة في موضوع تفسير القرآن الكريم[٢] .

٣ ـ احتجاجه على عمرو بن عبيد[٣] :

قال المفيد : « وروى العلماء : أنّ عمرو بن عبيد وفد على محمّد بن عليّ بن الحسين عليهما السلام ليمتحنه بالسؤال ـ إلى أن قال : ـ فقال له : خبّرني ـ جعلت فداك ـ عن قوله جلّ ذكره : ﴿ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴾[٤] ، ما غضب الله ؟

فقال أبو جعفر عليه السلام : غضب الله عقابه يا عمرو ، ومن ظنّ أنّ الله يغيّره شيء فقد كفر »[٥] .

٤ ـ احتجاجه على عبد الله بن معمّر الليثي[٦] :

ورووا : « أنّ عبد الله بن معمّر الليثي قال لأبي جعفر عليه السلام : بلغني أنّك تقول في

---

(١) انظر العروة الوثقى ١ : ١٢٢ ، كتاب الطهارة ، الأعيان النجسة ، الرابع : الميتة ، وانظر سائر الكتب الفقهيّة في البحث المتقدّم وفي بحث الأطعمة والأشربة .

(٢) انظر الكافي (الروضة) ٨ : ٣١١ .

(٣) عمرو بن عبيد شيخ المعتزلة في وقته ، كان جدّه « باب » من سبي كابل ، وكان أبوه « عبيد بن باب » يخلف أصحاب الشُرط بالبصرة . توفّي سنة مئة وأربع وأربعين ، وقد تقدّم في ترجمة قتادة ما يناسب المقام . انظر وفيات الأعيان ٣ : ٤٦٠ ، الترجمة ٥٠٣ .

(٤) طه : ٨١ .

(٥) الإرشاد ٢ : ١٦٥ .

(٦) لم أعثر على ترجمته فعلاً .

المتعة ؟ فقال : أحلّها اللّه في كتابه ، وسنّها رسول اللّه صلى الله عليه وآله ، وعمل بها أصحابه ، فقال عبد اللّه : فقد نهى عنها عمر ! قال : فأنت على قول صاحبك ، وأنا على قول رسول اللّه صلى الله عليه وآله ، قال عبد اللّه : فيسُرُّك أنّ نساءك فعلن ذلك ؟ قال أبو جعفر عليه السلام : وما ذكر النساء هاهنا يا أنوك[1] ؟ ! إنّ الذي أحلّها في كتابه وأباحها لعباده أغير منك وممّن نهى عنها تكلّفاً ، بل يسرُّك أنّ بعض حرمك تحت حائك من حاكة يثرب نكاحاً ، قال : لا ، قال : فلِمَ تحرّم ما أحلّ اللّه ؟ قال : لا أحرّم ، ولكنّ الحائك ما هو لي بكفو ، قال : فإنّ اللّه ارتضى عمله ورغّب فيه وزوّجه حوراً ، أفترغب عمّن رغب اللّه فيه ، وتستنكف ممّن هو كفو لحور الجنان كِبراً وعُتوّاً ؟ فضحك عبد اللّه وقال : ما أحسب صدوركم إلّا منابت أشجار العلم ، فصار لكم ثمره ، وللناس ورقه »[2].

٥ ـ احتجاجه على محمّد بن المنكدر[3] :

روى الكليني بإسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام ، قال : « إنّ محمّد بن المنكدر كان يقول : ما كنت أرى أنّ عليّ بن الحسين عليه السلام يدع خلفاً أفضل منه حتّى رأيت ابنه محمّد بن عليّ عليه السلام ، فأردت أن أعظه فوعظني ، فقال له أصحابه : بأيّ شيء وعظك ؟ قال : خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارّة ، فلقيني أبو جعفر محمّد بن عليّ ، وكان رجلاً بادناً ثقيلاً ، وهو متكئ على غلامين أسودين ، أو موليين ، فقلت في نفسي : سبحان اللّه ! شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة ، على هذه الحال في طلب الدنيا ! أما لأعظنّه ، فدنوت منه ، فسلّمت عليه ، فردّ عليّ

---

(١) الأنوك : الأحمق . المعجم الوسيط : « نوك » .

(٢) البحار ٤٦ : ٣٥٦ ، تاريخ الإمام الباقر عليه السلام ، الباب ٢٠ ، باب مناظراته ، الحديث ١٠ .

(٣) عدّه الكشّي من جملة رجال العامّة الذين كان لهم ميل ومحبّة شديدة لأهل البيت عليهم السلام . انظر رجال الكشّي : ٣٩٠ ، الرقم ٧٣٣ ، وقال عنه العجلي من العامّة : « مدني ، تابعي ، ثقة ، رجل صالح » . معرفة الثقات ٢ : ٢٥٥ ، الترجمة ١٦٥١ .

السلام بنهر وهو يتصابّ عرقاً ، فقلت : أصلحك اللّه ، شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة ، على هذه الحال في طلب الدنيا ؟! أرأيت لو جاء أجلك وأنت على هذه الحال ما كنت تصنع ؟! فقال : لو جاءني الموت وأنا على هذه الحال جاءني وأنا في طاعة اللّه عزّ وجلّ ، أكفّ بها نفسي وعيالي عنك وعن الناس ، وإنّما كنت أخاف لو جاءني الموت وأنا على معصية من معاصي اللّه ، فقلت : صدقت يرحمك اللّه ، أردت أن أعظك فوعظتني »[1].

كانت هذه نماذج من احتجاجاته ، وله احتجاجات عديدة أُخرى ذكرت في كتب الحديث والسيرة ، مثل احتجاجه على هشام بن عبد الملك ، وطاووس اليماني ، وأبي حنيفة ، وغيرهم من حملة الأفكار والآراء المختلفة[2].



الراوون عن الإمام الباقر عليه السلام :

وأمّا الذين رووا عنه فهم كثيرون يُعدّ أغلبهم علماء بارزين من الشيعة والسنّة ، وقد ذكرت أسماؤهم في كتب الرجال .

فمّمن روى عنه من أهل السنّة :

عمرو بن دينار ، وعبد الرحمن بن عمر الأوزاعي ، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي ، وقرّة بن خالد السدوسي البصري ، ومحمّد بن المنكدر ، ويحيى بن كثير الطائي ، والزهري ، وربيعة الرأي ، وسليمان بن مهران الأسدي الأعمش ، وعبد اللّه بن أبي بكر بن عمر بن حزم الأنصاري ، وموسى بن سالم ، وموسى الحنّاط ، والقاسم بن الفضل ، والقاسم بن محمّد بن أبي بكر التميمي ـ أحد الفقهاء السبعة ـ

---

(١) الكافي ٥ : ٧٣ ـ ٧٤ ، باب الاقتداء بالأئمّة عليهم السلام في طلب الرزق ، الحديث الأوّل .

(٢) انظر البحار ٤٦ : ٣٤٧ ـ ٣٥٩ ، تاريخ الإمام الباقر عليه السلام ، باب مناظراته ، وذكرت مناظراته مبثوثة في كتب التوحيد وما يرتبط بالعقيدة ، وفي مواضع الخلاف في كتب الفقه .

ومحمّد بن سوقة ، وحجّاج بن أرطاة ، ومعروف بن خرّبوذ الكوفي ، وأبو حنيفة ، وأسلم المنقري ، ومحمّد بن إسحاق بن يسار المطّلبي صاحب المغازي ، وعبد الله بن عطاء المدني ، وغيرهم[1].

وأمّا من روى عنه من الشيعة ، فقد عدّ الشيخ الطوسي من رجاله وأصحابه ما يقارب الخمسمئة ، من أبرزهم :

١ ـ أبان بن تغلب :

أبان بن تغلب الكوفي ، المتوفّى سنة ١٤١[2].

قال عنه النجاشي : « ... عظيم المنزلة في أصحابنا ، لقي عليّ بن الحسين ، وأبا جعفر ، وأبا عبد الله عليهم السلام ، روى عنهم ، وكانت له عندهم منزلة ، وقدم ...

وقال له أبو جعفر عليه السلام : " اجلس في مسجد المدينة وأفت الناس ، فإنّي أحبّ أن يرى في شيعتي مثلك " .

وقال أبو عبد الله عليه السلام لمّا أتاه نعيه : " أما والله لقد أوجع قلبي موت أبان " .

وكان قارئاً من وجوه القرّاء ، فقيهاً ، لغوياً ، سمع من العرب ، وحكى عنهم »[3].

خرّج حديثه مسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وأبو داود ، وابن ماجه . وثّقه أحمد ، وابن معين ، والنسائي ، وأبو حاتم[4].

---

(١) انظر الإمام الصادق والمذاهب الأربعة (١ ـ ٢) : ٤٤٠ ـ ٤٤٥ ، نقلاً عن تهذيب التهذيب ، والتقريب ، وتذكرة الحفّاظ ، والجرح والتعديل ، وغيرها من كتب الرجال ، ولا يسع المجال نقلاً لترجمة هؤلاء .

(٢) و (٣) انظر رجال النجاشي : ١٠ ـ ١٣ ، الترجمة ٧ .

(٤) انظر الإمام الصادق والمذاهب الأربعة (١ ـ ٢) : ٤٤٦ ، نقلاً عن تهذيب التهذيب ، ولسان الميزان ، وميزان الاعتدال ، وغيرها من كتب التراجم .

٢ ـ بريد العجلي :

بريد بن معاوية العجلي المتوفّى سنة ١٥٠هـ[١].

قال عنه النجاشي : « وجه من وجوه أصحابنا ، وفقيه أيضاً ، له محلّ عند الأئمّة »[٢].

وروى الكشّي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه كان يقول : « أحبّ الناس إليّ أحياءً وأمواتاً أربعة : بريد بن معاوية العجلي ، وزرارة ، ومحمّد بن مسلم ، والأحول ... »[٣].

وهو من الفقهاء الستّة ، وممّن أجمعت العصابة على تصديقهم[٤].

٣ ـ جابر الجعفي :

جابر بن يزيد الجعفي ، المتوفّى سنة ١٢٨هـ[٥].

روى عنه شعبة ، والثوري ، وإسرائيل ، والحسن بن حيّ وشريك ، وغيرهم .

وخرّج حديثه أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه[٦].

٤ ـ محمّد بن مسلم :

محمّد بن مسلم بن رياح الكوفي الثقفي المتوفّى سنة ١٥٠هـ[٧].

قال عنه النجاشي : « ...وجه أصحابنا بالكوفة ، فقيه ، ورع ، صحب أبا جعفر وأبا عبد الله عليهما السلام ، وروى عنهما ، وكان من أوثق الناس ، له كتاب يسمّى الأربعمئة

---

(١) و (٢) انظر رجال النجاشي : ١١٢ ، الترجمة ٢٨٧.

(٣) اختيار معرفة الرجال : ١٣٥ ، الرقم ٢١٥.

(٤) انظر المصدر المتقدّم : ٢٣٨ ، الرقم ٤٣١.

(٥) انظر رجال النجاشي : ١٢٨ ، الترجمة ٣٣٢.

(٦) انظر الإمام الصادق والمذاهب الأربعة (١ ـ ٢) : ٤٤٦ ـ ٤٤٧.

(٧) رجال النجاشي : ٣٢٣ ـ ٣٢٤ ، الترجمة ٨٨٢.

مسألة في أبواب الحلال والحرام »[١].

وهو ممّن أجمعت العصابة على تصديقهم[٢]، وهو القائل: « ما شجر في رأيي شيء قطّ إلّا سألت عنه أبا جعفر عليه السلام، حتّى سألته عن ثلاثين ألف حديث، وسألت أبا عبد الله عن ستّة عشر ألف حديث »[٣].

أقام بالمدينة أربع سنين يأخذ العلم عن الباقر عليه السلام[٤].

كان فقهاء الكوفة وقضاتها إذا عجزوا عن جواب مسألة أرسلوا إليه من يسأله عنها، فمن ذلك:

ـ ما رواه الكليني: من أنّه قدّم رجل إلى ابن أبي ليلى خصماً له، فقال: « إنّ هذا باعني هذه الجارية، فلم أجد على ركبها[٥] ـ حين كشفتها ـ شعراً، وزعمت أنّه لم يكن لها قطّ، فقال ابن أبي ليلى: إنّ الناس ليحتالون لهذا بالحيل حتّى يذهبوا به، فما الذي كرهت؟! قال: أيها القاضي، إن كان عيباً فاقض لي به، قال: حتى أخرج إليك، فإنّي أجد أذى في بطني، ثمّ دخل وخرج من باب آخر، فأتى محمّد بن مسلم الثقفي، فقال له: أيّ شيء تروون عن أبي جعفر في المرأة لا يكون على ركبها شعر، أيكون ذلك عيباً؟ فقال له محمّد بن مسلم: أما هذا نصّاً فلا أعرفه، ولكن حدّثني أبو جعفر، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: "كلّ ما كان في أصل الخلقة فزاد أو نقص فهو عيبٌ" فقال له ابن أبي ليلى: حسبك، ثمّ رجع إلى القوم فقضى لهم بالعيب »[٦].

---

(١) رجال النجاشي: ٣٢٣ ـ ٣٢٤، الترجمة ٨٨٢.

(٢) انظر اختيار معرفة الرجال: ٢٣٨، الرقم ٤٣١.

(٣) انظر المصدر المتقدّم: ١٦٣، الرقم ٢٧٦.

(٤) انظر اختيار معرفة الرجال: ١٦٧، الرقم ٢٨٠.

(٥) الرَّكَب: العانة، وقيل: مَنبتها. لسان العرب: « ركب ».

(٦) الكافي ٥: ٢١٥، باب من يشتري الرقيق فيظهر به عيب، الحديث ١٢، ورواه عنه ←

ـ ما رواه الكشّي بإسناده إلى محمّد بن مسلم، قال: «إنّي لنائم ذات ليلة على السطح إذ طرق الباب طارق، فقلت: من هذا؟ فقال: شريك، رحمك الله. فأشرفت فإذا امرأة فقالت: لي بنتٌ عروسٌ ضربها الطَّلْق، فما زالت تطلق حتّى ماتت والولد يتحرّك في بطنها ويذهب ويجيء، فما أصنع؟

فقلت: يا أمة الله، سُئل محمّد بن عليّ بن الحسين الباقر عليه السلام عن مثل ذلك، فقال: يشقّ بطن الميّت ويستخرج الولد، يا أمة الله، افعلي مثل ذلك، أنا يا أمة الله رجل في ستر، مَن وجّهك إليّ؟! قالت لي: رحمك الله، جئت إلى أبي حنيفة صاحب الرأي، فقال: ما عندي في هذا شيء، ولكن عليكِ بمحمّد بن مسلم الثقفي، فإنّه يخبر، فما أفتاك به من شيء فعودي إليّ فأعلمينيه، فقلت لها: امض بسلام. فلمّا كان الغد خرجت إلى المسجد وأبو حنيفة يسأل عنها أصحابه، فتنحنحت، فقال: اللهمّ غفراً، دعنا نعيش»[1].

٥ ـ زرارة بن أعين:

زرارة بن أعين بن سُنْسُن، قال عنه النجاشي: «شيخ أصحابنا في زمانه ومتقدّمهم، وكان قارئاً، فقيهاً، متكلّماً، شاعراً، أديباً، قد اجتمعت فيه خلال الفضل والدين، صادقاً فيما يرويه...»[2].

ومات سنة مئة وخمسين[3].

قال عنه الإمام الصادق عليه السلام: «لولا زرارة لظننت أنّ أحاديث أبي عليه السلام ستذهب»[4].

ــ الحرّ العاملي في الوسائل ١٨: ٩٧، الباب الأوّل من أبواب أحكام العيوب، وفيه حديث واحد، واستشهد به الفقهاء في بيان حقيقة العيب.

(١) اختيار معرفة الرجال: ١٦٢ ـ ١٦٣، الرقم ٢٧٥.

(٢) و (٣) رجال النجاشي: ١٧٥، الترجمة ٤٦٣.

(٤) اختيار معرفة الرجال: ١٣٣، الرقم ٢١٠.

وكان هو ومحمّد بن مسلم وبريد العجلي والأحول أحبّ الناس إلى أبي عبد الله عليه السلام (١).

وكانوا أمناء أبي جعفر عليه السلام على حلال الله وحرامه ، وهم السابقون إليهم عليهم السلام في الدنيا والآخرة (٢).

وقال ابن أبي عمير لجميل بن درّاج : « ما أحسن محضرك وأزين مجلسك ! فقال : إي والله ماكنّا حول زرارة بن أعين إلّا بمنزلة الصبيان في الكتّاب حول المعلّم » (٣).

وكان إخوته : بكير ، وحمران ، وعبد الملك ، من أكابر أصحاب أبي جعفر الباقر وابنه جعفر الصادق عليهما السلام (٤).



من وصاياه لشيعته :

عن جابر ، قال : « دخلنا على أبي جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام ونحن جماعة بعدما قضينا نسكنا ، فودّعنا ، وقلنا له : أوصنا يابن رسول الله ، فقال : ليعن قويّكم ضعيفكم ، وليعطف غنيّكم على فقيركم ، وينصح الرجل أخاه كنصحه لنفسه ، واكتموا أسرارنا (٥) ، ولا تحملوا النّاس على أعناقنا ، وانظروا أمرنا ، وما جاءكم عنّا ، فإن وجدتموه للقرآن موافقاً فخذوا به ، وإن لم تجدوه موافقاً فردّوه ، وإن اشتبه الأمر عليكم فقفوا عنده ، وردّوه إلينا حتّى نشرح لكم من ذلك ما شرح لنا .

فإذا كنتم كما أوصيناكم لم تعدوا إلى غيره ، فمات منكم ميّت قبل أن يخرج

(١) انظر اختيار معرفة الرجال : ١٣٥ ، الرقم ٢١٥ .

(٢) انظر المصدر المتقدّم : ١٣٦ ، الرقم ٢١٩ .

(٣) المصدر المتقدّم : ١٣٤ ، الرقم ٢١٣ .

(٤) انظر ترجمة زرارة في معجم رجال الحديث ٧ : ٢١٨ ـ ٢٥٧ ، وترجمة حمران في ٦ : ٢٥٥ ـ ٢٦٢ ، وعبد الملك في ١١ : ١٤ ـ ١٧ ، وبكير في ٣ : ٣٥٩ .

(٥) المقصود من الأسرار هو العلوم التي لا تتحمّلها العامّة ، فإذا سمعتها كذّبتها .

قائمنا كان شهيداً ، وإن أدرك قائمنا فقتل معه كان له أجر شهيدين ، ومن قتل بين يديه عدوّاً لنا كان له أجر عشرين شهيداً.

إنّ اللّه خبّأ ثلاثة في ثلاثة : خبّأ رضاه في طاعته ، فلا تحقرنّ من الطاعة شيئاً ، فلعلّ رضاه فيه ، وخبّأ سخطه في معصيته فلا تحقرنّ من المعصية شيئاً ، فلعلّ سخطه فيه ، وخبّأ أولياءه في خلقه ، فلا تحقّرنّ أحداً فلعلّه الولي »[1].



(١) الأمالي (الشيخ الطوسي) : ٢٣٢ ، المجلس التاسع ، الحديث ٢.

سادساً ـ الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام

اسمه ونسبه :

هو جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام .

وأمّه : أمّ فروة بنت القاسم بن محمّد بن أبي بكر[1] .

كنيته ولقبه :



كنيته : أبو جعفر ، وأشهر ألقابه : الصادق[2] .

مولــده :

ولد بالمدينة في السابع عشر من ربيع الأوّل سنة ثلاث وثمانين[3] ، أيام عبد الملك بن مروان .

---

(١) روى الكليني بإسناده عن إسحاق بن جرير ، قال : «قال أبو عبدالله عليه السلام : كانت أمّي ممّن آمنت واتّقت وأحسنت والله يحبّ المحسنين ...» . أصول الكافي ١ : ٤٧٢ ، باب مولد أبي عبدالله عليه السلام الحديث الأوّل ، وانظر الإرشاد ٢ : ١٨٠ ، وغيرهما .

(٢) انظر البحار ٤٧ : ٨ ـ ١٠ ، تاريخ الإمام الصادق عليه السلام ، باب أسمائه وألقابه .

وورد في المصدر نفسه عن علل الشرائع تعليل تلقيبه بالصادق وهو : التفرقة بينه وبين من يدّعي الإمامة من أحفاده كذباً ، وهو جعفر المعروف بالكذّاب ، وهذا من بديع علوم الأئمّة عليهم السلام ، الذي تلقّوه من جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله .

(٣) انظر : أصول الكافي ١ : ٤٧٢ ، والإرشاد ٢ : ١٧٩ ، والتهذيب ٦ : ٧٨ ، كتاب المزار ، الباب ٢٥ ، ولم يذكروا الشهر ولا اليوم ، نعم ذكرهما الشهيد الأوّل في الدروس ٢ : ١٢ .

وفـــاته:

توفّي بالمدينة في الخامس والعشرين من شوّال سنة مئة وثمان وأربعين[(١)].

ودفن بالبقيع مع أبيه وجدّه وعمّه الحسن عليه السلام[(٢)].

قال المسعودي: «ولعشر سنين خلت من خلافة المنصور توفّي أبو عبد اللّه جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنهم سنة ثمان وأربعين ومئة، ودفن بالبقيع مع أبيه وجدّه، وله خمس وستّون سنة، وقيل: إنّه سُمّ»[(٣)].

وروى الكليني ـ وغيره ـ عن أبي أيّوب النحوي، قال: «بعث إليّ أبو جعفر المنصور في جوف الليل، فأتيته فدخلت عليه وهو جالس على كرسيّ وبين يديه شمعة وفي يده كتاب، قال: فلمّا سلّمت عليه رمى بالكتاب إليّ وهو يبكي، فقال لي: هذا كتاب محمّد بن سليمان يخبرنا أنّ جعفر بن محمّد قد مات، فإنّا للّه وإنّا إليه راجعون ـ ثلاثاً ـ وأين مثل جعفر؟ ثمّ قال: اكتب، قال: فكتبت صدر الكتاب، ثمّ قال: "اكتب إن كان أوصى إلى رجل واحد بعينه فقدّمه واضرب عنقه"، قال: فرجع إليه الجواب: "أنّه قد أوصى إلى خمسة واحدهم أبو جعفر المنصور، ومحمّد بن سليمان، وعبد اللّه، وموسى، وحميدة"»[(٤)].

---

(١) انظر أصول الكافي ١: ٤٧٢، باب مولد أبي عبد اللّه عليه السلام.

(٢) انظر المصدر المتقدّم وغيره.

(٣) مروج الذهب ٣: ٢٨٥، وانظر الفصول المهمّة: ٢١٩، والصواعق المحرقة: ٢٠١، ومناقب آل أبي طالب ٤: ٢٨٠.

(٤) أصول الكافي ١: ٣١٠، باب الإشارة والنصّ على أبي الحسن موسى عليه السلام. ومحمّد بن سليمان كان الوالي على المدينة من قِبل المنصور، وعبد اللّه هو الابن الأكبر للإمام والمعروف بالأفطح، وحميدة زوجة الإمام عليه السلام.

وهذا من علم الإمام عليه السلام وفطنته بما كان يجري في زمانه ، فإنّه أوصى إلى خمسة أحدهم المنصور ليدفع القتل عن الوصي الواقعي وهو الإمام موسى عليه السلام من بعده .

عمره الشريف :

كان عمره حينما توفّي خمساً وستّين سنة[1] .

عاش فيها مع جدّه وأبيه اثنتي عشرة سنة ، ومع أبيه بعد جدّه تسع عشرة سنة ، وبعد أبيه أربعاً وثلاثين سنة[2] .

مدّة إمامته :

كانت مدّة إمامته أربعاً وثلاثين سنة ، وهي المدّة التي عاشها بعد أبيه عليه السلام[3] .

حكّام عصره :

ولد الإمام الصادق عليه السلام في أواخر أيام عبد الملك بن مروان ، وعاصره بعده الوليد بن عبد الملك ، وسليمان بن عبد الملك ، وعمر بن عبد العزيز ، ويزيد بن عبد الملك ، وهشام بن عبد الملك ، والوليد بن يزيد ، ويزيد بن الوليد ، وإبراهيم بن الوليد ، ومروان الحمار .

وعاصره من بني العبّاس : أبو العبّاس السفّاح ، وأخوه أبو جعفر المنصور ، وقبض بعد مضي عشر سنوات من ملك الأخير[4] .

الظروف السياسية في عهد الإمام عليه السلام :

تنقسم الحياة السياسية في المدّة التي عاشها الإمام الصادق عليه السلام بصورة عامّة

---

(١) و (٢) انظر : أصول الكافي ١ : ٤٧٢ ، باب مولد أبي عبد الله عليه السلام ، وإعلام الورى ١ : ٥١٤ .

(٣) انظر إعلام الورى ١ : ٥١٤ .

(٤) انظر إعلام الورى ١ : ٥١٤ وغيره .

إلى ثلاثة عهود:

الأوّل ـ العهد الأموي:

شاهد الإمام عليه السلام في هذا العهد الظلم والقتل الذريع الذي كان يذيقه بنو أُميّة خصومهم بصورة عامّة والعلويّين بصورة خاصّة، من تشريد وسجن وتعذيب وقتل، مضافاً إلى التعذيب النفسي الذي كان يقوم به الولاة والمتزلّفون إلى الحكّام، فإنّهم كانوا يجمعون بني عليٍّ قريباً من المنبر ـ يوم الجمعة ـ ويقوم الخطيب بسبّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وكان هذا ديدنهم حتّى حكم عمر بن عبد العزيز فرفع السبّ[1].

وعاصر ثورة عمّه زيد بالكوفة أيام هشام بن عبد الملك، وقمعها واستشهاد زيد ومطاردة العلويّين بأشدّ ممّا كان من ذي قبل[2].

الثاني ـ العهد الانتقالي:

وشاهد في هذا العهد تحرّك أبي سلمة الخلّال، وأبي مسلم الخراساني والإطاحة بحكم بني أُميّة، وكان موقفه تجاه هذه الحركة موقف الرافض، لعلمه بعاقبة الأمر[3].

---

(١) رفع عمر السبّ في خطبة الجمعة وغيرها من المشهورات. أُنظر: تاريخ اليعقوبي ٣: ٥٠، والكامل في التاريخ ٥: ٤٢.

(٢) انظر: الإرشاد ٢: ١٧١ ـ ١٧٥، وتاريخ اليعقوبي ٣: ٦٧، ومروج الذهب ٣: ٢٠٦، وغيرها.

(٣) ذكروا: «أنّه لمّا قدم أبو العبّاس السفّاح سرّاً على أبي سلمة الخلّال الكوفي ستر أمرهم، وعزم أن يجعلها شورى بين ولد عليٍّ والعبّاس حتّى يختاروا هم من أرادوا، ثمّ خاف أن لا يتّفقوا، ثمّ عزم أن يعزل الأمر إلى ولد عليٍّ من الحسن والحسين، فكتب إلى ثلاثة نفر منهم: جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين، وعمر بن عليّ بن الحسين، وعبد الله بن الحسن بن الحسن.

فبدأ الرسول بجعفر بن محمّد، فلقيه ليلاً وأعلمه: أنّ معه كتاباً إليه من أبي سلمة، ←

الثالث ـ العهد العبّاسي:

لم يعلن السفّاح العداء لوِلد عليٍّ عليه السلام عند وصوله للسلطة، بل كان يتظاهر بالولاء لهم؛ لأنّه كان يعلم أنّ الثورة ضدّ الأمويّين إنّما نجحت تحت لواء شعار الولاء لآل محمّد وعليّ عليهم السلام.

ومع ذلك فقد أشخص الإمام الصادق عليه السلام من المدينة إلى الهاشميّة، وألزمه بالإقامة الجبريّة في الكوفة لمدّة قصيرة، ثمّ أرجعه إلى المدينة[1].

وما دامت أيام السفّاح إلّا نحو أربع سنوات[2]، وجاء المنصور واشتدّ الأمر على العلويّين، فأُخذوا وأُبعدوا إلى الكوفة، وحُبسوا في سجن لا يُعرف النهار فيه من الليل، فكان اغتسالهم فيه، ومات بعضهم فبقيت جثّته حتّى تعفّنت، ومرضوا

ـ فقال: وما أنا وأبو سلمة؟! هو شيعة لغيري! فقال: تقرأ الكتاب وتجيب عليه بما رأيت. فقال جعفر لخادمه: قدّم منّي السراج، فقدّمه، فوضع عليه كتاب أبي سلمة فأحرقه. فقال: ألا تجيبه؟ فقال: قد رأيت الجواب.

فخرج من عنده وأتى عبد الله بن الحسن المثنّى، فقبّل كتابه وركب إلى جعفر بن محمّد، فقال: أيُّ أمرٍ جاء بك يا أبا محمّد؟... قال: هذا كتاب أبي سلمة يدعوني للأمر، ويرى أنّي أحقّ الناس به، وقد جاءته شيعتنا من خراسان، فقال له جعفر الصادق عليه السلام: ومتى صاروا شيعتك؟! أأنت وجّهت أبا مسلم إلى خراسان وأمرته بلبس السواد؟ هل تعرف أحداً منهم باسمه ونسبه؟ كيف يكونون من شيعتك وأنت لا تعرفهم ولا يعرفونك؟

فقال له عبد الله: إن كان هذا الكلام منك لشيء، فقال جعفر: قد علم الله أنّي أوجب على نفسي النصح لكلّ مسلم، فكيف أدّخره عنك؟ فلا تمنّين نفسك الأباطيل، فإنّ هذه الدولة ستتم لهؤلاء القوم، وقد جاءني مثل ما جاءك. فانصرف غير راضٍ بما قاله». أعيان الشيعة ١: ٦٦٥، ترجمة الإمام الصادق عليه السلام، وانظر مروج الذهب ٣: ٢٥٤.

(١) انظر الكافي ٤: ٨٣، كتاب الصيام، باب اليوم الذي يشكّ فيه، الحديث ٩.

(٢) لأنّه بويع سنة ١٣٢هـ، ومات سنة ١٣٦هـ.

فمات بعضهم من ذلك، وهدم السجن على باقيهم[١].

شاهد الإمام عليه السلام ذلك كلّه، كما لاقى من المنصور أذىً كثيراً، فقد كان الوشاة ينقلون إلى المنصور ما هو بريء منه، فيزداد غيظاً على الإمام عليه السلام.

فمن ذلك: أنّه لمّا دخل المنصور المدينة حينما حجّ سنة ١٤٧هـ، أمر الربيع أن يحضر الإمام عليه السلام متعباً، فلمّا دخل وبصر به المنصور، قال له: قتلني اللّه إن لم أقتلك، أتُلحِدُ في سلطاني وتبغيني الغوائل؟!

فقال له أبوعبد اللّه عليه السلام: واللّه ما فعلت ولا أردت، فإن كان بلغك فمن كاذب، ولو كنت فعلت لقد ظُلم يوسف فغفر، وابتلي أيّوب فصبر، وأُعطي سليمان فشكر، فهؤلاء أنبياءُ اللّه وإليهم يرجع نسبك.

فقال له المنصور: أجل، ارتفع هاهنا، فارتفع، فقال له: إنّ فلان بن فلان أخبرني عنك بما ذكرت.

فقال: أحضره يا أمير المؤمنين ليوافقني على ذلك.

فأحضر الرجل المذكور، فقال له المنصور: أنت سمعت ما حكيت عن جعفر؟

فقال: نعم.

فقال له أبو عبد اللّه عليه السلام: فاستحلفه على ذلك.

فقال له المنصور: أتحلف؟

قال: نعم، وابتدأ باليمين.

فقال له أبو عبد اللّه عليه السلام: دعني يا أمير المؤمنين أُحلّفه أنا.

فقال له: افعل.

فقال أبو عبد اللّه عليه السلام للساعي: قل: «برئت من حول اللّه وقوّته والتجأت

(١) انظر مروج الذهب ٣: ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

إلى حولي وقوّتي ، لقد فعل كذا وكذا جعفر ، وقال : كذا وكذا جعفر » فامتنع منها هنيهة ، ثمّ حلف بها ، فما برح حتّى ضرب برجله .

فقال أبو جعفر : جرّوا برجله ، فأخرجوه لعنه الله .

قال الربيع : وكنت رأيت جعفر بن محمّد عليه السلام حين دخل على المنصور يحرّك شفتيه ، فكلّما حرّكهما سكن غضب المنصور ، حتّى أدناه منه وقد رضي عنه ، فلمّا خرج أبو عبد الله عليه السلام من عند أبي جعفر اتبعته ، فقلت : إنّ هذا الرجل كان من أشدّ الناس غضباً عليك ، فلمّا دخلت عليه ، دخلت وأنت تحرّك شفتيك ، وكلّما حرّكتهما سكن غضبه ، فبأيّ شيء كنت تحرّكهما ؟

قال : بدعاء جدّي الحسين بن عليّ عليه السلام .

قلت : جعلت فداك ، وما هذا الدعاء ؟ قال : « يا عدّتي عند شدّتي ، ويا غوثي عند كربتي ، احرسني بعينك التي لا تنام ، واكنفني بركنك الذي لا يرام » .

قال الربيع : فحفظت هذا الدعاء ، فما نزلت بي شدّة قطّ إلّا دعوت به ففرّج عنّي .

قال : وقلت لجعفر بن محمّد : لِمَ منعت الساعي أن يحلف بالله ؟ قال : كرهت أن يراه الله يوحّده ويمجّده فيحلم عنه ، ويؤخّر عقوبته ، فاستحلفته بما سمعت ، فأخذه الله أخذة رابية[1] .

وقال السيّد المرتضى : « قال المنصور لأبي عبد الله عليه السلام : أردت الخروج علينا ؟! فقال : نحن ندلّ عليكم في دولة غيركم ، فكيف نخرج عليكم في دولتكم ؟! »[2] .

يريد بذلك أنّه عليه السلام كان في زمن بني أُميّة يخبر بأنّ الملك سيكون للسفّاح

(١) انظر : الإرشاد ٢ : ١٨٢ ـ ١٨٤ ، والفصول المهمّة : ٢١٤ ـ ٢١٥ .

(٢) أمالي السيّد المرتضى ١ : ٢٨٣ .

والمنصور وولده[1]، فكيف ينازعهم الأمر أيّام ملكهم ؟!

---

(١) أخبر بذلك مراراً، فمنه: ما تقدّم في الصفحة ٣٢٠، الهامش ٣.

ومنه: ما رواه المفيد عن مقاتل الطالبيّين لأبي الفرج الإصفهاني، وقال: إنّه وجده بخطّه، وخلاصته:

أنّ جماعة من بني هاشم اجتمعوا بالأبواء، وفيهم إبراهيم بن محمّد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس، وأبو جعفر المنصور، وصالح بن عليّ، وعبد الله بن الحسن، وابناه: محمّد وإبراهيم، ومحمّد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان...

وحاولوا أن يبايعوا واحداً منهم، فبايعوا محمّد بن عبد الله بن الحسن.

وقال عبد الله بن الحسن لمن حضر: لا تريدوا جعفراً، فإنّا نخاف أن يفسد عليكم أمركم...

وجاء جعفر بن محمّد، فأوسع له عبد الله بن الحسن إلى جنبه.

فقال جعفر: لا تفعلوا، فإنّ هذا الأمر لم يأت بعد. إن كنت ترى ـ يعني عبد الله ـ أنّ ابنك هذا هو المهدي، فليس به، ولا هذا أوانه، وإن كنت إنّما تريد أن تخرجه غضباً لله وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فإنّا والله لا ندعك ـ وأنت شيخنا ـ ونبايع ابنك في هذا الأمر.

فغضب عبد الله وقال: لقد علمت خلاف ما تقول، ووالله ما أطلعك الله على غيبه، ولكنّه يحملك على هذا الحسد لابني.

فقال: والله ما ذاك يحملني، ولكن هذا وإخوته وأبناؤهم دونكم، وضرب بيده على ظهر أبي العبّاس، ثمّ ضرب بيده على كتف عبد الله بن الحسن وقال: إنّها والله ما هي إليك ولا إلى ابنيك، ولكنّها لهم، وإنّ ابنيك لمقتولان.

ثمّ نهض وتوكّأ على يد عبد العزيز بن عمران الزهري، فقال: أرأيت صاحب الرداء الأصفر؟ ـ يعني أبا جعفر ـ فقال له: نعم.

فقال: إنّا والله نجده يقتله.

قال له عبد العزيز: أيقتل محمّداً؟

قال: نعم.

فقلت في نفسي: حسده وربّ الكعبة!

←

ومن نماذج ما لاقاه الإمام الصادق عليه السلام من أنواع الظلم هو ما رواه المفيد وغيره: من أنّ داود بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس قتل المعلّى بن خنيس ـ مولى جعفر بن محمّد عليه السلام ـ وأخذ ماله، فدخل عليه جعفر وهو يجرّ رداءه، فقال له: قتلت مولاي وأخذت مالي، أما علمت أنّ الرجل ينام على الثكل ولا ينام على الحرب؟! أما والله لأدعونّ الله عليك.

فقال له داود: أتتهدّدنا بدعائك؟! كالمستهزئ بقوله.

فرجع أبو عبد الله عليه السلام إلى داره، فلم يزل ليله كلّه قائماً وقاعداً، حتّى إذا كان السحر سمع وهو يقول في مناجاته: يا ذا القوّة القويّة، ويا ذا المحال الشديد، ويا ذا العزّة التي كلّ خلقك لها ذليل، اكفني هذا الطاغية وانتقم لي منه.

فماكان إلّا ساعة حتّى ارتفعت الأصوات بالصياح، وقيل: قد مات داود بن عليّ الساعة[1].

ومن ذلك، ما رواه الكليني بإسناده عن المفضّل بن عمر، قال: «وجّه أبو جعفر المنصور إلى الحسن بن زيد وهو واليه على الحرمين: أن أحرق على جعفر بن محمّد داره، فألقى النّار في دار أبي عبدالله عليه السلام، فأخذت النّار في الباب والدهليز، فخرج

← قال: ثمّ، والله ما خرجت من الدنيا حتّى رأيته قتلهما.

قال: فلمّا قال جعفر ذلك ونهض القوم وافترقوا، تبعه عبد الصمد وأبو جعفر، فقالا: يا أبا عبد الله، أتقول هذا؟

قال: نعم، أقوله والله وأعلمه.

وروى المفيد عن أبي الفرج أيضاً: أنّه كان جعفر بن محمّد عليه السلام إذا رأى محمّد بن عبد الله بن الحسن تغرغرت عيناه، ثمّ يقول: «بنفسي هو، إنّ الناس ليقولون فيه، وإنّه لمقتول، ليس هو في كتاب عليّ من خلفاء هذه الأمّة». انظر الإرشاد ٢: ١٩٠ ـ ١٩٣، ومقاتل الطالبيّين: ١٤٢.

(١) انظر: الإرشاد ٢: ١٨٤ ـ ١٨٥، والفصول المهمّة: ٢١٥.

أبو عبدالله عليه السلام يتخطّى النّار ويمشي فيها ويقول: أنا ابن أعراق الثرى، أنا ابن إبراهيم خليل الله»[١].

القيادة العلمية للإمام الصادق عليه السلام:

أخذت الحركة العلميّة تزداد في أواخر عهد الإمام السجّاد عليه السلام، ثمّ اشتدّت أيّام الإمام الباقر عليه السلام، حتّى ازدادت شدّة وسرعة أيام الإمام الصادق عليه السلام، فإنّه تزعّم الحركة العلميّة والفكرية في عصره مع ما لاقاه من الأذى، وما شاهده من الظلم تجاه أهل بيته وسائر العلويّين. قال المفيد في حقّه:

«ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر ذكره في البلدان، ولم ينقل عن أحد من أهل بيته العلماء ما نقل عنه، ولا لقي أحدٌ منهم من أهل الآثار ونقلة الأخبار، ولا نقلوا عنهم، كما نقلوا عن أبي عبد الله عليه السلام، فإنّ أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات، على اختلافهم في الآراء والمقالاتِ، فكانوا أربعة آلاف رجل»[٢].

وقال الحسن بن زياد الوشّاء ـ وهو من أصحاب الرضا عليه السلام ـ: «أدركت في هذا المسجد تسعمئة شيخ، كلٌّ يقول: حدّثني جعفر بن محمّد»[٣]. مع العلم بأنّ الإمام عليه السلام كان بالمدينة، والمسجد المشار إليه هو مسجد الكوفة؛ لأنّ الراوي وهو أحمد بن محمّد بن عيسى، قال: «خرجت إلى الكوفة في طلب الحديث فلقيت بها الحسن بن عليّ...»، فهؤلاء إمّا كانوا من الذين أخذوا العلم من الإمام عليه السلام في المدينة، أو في الكوفة عند مجيئه إليها أيّام السفّاح، كما تقدّم[٤].

---

(١) أصول الكافي ١: ٤٧٣، باب مولد أبي عبدالله عليه السلام، الحديث ٢.

(٢) الإرشاد ٢: ١٧٩، وانظر المعتبر: ٤ ـ ٥.

(٣) رجال النجاشي: ٣٩ ـ ٤٠، الترجمة ٨٠، وانظر المعتبر: ٤ ـ ٥.

(٤) انظر الصفحة ٣٢١.

إنّ الدور القيادي الذي قام به الإمام الصادق عليه السلام في العلم لا ينحصر بجانب واحد ولا بعلم خاصّ ، بل كان رائداً وقائداً في جميع العلوم : كالفقه والكلام والتفسير ، بل حتّى العلوم الغريبة ، ممّا جعل بعض الناس لا يتحمّله ، فمن ناصب حنق ، ومن مغالٍ يقول فيه ما هو يتبرّأ منه . قال المحقّق الحلّي عند بيان تفوّق الأئمّة عليهم السلام في العلوم : «... وكذا الحال في جعفر بن محمّد عليه السلام ؛ فإنّه انتشر عنه من العلوم الجمّة ما بهر به العقول ، حتّى غلا فيه جماعة وأخرجوه إلى حدّ الإلهيّة »[1] .

ونشير فيما يأتي إلى نماذج من هذا الدور القيادي :

أوّلاً ـ الدور القيادي للإمام عليه السلام في الفقه :

لا شكّ في أنّ الإمام الصادق عليه السلام كان الذروة العليا في علم الفقه ، كيف لا وقد تربّى في بيتٍ نزل فيه الوحي ، وصدر منه علم الشريعة ، وقد أُتيحت له بعض الفرص لإظهار هذا العلم ولم يُقدَّر مثلها لغيره من الأئمّة عليهم السلام ؛ ولذلك نرى أنّ أحاديثه وأحاديث أبيه عليهما السلام هي المصدر الأساسي عندنا في الفقه والأُصول بعد القرآن الكريم .

وقد تربّى على يديه ويدي أبيه الباقر عليهما السلام جمع غفير من الفقهاء الإماميّين ، بل انتهل من معين علمه فقهاء آخرون ، ومنهم رؤساء بعض المذاهب ، ولتوضيح ذلك نشير فيما يلي إلى أسماء جملة منهم :

أ ـ تلامذة الإمام عليه السلام من الشيعة :

قلنا : المعروف أنّه كان للإمام عليه السلام أربعة آلاف تلميذ ، وقد ذكر الشيخ الطوسي في رجاله أسماء أكثر من ثلاثة آلاف ومئتي شخص ، من أبرزهم في الفقه : زرارة ، ومحمّد بن مسلم ، وبريدالعجلي ، وقد ذكرناهم وغيرهم عند ترجمة الإمام الباقر عليه السلام .

---

(١) المعتبر : ٤ ـ ٥ .

ومنهم: أبو بصير الأسدي ـ أو المرادي ـ ومعروف بن خرّبوذ، والفضيل بن يسار.

قال الكشّي: «اجتمعت العصابة على تصديق هؤلاء الأوّلين من أصحاب أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، وانقادوا لهم بالفقه، فقالوا: أفقه الأوّلين ستّة: زرارة، ومعروف بن خرّبوذ، وبريد، وأبو بصير الأسدي، والفضيل بن يسار، ومحمّد بن مسلم الطائفي.

قالوا: وأفقه الستّة زرارة.

وقال بعضهم مكان أبي بصير الأسدي: أبو بصير المرادي، وهو ليث بن البختري»[1].

ومن تلامذة الإمام الصادق عليه السلام: ما ذكرهم الكشّي أيضاً غير الستّة الأولين؛ فإنّه قال: «أجمعت العصابة على تصحيح ما يصحّ من هؤلاء وتصديقهم لما يقولون، وأقرّوا لهم بالفقه، من دون أولئك الستّة الذين عددناهم وسمّيناهم، ستّة نفر: جميل ابن درّاج، وعبدالله بن مسكان، وعبدالله بن بكير، وحمّاد بن عيسى، وحمّاد بن عثمان، وأبان بن عثمان، قالوا: وزعم أبو إسحاق الفقيه ـ يعني ثعلبة بن ميمون[2] ـ: أنّ أفقه هؤلاء جميل بن درّاج، وهم أحداث أصحاب أبي عبدالله عليه السلام»[3].

ولا يسعنا فعلاً المكث في هذا الموضوع والقيام بترجمة المذكورين لضيق المجال.

ب ـ الراوون عنه من سائر المذاهب:

كان لعديد من رؤساء المذاهب اتّصال بالإمام الصادق عليه السلام، ينهلون من علومه،

---

(١) اختيار معرفة الرجال: ٢٣٨، الرقم ٤٣١.

(٢) قال عنه النجاشي: «...كان وجهاً في أصحابنا، قارئاً، فقيهاً، نحوياً، لغوياً، راوية، وكان حسن العمل، كثير العبادة والزهد، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام». رجال النجاشي: ١١٧ ـ ١١٨، الترجمة ٣٠٢.

(٣) اختيار معرفة الرجال: ٣٧٥، الرقم ٧٠٥.

ويروون حديثه، فمن جملتهم:

١ ـ أبو حنيفة[١].

كان أبو حنيفة يتردّد على أبي عبد الله الصادق عليه السلام، منفرداً أو مع غيره من رؤساء المذاهب، وقضاياه مع الإمام عليه السلام كثيرة، سوف نذكر بعضها عند الكلام عن احتجاجات الإمام عليه السلام ومناظراته العلميّة.

ونُقل عنه قوله: «ما رأيت أعلم من جعفر بن محمّد»[٢]، وقوله: «لولا السنتان لهلك النعمان»[٣]، مشيراً بهما إلى السنتين اللتين لازم فيهما الإمام الصادق عليه السلام بالمدينة.

٢ ـ مالك بن أنس[٤].

وقد كانت له صلة بالإمام الصادق عليه السلام وكان يحترمه، فقد أورد الصدوق في أماليه بإسناده عن ابن أبي عمير، قال: «سمعت مالك بن أنس فقيه المدينة يقول: كنت أدخل على الصادق جعفر بن محمّد، فيقدّم لي مخدّة، ويعرف لي قدراً، ويقول: يا مالك، إنّي أحبّك، فكنت أسرّ بذلك وأحمد الله عليه»[٥].

وذكره أبو نعيم في جملة من حدّث عن الإمام عليه السلام من الأئمّة والأعلام[٦].

---

(١) النعمان بن ثابت إمام المذهب الحنفي، فارسي، ولد سنة ٨٠هـ، وتوفّي سنة ١٥٠هـ، ونقل ابن خلّكان عن حفيده إسماعيل: أنّ جدّ أبي حنيفة هو الذي أهدى لعليّ عليه السلام الفالوذج يوم النيروز، انظر وفيات الأعيان ٥: ٤٠٥، الترجمة ٧٦٥.

(٢) و (٣) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة (١ ـ ٢): ٦٩ ـ ٧٠، نقلاً عن التحفة الاثني عشرية (للآلوسي): ٨.

(٤) إمام المذهب المالكي، المتوفّى سنة ١٧٩هـ.

(٥) أمالي الصدوق: ١٤٣.

(٦) انظر حلية الأولياء ٣: ١٩٩، وانظر أعلام كتاب الموطّأ حرف الجيم «جعفر»، وذكر فيه أبا حنيفة من جملة من روى عنه.

واشتهر قوله : « ما رأت عين أفضل من جعفر بن محمّد »[١].

٣ ـ سفيان الثوري[٢] :

وكان يتردّد على الإمام عليه السلام ، ويأخذ منه الآداب والأخلاق والمواعظ[٣].

وذكره أبو نعيم[٤] ممّن حدّث عنه من الأئمّة ، وذكر بعض أحاديثه ، وسوف نذكر بعض احتجاجات الإمام عليه السلام معه عن قريب .

٤ ـ سفيان بن عيينة[٥] :

روى عن الإمام عليه السلام ، فقد عدّه أبو نعيم من الأئمّة الذين رووا عنه عليه السلام[٦].

٥ ـ حفص بن غياث[٧] :

روى عن الصادق عليه السلام[٨] ، ورواياته موجودة في كتبنا الفقهية والروائيّة ويعتمد عليها[٩].

---

(١) انظر الإمام الصادق والمذاهب الأربعة (١ ـ ٢) : ٧٠ .

(٢) من رؤساء المذاهب البائدة ، بقي مذهبه إلى القرن الرابع ثمّ باد ، مات متوارياً ـ كما قيل ـ في سنة ١٦١هـ . انظر وفيات الأعيان ٢ : ٣٨٦ ـ ٣٩٠ ، الترجمة ٢٦٦ .

(٣) انظر الإمام الصادق والمذاهب الأربعة (١ ـ ٢) : ٧٠ .

(٤) انظر حلية الأولياء ٣ : ١٩٩ .

(٥) ولد سنة ١٠٧هـ بالكوفة وتوفّي سنة ١٩٨هـ بمكّة . وروى عنه الشافعي وشعبة وابن جريج وغيرهم . انظر وفيات الأعيان ٢ : ٣٩١ ـ ٣٩٣ ، الترجمة ٢٦٧ .

(٦) انظر حلية الأولياء ٣ : ١٩٩ .

(٧) ولي القضاء ببغداد الشرقية لهارون ، ثمّ ولّاه قضاء الكوفة ، ومات بها سنة مئة وأربع وتسعين . انظر رجال النجاشي : ١٣٤ ، الترجمة ٣٤٦ .

(٨) روى عنه : أحمد ، وإسحاق ، وأبو نعيم ، ويحيى بن معين ، وغيرهم . انظر الإمام الصادق والمذاهب الأربعة (١ ـ ٢) : ٧٠ .

(٩) انظر معجم رجال الحديث ٦ : ١٤٨ ، ترجمة حفص بن غياث .

٦ ـ شعبة بن الحجّاج[١]:

روى عن الصادق عليه السلام كما ذكر أبو نعيم[٢]، وروى عنه أصحاب السنن والصحاح والمسانيد[٣].

وممّن ذكرهم أبو نعيم غير هؤلاء:

ابن جريج، وروح بن القاسم، وسليمان بن بلال، وإسماعيل بن جابر، وحاتم بن إسماعيل، وعبد العزيز بن المختار، ووهب بن خالد، وإبراهيم بن طهمان[٤].

وذكروا أشخاصاً كثيرين أيضاً غير من تقدّم[٥] لا يسعنا فعلاً ذكر أسمائهم؛ لأنّ منهجنا قائم على الاختصار.

ثانياً ـ الدور القيادي للإمام عليه السلام في علم الكلام:

توسّعت الأبحاث الكلاميّة زمن الإمام الصادق عليه السلام في جميع مجالاتها: التوحيد، والإمامة، وما يترتّب عليهما من أبحاث، وكانت للإمام عليه السلام احتجاجات كثيرة في هذا الموضوع، سوف نذكر نماذج منها عن قريب إن شاء الله تعالى.

وقد تربّى على يديه جماعة امتازوا في هذا العلم وتفوّقوا على من سواهم، أمثال: مؤمن الطاق، وهشام بن الحكم، وهشام بن سالم، وحمران بن أعين، والطيّار، وغيرهم، نكتفي بترجمة الأوّلين منهم:

---

(١) روى عنه سفيان بن عيينة، وسفيان الثوري، وشريك بن عبد الله، والأعمش وغيرهم، توفّي بالبصرة سنة ١٦٠هـ. انظر وفيات الأعيان ٢: ٤٦٩ ـ ٤٧٠، الترجمة ٢٩٢.

(٢) و (٤) انظر حلية الأولياء ٣: ١٩٩.

(٣) انظر الإمام الصادق والمذاهب الأربعة (١ ـ ٢): ٤٠٨.

(٥) انظر: اختيار معرفة الرجال: ٣٩٠، الرقم ٧٣٣، والإمام الصادق والمذاهب الأربعة (١ ـ ٢): ٧٠ ـ ٧٣، و ٤٠٠ ـ ٤٢١.

١ ـ مؤمن الطاق:

أبو جعفر محمّد بن عليّ بن النعمان، الملقّب بالأحول، ولقّبه مخالفوه بـ«شيطان الطاق»، ولقّبه هشام بـ«مؤمن الطاق»، ثمّ اشتهر به بين موافقيه.

وكان صيرفياً، ودكانه في طاق المحامل بالكوفة(١).

قال عنه الإمام الصادق عليه السلام: «أربعة أحبّ الناس إليّ أحياءً وأمواتاً: بريد بن معاوية العجلي، وزرارة بن أعين، ومحمّد بن مسلم، وأبو جعفر الأحول»(٢).

وقال عنه المرزباني: «كان من الفصحاء البلغاء، ومن لا يطاول في النظر والجدال في الإمامة، وكان حاضر الجواب»(٣).

وقال عنه ابن النديم: «كان حسن الاعتقاد والهدي، حاذقاً في صناعة الكلام، سريع الخاطر والجواب، وله مع أبي حنيفة مناظرات...»(٤).

وقال عنه الشيخ الطوسي: «هو من أصحاب أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليهما السلام، وكان متكلّماً حاذقاً حاضر الجواب»(٥).

وذكروا له ما يقارب عشرة كتب أغلبها في الإمامة(٦).

وكان ممّن أجازه أبو عبد الله عليه السلام في الكلام بأن يحاجج ويناظر المخالفين، ولم يجز إلّا بعض أصحابه.

---

(١) انظر رجال النجاشي: ٣٢٥ ـ ٣٢٦، الترجمة ٨٨٦.

(٢) اختيار معرفة الرجال: ١٣٥، الرقم ٢١٥ و ٢٤٠، الرقم ٤٣٨.

(٣) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة (٣ ـ ٤): ٧٠، نقلاً عن شعراء الشيعة (للمرزباني): ٨٦.

(٤) الفهرست (لابن النديم): التكملة، الصفحة ٨.

(٥) الفهرست (للشيخ الطوسي): ٣٢٣، الترجمة ٦٩٨.

(٦) انظر: المصدر المتقدّم، ورجال النجاشي: ٣٢٥ ـ ٣٢٦، الترجمة ٨٨٦.

روى الكشّي بإسناده عن أبي خالد الكابلي ، قال : « رأيت أبا جعفر صاحب الطاق وهو قاعد في الروضة قد قطع أهل المدينة أزراره ، وهو دائب يجيبهم ويسألونه ، فدنوت منه ، فقلت : إنّ أبا عبد الله ينهانا عن الكلام ، فقال : أمرك أن تقول لي ؟ فقلت : لا والله ، ولكن أمرني أن لا أكلّم أحداً. قال : فاذهب فأطعه فيما أمرك . فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام فأخبرته بقصّة صاحب الطاق وما قلت له ، وقوله لي : " اذهب وأطعه فيما أمرك " ، فتبسّم أبو عبد الله عليه السلام وقال : يا أبا خالد ، إنّ صاحب الطاق يكلّم الناس فيطير وينقضّ ، وأنت إن قصّوك لن تطير »[1] .

نموذجان من احتجاجاته :

سجّلت له احتجاجات كثيرة مع أصناف المخالفين له في العقيدة ، وله احتجاجات خاصّة مع أبي حنيفة جمعها في كتاب ، كما تقدّم عن النجاشي . وفيما يلي نذكر نموذجين من احتجاجاته :

أ ـ احتجاجه مع الخوارج :

أخرج الكشّي بإسناده إلى أبي مالك الأحمسي ، قال : « خرج الضحّاك الشاري[2] بالكوفة فحكم وتسمّى بإمرة المؤمنين ، ودعا الناس إلى نفسه ، فأتاه مؤمن الطاق ، فلمّا رآه الشراة وثبوا في وجهه ، فقال لهم : جانح ! فلمّا أُتي به صاحبهم ، فقال له مؤمن الطاق : أنا رجل على بصيرة من ديني ، وسمعتك تصف العدل فأحببت الدخول معك ! فقال الضحّاك لأصحابه : إن دخل هذا معكم نفعكم !

ثمّ أقبل مؤمن الطاق على الضحّاك ، فقال لهم : لِمَ تبرّأتم من عليّ بن أبي طالب واستحللتم قتله وقتاله ؟

---

(١) اختيار معرفة الرجال : ١٨٥ ـ ١٨٦ ، الرقم ٣٢٧.

(٢) جمعه الشراة وهم الخوارج ، أي الذين باعوا أنفسهم لله تعالى ـ بحسب ادّعائهم ـ اقتباساً من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ ﴾ التوبة : ١١١.

قال : لأنّه حكّم في دين اللّه .

قال : وكلّ من حكّم في دين اللّه استحللتم قتله وقتاله والبراءة منه ؟

قال : نعم .

قال : فأخبرني عن الدين الذي جئت أناظرك عليه لأدخل معك فيه ، إن غلَبت حجّتي حجّتك ، أو حجّتك حجّتي ، من يوقف المخطئ على خطئه ، ويحكم للمصيب بصوابه ؟ فلا بدّ لنا من إنسان يحكم بيننا .

قال ـ أي الراوي ـ : فأشار الضحّاك إلى رجل من أصحابه ، فقال : هذا الحَكَم بيننا ، فهو عالم بالدين .

قال : وقد حكّمت هذا في الدين الذي جئت أنا أناظرك فيه ؟!

قال : نعم .

فأقبل مؤمن الطاق على أصحابه ، فقال : إنّ هذا صاحبكم قد حكّم في دين اللّه ، فشأنكم به ! فضربوا الضحّاك بأسيافهم حتّى سكت[1] .

ب ـ احتجاجه مع أبي حنيفة :

قلنا : إنّه احتجاجاته مع أبي حنيفة كثيرة ، منها :

ذكروا أنّه سأل أبو حنيفة أبا جعفر محمّد بن النعمان صاحب الطاق ، فقال له :

« يا أباجعفر ، ما تقول في المتعة ، أتزعم أنّها حلال ؟

قال : نعم .

قال : فما يمنعك أن تأمر نساءك أن يستمتعن ويكتسبن عليك ؟

فقال له أبو جعفر : ليس كلّ الصناعات يرغب فيها وإن كانت حلالاً ، وللنّاس أقدار

---

(١) اختيار معرفة الرجال : ١٨٧ ـ ١٨٨ ، الترجمة ٣٣٠ .

ومراتب يرفعون أقدارهم ، ولكن ما تقول يا أبا حنيفة في النبيذ ، أتزعم أنّه حلال ؟

فقال : نعم .

قال : فما يمنعك أن تقعد نساؤك في الحوانيت نبّاذات ، فيكتسبن عليك ؟

فقال أبو حنيفة : واحدة بواحدة[1] ، وسهمك أنفذ .

ثمّ قال [أبو حنيفة] له : يا أبا جعفر ، إنّ الآية التي في سأل سائل[2] تنطق بتحريم المتعة ، والرواية عن النبيّ صلى الله عليه وآله قد جاءت بنسخها .

فقال له أبو جعفر : يا أبا حنيفة ، إنّ سورة سأل سائل مكّيّة وآية المتعة[3] مدنيّة ، وروايتك شاذّة رديّة .

---

(١) لا أنسى المناظرة بيني وبين من يسمّونهم بالآمرين بالمعروف في الروضة النبوية الشريفة عند قبر الرسول صلى الله عليه وآله ، فجرى الحديث في أمور متعدّدة ، وكلّما كان يفحم بالجواب ، كان يقول : « هذا إلك » ، ثمّ يبدأ بإشكال آخر وهكذا ، وممّا دار الحديث فيه بيننا هو « المتعة » ، فقلت له : إنّه نكاح وبحاجة إلى عقد ، وكيت وكيت ... ثمّ قال ـ بكلّ سوء أدب كما هو سجيّتهم ـ : إذا كانت المتعة حلالاً لماذا لم يزوّج الرسول ـ أو محمّد ـ فاطمة بالمتعة ؟! فأجبته بمضمون الكلام المتقدّم ، وكان في خاطري ، فأفحم وسكت وقال : « هذا إلك » .

ثمّ قال في نهاية المحاورة ـ وقد جرت بجدّ وحدّة ـ : أنت رجل عالم ، وأرجو أن لا يضلّ الله بك الأمّة .

(٢) أي قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ المؤمنون : ٥ ـ ٦ فقد حصرت الآية جواز النكاح بنكاح الأزواج وهو منصرف إلى الدائمة وملك اليمين .

لكنّ هذا الانصراف الناشئ من غلبة الاستعمال لا يقيّد إطلاق الحكم . كما صرّحوا به في علم الأصول . انظر الموسوعة الفقهيّة الميسّرة / الملحق الأصولي : « انصراف » .

(٣) وهي قوله تعالى : ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ﴾ النساء : ٢٤ .

فقال له أبو حنيفة: وآية الميراث[1] أيضاً تنطق بنسخ المتعة[2].

فقال أبو جعفر: قد ثبت النكاح بغير ميراث.

قال أبو حنيفة: من أين قلت ذلك؟

فقال أبو جعفر: لو أنّ رجلاً من المسلمين تزوّج امرأة من أهل الكتاب، ثمّ توفّي عنها، ما تقول فيها؟

قال: لا ترث.

قال: فقد ثبت النكاح بغير ميراث، ثمّ افترقا[3].

أي إذا ثبت جواز الزوجيّة من دون ميراث، في الكتابيات، فليكن في المتمتّع بها كذلك، فما المانع؟!

وذكروا أنّه: «قال أبو حنيفة لمؤمن الطاق ـ وقد مات جعفر بن محمّد عليه السلام ـ: يا أبا جعفر، إنّ إمامك قد مات، فقال أبو جعفر: لكنّ إمامك من المنظرين إلى الوقت المعلوم»[4].

٢ ـ هشام بن الحكم:

قال عنه ابن النديم: «من جلّة أصحاب أبي عبد اللّه جعفر بن محمّد

---

(١) وهي الآية ١٢ من سورة النساء.

(٢) بمعنى أنّ الآية أثبتت الميراث بين الزوجين ولم يكن توارث بينهما في المتعة.

(٣) الكافي ٥: ٤٥٠، الباب الأوّل من أبواب المتعة، الحديث ٨.

(٤) انظر قاموس الرجال ٩: ٤٦٦، الترجمة ٧٠٨٧، نقلاً عن العيّاشي، وقال الخطيب: «كان أبو حنيفة يتّهم شيطان الطاق [هذا على تعبيره] بالرجعة، وكان شيطان الطاق يتّهم أبا حنيفة بالتناسخ. فخرج أبو حنيفة يوماً إلى السوق فاستقبله شيطان الطاق ومعه ثوب يريد بيعه، فقال له أبو حنيفة: أتبيع هذا الثوب إلى رجوع عليّ؟ فقال: إن أعطيتني كفيلاً أن لا تمسخ قرداً بعتك! فبهت أبو حنيفة». تاريخ بغداد ١٣: ٤٠٩، ونقلها ابن النديم في الفهرست.

الصادق عليه السلام . وهو من متكلّمي الشيعة الإماميّة وبطائنهم ، وممّن دعا له الصادق عليه السلام ، فقال : أقول لك ما قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله التحيّات : " لا تزال مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك " . وهو الذي فتق الكلام في الإمامة وهذّب المذهب وسهّل طريق الحجاج فيه ، وكان حاذقاً بصناعة الكلام حاضر الجواب .

وكان أوّلاً من أصحاب الجهم بن صفوان ، ثمّ انتقل إلى القول بالإمامة بالدلائل والنظر ... »[1] .

وذكروا له أكثر من ثلاثين كتاباً[2] أغلبها يرتبط بعلم الكلام ، كالتوحيد والإمامة وما يرتبط بهما من أبحاث وخلافات ومناظرات .

كان من الجهميّة ، ثمّ انتقل إلى القول بالإمامة على يد الإمام الصادق عليه السلام وبواسطة عمّه عمر بن يزيد[3] .

ثمّ صار مقرّباً عنده وعند ابنه أبي الحسن موسى عليه السلام . وكان من خواصّ أصحابه[4] ، روى عنه في العقل والمعرفة رواية طويلة ، ذكرها الكليني في كتاب العقل والجهل[5] .

مات بالكوفة سنة مئة وتسع وسبعين[6] ، وقيل : سنة مئة وتسع وتسعين[7] ،

---

(١) الفهرست (لابن النديم) : التكملة ، الصفحة ٨ .

(٢) انظر : رجال النجاشي : ٤٣٣ ، الترجمة ١١٦٤ ، والفهرست (للشيخ الطوسي) : ٣٥٥ ، الترجمة ٧٧١ .

(٣) انظر اختيار معرفة الرجال : ٢٥٦ ، الرقم ٤٧٦ .

(٤) انظر الفهرست (للشيخ الطوسي) : ٣٥٥ ، الترجمة ٧٧١ .

(٥) انظر أُصول الكافي ١ : ١٣ ، كتاب العقل والجهل ، الحديث ١٢ .

(٦) انظر اختيار معرفة الرجال : ٢٥٦ ، الرقم ٤٧٥ ، نقلاً عن الفضل بن شاذان .

(٧) انظر رجال النجاشي : ٤٣٣ ، الترجمة ١١٦٤ .

والأوّل أصحّ[١].

هدّد بالقتل من قبل هارون الرشيد بتحريض من يحيى بن خالد البرمكي[٢].

---

(١) لأنّه أوفق بما يقال: من أنّ موته كان في زمان يحيى بن خالد البرمكي، فإنّ البرامكة أزيلوا سنة ١٨٧هـ، ولم يبقَ يحيى إلى سنة ١٩٩هـ. ومن جهة أُخرى: لو قبلنا أنّ إلقاء القبض على الإمام موسى بن جعفر عليه السلام كان له عدّة أسباب منها: احتجاج هشام في الإمامة وسماع الرشيد له واغتياظه عليه وعلى موسى بن جعفر عليه السلام، فيكون هذا التاريخ أصحّ؛ لأنّ استشهاد الإمام عليه السلام كان سنة ١٨٣هـ.

(٢) قيل: كان يحيى بن خالد البرمكي يقرّب هشاماً ويذبّ عنه أمام هارون ويمنعه من أن يصيبه بأذى، وكان يحيى يعقد مجلساً للمناظرة مساء كلّ جمعة، يحضره العلماء من كلّ ملّة ومذهب، وكان هشام ـ كما قيل ـ يترأس ذلك المجلس، وهارون يستمع إلى ما يجري من الحوار والاحتجاج من وراء الستار. فأراد بعضهم أن يحطّ من شأن هشام عند هارون، فطرح عليه ما يروونه: من أنّه تحاكم العبّاس وعليّ إلى أبي بكر في ميراثهما من النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال السائل:

«نشدتك اللّه أبا محمّد ـ وكانت كنية هشام ـ أما تعلم أنّ عليّاً نازع العبّاس عند أبي بكر؟

قال هشام: نعم.

قال السائل: فمن الظالم؟

فكره هشام أن يقول: العبّاس؛ خوفاً من سخط هارون، فقال: لم يكن فيهما ظالم.

فقال السائل: أفيختصم اثنان في أمرٍ وهما محقّان جميعاً؟!

قال هشام: نعم، اختصم الملكان إلى داود، وليس فيهما ظالمٌ، وإنّما أرادا أن ينبّهاه، كذلك اختصم هذان إلى أبي بكر ليعلماه ظلمه.

فأمسك الرجل، ووقع الجواب عند الرشيد موقع القبول، ومال قلبه لهشام.

انظر: الإمام الصادق والمذاهب الأربعة (٣ ـ ٤): ٨٤، والعقد الفريد ٢: ٢٢٤.

ومن هنا ـ أي عندما مال قلب هارون إلى هشام ـ تغيّر حال يحيى فيه، وقام يفسد أمره عليه عند هارون ويقول: «إنّ هشاماً يعتقد بوجود إمام غيرك، ولو أمره بالقيام لقام».

ثمّ دبّر مجلساً للمناظرة ودعا هشاماً فيه، ولمّا حضره بعد الامتناع والتمارض، ألقى عليه السائل السؤال التالي:

←

نموذج من احتجاجه :

روى الكشّي عن يونس بن يعقوب ، قال : «كان عند أبي عبدالله عليه السلام جماعة من أصحابه ، فيهم : حمران بن أعين ، ومؤمن الطاق ، وهشام بن سالم ، والطيّار ، وجماعة فيهم هشام بن الحكم وهو شاب . فقال أبو عبدالله عليه السلام : يا هشام ، قال : لبّيك يابن رسول الله ، قال : ألا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد ، وكيف سألته ؟

فقال : إنّي أجلّك واستحيي منك ، فلا يعمل لساني بين يديك .

قال أبو عبدالله عليه السلام : إذا أمرتكم بشيء فافعلوه .

ثمّ قال هشام ـ بعد أن بيّن كيفيّة ذهابه إلى البصرة وحضوره مجلس عمرو بن عبيد ـ: قلت : أيّها العالم ، أنا رجل غريب ، فأذن لي فاسألك عن مسألة ؟

← «اخبرني عن عليّ بن أبي طالب مفروض الطاعة ؟

فقال هشام : نعم .

قال : فإن أمرك الذي بعده بالخروج بالسيف معه تفعل وتطيعه ؟

فقال هشام : لا يأمرني» .

وما زال السائل يكرّر السؤال وهشام يكرّر الجواب ، إلى أن قال هشام : كم تحول حول الحمى ؟ ! هل هو إلّا أن أقول لك : إن أمرني فعلت ، فتنقطع أقبح الانقطاع ، ولا يكون عندك زيادة ؟

فتغيّر وجه هارون ، وقال : قد أفصح ، ثمّ قال ليحيى : شدّ يدك بهذا وأصحابه ، وبعث إلى أبي الحسن موسى عليه السلام فحبسه .

فكان هذا ـ بحسب هذه الرواية ـ وغيره من أسباب حبسه .

وأمّا هشام فقام وخرج على وجهه إلى المدائن ، ثمّ منها إلى الكوفة ، ومات في دار ابن الأشرف .

انظر : اختيار معرفة الرجال : ٢٥٨ ـ ٢٦٣ ، الرقم ٤٧٧ .

فقال : نعم .

قلت له : ألك عين ؟

قال : يا بنيّ ، أي شيءٍ هذا من السؤال ، أرأيتك شيئاً كيف تسأل ؟

فقلت : هكذا مسألتي ؟

فقال : يا بُنيّ ، سل وإن كان مسألتك حمقاً [حمقاء].

قلت : أجبني فيها .

فقال لي : سل !

قلت : ألك عين ؟

قال : نعم .



قلت : فما ترى بها ؟

قال : الألوان والأشخاص.

قلت : فلك أنف ؟

قال : نعم .

قلت : فما تصنع به ؟

قال : أشمّ به الرائحة .

قلت : فلك فم ؟

قال : نعم .

قلت : فما تصنع به ؟

قال : أذوق به الطعم .

قلت : ألك قلب ؟

قال : نعم .

قلت : فما تصنع به ؟

قال : أميّز به كلّ ما ورد على هذه الجوارح .

قلت : أليس في هذه الجوارح غنى عن القلب ؟

قال : لا .

قلت : وكيف ذاك ، وهي صحيحة سليمة ؟

قال : يا بنيّ ، الجوارح إذا شكّت في شيء شمّته أو رأته أو ذاقته ردّته إلى القلب ، فيتيقّن اليقين ، ويبطل الشكّ .

قلت : وإنّما أقام الله القلب لشكّ الجوارح ؟

قال : نعم .

قلت : فلا بدّ من القلب وإلّا لم تستيقن الجوارح ؟

قال : نعم .

قلت : يا أبا مروان ، إنّ الله لم يترك جوارحك حتّى جعل لها إماماً يصحّح لها الصحيح ويتيقّن لها ما شكّت فيه ، ويترك هذا الخلق كلّهم في حيرتهم وشكّهم واختلافاتهم ، لا يقيم لهم إماماً يردّون إليه شكّهم وحيرتهم ، ويقيم لك إماماً لجوارحك ، تردّ إليه حيرتك وشكّك ؟!

قال هشام : فسكت عمرو بن عبيد ولم يقل لي شيئاً ، ثمّ التفت إليّ فقال : أنت هشام ؟

قلت : لا .

فقال : أجالسته ؟

قلت : لا .

قال : فمن أين أنت ؟

قلت : من أهل الكوفة .

قال : فأنت إذن هو ، ثمّ ضمّني إليه وأقعدني في مجلسه ، وما نطق حتّى قمت .

فضحك أبو عبدالله عليه السلام ...»(١).

ثالثاً ـ الدور القيادي للإمام عليه السلام في سائر العلوم:

لم ينحصر الدور القيادي للإمام عليه السلام في علمي الفقه والكلام، بل شمل مختلف العلوم أيضاً، كالتفسير وآداب اللغة، والسيرة، والعلوم الغريبة، وغيرها، وكان له تلاميذ مختصّون بهذه العلوم.

روى الكشّي بإسناده عن هشام بن سالم، قال: «كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة من أصحابه، فورد رجل من أهل الشام فاستأذن، فأذن له، فلمّا دخل، سلّم، فأمره أبو عبد الله عليه السلام بالجلوس، ثمّ قال له: حاجتك أيّها الرجل؟

قال: بلغني أنّك عالم بكلّ ما تُسأل عنه، فصرت إليك لأناظرك!

فقال أبو عبد الله عليه السلام: في ماذا؟

قال: في القرآن وقطعه وإسكانه وخفضه ونصبه ورفعه.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا حمران دونك الرجل!

فقال الرجل: إنّما أُريدك أنت، لا حمران.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: إن غلبت حمران فقد غلبتني! فأقبل الشامي يسأل حمران حتّى غرض(٢)، وحمران يجيبه.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: كيف رأيت يا شامي؟

قال: رايته حاذقاً، ما سألته عن شيء إلّا أجابني فيه.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا حمران سل الشامي، فما تركه يكشر(٣).

---

(١) اختيار معرفة الرجال: ٢٧١ ـ ٢٧٢، رقم ٤٩٠.

(٢) الغَرَض: من معانيه الضجر والملال. القاموس المحيط: «غرض».

(٣) كشّر عن أسنانه: أبداها في الضحك وغيره، فيكون معنى العبارة: ما تركه يضحك أو ←

فقال الشامي : أريد يا أبا عبد اللّه أناظرك في العربيّة !

فالتفت أبو عبد اللّه عليه السلام ، فقال : يا أبان بن تغلب ناظره ، فناظره ، فما ترك الشامي يكشر.

فقال : أريد أن أناظرك في الفقه !

فقال أبو عبد اللّه عليه السلام : يا زرارة ، ناظره ! فناظره فما ترك الشاميّ يكشر.

قال : أريد أن أناظرك في الكلام !

قال عليه السلام : يا مؤمن الطاق ناظره ، فناظره ، فسَجَل[1] الكلام بينهما ، ثمّ تكلّم مؤمن الطاق بكلامه فغلبه به .

فقال : أريد أن أناظرك في الاستطاعة[2].

فقال عليه السلام للطيّار : كلّمه فيها ، فكلّمه فما تركه يكشر.

ثمّ قال : أريد أكلّمك في التوحيد .

فقال عليه السلام لهشام بن سالم : كلّمه ، فسجل الكلام بينهما ثمّ خصمه هشام .

فقال : أريد أن أتكلّم في الإمامة .

فقال عليه السلام لهشام بن الحكم : كلّمه يا أبا الحكم ! فكلّمه ، فما تركه يرتم[3] ،

← يتكلّم . ويأتي بمعنى هرب ، أي : ما تركه يهرب . انظر القاموس المحيط : «كشر» .

(١) من السَّجْل ، وهي الدلو الضخمة المملوءة ماءً ، يقال دارت الحرب سجالاً ، أي سَجْلٌ على هؤلاء وأخرى على هؤلاء ، لأنّ المستقيين بسجلين من البئر يكون لكلّ واحد منهما سجلٌ أي دلو . والمراد أنّ الكلام دار بينهما وتداولاه . انظر لسان العرب : « سجل » .

(٢) الاستطاعة : « هو التمكّن من الفعل بوجود جميع ما يحتاج إليه الفعل والفاعل إن كان ممّا يحتاج » . رسائل الشريف المرتضى ٢ : ٢٦٤ ، رسالة الحدود والحقائق .

يبحث عن الاستطاعة بمناسبة الكلام عن الجبر والاختيار .

(٣) أي ما تركه يتكلّم بكلمة . من الرتم ، وهو الكلام الخفيّ ، انظر : لسان العرب : « رتم » .

ولا يحلي ولا يمر[١]، فبقي يضحك أبو عبد الله عليه السلام حتّى بدت نواجذه.

فقال الشامي: كأنّك أردت أن تخبرني أنّ في شيعتك مثل هؤلاء الرجال؟

قال عليه السلام: هو ذاك»[٢].

ـ وأمّا دوره القيادي بالنسبة إلى التاريخ والسيرة، فيكفيك ما نقل عنه مثل أبان بن عثمان الأحمر البجلي المتوفّى سنة ١٤٠هـ، وهشام بن محمّد السائب الكلبي المتوفّى سنة ٢٠٦هـ.

أمّا أبان، فقد قال عنه النجاشي: «... أكثر الحكاية عنه في أخبار الشعراء والنسب والأيام، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن موسى عليهما السلام، له كتاب حسن كبير يجمع المبتدأ، والمغازي، والوفاة، والردّة»[٣].

وأمّا هشام، فقال عنه النجاشي: «... الناسب، العالم بالأيام، المشهور بالفضل والعلم، وكان يختصّ بمذهبنا. وله الحديث المشهور، قال: اعتللت علّة عظيمة نسيت علمي، فجلست إلى جعفر بن محمّد عليه السلام، فسقاني العلم في كأس، فعاد إليّ علمي. وكان أبو عبد الله عليه السلام يقرّبه، ويدنيه، ويبسطه»[٤].

ثمّ ذكر له أكثر من أربعين كتاباً أكثرها في المغازي والمقاتل والأنساب، منها: «كتاب المذيّل الكبير في النسب وهو ضعف كتابه الجمهرة، وكتاب الجمهرة، وكتاب فتوح العراق، وكتاب فتوح الشام، وكتاب الردّة، وكتاب فتح خراسان... وكتاب مقتل أمير المؤمنين عليه السلام، وكتاب مقتل حجر بن عدي، وكتاب الحكمين، وكتاب مقتل الحسين عليه السلام، وكتاب قيام الحسن عليه السلام ...»، وغيرها.

---

(١) أي لا يتكلّم بحلو ولا مرّ، انظر المصدر المتقدّم: «حلا».

(٢) اختيار معرفة الرجال: ٢٧٥ ـ ٢٧٧، الرقم ٤٩٤.

(٣) رجال النجاشي: ١٣، الترجمة ٨.

(٤) المصدر المتقدّم: ٤٣٤، الترجمة ١١٦٦.

وكان أبوه محمّد بن السائب من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام ، كما ذكره الشيخ في رجاله[١] . وكان من رجالات هذا الفن أيضاً .

وممّن عُدّ من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام من المؤرّخين : محمّد بن إسحاق بن يسار المدني[٢] . وعدّ من أصحاب الباقر عليه السلام أيضاً .

قال الكشّي تحت عنوان : « محمّد بن إسحاق صاحب المغازي » : « محمّد بن إسحاق ، ومحمّد بن المنكدر ، وعمرو بن خالد الواسطي ، وعبد الملك بن جريح ، والحسين بن علوان ، والكلبي ، هؤلاء من رجال العامّة ، إلّا أنّ لهم ميلاً ومحبّة شديدة ، وقد قيل : إنّ الكلبي كان مستوراً ولم يكن مخالفاً »[٣] .

والظاهر أنّ مراده من الكلبي هو محمّد بن السائب لا ابنه هشام ؛ للتصريح بكونه مختصّاً بالمذهب .

وأمّا بالنسبة إلى العلوم الطبيعية ، فيكفيك مثل جابر بن حيّان الكوفي المعروف بالصوفي ، ذكروا له كتباً كثيرة ربّما بلغت ٣٦٠ كتاباً في الكيمياء ، والفيزياء ، والطب ، والنجوم وغيرها ، قد ترجم بعضها إلى اللغة اللاتينيّة .

قال عنه ابن النديم : « ... وأمره أظهر وأشهر ، وتصنيفاته أعظم وأكثر ، ولهذا الرجل كتب في مذاهب الشيعة ، أنا أوردها في مواضعها ، وكتب في معان شتّى من العلوم ، وقد ذكرتها في مواضعها من الكتاب ... »[٤] .

وقال عنه ابن خلّكان عند ترجمة الإمام الصادق عليه السلام : « وله كلام في صنعة

---

(١) انظر رجال الشيخ الطوسي : ١٣٦ و ٢٨٩ .

(٢) انظر : رجال الشيخ الطوسي : ١٣٥ و ٢٨١ ، ومعجم رجال الحديث ١٥ : ٧٣ و ٧٥ .

(٣) اختيار معرفة الرجال : ٣٩٠ ، الرقم ٧٣٣ .

(٤) الفهرست (لابن النديم) : ٤٩٨ ـ ٥٠٠ .

الكيمياء والزجر والفأل[(١)]، وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيّان الصوفي الطرسوسي [أو الطرطوسي] قد ألّف كتاباً يشتمل على ألف ورقة تتضمّن رسائل جعفر الصادق وهي خمسمئة رسالة »[(٢)].

وقال عنه جرجي زيدان ـ على ما نقل عنه ـ: «... إنّه من تلامذة الصادق، وإنّ أعجب شيء عثرت عليه في أمر الرجل: أنّ الأوربيّين اهتمّوا بأمره أكثر من المسلمين والعرب! وكتبوا فيه وفي مصنّفاته تفاصيل، وقالوا: إنّه أوّل من وضع أساس الكيمياء الجديدة، وكتبه في مكاتبهم كثيرة، وهو حجّة الشرقي على الغربي إلى أبد الدهر»[(٣)].

والتحقيق في أمره وما قيل فيه بحاجة إلى فرصة أُخرى[(٤)].

احتجاجات الإمام الصادق عليه السلام :

كانت للإمام عليه السلام احتجاجات كثيرة مع مختلف الأشخاص بمختلف مذاهبهم ونحلهم، فقد سجّلت احتجاجاته مع أمثال ابن أبي العوجاء، وأبي شاكر الديصاني المعروفين بالزندقة، ومع أبي حنيفة في القياس وغيره، وكذا ربيعة الرأي، ومع سفيان الثوري في الزهد والتصوّف، ومع عمرو بن عبيد في مسائل شتّى، نشير فيما يأتي إلى نماذج منها:

---

(١) انظر إلى هذا الإفراط والتفريط، فإنّه لم يذكر من علم الإمام الصادق عليه السلام إلّا هذه المذكورات ولا من تلامذته إلّا جابر، ويتغاضى عن مهمّة الإمام عليه السلام الأصليّة، وهي القيادة الفكريّة والروحيّة والثقافيّة، والعدد الهائل من تلامذته الذين كان لهم اختصاص بالعلوم والفنون الإسلاميّة.

(٢) وفيات الأعيان ١: ٣٢٧، الترجمة ١٣١.

(٣) نقل ذلك عنه في قاموس الرجال ٢: ٥٠٧، ومعجم رجال الحديث ٤: ٩، الترجمة ٢٠٠٩.

(٤) انظر أعيان الشيعة ٤: ٣٠ ـ ٣٩.

نماذج من احتجاجاته مع أبي حنيفة :

١ ـ نقل في المناقب عن أبي القاسم البقّار في مسند أبي حنيفة أنّه قال : « قال الحسن بن زياد : سمعت أبا حنيفة وقد سُئل : من أفقه من رأيت ؟

قال : جعفر بن محمّد ، لمّا أقدمه المنصور ، بعث إليَّ فقال : يا أبا حنيفة ، إنّ الناس قد فتنوا بجعفر بن محمّد ، فهيّئ له من مسائلك الشداد ، فهيّأت له أربعين مسألة ، ثمّ بعث إليَّ أبو جعفر ـ وهو بالحيرة ـ فأتيته ، فدخلت عليه وجعفر جالس عن يمينه ، فلمّا بصرت به دخلني من الهيبة لجعفر ما لم يدخلني لأبي جعفر ، فسلّمت عليه ، فأومأ إليَّ فجلست ثمّ التفت إليه فقال : يا أبا عبد الله ، هذا أبو حنيفة ، قال : نعم ، أعرفه .

ثمّ التفت إليَّ فقال : يا أبا حنيفة ، ألقِ على أبي عبد الله من مسائلك ، فجعلت ألقي عليه فيجيبني فيقول : أنتم تقولون كذا ، وأهل المدينة يقولون كذا ، ونحن نقول كذا ، فربّما تابعنا وربّما تابعهم ، وربّما خالفنا جميعاً حتّى أتيت على الأربعين مسألة ، فما أخلّ منها بشيء .

ثمّ قال أبو حنيفة : أليس أنّ أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس ؟ »[1].

٢ ـ رووا : أنّ أبا حنيفة ، وعبد الله بن شبرمة ، وابن أبي ليلى دخلوا على أبي عبد الله عليه السلام ، فقال عليه السلام لابن أبي ليلى : « من هذا معك ؟ قال : هذا رجل له بصر ونفاذ في أمر الدين ، قال : لعلّه يقيس أمر الدين برأيه ؟ قال : نعم .

فقال أبو عبد الله عليه السلام لأبي حنيفة : ما اسمك ؟

قال : نعمان ... » إلى أن جاء في الرواية :

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٤ : ٢٥٥ ، وعنه في البحار ٤٧ : ٢١٧ ، تاريخ الإمام الصادق ، باب مناظراته ، الحديث ٤ .

« فقال : يا نعمان ، حدّثني أبي عن جدّي : أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : أوّل من قاس أمر الدين برأيه إبليس . قال الله تعالى له : اسجد لآدم ، فقال : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ [(١)] ، فمن قاس الدين برأيه قرنه الله تعالى يوم القيامة بإبليس ؛ لأنّه اتّبعه بالقياس .

ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام : أيّهما أعظم قتل النفس أو الزنا ؟ قال : قتل النفس .

قال أبو عبد الله عليه السلام : إنّ الله عزّ وجلّ قَبِل في قتل النفس شاهدين ولم يقبل في الزنا إلّا أربعة .

ثمّ قال : أيّهما أعظم الصلاة أم الصوم ؟ قال : الصلاة .

قال : فما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة ؟ فكيف ويحك يقوم لك قياسك ؟ ! اتّق الله ولا تقس الدين برأيك ! » [(٢)] .

٣ ـ وذكروا : « أنّ أبا حنيفة أكل طعاماً مع الإمام الصادق عليه السلام ، فلمّا رفع الإمام يده من أكله ، قال : الحمد لله ربّ العالمين ، اللهمّ هذا منك ومن رسولك صلى الله عليه وآله .

فقال أبو حنيفة : يا أباعبد الله ، أجعلت مع الله شريكاً ؟

فقال له : ويلك ، فإنّ الله تعالى يقول في كتابه : ﴿ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ [(٣)] ، ويقول في موضع آخر : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِينَا اللهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ ﴾ [(٤)] .

---

(١) الأعراف : ١٢ .

(٢) حلية الأولياء ٣ : ١٩٦ ـ ١٩٧ ، ونقله عنه ابن شهرآشوب في مناقب آل أبي طالب ٤ : ٢٥٢ ، وعن أمالي الشيخ الطوسي ، ونقله الحرّ العاملي في الوسائل ٢٧ : ٤٦ ، الباب ٦ من أبواب صفات القاضي ، الحديث ٢٥ ، عن الصدوق في علل الشرائع : ٨٦ .

(٣) التوبة : ٧٤ .

(٤) النساء : ٥٩ .

فقال أبو حنيفة: والله لكأنّي ما قرأتهما قطّ من كتاب الله، ولا سمعتهما إلّا في هذا الوقت...»[١].

٤ ـ وحكى ابن خلّكان عن كتاب المصايد والمطارد: أنّ جعفراً الصادق عليه السلام سأل أبا حنيفة فقال: «ما تقول في محرم كسر رباعيّة ظبي؟ فقال: يابن رسول الله، ما أعلم ما فيه، فقال له: أنت تتداهى ولا تعلم أنّ الظبي لا يكون له رباعيّة وهو ثنيٌّ أبداً»[٢].

احتجاجه مع سفيان الثوري:

روى الكليني أنّه: «دخل سفيان الثوري على أبي عبد الله عليه السلام فرأى عليه ثياب بيض كأنّها غرقئ البيض[٣]، فقال له: إنّ هذا اللباس ليس من لباسك!

فقال له: اسمع منّي وعِ ما أقول لك، فإنّه خير لك عاجلاً وآجلاً إن أنت متّ على السنّة والحقّ، ولم تمت على بدعة، أخبرك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان في زمان قفر جدب[٤]، فأمّا إذا أقبلت الدنيا فأحقّ أهلها بها أبرارها لا فجّارها، ومؤمنوها

---

(١) كنز الفوائد ٢: ٣٦.

(٢) وفيات الأعيان ١: ٣٢٨، الترجمة ١٣١، عن المصايد: ٢٠٢.

(٣) غرقئ البيض: القشرة الملتزقة ببياض البيض، أو البياض الذي يؤكل. لسان العرب: «غرق».

(٤) لا بدّ من الإشارة إلى أنّ الأئمّة عليهم السلام كانت ظروفهم مختلفة، ولذا كانت حالاتهم في الملبس والمأكل مختلفة أيضاً، بل كانت حالات الإمام الواحد مختلفة أيضاً، فقد روى الخزّاز: أنّه قال: «رأيت أبا عبد الله عليه السلام وعليه قميص غليظ خشن تحت ثيابه، وفوقه جبّة صوف، وفوقها قميص غليظ، فمسستها، فقلت: جعلت فداك! إنّ الناس يكرهون لباس الصوف، فقال: كلّا، كان أبي محمّد بن عليّ عليهما السلام يلبسها، وكان عليّ بن الحسين صلوات الله عليه يلبسها، وكانوا يلبسون أغلظ ثيابهم إذا قاموا إلى الصلاة، ونحن نفعل ذلك». الكافي ٦: ٤٥٠، كتاب الزي، لباس الصوف، الحديث ٤.

وانظر كتابنا «دراسة حول الإسراف في الكتاب والسنّة»: ٨٨ ـ ٩٠.

لا منافقوها، ومسلموها لا كفّارها، فما أنكرت يا ثوري ؟! فوالله إنّني لمع ما ترى ما أتى عليّ مذ عقلت صباح ولا مساء ولله في مالي حقّ أمرني أن أضعه موضعاً إلّا وضعته.

ثمّ أتاه قوم ممّن يظهرون الزهد ويدعون الناس أن يكونوا معهم على مثل الذي هم عليه من التقشّف، فقالوا له: إنّ صاحبنا حُصر عن كلامك، ولم تحضره حججه، فقال لهم: فهاتوا حججكم ...».

ثمّ ذكروا جملة من الآيات[1] فأجاب الإمام عليه السلام عمّا تمسّكوا به في كلام طويل ذكره الكليني في عدّة صفحات[2].



احتجاجه مع عمرو بن عبيد:

كانت لعمرو بن عبيد لقاءات وحوارات متعدّدة مع الإمام الصادق عليه السلام، منها:

ما رواه الكليني بسند صحيح: أنّه «دخل عمرو بن عبيد على أبي عبد الله عليه السلام، فلمّا سلّم وجلس تلا هذه الآية: ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ ﴾[3] ثمّ أمسك.

فقال له أبو عبد الله: ما أسكتك ؟

قال: أحبّ أن أعرف الكبائر من كتاب الله عزّ وجلّ.

فقال: نعم، يا عمرو، أكبر الكبائر الإشراك بالله، يقول الله: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ﴾[4]، وبعده الإياس من روح الله ؛ لأنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ إِنَّهُ

---

(١) الحشر: ١٠، والدهر: ٨.

(٢) الكافي ٥: ٦٥ ـ ٧٠، كتاب المعيشة، الباب الأوّل، الحديث الأوّل.

(٣) النجم: ٣٢.

(٤) المائدة: ٧٢، والآية في المصحف هكذا: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ ...﴾.

لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾[١]، ثمّ الأمن من مكر الله ؛ لأنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[٢]، ومنها عقوق الوالدين ؛ لأنّ الله سبحانه جعل العاقّ جبّاراً شقياً[٣]، وقتل النفس التي حرّم الله إلّا بالحقّ ؛ لأنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا ﴾[٤]، وقذف المحصنة ؛ لأنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[٥]، وأكل مال اليتيم ؛ لأنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً ﴾[٦]، والفرار من الزحف ؛ لأنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ ... فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[٧]، وأكل الربا ؛ لأنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ »[٨].

والرواية طويلة ، جاء في آخرها : « فخرج عمرو وله صراخ من بكائه وهو يقول : هلك من قال برأيه ونازعكم في الفضل والعلم »[٩].

كان هذا بعض النماذج من احتجاجاته ومجالسه عليه السلام ، وذكروا له مجالس كثيرة في مجالات مختلفة ، لم يسع المجال لذكر أكثر ممّا تقدّم ، وقد خرجنا به عن طور البحث .

---

(١) يوسف : ٨٧.

(٢) الأعراف : ٩٩.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً﴾ . مريم : ٣٢.

(٤) النساء : ٩٣.

(٥) النور : ٢٣.

(٦) النساء : ١٠.

(٧) الأنفال : ١٦.

(٨) البقرة : ٢٧٥.

(٩) أُصول الكافي ٢ : ٢٨٥ ، باب الكبائر ، الحديث ٢٤.

ردود فعل الإمام عليه السلام على فتاوى معاصريه:

لقد كانت تنقل إلى الإمام عليه السلام فتاوى معاصريه، وكان يعلّق عليها ويذكر الجواب الصحيح فيها، ونكتفي بذكر مثال واحد فيما يأتي:

أخرج الكليني بسند صحيح إلى أبي ولّاد الحنّاط، أنّه قال ما حاصله:

كان له غريم خارج الكوفة، فاكترى بغلاً إلى موضعه ليتقاضى دينه منه، فلمّا وصل الموضع أخبروه بأنّه خرج إلى موضع آخر، فتبعه، ولمّا وصل إلى ذلك المكان أُخبر بأنّه ذهب إلى بغداد، فاتّبعه فظفر به وتقاضى منه دينه ورجع إلى الكوفة.

ولمّا وصلها أراد أن يتحلّل من صاحب البغل بعد أن حكى له قصّته، فدفع له خمسة عشر درهماً، لكنّه لم يرض بذلك، فتراضيا بأبي حنيفة.

ولمّا حكيا له القصّة، سأل أبا ولّاد: ما صنعت بالبغل؟

فقال قد دفعته إليه سليماً.

فقال لصاحب البغل: فما تريد من الرجل؟

فقال: أُريد كراء بغلي، فقد حبسه عليّ خمسة عشر يوماً.

فقال أبو حنيفة: ما أرى لك حقّاً؛ لأنّه خالف فضمن قيمة البغل، وسقط الكراء، فلمّا ردّ البغل سليماً وقبضته لم يلزمه الكراء[١].

---

(١) فيرى أبو حنيفة: أنّ الغاصب يضمن قيمة العين لا المنفعة، ولمّا خالف المكتري عندما جاوز الموضع الذي اكترى إليه صار غاصباً، فهو يضمن البغل نفسه ولا يضمن كراءه بعد ذلك الموضع، ولمّا أرجع البغل سالماً انتفى ضمان العين، ولم يبق في ذمّة المكتري غير أُجرة البغل التي عقدت الإجارة عليها.

قال أبو ولّاد : فخرجنا من عنده وجعل صاحب البغل يسترجع فرحمته ممّا أفتى به أبو حنيفة ، فأعطيته شيئاً وتحلّلت منه .

فحججت تلك السنة ، فأخبرت أبا عبد الله عليه السلام بما أفتى به أبو حنيفة ، فقال : « في مثل هذا القضاء وشبهه تحبس السماء ماءها ، وتمنع الأرض بركتها ! » .

قال أبو ولّاد : فقلت لأبي عبد الله عليه السلام : فما ترى أنت ؟

فقال : « أرى له عليك مثل كراء بغلٍ ذاهباً من الكوفة إلى النيل ، ومثل كراء بغلٍ راكباً من النيل إلى بغداد ، ومثل كراء بغلٍ من بغداد إلى الكوفة توفيه إيّاه .

قال : فقلت : جعلت فداك ، قد علفته بدراهم فلي عليه علفه ؟

فقال : لا ، لأنّك غاصب ... »[1] .

والرواية مهمّة جدّاً ، وقد قال عنها الشيخ الأنصاري : « إنّ الصحيحة مشتملة على أحكام كثيرة ، وفوائد خطيرة »[2] .

موقف الإمام عليه السلام من الغلاة :

كانت المحنة التي عاناها الإمام عليه السلام من الغلاة ليست بأقلّ ممّا كان يعانيه من أعدائه ، بل كانت تصرفات الغلاة وأقاويلهم مستمسكاً للذين يريدون الوقيعة بالإمام عليه السلام سواء كانت السلطة ، أو علماء البلاط ، أو غيرهم ممّن كان يأخذهم الحسد ؛ فلذلك كان الإمام عليه السلام يتبرّأ من الغلو والغلاة أشدّ البراءة ، لا لأجل ذلك فقط ؛ بل لأنّه كان يرى ذلك لزاماً عليه .

روى الكليني عن بعض أصحاب أبي عبدالله عليه السلام قال : « خرج إلينا أبو عبد الله عليه السلام

---

(١) الكافي ٥ : ٢٩٠ ، كتاب المعيشة ، باب الرجل يكتري الدابة فيجاوز بها الحدّ ، الحديث ٦ ، وأخرجه عنه الوسائل ١٩ : ١١٩ ، الباب ١٧ من أبواب الإجارة ، الحديث الأوّل .

(٢) كتاب المكاسب (للشيخ الأنصاري) ٣ : ٢٤٥ .

وهو مغضب، فقال: إنّي خرجت آنفاً في حاجة فتعرّض لي بعض سودان المدينة، فهتف بي: "لبّيك يا جعفر بن محمّد، لبّيك"، فرجعت عودي على بدئي إلى منزلي خائفاً ذعراً ممّا قال، حتّى سجدت في مسجدي لربّي، وعفّرت له وجهي، وذلّلت له نفسي، وبرئت إليه ممّا هتف بي، ولو أنّ عيسى بن مريم عدا ما قال الله فيه إذن لصُمّ صمّاً لا يسمع بعده أبداً، وعمي عمىً لا يبصر بعده أبداً، وخرس خرساً لا يتكلّم بعده أبداً، ثمّ قال: لعن الله أبا الخطّاب[1] وقتله بالحديد»[2].

---

(١) محمّد بن أبي زينب أبو الخطّاب الأسدي، كان من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام ثمّ انحرف وغلا في الإمام، وكان يكذب عليه، فلعنه الإمام عليه السلام وتبرّأ منه ودعا عليه، فقتل هو وأصحابه على يد عيسى بن موسى بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس الذي كان عامل المنصور على الكوفة، ولم ينج منهم إلّا رجل واحد تُوهّم أنّه مجروح، فانسلّ من بين القتلى ليلاً، وهو أبو خديجة (أو أبو سلمة) سالم بن مكرم الجمّال، فتاب، وكان ممّن يروي الحديث. انظر: اختيار معرفة الرجال: ٣٥٢، الرقم ٦٦١، ومعجم رجال الحديث ١٤: ٢٤٣ ـ ٢٦٠، ومقباس الهداية ٢: ٣٥٥ ـ ٣٥٧.

وقال الشهرستاني: «الخطّابية أصحاب أبي الخطّاب محمّد بن أبي زينب الأسدي الأجدع مولى بني أسد، وهو الذي عزا نفسه إلى أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، فلمّا وقف الصادق على غلوّه الباطل في حقّه تبرّأ منه ولعنه، وأمر أصحابه بالبراءة منه، وشدّد القول في ذلك، وبالغ في التبرّي منه واللعن عليه، فلمّا اعتزل عنه ادّعى الإمامة لنفسه.

زعم أبو الخطّاب: أنّ الأئمّة أنبياء ثمّ آلهة، وقال بإلـهيّة جعفر بن محمّد، وإلـهيّة آبائه رضي الله عنهم، وهم أبناء الله وأحبّاؤه، والإلـهيّة نور في النبوّة، والنبوّة نور في الإمامة، ولا يخلو العالم من هذه الأنوار، وزعم أنّ جعفراً هو الإلـه في زمانه، وليس هو المحسوس الذي يرونه، ولكن لمّا نزل إلى هذا العالم لبس تلك الصورة فرآه الناس فيها». الملل والنحل ١: ١٧٩ ـ ١٨٠. وانظر: المقالات والفِرق (لسعد بن عبد الله الأشعري): ٥٤ ـ ٥٨، وفرق الشيعة (للنوبختي): ٤٧، وكشّاف اصطلاحات الفنون ٢: ٩، وكتاب المواقف وشرحها ٣: ٦٨٠ ـ ٦٨١.

(٢) الكافي (الروضة) ٨: ٢٢٥، الحديث ٢٨٦، وقد استجاب الله دعاءه كما تقدّم.

وقال عليه السلام لسدير ـ حينما قال له : «إنّ قوماً يزعمون أنّكم آلهة» ـ: «يا سدير، سمعي وبصري وشعري وبشري ولحمي ودمي من هؤلاء براء، برئ الله منهم ورسوله، ما هؤلاء على ديني ودين آبائي، والله لا يجمعني وإيّاهم يوم القيامة إلّا وهو عليهم ساخط.

قال : قلت : فما أنتم جعلت فداك ؟

قال : خزّان علم الله وتراجمة وحي الله، ونحن قوم معصومون أمر الله بطاعتنا، ونهى عن معصيتنا، نحن الحجّة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض»[1].

وعن أبي بصير، قال : «قال لي أبو عبد الله عليه السلام : يا أبا محمّد، ابرأ ممّن يزعم أنّا أرباب، قلت : برئ الله منه، فقال : ابرأ ممّن زعم أنّا أنبياء، قلت : برئ الله منه»[2].

وعن مرازم قال : «قال أبو عبد الله عليه السلام : قل للغالية : توبوا إلى الله، فإنّكم فسّاق كفّار مشركون»[3].

وهكذا كان يتبرّأ جميع الأئمّة عليهم السلام ممّن كان يغالي فيهم أو يكذب عليهم، وقد كان لكلّ إمام من يكذب عليه أو يغالي فيه[4].

---

(١) معجم رجال الحديث ١٤ : ٢٥٥.

(٢) و (٣) المصدر المتقدّم : ٢٥٣. وانظر رجال الكشي : ٢٩٠ ـ ٣٠٨، ترجمة أبي الخطّاب.

(٤) انظر المصدر المتقدّم : ٢٤٣ ـ ٢٦٠، ترجمة أبي الخطّاب، و١٨ : ٢٧٥ ـ ٢٧٩، ترجمة المغيرة بن سعيد الذي كان يكذب على أبي جعفر عليه السلام، وجاء في حقّه عن أبي عبد الله عليه السلام : «لعن الله المغيرة بن سعيد، أنّه كان يكذب على أبي فأذاقه الله حرّ الحديد، لعن الله من قال فينا ما لا نقول في أنفسنا، ولعن الله من أزالنا عن العبودية لله الذي خلقنا، وإليه مآبنا ومعادنا، وبيده نواصينا».

وانظر أيضاً ترجمة بنان في معجم رجال الحديث ٣ : ٣٧٠، فقد ورد عن أبي جعفر عليه السلام لعنه، وأنّه كان يكذب على عليّ بن الحسين عليه السلام.

وانظر خاتمة المستدرك ١ : ١٣٥ ـ ١٣٩، عند كلامه عن كتاب دعائم الإسلام ←

إلى هنا نكتفي بالكلام عن الإمام أبي عبد اللّه الصادق عليه السلام ، ولم يسعنا الكلام عن أكثر من ذلك بشأن حياته المشرقة والمضيئة رغم كلّ الصعوبات التي لاقاها من خصومه وبعض من انتسب إليه .

فالسلام عليه يوم ولد ، ويوم مات ، ويوم يبعث حيّاً



← للقاضي نعمان المصري ، وانظر كتاب الدعائم ١ : ٤٩ ، ضمن الكلام عن منازل الأئمّة صلوات اللّه عليهم .

سابعاً ـ الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام

اسمه ونسبه:

هو موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام.

وأمّه: أمّ ولد يقال لها: حُمَيدَة البربرية ـ أو الأندلسية ـ وحُميدة المصفّاة[1].

كنيته ولقبه:

كان يكنّى بأبي الحسن ـ وأبي الحسن الأوّل ـ وأبي إبراهيم، وأبي عليّ، والأوّل أشهرها.

وألقابه كثيرة، أهمّها: الكاظم، والعبد الصالح، والصابر، وأشهرها الأوّل[2].

مولده:

ولد بالأبواء[3] سنة مئة وثمان وعشرين[4]، في السابع من شهر صفر، كما قيل[5].

---

(١) و (٢) انظر: أُصول الكافي ١: ٤٧٦، والإرشاد ٢: ٢١٥، والتهذيب ٦: ٨١، كتاب المزار، الباب ٢٩، وإعلام الورى ٢: ٦، والبحار ٤٨: ٦، كتاب تاريخ الإمام موسى عليه السلام، باب ولادته، الحديث ٩.

(٣) موضع بين مكّة والمدينة فيه قبر آمنة أمّ النبيّ صلى الله عليه وآله. انظر مراصد الاطّلاع: «أبواء».

(٤) وقيل: تسع وعشرين. انظر المصادر المذكورة في الهامش الأوّل.

(٥) انظر إعلام الورى ٢: ٦.

وفـــاته:

استشهد في الخامس والعشرين من شهر رجب سنة مئة وثلاث وثمانين[١] ببغداد في سجن هارون الرشيد على أثر السمّ الذي دسّه إليه، كما يأتي تفصيله.

ودُفن في مقابر قريش في باب التبن، وكانت لبني هاشم والأشراف من الناس قديماً[٢].

وقال ابن خلّكان: «قبره هناك مشهور يزار، وعليه مشهد عظيم فيه قناديل الذهب والفضّة، وأنواع الآلات والفرش ما لا يحدّ»[٣].

يمرّ على هذا التقرير أكثر من سبعمئة سنة، وأمّا اليوم فله مشهد عظيم يقصده النّاس من جميع الأنحاء للزيارة والاستشفاع به إلى اللّه تعالى لطلب الحوائج.

عمره الشريف:

كان عمره خمساً وخمسين سنة، بقي عشرين سنة منها مع أبيه، وخمساً وثلاثين بعده[٤].

مدّة إمـــامته:

بلغت إمامته خمساً وثلاثين سنة، وتقلّدها وهو ابن عشرين عاماً.

---

(١) انظر: أصول الكافي ١: ٤٧٦، والإرشاد ٢: ٢١٥، والتهذيب ٦: ٨١، كتاب المزار، الباب ٢٩، وإعلام الورى ٢: ٦، والبحار ٤٨: ٦، كتاب تاريخ الإمام موسى عليه السلام، باب ولادته، الحديث ٩.

(٢) انظر الإرشاد ٢: ٢٤٣.

(٣) وفيات الأعيان ٥: ٣١٠، الترجمة ٧٤٦.

(٤) انظر الإرشاد ٢: ٢١٥، وغيره.

حكّام عصره:

عاصر الإمام موسى ﷺ من الحكّام: المنصور، والمهدي، والهادي، وهارون الرشيد، وتوفّي في حكم الأخير، كما تقدّم ويأتي بيانه.

الظروف السياسية في عصره:

لاقى الإمام الكاظم ﷺ ضغطاً شديداً من قِبل حكّام عصره.

أمّا المنصور فقد تقدّم[١]: أنّه كتب إلى محمّد بن سليمان: «إن كان [يعني الإمام جعفر الصادق ﷺ] أوصى إلى رجل واحد بعينه فقدّمه واضرب عنقه...»[٢].

ولهذا السبب أوصى الإمام الصادق إلى خمسة، وهم: المنصور، ومحمّد بن سليمان ـ الوالي على المدينة ـ وعبد الله بن جعفر ـ أخو الإمام موسى ﷺ ـ وموسى بن جعفر، وحميدة أمّه، ليدرأ الشبهة عن الإمام موسى ﷺ[٣].

فكانت عيون المنصور وجواسيسه تراقب من تجتمع عليه الشيعة ليقضي عليه؛ ولذلك خفي على كثير من الشيعة إمامة الكاظم ﷺ وذهبوا إلى إمامة أخيه عبد الله الذي كان أكبر ولد أبيه، ولمّا لم يقدر على إجابة الأسئلة الموجّهة إليه رجعوا إلى إمامة الكاظم بالتدريج، والنصّ الآتي يبيّن لنا هذه الواقعية:

روى المفيد في الإرشاد بإسناده إلى هشام بن سالم قال: «كنّا بالمدينة بعد وفاة أبي عبد الله ﷺ والناس مجتمعون على عبد الله بن جعفر أنّه صاحب الأمر بعد أبيه، فدخلنا عليه ـ والناس عنده ـ فسألناه عن الزكاة في كم تجب؟

فقال: في مئتي درهم خمسة دراهم.

---

(١) انظر الصفحة ٣١٨.

(٢) و (٣) أصول الكافي ١: ٣١٠، كتاب الحجّة، باب الإشارة والنصّ على أبي الحسن موسى، الحديث ١٣.

فقلنا له : ففي مئة ؟

قال : درهمان ونصف !

قلنا : واللّه ما تقول المرجئة هذا !

فقال : واللّه ما أدري ما تقول المرجئة !

قال : فخرجنا ضلّالاً لا ندري إلى أين نتوجّه ، أنا وأبوجعفر الأحول ، فقعدنا في بعض أزقّة المدينة باكيين لا ندري أين نتوجّه ، وإلى من نقصد ، نقول : إلى المرجئة ؟ إلى القدرية ؟ إلى الزيدية ؟ إلى الخوارج ؟

فنحن كذلك إذ رأيت رجلاً شيخاً لا أعرفه يومئ إليّ بيده ، فخفت أن يكون عيناً من عيون أبي جعفر المنصور ؛ وذلك أنّه كان له بالمدينة جواسيس على من يجتمع بعد جعفر الناسُ ، فيؤخذ فيضرب عنقه ، فخفت أن يكون منهم ، فقلت للأحول : تنحّ فإنّي خائف على نفسي وعليك ، وإنّما يريدني ليس يريدك ، فتنحّ عنّي لا تهلك فتعين على نفسك ، فتنحّى عنّي بعيداً .

وتبعت الشيخ ؛ وذلك أنّي ظننت أنّي لا أقدر على التخلّص منه ، فما زلت أتّبعه ـ وقد عرضت على الموت ـ حتّى ورد بي على باب أبي الحسن موسى ﷺ ، ثمّ خلّاني ومضى ، فإذا خادم بالباب فقال لي : ادخل رحمك اللّه .

فدخلت فإذا أبو الحسن موسى ﷺ ، فقال لي ابتداءً منه : إليّ ، إليّ ، لا إلى المرجئة ، ولا إلى القدرية ، ولا إلى المعتزلة ، ولا إلى الخوارج ، ولا إلى الزيدية .

قلت : جعلت فداك ، مضى أبوك ؟

قال : نعم .

قلت : مضى موتاً ؟

قال : نعم .

قلت : فمن لنا من بعده ؟

قال : إن شاء اللّه أن يهديك هداك .

قلت : جعلت فداك ، إنّ عبد اللّه أخاك يزعم أنّه الإمام بعد أبيه .

فقال : عبد اللّه يريد ألا يُعبد اللّه .

قلت : جعلت فداك ، فمن لنا بعده ؟

فقال : إن شاء اللّه أن يهديك هداك .

قلت : جعلت فداك ، فأنت هو ؟

قال : لا أقول ذلك .

فقلت في نفسي : لم أصب طريق المسألة .

ثمّ قلت له : جعلت فداك ، عليك إمام ؟

قال : لا .

قال [أي هشام بن سالم]: فدخلني شيء لا يعلمه إلّا اللّه إعظاماً له وهيبة . ثمّ قلت : جعلت فداك ، أسألك كما كنت أسأل أباك ؟

قال : سل تخبر ولا تذع ، فإن أذعت فهو الذبح .

قال : فسألته ، فإذا هو بحر لا يُنزف .

قلت : جعلت فداك ، شيعة أبيك ضلّال ، فألقي إليهم هذا الأمر وأدعوهم إليك ، فقد أخذت عليّ الكتمان ؟

قال : من آنست منهم رشداً فألق إليه وخذ عليه بالكتمان ، فإذا أذاع فهو الذبح ، وأشار بيده إلى حلقه ...»[1].

ثمّ ذكر كيفيّة إخباره للأحول وسائر الخواصّ من الشيعة ورجوعهم إلى أبي الحسن عليه السلام .

---

(١) الإرشاد ٢ : ٢٢١ ـ ٢٢٣.

ويتجلّى من هذا النصّ مدى ما كان يعانيه الإمام عليه السلام من الضغط السياسي أيام المنصور.

مات المنصور سنة مئة وثمان وخمسين، وبدأت خلافة المهدي ودامت عشر سنين[١].

أقدمه المهدي إلى بغداد وحبسه ثمّ أطلق سراحه لرؤيا رآها.

قال الخطيب البغدادي: «لمّا حبس المهدي موسى بن جعفر رأى المهدي في النوم عليّ بن أبي طالب وهو يقول: يا محمّد ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[٢].

قال الربيع: فأرسل إليّ ليلاً، فراعني ذلك، فجئته فإذا هو يقرأ هذه الآية ـ وكان أحسن الناس صوتاً ـ وقال: عليّ بموسى بن جعفر، فجئته به فعانقه وأجلسه إلى جنبه وقال: يا أبا الحسن، إنّي رأيت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب في النوم يقرأ عليّ كذا، فتؤمنني أن تخرج عليّ أو على أحد من ولدي؟

فقال: والله[٣] لا فعلت ذاك ولا هو من شأني، قال: صدقت. ياربيع، أعطه ثلاثة آلاف دينار، وردّه إلى أهله إلى المدينة.

قال الربيع: فأحكمت أمره ليلاً فما أصبح إلّا وهو في الطريق خوف العوائق»[٤].

وروى الكليني بإسناده عن أبي خالد الزبالي، قال: لمّا أُقدم بأبي الحسن موسى عليه السلام على المهدي القدمة الأُولى، نزل زبالة فكنت أُحدّثه، فرآني مغموماً، فقال لي: يا أبا خالد، ما لي أراك مغموماً؟ فقلت: وكيف لا أغتمّ وأنت تحمل إلى

---

(١) انظر مروج الذهب ٣: ٣٠٩.

(٢) سورة محمّد صلى الله عليه وآله: ٢٢.

(٣) كذا في وفيات الأعيان ٥: ٣٠٨، وفي تاريخ بغداد: آلله.

(٤) تاريخ بغداد ١٣: ٣٠ ـ ٣١، وانظر وفيات الأعيان ٥: ٣٠٨ ـ ٣١٠، الترجمة ٧٤٦.

هذه الطاغية ولا أدري ما يُحدث فيك ؟ فقال : ليس عليّ بأس ... » ، ثمّ ذكر موعد رجوعه ، فرجع عليه السلام في الموعد المقرّر . قال الراوي : « فقلت : الحمد للّه الذي خلّصك منهم ، فقال : إنّ لي إليهم عودة لا أتخلّص منهم »[١].

ومضى المهدي وجاء بعده ابنه موسى الهادي ، ولم يبق في الحكم إلّا خمسة عشر شهراً[٢].

وصادف في أيامه خروج الحسين بن عليّ صاحب فخ ، فاستشهد وأكثر من معه ، وأسر جماعة من آل عليّ عليه السلام وجيء بهم وبالرؤوس إلى موسى الهادي ، فأخذ ينال منهم حتّى نال من الإمام موسى الكاظم عليه السلام ، وقال : « واللّه ما خرج حسين إلّا عن أمره ولا اتّبع إلّا محبّته ؛ لأنّه صاحب الوصيّة في أهل هذا البيت ، قتلني اللّه إن أبقيت عليه » .

وذكرت الرواية : أنّ أبا يوسف القاضي ـ وكان جريئاً على الهادي ـ لم يزل يهدّئه وحلف له بطلاق نسائه وعتق ما يملك وتصدّق جميع ماله و.. إن كان مذهب موسى بن جعفر الخروج ، فإنّه لا يذهب إليه ، ولم يزل يرفق به حتّى سكن غضبه .

فكتب عليّ بن يقطين إلى الإمام موسى عليه السلام بذلك .

ولمّا وصل الكتاب ، استشار الإمام عليه السلام خواصّ أصحابه وأهل بيته فأشاروا عليه بأن يغيّب شخصه عنه .

فتبسّم الإمام عليه السلام ، ثمّ أخبر بأنّه لا يرِدُ أوّل كتاب من العراق إلّا بموت موسى الهادي وهلاكه ، وأنّه قد مات في يومه هذا .

ثمّ تفرّقوا وما اجتمعوا إلّا لقراءة الكتاب الوارد بموت موسى الهادي

---

(١) أصول الكافي ١ : ٤٧٧ ، باب مولد أبي الحسن موسى عليه السلام ، الحديث ٣.

(٢) انظر مروج الذهب ٣ : ٣٢٤.

والبيعة لهارون[١].

وما أن ذهب موسى الهادي حتّى جاء أخوه هارون الرشيد فازدادت النقمة على آل عليّ عليهم السلام وخاصّة على موسى بن جعفر عليه السلام ، وكانت العيون تراقبه من قريب وبعيد ، أضف إلى ذلك وجود الحسّاد من أقاربه وغيرهم ، فإنّ هؤلاء كلّهم كانوا يرفعون التقارير إلى هارون ضدّ الإمام عليه السلام ، فكان يزداد بغضاً وحنقاً عليه .

والمؤرّخون لم يذكروا بصراحة عدد المرّات التي أُحضر فيها الإمام عليه السلام إلى بغداد ، ولكن يستفاد من كلماتهم والروايات الواردة[٢] : أنّ ذلك كان أكثر من مرّة ، بل رواية الكافي المتقدّمة صريحة في ذلك ، ففي بعض الروايات أنّ الإمام عليه السلام نفسه كان يحدّث بما جرى عليه حين إشخاصه إلى بغداد ، وهذا لا يتّفق مع الإشخاص الأخير الذي استشهد فيه .

فقد روي عن الإمام موسى عليه السلام أنّه قال : « لمّا أمر هارون الرشيد بحملي ، دخلت عليه ، فسلّمت فلم يردّ السلام ، ورأيته مغضباً ، فرمى إليّ بطومار ، فقال : اقرأه ، فإذا فيه كلام قد علم اللّه عزّ وجلّ براءتي منه ـ ثمّ ذكر الاتهامات ، ومنها : جباية الخراج ، والمتعة بلا شهود ، واستحلال الفروج بأمره ، ونحوها من التشنيعات ، ثمّ قال : ـ والكتاب طويل وأنا قائم أقرأ وهو ساكت ، فرفع رأسه وقال : اكتفيت بما قرأت ، فكلّم بحجّتك بما قرأته .

قلت : يا أمير المؤمنين ، والذي بعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالنبوّة ما حمل إليّ أحد درهماً ولا ديناراً من طريق الخراج ، لكنّا معاشر آل أبي طالب نقبل الهدية التي أحلّها اللّه

---

(١) انظر البحار ٤٨ : ١٥٠ ـ ١٥٣ ، كتاب تاريخ الإمام موسى عليه السلام ، باب مناظراته مع خلفاء الجور ، الحديث ٢٥ ، نقلاً عن مهج الدعوات .

(٢) انظر البحار ٤٨ : ٢١٩ ـ ٢٢٠ ، تاريخ الإمام موسى عليه السلام ، باب أحواله في الحبس ، الحديث ٢٠ .

عزّ وجلّ لنبيّه صلى الله عليه وآله في قوله صلى الله عليه وآله: «لو أُهدي لي كراع لقبلت، ولو دعيت إلى ذراع لأجبت» وقد علم أمير المؤمنين ضيق ما نحن فيه، وكثرة عدوّنا، وما منعنا السلف من الخمس الذي نطق لنا به الكتاب، فضاق بنا الأمر، وحرمت علينا الصدقة، وعوّضنا اللّه عزّ وجلّ عنها الخمس واضطررنا إلى قبول الهدية، وكلّ ذلك ممّا علمه أمير المؤمنين.

فلمّا تمّ كلامي سكتُّ.

ثمّ قلت: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لابن عمّه في حديث عن آبائه، عن النبيّ صلى الله عليه وآله، فكأنّه اغتنمها فقال: مأذون لك، هاته! فقلت: حدّثني أبي، عن جدّي يرفعه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله: أنّ الرحم إذا مسّت رحماً تحرّكت واضطربت، فإن رأيت أن تناولني يدك، فأشار بيده إليّ.

ثمّ قال: ادن، فدنوت فصافحني وجذبني إلى نفسه مليّاً، ثمّ فارقني وقد دمعت عيناه، فقال لي: اجلس يا موسى، فليس عليك بأس، صدقت وصدق جدّك، وصدق النبيّ صلى الله عليه وآله، لقد تحرّك دمي، واضطربت عروقي، وأعلم أنّك لحمي ودمي، وأنّ الذي حدّثتني به صحيح، وأنّي أُريد أن أسألك...».

ثمّ جرى بينهما حوار حول إرث العبّاس وعليّ عليه السلام ومسائل أُخرى، ثمّ التمس منه أن يكتب له مقالاً موجزاً فكتبه عليه السلام، ثمّ أجازه بالانصراف إلى أهله[1].

وذكر المسعودي عن عبد اللّه بن مالك الخزاعي ـ وكان موكّلاً على دار الرشيد وشرطته ـ: أنّه أتاه رسول الرشيد ليلاً فانتزعه من فراشه ومنعه من تغيير ثيابه، فراعه ذلك وأحضره عند الرشيد، وكان جالساً على فراشه، فسلّم عليه، فسكت الرشيد ساعة، زاد فيها خوفه على نفسه، ثمّ قال ـ أي الرشيد ـ: أتدري

---

(١) انظر البحار ٤٨: ١٢١ ـ ١٢٥، كتاب تاريخ الإمام موسى عليه السلام، باب مناظراته مع خلفاء الجور، الحديث الأوّل.

لِم طلبتك في هذا الوقت ؟

قلت : لا والله يا أمير المؤمنين !

قال : إنّي رأيت الساعة في منامي كأنّ حبشياً قد أتاني ومعه حربة ، فقال لي : إن لم تخلّ عن موسى بن جعفر الساعة وإلّا نحرتك بهذه الحربة . فاذهب فخلّ عنه .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، أطلق موسى بن جعفر ؟ ثلاثاً .

قال : نعم ، امضِ الساعة حتّى تطلق موسى بن جعفر ، وأعطه ثلاثين ألف درهم ، وقل له : إن أحببت المقام قِبلنا ، فلك عندي ما تحبّ ، وإن أحببت المضي إلى المدينة فالإذن في ذلك إليك .

فامتثل أمر الرشيد في الإمام عليه السلام (١) .



---

(١) مروج الذهب ٣ : ٣٤٦ ، ونقله عنه ابن خلّكان في وفيات الأعيان ٥ : ٣٠٩ ، الترجمة ٧٤٦ . وذكرا أنّ عبد الله بن مالك سأل الإمام عليه السلام عمّا رآه من فعل هارون ، فقال عليه السلام : « إنّه رأى جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام فقال له : يا موسى ، حبست مظلوماً ؟ فقل هذه الكلمات فإنّك لا تبيت هذه الليلة في الحبس .

فقلت : بأبي وأمّي ما أقول ؟

فقال : قل : يا سامع كلّ صوت ، ويا سابق الفوت ، ويا كاسي العظام لحماً ومنشرها بعد الموت ، أسألك بأسمائك الحسنى ، وباسمك الأعظم الأكبر المخزون المكنون الذي لم يطّلع عليه أحد من المخلوقين ، يا حليماً ذا أناة لا يقوى على أناته ، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً ، ولا يحصى عدداً ، فرّج عنّي » .

ونقلت هذه القضية في البحار عن عيون أخبار الرضا عليه السلام ، ولكنّ المأمور بامتثال أمر الرشيد فيها هو الفضل بن الربيع ، وأنّ الإمام عليه السلام قال للمأمور : قل له : لا حاجة له إلى الخلع والمال إذا كانت فيه حقوق الأمّة ، فناشده الله أن لا يردّها خوفاً من اغتياظ الرشيد ، فقال له الإمام عليه السلام : اعمل به ما أحببت . وهذا النقل أنسب من عدّة جهات .

انظر البحار ٤٨ : ٢١٣ ـ ٢١٥ ، تاريخ الإمام موسى عليه السلام ، باب أحواله في الحبس ، الحديث ١٤ .

فإن لم يتّحد هذا الإشخاص مع الأوّل فيكون إشخاصاً ثانياً.

استشهاد الإمام موسى عليه السلام في السجن الأخير:

وأمّا الإشخاص الذي انتهى به إلى سجنه عليه السلام ثمّ استشهاده، فخلاصته هي: أنّه بعد كثرة السعاية بالإمام موسى عليه السلام عند الرشيد، اهتمّ بالقضاء عليه.

ولمّا حجّ الرشيد ـ وقيل اعتمر في رمضان سنة ١٧٩هـ[١] ـ استقبله أشراف أهل المدينة يتقدّمهم موسى بن جعفر عليه السلام.

وبعد انتهاء مراسيم الاستقبال، جاء هارون ومن معه إلى مسجد الرسول صلى الله عليه وآله، فاستقبل القبر وقال: «السلام عليك يا رسول الله يابن عمّ»، افتخاراً!

فقال الإمام موسى عليه السلام: «السلام عليك يا أبت».

فتغيّر وجه هارون الرشيد وقال: «هو هذا الفخر يا أبا الحسن حقّاً!»[٢].

أقام الرشيد إلى الليل ثمّ جاء إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: «يا رسول الله، إنّي أعتذر إليك من شيء أُريد أن أفعله، أُريد أن أحبس موسى بن جعفر، فإنّه يريد التشتيت بين أُمّتك وسفك دمائها»[٣].

ثمّ أمر بموسى عليه السلام فأُخذ من المسجد ـ وقيل كان قائماً يصلّي عند محراب الرسول صلى الله عليه وآله ـ وأُدخل عليه، فقيّده واستدعى قبّتين على بغلين، فجعله في إحداهما ووجّهها إلى البصرة، وأرسل الأُخرى إلى الكوفة ليعمّي على الناس.

فسُلّم الإمام عليه السلام في البصرة إلى عيسى بن جعفر بن المنصور، وكان على البصرة

---

(١) انظر: وفيات الأعيان ٥: ٣٠٩، نقلاً عن الخطيب البغدادي في تاريخه ١٣: ٣٠ ـ ٣١.

(٢) انظر: وفيات الأعيان ٥: ٣٠٩، نقلاً عن الخطيب البغدادي في تاريخه ١٣: ٣٠ ـ ٣١، والإرشاد ٢: ٢٣٤.

(٣) هذا وما بعده من الإرشاد ٢: ٢٣٩ ـ ٢٤٣.

آنذاك ، فحبسه سنة ، وكتب إليه الرشيد في دمه ، فامتنع منه ـ بعد استشارة خواصّه ـ فكتب إلى الرشيد يقول :

« قد طال أمر موسى بن جعفر ومقامه في حبسي ، وقد اختبرت حاله ووضعت عليه العيون طول هذه المدّة ، فما وجدته يفتر عن العبادة ، ووضعت من يسمع منه ما يقول في دعائه ، فما دعا عليك ، ولا عليَّ ، ولا ذكرنا في دعائه بسوء ، وما يدعو لنفسه إلّا بالمغفرة والرحمة ، فإن أنت أنفذت إليَّ من يتسلّمه منّي وإلّا خلّيت سبيله ، فإنّني متحرّج من حبسه ».

وروي : أنّ بعض عيون عيسى بن جعفر رفع إليه : أنّه كان كثيراً ما يسمعه يقول في دعائه وهو محبوس عنده : « اللهمّ إنّك تعلم أنّي كنت أسألك أن تفرّغني لعبادتك ، اللهمّ وقد فعلت ، فلك الحمد ».

فوجّه الرشيد من تسلّمه من عيسى بن جعفر ، وأرسله إلى بغداد ، فسُلّم إلى الفضل بن الربيع ، فبقي عنده مدّة طويلة ، فأراد منه الرشيد أن يقضي عليه ، فامتنع من ذلك ، فأمره بتسليمه إلى الفضل بن يحيى ، فتسلّمه منه ، وجعله في بعض حجر داره ، ووضع عليه الرصد ، وكان عليه السلام مشغولاً بالعبادة يُحيي الليل كلّه صلاةً وقراءةً للقرآن ، ودعاءً واجتهاداً ، ويصوم النهار في أكثر الأيام ، ولا يصرف وجهه من المحراب ، فوسّع عليه الفضل بن يحيى وأكرمه .

فوصل خبر ذلك إلى الرشيد ، وهو بالرقّة ، فكتب إلى الفضل ينكر عليه توسعته على الإمام موسى عليه السلام ويأمره بقتله ، فتوقّف عن ذلك ولم يقدم عليه .

ولمّا وصل الرشيد خبر امتناعه ، أمر بعقوبته ، فضرب مئة سوط .

ثمّ أمر الرشيد بتسليم الإمام موسى إلى السندي بن شاهك .

ولمّا بلغ يحيى بن خالد الخبر ركب إلى الرشيد ، فقال له : إنّ الفضل حدث ، وأنا أكفيك ما تريد ، فانطلق وجه الرشيد وسُرَّ بذلك .

ثمّ رجع يحيى إلى بغداد ودعا السندي، فأمره بأمر الرشيد فامتثل ما أمر به، فجعل السُمّ في طعامه، وقيل: إنّه جعله في رطب، ولبث بعده موعوكاً منه، ثمّ مات في اليوم الثالث.

ولمّا مات الإمام موسى ﷺ أدخل السندي بن شاهك عليه الفقهاء ووجوه أهل بغداد، فنظروا إليه لا أثر به من جراح ولا خنق، وأشهدهم على أنّه مات حتف أنفه فشهدوا على ذلك.

وأخرج ووضع على الجسر ببغداد، ونودي: هذا موسى بن جعفر قد مات، فانظروا إليه، فجعل الناس يتفرّسون في وجهه وهو ميّت...

ثمّ حمل فدفن في مقابر قريش، كما تقدّم[1].

وروي: أنّ الإمام ﷺ لمّا حضرته الوفاة سأل السندي بن شاهك أن يحضره مولى له مدنيّاً ليتولّى غسله وتكفينه، ففعل ذلك.

قال السندي: وكنت أسأله في الإذن لي في أن أكفّنه فأبى، وقال: «إنّا أهل بيت، مهور نسائنا وحجّ صرورتنا وأكفان موتانا من طاهر أموالنا، وعندي كفن، وأريد أن يتولّى غسلي وجهازي مولاي فلان»، فتولّى ذلك[2].

فضائل الإمام موسى ﷺ ومناقبه:

قال الشيخ المفيد: «وكان أبو الحسن موسى ﷺ أعبد أهل زمانه، وأفقههم وأسخاهم كفّاً وأكرمهم نفساً.

وروي: أنّه كان يصلّي نوافل الليل ويصلها بصلاة الصبح، ثمّ يعقّب حتّى تطلع الشمس، ويخرّ للّه ساجداً فلا يرفع رأسه من الدعاء والتمجيد حتّى يقرب زوال

---

(١) تقدّم في الصفحة ٣٥٨.

(٢) انظر الإرشاد ٢: ٢٣٧ ـ ٢٤٣.

الشمس ، وكان يدعو كثيراً ، فيقول : "اللهمّ إنّي أسألك الراحة عند الموت ، والعفو عند الحساب" ، ويكرّر ذلك .

وكان من دعائه : "عظم الذنب من عبدك ، فليحسن العفو من عندك" .

وكان يبكي من خشية اللّه حتّى تخضلّ لحيته بالدموع ، وكان أوصل الناس لأهله ورحمه ، وكان يفتقد فقراء المدينة في الليل ، فيحمل إليهم فيه العين والورق ، والأدقّة ، والتمور ، فيوصل إليهم ذلك ، ولا يعلمون من أيّ جهة هو... »[١] .

وقال أيضاً : « وقد رَوَى الناس عن أبي الحسن موسى عليه السلام فأكثروا ، وكان أفقه أهل زمانه حسب ما قدّمناه ، وأحفظهم لكتاب اللّه ، وأحسنهم صوتاً بالقرآن ، وكان إذا قرأ يحدر ويبكي ، ويبكي السامعون لتلاوته ، وكان الناس يسمّونه زين المتهجّدين ، وسمّي بالكاظم لما كظمه من الغيظ ، وصبر عليه من فعل الظالمين به ، حتّى مضى قتيلاً في حبسهم ووثائقهم »[٢] .

تلامذة الإمام موسى عليه السلام :

مع شدّة الضغوط السياسية على الإمام عليه السلام وعلى أصحابه ، اعتنى تلامذته بما يصدر عنه من معارف وعلوم ، فروي أنّه : «كان جماعة من خاصّة أبي الحسن عليه السلام من أهل بيته وشيعته يحضرون مجلسه ومعهم في أكمامهم ألواح آبنوس لطاف وأميال ، فإذا نطق أبو الحسن عليه السلام بكلمة وأفتى في نازلة أثبت القوم ما سمعوا منه في ذلك »[٣] .

وقد ذكر الشيخ الطوسي في رجاله أسماء مئتين وسبعين من أصحابه ، منهم :

---

(١) انظر الإرشاد ٢ : ٢٣١ ـ ٢٣٢ .

(٢) المصدر المتقدّم : ٢٣٥ ـ ٢٣٦ .

(٣) البحار ٤٧ : ١٥٣ ، كتاب تاريخ الإمام موسى الكاظم عليه السلام ، باب مناظراته مع خلفاء الجور ، الحديث ٢٥ .

هشام بن الحكم، وهشام بن سالم، وابن أبي عمير، وعليّ بن يقطين، وأبو جعفر الأحول، ويونس بن عبد الرحمن، و...

وقد تقدّمت ترجمة بعضهم مثل هشام بن الحكم والأحول.

ونحن نقتصر على ذكر نبذة مختصرة عن حياة ثلاثة منهم:

١ ـ هشام بن سالم:

أحد أصحاب الإمامين: أبي عبد الله الصادق وابنه موسى الكاظم عليهما السلام، والراوين عنهما، قال عنه النجاشي: «ثقة، ثقة»[1].

كان ممّن درّبهم الإمام الصادق على المحاورة والمناظرة في علم الكلام، ويبدو أنّ اختصاصه كان في التوحيد، كما يظهر من مناظرة الشامي مع أصحاب أبي عبد الله عليه السلام[2].

وقد وجّهت إليه تهمة القول بالتشبيه، كما وجّهت تهمة القول بالتجسيم إلى هشام بن الحكم.

ولكن برّأ كبار أصحابنا ساحتيهما من تلك التهمة[3]، وللكلام على ذلك مقام آخر.

ومضى في أوّل الكلام عن حياة الإمام موسى عليه السلام كيفيّة تحيّره وتحيّر أبي جعفر

---

(١) رجال النجاشي: ٤٣٤، الترجمة ١١٦٥.

(٢) تقدّمت المناظرة في ترجمة الإمام الصادق عليه السلام، انظر الصفحة ٣٤٢.

(٣) قال السيّد المرتضى بالنسبة إلى هشام بن الحكم: «وأكثر أصحابنا يقولون: إنّه قد أورد ذلك على سبيل المعارضة للمعتزلة، فقال لهم: إذا قلتم: إنّ الله تعالى شيء لا كالأشياء، فقولوا: إنّه جسم لا كالأجسام. وليس كلّ من عارض بشيء وسأل عنه يكون معتقداً له ومتديّناً به...». انظر قاموس الرجال (للتستري) ١٠: ٥٣٦ ـ نقلاً عن الشافي (للسيّد المرتضى) ١: ٨٤ ـ وانظر الصفحة ٥٦٣ منه، وأصول الكافي ١: ١٠٥، الهامش رقم ٥.

الأحول، ثمّ دخول هشام على الإمام عليه السلام والاعتقاد بإمامته[١].

٢ ـ عليّ بن يقطين:

قال عنه النجاشي: «كان أبوه يقطين بن موسى داعية[٢] طلبه مروان[٣] فهرب، وولد عليٌّ بالكوفة سنة أربع وعشرين ومئة، وكانت أمّه هربت به وبأخيه عبيد إلى المدينة حتّى ظهرت الدولة، ورجعت.

مات سنة اثنتين وثمانين ومئة في أيام موسى بن جعفر عليه السلام ببغداد وهو[٤] محبوس في سجن هارون، بقي فيه أربع سنين.

قال أصحابنا: روى عليّ بن يقطين عن أبي عبد اللّه عليه السلام، حديثاً واحداً.

روى عن موسى [عليه السلام] فأكثر»[٥].

له قضايا ظريفة مع الإمام عليه السلام وهارون الرشيد، منها:

١ ـ أنّه حمل الرشيد إلى عليّ بن يقطين ثياباً أكرمه بها، وكان في جملتها دُرّاعة خزّ سوداء من لباس الملوك مثقلة بالذهب، فأنفذها عليّ بن يقطين مع خُمس سائر أمواله ـ كما كانت عادته ـ إلى الإمام عليه السلام.

فلمّا وصل ذلك إلى الإمام عليه السلام قَبِل المال والثياب وردّ الدُّرّاعة وكتب إليه: «احتفظ بها ولا تخرجها عن يدك، فسيكون لك بها شأن تحتاج إليها معه».

فارتاب عليٌّ بردّها، ومع ذلك احتفظ بالدرّاعة.

---

(١) تُراجع الصفحة ٣٥٩.

(٢) الظاهر أنّ المراد من «الداعية» من كان يدعو للرضا من آل محمّد صلى الله عليه وآله قبيل ظهور العبّاسيّين.

(٣) وهو مروان الحمار آخر خلفاء بني مروان.

(٤) أي الإمام موسى عليه السلام.

(٥) رجال النجاشي: ٢٧٣، الترجمة ٧١٥.

ثمّ سُعي به إلى الرشيد بأنّه يحمل إلى موسى خُمس أمواله وما كان يُهدي إليه الرشيد.

فأحضر الرشيد عليّاً، فلمّا مثل بين يديه قال له: ما فعلت بالدرّاعة التي كسوتك بها؟

قال: هي يا أمير المؤمنين عندي في سفط مختوم فيه طيب...

فقال هارون: احضرها الساعة.

قال عليّ: نعم، يا أمير المؤمنين.

فأرسل عليّ بعض خدمه فأتى بالدرّاعة مطويّة مدفونة في طيب، فسكن الرشيد من غضبه، ثمّ قال لعليّ: اردها إلى مكانها وانصرف راشداً، فلن أصدّق عليك بعدها ساعياً، وأمر أن يتّبع بجائزة سنيّة، وأمر بضرب الساعي به ألف سوط، فضرب نحو خمسمئة سوط، فمات في ذلك[1].

ورووا: أنّه اختلف الأصحاب في مسح الرِجل: أهو من رؤوس الأصابع إلى الكعبين أو من الكعبين إلى رؤوس الأصابع؟

فكتب عليّ بن يقطين إلى الإمام أبي الحسن موسى عليه السلام يسأله عن ذلك.

فكتب الإمام عليه السلام يأمره بالوضوء على رسم وضوء العامّة: من غسل اليدين من رؤس الأصابع إلى المرفقين، ومسح جميع الرأس، وغسل الرجلين. فتعجّب عليٌّ من ذلك، ثمّ قال: مولاي أعرف بذلك، فتوضّأ على ما أمره الإمام عليه السلام.

ثمّ إنّه سُعي به إلى الرشيد، وقيل له: إنّه على مذهب الرافضة. فحاول الرشيد أن يستبرئ حاله، فأعطاه شغلاً في داخل الدار، فكان عليٌّ يدخل حجرة لوضوئه وصلاته، فدخلها عندما دخل وقت الصلاة، وكان هارون ينظر إليه من وراء جدار، فرآه يتوضّأ على رسم وضوء العامّة، فلمّا رآه قد فعل ذلك لم يملك نفسه حتّى

---

(١) الإرشاد ٢: ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

أشرف عليه بحيث يراه، ثمّ ناداه: كذب ـ يا عليّ بن يقطين ـ من زعم أنّك من الرافضة، وصلحت حاله عنده.

ثمّ ورد عليه كتاب أبي الحسن عليه السلام: «ابتدئ من الآن يا عليّ بن يقطين، توضّأ كما أمر الله ...» وشرح له وضوء الخاصّة[1].

والثناء الوارد من الأئمّة عليهم السلام على عليّ بن يقطين كثير ومهم جدّاً[2].

٣ ـ يونس بن عبد الرحمن:

مولى عليّ بن يقطين المتقدّم ذكره، قال عنه النجاشي: «كان وجهاً في أصحابنا، متقدّماً، عظيم المنزلة، ولد في أيام هشام بن عبد الملك، ورأى جعفر بن محمّد عليه السلام بين الصفا والمروة ولم يرو عنه. وروى عن أبي الحسن موسى والرضا عليهما السلام، وكان الرضا عليه السلام يشير إليه في العلم والفتيا، وكان ممّن بُذِل له على الوقف[3] مال جزيل وامتنع من أخذه وثبت على الحقّ ...».

---

(١) انظر الإرشاد ٢: ٢٢٧ ـ ٢٢٨.

(٢) انظر ترجمته في معجم رجال الحديث ١٢: ٢٢٧، الترجمة ٨٥٨٧، وقاموس الرجال ٧: ٦٠٨، الترجمة ٥٣٨٣.

(٣) الواقفية هم الذين وقفوا على إمامة موسى بن جعفر عليه السلام ولم يقولوا بإمامة ابنه الإمام الرضا عليه السلام، وكان السبب في ذلك هو ما رواه الصدوق ـ وغيره ـ بإسناده عن يونس بن عبد الرحمن، قال: «مات أبو الحسن عليه السلام وليس من قوّامه أحد إلّا وعنده المال الكثير، فكان ذلك سبب وقفهم وجحودهم لموته، وكان عند زياد القندي سبعون ألف دينار، وعند عليّ بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار، قال: فلمّا رأيت ذلك، وتبيّن الحقّ، وعرفت من أمر أبي الحسن الرضا عليه السلام ما علمت، تكلّمت ودعوت الناس إليه، فبعثا إليّ وقالا لي: ما يدعوك إلى هذا؟ إن كنت تريد المال فنحن نغنيك، وضمنا لي عشرة آلاف دينار، وقالا لي: كفّ، فأبيت وقلت لهم: إنّا روينا عن الصادقين عليهم السلام: أنّهم قالوا: "إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه، فإن لم يفعل سلب منه نور الإيمان"، وما كنت لأدع الجهاد في أمر الله على كلّ حال، فناصباني وأضمرا لي العداوة». علل الشرائع: ٢٣٥، الباب ١٧١.

ثمّ نقل ـ أي النجاشي ـ بإسناده عن الفضل بن شاذان، أنّه قال: «حدّثني عبد العزيز بن المهتدي، ـ وكان خير قميٍّ رأيته، وكان وكيل الرضا عليه السلام وخاصّته ـ فقال: إنّي سألته فقلت: إنّي لا أقدر على لقائك في كلّ وقت، فعمّن آخذ معالم ديني؟ فقال: خذ عن يونس بن عبد الرحمن».

ثمّ قال: «وهذه منزلة عظيمة».

ثمّ نقل قول الإمام الحسن العسكري عليه السلام في كتابه بعد أن رآه: «أعطاه الله بكلّ حرف نوراً يوم القيامة».

ثمّ قال: «ومدائح يونس كثيرة، ليس هذا موضعها، وإنّما ذكرنا هذا حتّى لا نخلّيه من بعض حقوقه عليه السلام»[1].

ثمّ ذكر كتبه وهي كثيرة.

والنجاشي ليس من دأبه المدح، خاصّة بهذا الشكل، كما يظهر لمن لاحظ كتابه.

مناظرات الإمام موسى عليه السلام واحتجاجاته:

على الرغم من الموقف المعادي للسلطة الحاكمة تجاه الإمام عليه السلام وما ترتّب عليه من مضايقات شديدة له، فقد زخرت حياته العلمية بعطاءات جليلة، ونهل طلّاب العلم الإلهي من معينه الصافي، وخاض مناظرات مع شخصيات سياسيّة وعلميّة وغيرها نذكر نماذج منها:

١ ـ مناظرته مع أبي حنيفة:

خرج أبو حنيفة من عند أبي عبد الله عليه السلام وأبو الحسن موسى عليه السلام قائم وهو غلام، فقال له أبو حنيفة: «يا غلام، أين يضع[2] الغريب ببلدكم؟

---

(١) رجال النجاشي: ٤٤٦ ـ ٤٤٨، الترجمة ١٢٠٨.

(٢) أي أين يقضي حاجته؟

فقال عليه السلام : اجتنب أفنية المساجد، وشطوط الأنهار، ومساقط الثمار، ومنازل النزّال، ولا تستقبل القبلة بغائط ولا بول، وارفع ثوبك وضع حيث شئت »[١].

وسأله أيضاً : « يا غلام، ممّن المعصية ؟

قال عليه السلام : لا تخلو من ثلاث :

- إمّا أن تكون من الله عزّوجلّ - وليست منه - فلا ينبغي للكريم أن يعذّب عبده بما لا يكتسبه.

- وإمّا أن تكون من الله عزّ وجلّ ومن العبد - وليس كذلك - فلا ينبغي للشريك القوي أن يظلم الشريك الضعيف.

- وإمّا أن تكون من العبد - وهي منه - فإن عاقبه الله فبذنبه، وإن عفا عنه، فبكرمه وجوده »[٢].

٢ - مناظرته مع محمّد بن الحسن الشيباني[٣]:

سأل محمّد بن الحسن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بمحضرٍ من الرشيد

---

(١) الكافي ٣: ١٦، باب الموضع الذي يكره أن يتغوّط فيه، الحديث ٥.

(٢) التوحيد (للصدوق): ٩٦، باب معنى التوحيد والعدل، الحديث ٢. ونظم بعضهم هذا المعنى شعراً وقال:

لم تخلُ أفعالنا اللاتي نُذَمُّ بها ... إحدى ثلاث خلال حين نأتيها
إمّا تفرّد بارينا بصنعتها ... فيسقط اللوم عنّا حين ننشيها
أو كان يشركنا فيها فيلحقه ... ما سوف يلحقنا من لائم فيها
أو لم يكن لإلهي في جنايتها ... ذنب، فما الذنب إلّا ذنب جانيها

انظر: كنز الفوائد ١: ٣٦٦، وإعلام الورى ٢: ٣٠.

(٣) تلميذ أبي حنيفة وأبي يوسف، وهو الذي نشر مذهب أبي حنيفة، وكان ملازماً للرشيد وتوفّي بالريّ عند خروج الرشيد إليها، وقيل: مات هو والكسائي في يوم واحد بالريّ. انظر وفيات الأعيان ٤: ١٨٤ - ١٨٥، الترجمة ٥٦٧.

ـ وهم بمكّة ـ فقال له : « أيجوز للمحرم أن يظلّل عليه محمله ؟

فقال له الإمام عليه السلام : لا يجوز له ذلك مع الاختيار .

فقال له محمّد بن الحسن : أفيجوز أن يمشي تحت الظلال مختاراً ؟ فقال له : نعم .

فتضاحك محمّد بن الحسن من ذلك .

فقال له أبو الحسن موسى عليه السلام : أتعجب من سنّة النبيّ ﷺ وتستهزئ بها ؟! إنّ رسول الله ﷺ كشف الظلال في إحرامه ، ومشى تحت الظلال وهو محرم ، وإنّ أحكام الله ـ يا محمّد ـ لا تقاس ، فمن قاس بعضها على بعض فقد ضلّ عن سواء السبيل .

فسكت محمّد بن الحسن لا يرجع جواباً »(١) .



٣ ـ مناظراته مع حكّام عصره :

كانت للإمام عليه السلام مناظرات واحتجاجات مع المهدي العبّاسي وهارون الرشيد ، محاورها : قضيّة فدك ، والنسبة إلى رسول الله ﷺ ، وتقديم عليّ عليه السلام على العبّاس في الميراث ، ونحوها(٢) .

فمن ذلك قول الرشيد للإمام موسى عليه السلام : « لِم لا تنهون شيعتكم عن قولهم لكم : " يابن رسول الله " وأنتم ولد عليّ ، وفاطمة إنّما هي وعاء ، والولد ينسب إلى الأب لا إلى الأمّ ؟ » .

فقال عليه السلام ـ بعد الامتناع من الإجابة وإصرار هارون ثمّ أخذ الإمام عليه السلام الأمان منه ـ : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ

---

(١) الإرشاد ٢ : ٢٣٥ .

(٢) انظر البحار ٤٨ : ١٢١ ـ ١٥٨ ، كتاب تاريخ الإمام موسى عليه السلام ، باب مناظراته مع خلفاء الجور .

وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾[١] فمن أبو عيسى ؟ فقال : ليس له أب إنّما خُلق من كلام اللّه عزّ وجلّ وروح القدس .

فقال الإمام عليه السلام : إنّما ألحق عيسى بذراري الأنبياء من قِبل مريم ، وأُلحقنا بذراري الأنبياء من قِبل فاطمة عليها السلام لا من قِبل عليّ عليه السلام .

فقال هارون : أحسنت ، أحسنت يا موسى ، زدني من مثله .

فقال الإمام عليه السلام : اجتمعت الأُمّة برّها وفاجرها : أنّ حديث النجراني حين دعاه النبيّ صلى الله عليه وآله إلى المباهلة لم يكن في الكساء إلّا النبيّ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، فقال اللّه تبارك وتعالى : ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾[٢]، فكان تأويل ﴿أَبْنَاءَنَا﴾ : الحسن والحسين ، ﴿وَنِسَاءَنَا﴾ : فاطمة ، ﴿وَأَنفُسَنَا﴾ : عليّ بن أبي طالب .

فقال [هارون]: أحسنت[٣].

كانت هذه نبذة من حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ، ولم يسع المجال للتطرّق إلى أكثر من ذلك .

(١) الأنعام : ٨٤ ـ ٨٥.

(٢) آل عمران : ٦١.

(٣) البحار ٤٨: ١٢٢ ـ ١٢٣، تاريخ الإمام موسى عليه السلام ، باب مناظراته مع خلفاء الجور، الحديث الأوّل.

ثامناً ـ الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام

اسمه ونسبه:

هو عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام.

وأمّه: أمّ ولد يقال لها: أمّ البنين، واسمها نجمة، أو تكتم[١].

كنيته ولقبه:

كنيته: أبو الحسن ـ أبو الحسن الثاني ـ وأشهر ألقابه: الرضا[٢].

مولده:

ولد بالمدينة سنة مئة وثمان وأربعين من الهجرة[٣] في الحادي عشر من ذي القعدة، كما قيل[٤].

وفاته:

استشهد عليه السلام بالسمّ في شهر صفر سنة ثلاث ومئتين[٥].

---

(١) انظر: الإرشاد ٢: ٢٤٧، وإعلام الورى ٢: ٤٠.

(٢) انظر البحار ٤٩: ٢ ـ ١١، تاريخ الإمام الرضا عليه السلام، باب ولادته وألقابه.

(٣) أصول الكافي ١: ٤٨٦، والإرشاد ٢: ٢٤٥، والتهذيب ٦: ٨٣، كتاب المزار، الباب ٣٣.

(٤) انظر الدروس ٢: ١٤.

(٥) انظر: أصول الكافي ١: ٤٨٦، والإرشاد ٢: ٢٤٧، والتهذيب ٦: ٨٣، وإعلام الورى ←

ودفن في قرية سناباد من أرض طوس بخراسان، على ما يأتي تفصيله.

عمره الشريف:

كان له عليه السلام من العمر يوم قبض خمس وخمسون سنة(١)، عاش مع أبيه خمساً وثلاثين سنة.

مدّة إمامته:

بلغت مدّة إمامته وخلافته لأبيه عشرين سنة(٢).

حكّام عصره:



عاصره من الحكّام: هارون الرشيد وولداه: محمّد الأمين وعبد الله المأمون، واستشهد في عهد الأخير(٣).

الإمام عليه السلام في عهد هارون:

لم يصل إلى الإمام عليه السلام من قِبل هارون أذىً على الرغم من كلّ السعايات به والتحريض على قتله، فمن ذلك:

قال عيسى بن جعفر لهارون حين توجّه من الرقّة إلى مكّة: «اذكر يمينك التي حلفت بها في آل أبي طالب، فإنّك حلفت: إن ادّعى أحد بعد موسى الإمامة ضربت عنقه صبراً، وهذا عليٌّ ابنه يدّعي هذا الأمر، ويقال فيه ما يقال في أبيه، فنظر إليه

← ٢: ٤٠. قال المسعودي عند ذكر خلافة المأمون: «وفي خلافته قبض عليّ بن موسى الرضا مسموماً بطوس، ودفن هناك، وهو يومئذٍ ابن تسع وأربعين سنة وستّة أشهر، وقيل غير ذلك». مروج الذهب ٣: ٤١٧.

(١) المصدر المتقدّم.

(٢) و (٣) انظر إعلام الورى ٢: ٤١.

مغضباً ، فقال : وما ترى ؟ تريد أن أقتلهم كلّهم ؟ »[١].

وكان ﷺ يخبر بأنّ هارون لا يقدر على شيء من إيذائه . فقد روي عن محمّد بن سنان أنّه قال : « قلت لأبي الحسن الرضا ﷺ في أيام هارون : إنّك قد شهرت نفسك بهذا الأمر ، وجلست مجلس أبيك وسيف هارون يقطر الدم ؟!

قال : جرّأني على هذا ما قال رسول الله ﷺ : " إن أخذ أبو جهل من رأسي شعرة فاشهدوا أنّي لست بنبيّ " ، وأنا أقول لكم : إن أخذ هارون من رأسي شعرة فاشهدوا أنّي لست بإمام ! »[٢].

وروي : أنّه طلبه هارون في إحدى زياراته إلى المدينة ، ولمّا حضر الإمام ﷺ قرأ دعاءً وصل إليه من جدّه رسول الله ﷺ فقال له هارون : « يا أبا الحسن ، قد أمرنا لك بمئة ألف درهم ، واكتب حوائج أهلك ، فلمّا خرج الإمام ﷺ وهارون ينظر إليه من قفاه ، قال : أردت وأراد الله ، وما أراد الله خير »[٣].

الإمام ﷺ في عهد المأمون وولايته للعهد :

لم يحدث في عهد الأمين شيء يذكر بالنسبة إلى الإمام ﷺ .

وبعد أن استتبّ الأمر للمأمون ـ بعد مقتل أخيه الأمين ـ حاول أن يجلب إليه أنظار بني عليّ ﷺ ويستميل إليه قلوبهم ، فاستدعى الرضا ﷺ وجماعة من بني عليّ من المدينة إلى مرو ، وأنفذ الجلودي[٤] لذلك .

---

(١) البحار ٤٩ : ١١٣ ، تاريخ الإمام أبي الحسن الرضا ﷺ ، الباب ٩ ، الحديث الأوّل .

(٢) انظر : روضة الكافي : ٢٥٧ ، الحديث ٣٧١ ، والبحار ٤٩ : ١١٥ ، تاريخ الإمام أبي الحسن الرضا ﷺ ، الباب ٩ ، الحديث ٧ .

(٣) انظر البحار ٤٩ : ١١٦ ، تاريخ الإمام أبي الحسن الرضا ﷺ ، الباب ٩ ، ذيل الحديث ٧ .

(٤) هو عيسى بن يزيد الجلودي ، وفي بعض المصادر : أنّ المأمور كان هو الرجاء بن أبي الضحّاك . انظر تحقيق ذلك في أعيان الشيعة ٢ : ١٧ ـ ١٨ . ←

وجعل طريقه على البصرة والأهواز وفارس، لا طريق الكوفة وقم؛ حذراً من اجتماع الشيعة بالإمام عليه السلام[1].

وعندما وصل الرضا عليه السلام إلى مرو أكرمه ثمّ أرسل له: «إنّي أُريد أن أخلع نفسي من الخلافة، وأقلّدك إيّاها فما رأيك في ذلك؟».

فأنكر الرضا عليه السلام هذا الأمر وقال له:

«أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من هذا الكلام وأن يسمع به أحد».

فردّ عليه الرسالة: «فإذا أبيت ما عرضت عليك، فلا بدّ من ولاية العهد من بعدي»، فأبى عليه الرضا عليه السلام إباءً شديداً.

فاستدعاه إليه وخلا به ومعه الفضل بن سهل ذو الرئاستين، ليس في المجلس غيرهم، وقال له: «إنّي قد رأيت أن أقلّدك أمر المسلمين، وأفسخ ما في رقبتي، وأضعه في رقبتك».

فقال له الرضا عليه السلام: «الله الله يا أمير المؤمنين، إنّه لا طاقة لي بذلك، ولا قوّة لي عليه».

قال له: «فإنّي مولّيك العهد من بعدي».

فقال الإمام عليه السلام: «اعفني من ذلك يا أمير المؤمنين».

فقال له المأمون كلاماً فيه كالتهديد له على الامتناع عليه، وقال له في كلامه: «إنّ عمر بن الخطّاب جعل الشورى في الستّة، أحدهم جدّك أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وشرط في من خالف منهم أن تضرب عنقه، ولا بدّ من قبولك ما أُريده منك، فإنّي لا أجد محيصاً عنه».

← ولا يبعد التقاؤهما في المنطقة؛ لأنّ الجلودي كان من القوّاد يرسله المأمون لإخماد ثورات العلويّين التي كانت آنذاك باليمن والحجاز والعراق.

(١) انظر: أُصول الكافي ١: ٤٨٩، باب مولد الرضا عليه السلام، الحديث ٧.

فقال له الرضا عليه السلام: «فإنّي أجيبك إلى ما تريد من ولاية العهد، على أنّني لا آمر ولا أنهى، ولا أُفتي، ولا أقضي، ولا أُولّي، ولا أعزل، ولا أُغيّر شيئاً ممّا هو قائم».

فأجابه المأمون إلى ذلك كلّه، وكتب العهد، فكتب الإمام عليه السلام القبول[1].

---

(١) قال عليّ بن عيسى الإربلي في كشف الغمّة: وفي سنة ٦٧٠ وصل من مشهده الشريف أحد قوّامه ومعه العهد الذي كتبه المأمون بخطّ يده وبين سطوره وفي ظهره بخطّ الإمام عليه السلام وما هو مسطور، فقبّلت مواقع أقلامه، وسرّحت طرفي في رياض كلامه، وعددت الوقوف عليه من منن الله وإنعامه، ونقلته حرفاً حرفاً، وهو بخطّ المأمون:

«بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب كتبه عبدالله بن هارون الرشيد أمير المؤمنين لعليّ بن موسى بن جعفر وليّ عهده... الخ» والعهد طويل.

ثمّ نقل ما كتبه الإمام عليه السلام وأوّله:

«بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الفعّال لما يشاء، لا معقّب لحكمه، ولا رادّ لقضائه، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وصلاته على نبيّه محمّد خاتم النبيّين وآله الطيّبين الطاهرين.

أقول وأنا عليّ بن موسى الرضا ابن جعفر: أنّ أمير المؤمنين عضده الله بالسداد، ووفّقه للرشاد، عرف من حقّنا ما جهله غيره، فوصل أرحاماً قطعت، وآمن نفوساً فزعت -إلى أن قال:- وقد جعلت الله على نفسي أن استرعاني أمر المسلمين، وقلّدني خلافته العمل فيهم عامّة وفي بني العبّاس بن عبدالمطّلب خاصّة بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله، وأن لا أسفك دماً حراماً، ولا أُبيح فرجاً ولا مالاً، إلّا ما سفكته حدود الله وأباحته فرائضه، وأن أتخيّر الكفاة جهدي وطاقتي، وجعلت بذلك على نفسي عهداً مؤكّداً يسألني الله عنه، فإنّه عزّ وجلّ يقول: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾، وأعوذ بالله من سخطه، وإليه أرغب في التوفيق لطاعته، والحول بيني وبين معصيته في عافية لي وللمسلمين، والجامعة والجفر يدلّان على ضدّ ذلك، وما أدري ما يفعل بي ولا بكم، إنّ الحكم إلّا لله يقضي بالحقّ وهو خير الفاصلين... الخ». ثمّ نقل استشهاد الشهود. كشف الغمّة ٢: ٣٣٣ ـ ٣٣٨، وقوله: «ما أدري... الخ»، اقتباس من آيتين: ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ الأحقاف: ٩، و﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ الأنعام: ٥٧.

ثمّ إنّ المأمون أخذ البيعة من الناس لولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام، وأمر الخاصّة والعامّة بلبس الخضرة.

ثمّ أمر ابنه العبّاس بن المأمون أن يبايع له أوّل الناس، فرفع الرضا عليه السلام يده، فتلقّى وجهه وببطنها وجوههم، فقال له المأمون: «ابسط يدك للبيعة»، فقال الرضا عليه السلام: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله هكذا كان يبايع، فبايعه الناس ويده فوق أيديهم».

فقامت الشعراء، فجعلوا يذكرون فضل الرضا عليه السلام وما كان من المأمون في أمره.

ثمّ قال المأمون للرضا عليه السلام: «اخطب الناس وتكلّم فيهم»، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «إنّ لنا عليكم حقّاً برسول الله، ولكم علينا حقّاً به، فإذا أدّيتم إلينا ذلك وجب علينا الحقّ لكم».



ولم ينقل عنه غير هذا في ذلك المجلس.

ثمّ أمر المأمون فضربت له الدراهم وطبع عليها اسم الرضا عليه السلام، وخطب له في كلّ بلد بولاية العهد[1].

دعوة الإمام عليه السلام لصلاة العيد:

ولمّا حضر العيد وكان قد عُقد للرضا عليه السلام الأمر بولاية العهد، بعث إليه المأمون في الركوب إلى العيد، والصلاة بالناس، والخطبة بهم، فبعث إليه الرضا عليه السلام: «قد علمت ما كان بيني وبينك من الشروط في دخول الأمر، فاعفني من الصلاة بالناس».

فقال له المأمون: «إنّما أريد بذلك أن تطمئنّ قلوب الناس ويعرفوا فضلك».

ولم تزل الرسل تتردّد بينهما في ذلك، فلمّا ألحّ عليه المأمون، أرسل الإمام عليه السلام إليه: «إن أعفيتني فهو أحبّ إليّ، وإن لم تعفني خرجت كما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) انظر: الإرشاد ٢: ٢٥٩ ـ ٢٦٢، وإعلام الورى ٢: ٧٢ ـ ٧٤.

وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ».

فقال المأمون: « اخرج كيف شئت ».

ثمّ إنّ المأمون أمر القوّاد والناس أن يبكّروا إلى باب الرضا عليه السلام، فقعد الناس لأبي الحسن عليه السلام في الطرقات والسطوح، واجتمع القوّاد والجند عند بابه.

فاغتسل أبو الحسن عليه السلام ولبس ثيابه وتعمّم بعمامة بيضاء من قطن ومسّ شيئاً من الطيب، وأخذ بيده عكّازة، وقال لمواليه: « افعلوا مثل ما فعلت »، فخرجوا بين يديه وهو حافٍ قد شمّر سراويله إلى نصف الساق، وعليه ثياب مشمّرة، فمشى قليلاً ورفع رأسه إلى السماء وكبّر وكبّر مواليه معه، ثمّ مشى حتّى وقف على الباب، فلمّا رآه القوّاد والجند على تلك الحال سقطوا كلّهم عن الدواب إلى الأرض وفعلوا مثله.

وكبّر الرضا عليه السلام على الباب وكبّر الناس معه، فخُيّل إلى الناس أنّ السماء والحيطان تجاوبه، وتزعزعت مرو بالبكاء والضجيج لمّا رأوا أبا الحسن عليه السلام وسمعوا تكبيره.

وبلغ المأمون ذلك، فقال له الفضل بن سهل ذو الرئاستين: « يا أمير المؤمنين، إن بلغ الرضا المصلّى على هذا السبيل افتتن به الناس وخفنا كلّنا على دمائنا، فانفذ إليه أن يرجع »، فبعث إليه المأمون: « قد كلّفناك شططاً وأتعبناك، ولسنا نحبّ أن تلحقك مشقّة، فارجع، وليصلّ بالناس من كان يصلّي بهم على رسمه »، فدعا أبو الحسن عليه السلام بخفّه فلبسه وركب ورجع.

واختلف أمر الناس في ذلك اليوم، ولم ينتظم في صلاتهم[1].

استشهاد الإمام عليه السلام:

روى المفيد وغيره: أنّه كان أبو الحسن الرضا عليه السلام يكثر وعظ المأمون إذا خلا به

---

(١) انظر: الإرشاد ٢: ٢٦٤ ـ ٢٦٥، وإعلام الورى ٢: ٧٥ ـ ٧٧.

ويخوّفه باللّه ويقبّح له ما يرتكبه من الخلاف ، فكان المأمون يظهر قبول ذلك منه ويبطن كراهته واستثقاله .

وكان ﷺ يزري على الحسن والفضل ابني سهل عند المأمون إذا ذكرهما ، ويصف له مساوئهما ، وينهاه عن الإصغاء إلى قولهما ، فعرفا ذلك منه ، فلم يزالا يحطبان عليه عند المأمون حتّى قلبا رأيه وعمل على قتله ، فاتّفق أنّه أكل هو والمأمون يوماً طعاماً ، فاعتلّ منه الرضا ﷺ وأظهر المأمون تمارضاً .

وروي أنّ المأمون أمر شخصاً باسم عبد اللّه بن بشير أن يطوّل أظفاره ، ثمّ أعطاه شيئاً شبه التمر الهندي وأمره أن يعجنه بيده ، ثمّ دخل ـ أي المأمون على الرضا ﷺ ـ واستدعى ذلك الشخص وأمره أن يعصر الرمّان بيديه ، ثمّ ناول ماءه للإمام ﷺ ، فلم يلبث إلّا يومين حتّى قبض .

وروي : أنّ الرضا ﷺ كان يعجبه العنب فأُخذ له منه شيء فجعل في موضع أقماعه الإبر أيّاماً ، ثمّ نزعت منه ، وجيء به إليه ، فأكل منه وهو في علّته التي ذُكرت ، فقتله ، وذكروا أنّ ذلك من لطيف السموم .

وذكروا أيضاً عن أبي الصلت الهروي[1] : أنّه قال : دخلت على الرضا ﷺ وقد خرج المأمون من عنده ، فقال لي : « يا أبا الصلت ، قد فعلوها » وجعل يوحّد اللّه ويمجّده[2] .

ولمّا توفّي الرضا ﷺ كتم المأمون موته يوماً وليلة ، ثمّ أنفذ إلى محمّد بن جعفر

---

(١) اسمه عبد السلام بن صالح ، قال عنه النجاشي : « روى عن الرضا ﷺ ، ثقة ، صحيح الحديث » . رجال النجاشي : ٢٤٥ ، الترجمة ٦٤٣ ، والظاهر أنّ وثاقته معروفة بين العامّة والخاصّة ، وإنّما الكلام في مذهبه ، فقد صرّح الشيخ بكونه عاميّ المذهب . انظر رجال الشيخ : ٣٨٠ ، أصحاب الإمام الرضا ﷺ ، رقم ١٤ ، كما تُراجع ترجمته التفصيلية في معجم رجال الحديث ١٠ : ١٦ ـ ١٨ .

(٢) انظر ذلك كلّه في الإرشاد ٢ : ٢٦٩ ـ ٢٧٠ ، وإعلام الورى ٢ : ٨٠ ـ ٨١ .

الصادق عليه السلام وجماعة من آل أبي طالب الذين كانوا عنده، فلمّا حضروه نعاه إليهم وبكى، وأظهر حزناً شديداً وتوجّعاً، وأراهم إيّاه صحيح الجسد، وقال: «يعزّ عليّ يا أخي أن أراك في هذه الحال، قد كنت آمل أن أُقدَّم قبلك، فأبى الله إلّا ما أراد»، ثمّ أمر بغسله وتكفينه وتحنيطه، وخرج مع جنازته يحملها حتّى انتهى إلى الموضع الذي هو مدفون فيه الآن فدفنه.

والموضع دار حُميد بن قحطبة في قرية سناباد بأرض طوس، وفيها قبر هارون الرشيد، وقبر أبي الحسن عليه السلام بين يديه في قبلته[1].

فضائل الإمام عليه السلام ومناقبه:

كان إبراهيم بن العبّاس[2] يقول: «ما رأيت الرضا عليه السلام سئل عن شيءٍ قطّ

---

(١) انظر الإرشاد ٢: ٢٧١.

أقول: إنّه كان يخبر مراراً بأنّه سيجتمع هو وهارون، فقد روى الشيخ المفيد بإسناده إلى مسافر أنّه قال: «كنت مع أبي الحسن الرضا عليه السلام بمنى فمرّ يحيى بن خالد، فغطّى وجهه من الغبار، فقال الرضا عليه السلام: مساكين لا يدرون ما يحلّ بهم في هذه السنة، ثمّ قال: واعجب من هذا، هارون وأنا كهاتين، وضمّ إصبعيه.

قال مسافر: فوالله ما عرفت معنى حديثه حتّى دفنّاه معه». الإرشاد ٢: ٢٥٨.

(٢) جاء في وفيات الأعيان: «إبراهيم بن العبّاس بن محمّد بن صول، بغداديٌّ، أصله من خراسان، يكنّى بأبي إسحاق، أشعر نظرائه الكتّاب، وأرقّهم لساناً... وهو أنعت الناس للزمان وأهله، غير مدافع، وأصله تركي، وكان صول وفيروز أخوين ملكا جرجان، تركيان، تمجّسا وصارا أشباه الفرس، فلمّا حضر يزيد بن المهلّب بن أبي صفرة جرجان أمّنهما، فلم يزل صول معه وأسلم على يده، حتّى قتل معه يوم العقر...

واتّصل إبراهيم وأخوه عبد الله بذي الرياستين الفضل بن سهل، ثمّ تنقّل في أعمال السلطان ودواوينه إلى أن توفّي وهو يتقلّد ديوان الضياع والنفقات بسرّ من رأى، للنصف من شعبان سنة ثلاث وأربعين ومئتين». وفيات الأعيان ١: ٤٥ ـ ٤٦، الترجمة ١١، نقلاً عن كتاب «الورقة».

إلّا علمه، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلى وقته وعصره، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كلّ شيء، فيجيب عنه، وكان كلامه كلّه وجوابه وتمثّله انتزاعات من القرآن، وكان يختمه في كلّ ثلاثٍ ويقول: "لو أنّي أردت أن أختمه في أقرب من ثلاث لختمت، ولكنّي ما مررت بآية قطّ إلّا فكّرت فيها، وفي أي شيء أنزلت، وفي أيّ وقت؛ فلذلك صرت أختمه في كلّ ثلاث"».

وقال أيضاً: «ما رأيت، ولا سمعت بأحد أفضل من أبي الحسن الرضا، وشاهدت منه ما لم أشاهده من أحد، وما رأيته جفا أحداً بكلامه قطّ، ولا رأيته قطع على أحد كلامه حتّى يفرغ منه، وما ردّ أحداً عن حاجة يقدر عليها، ولا مدّ رجليه بين يدي جليس له قطّ، ولا اتكأ بين يدي جليس له قطّ، ولا رأيته يشتم أحداً من مواليه ومماليكه، وما رأيته تفل قطّ، ولا رأيته يقهقه في ضحكه، بل كان ضحكه التبسّم، وكان إذا خلا ونصبت مائدته أجلس على مائدته مماليكه ومواليه حتّى البوّاب والسائس، وكان قليل النوم بالليل، كثير السهر، يحيي أكثر لياليه من أوّلها إلى الصبح، وكان كثير الصوم، ولا يفوته صيام ثلاثة أيام في الشهر، ويقول: "ذلك صوم الدهر". وكان كثير المعروف والصدقة في السرّ، وأكثر من ذلك يكون منه في الليالي المظلمة، فمن زعم أنّه رأى مثله في فضله فلا تصدّقوه»[١].

وقال أبو الصلت الهروي: «ما رأيت أعلم من عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، ولا رآه عالم إلّا شهد له بمثل شهادتي، ولقد جمع المأمون في مجلس له ذوات عدد علماء الأديان وفقهاء الشريعة والمتكلّمين، فغلبهم عن آخرهم، حتّى ما بقي أحدٌ منهم إلّا اقرّ له بالفضل، وأقرّ على نفسه بالقصور.

ولقد سمعت عليّ بن موسى الرضا يقول: "كنت أجلس في الروضة ـ والعلماء بالمدينة متوافرون ـ فإذا أعيا الواحد منهم عن مسألة أشاروا إليّ بأجمعهم وبعثوا إليّ

---

(١) إعلام الورى ٢: ٦٣ ـ ٦٤.

بالمسائل، فأجيب عنها"»[١].

وقال أبو الصلت: «ولقد حدّثني محمّد بن إسحاق بن موسى بن جعفر، عن أبيه: أنّ موسى بن جعفر عليه السلام كان يقول لبنيه: هذا أخوكم عليّ بن موسى عالم آل محمّد، فاسألوه عن أديانكم، واحفظوا ما يقول لكم، فإنّي سمعت أبي، جعفر بن محمّد، غير مرّة يقول لي: إنّ عالم آل محمّد لفي صلبك، وليتني أدركته، فإنّه سميّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام»[٢].

ونظر أبو نواس[٣] يوماً إلى الرضا عليه السلام وقد خرج من عند المأمون على بغلة له، فدنا منه وسلّم عليه، وقال: «يابن رسول الله، قد قلت فيك أبياتاً وأنا أحبّ أن تسمعها منّي.



قال: هاتِ، فأنشأ يقول:

مطهّرون نقيّات ثيابهم ... تجري الصلاة عليهم أين ما ذكروا
من لم يكن علويّاً حين تنسبه ... فما له في قديم الدهر مفتخر
فالله لمّا برا خلقاً فاتقنه ... صفّاكم واصطفاكم أيّها البشر
فأنتم الملأ الأعلى وعندكم ... علم الكتاب وما جاءت به السور

فقال الرضا عليه السلام: قد جئتنا بأبيات ما سبقك إليها أحدٌ. يا غلام، هل معك من نفقتنا شيء؟

---

(١) إعلام الورى ٢: ٦٤.

(٢) المصدر المتقدّم: ٦٤ ـ ٦٥، توفّي الإمام الصادق عليه السلام في الخامس والعشرين من شوّال سنة ١٤٨هـ، وولد الإمام الرضا عليه السلام في الحادي عشر من ذي القعدة في السنة نفسها، فلم يدرك الإمام الصادق حفيده الرضا عليه السلام.

(٣) هو الحسن بن هانئ الشاعر المعروف، انظر ترجمته في وفيات الأعيان ٢: ٩٥، الترجمة ١٧٠.

فقال: ثلاثمئة دينار.

فقال: أعطها إيّاه، ثمّ قال: لعلّه استقلّها، يا غلام، سق إليه البغلة»[1].

ولأبي نواس أيضاً:

قيل لي: أنت أوحد الناس طرّاً ... في فنونٍ من الكلام النبيه
لك من جوهر الكلام بديع ... يثمر الدرّ في يدي مجتنيه
فعلامَ تركت مدح ابن موسى ... والخصال التي تجمّعن فيه
قلت: لا أهتدي لمدح إمامٍ ... كان جبريل خادماً لأبيه[2]

ودخل دعبل بن عليّ الخزاعي[3] على الرضا عليه السلام بمرو، فقال له: يابن رسول الله، إنّي قد قلت فيكم قصيدة، وآليت على نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك.

فقال عليه السلام: هاتِها، فأنشده:

مدارس آيات خلت من تلاوة ... ومنزل وحي مقفر العرصات

فلمّا بلغ قوله:

أرى فيئهم في غيرهم متقسّماً ... وأيديهم من فيئهم صفرات

بكى أبو الحسن عليه السلام، وقال له: «صدقت يا خزاعي».

فلمّا بلغ قوله:

---

(١) و (٢) إعلام الورى ٢: ٦٥.

(٣) قال عنه النجاشي: «دعبل بن عليّ بن رزين... أبو عليّ الشاعر، مشهور، من أصحابنا. صنّف كتاب طبقات الشعراء، وكتاب الواحدة في مثالب العرب ومناقبها». رجال النجاشي: ١٦١ ـ ١٦٢، الترجمة ٤٢٨.

قيل: ولد سنة ١٤٨هـ، ومات سنة ٢٤٥هـ. انظر ترجمته التفصيلية في معجم رجال الحديث ٧: ١٤٣ ـ ١٤٦، الترجمة ٤٤٥٦، ووفيات الأعيان ٢: ٢٦٦ ـ ٢٧٠، الترجمة ٢٢٧.

إذا وتـروا مـدّوا إلى واتـريهم　　　أكـفّاً عـن الأوتـار مـنقبضات

جعل الرضا عليه السلام يقلّب كفّيه ويقول: «أجل والله منقبضات».

فلمّا بلغ قوله:

لقد خفت في الدنيا وأيّام سعيها　　　وإنّي لأرجو الأمن بـعد وفـاتي

قال الرضا عليه السلام: «آمنك الله يوم الفزع الأكبر».

فلمّا انتهى إلى قوله:

وقـبر بـبغداد لنـفس زكـيّة　　　تضمّنها الرحمن في الغـرفات

قال الرضا عليه السلام: «أفلا ألحق لك بهذا الموضع بيتين بهما تمام قصيدتك؟».

فقال: بلى يابن رسول الله.

فقال عليه السلام:

«وقبر بـطوس يـا لهـا من مـصيبة　　　تـوقّد فـي الأحشـاء بـالحرقات

إلى الحشر حتّى يبعث الله قـائماً　　　يـفرّج عـنّا الهـمّ والكـربات»

فقال دعبل: يابن رسول الله، هذا القبر الذي بطوس قبر من هو؟

فـقال عليه السلام: «قبري، ولا تـنقضي الأيّـام والليالي حـتّى تـصير طـوس مـختلف شيعتي وزوّاري[1]، ألا فمن زارني في غربتي بطوس كـان مـعي فـي درجـتي يـوم

---

(١) سبحان الله! ها أنا ذا وفّقت هذه الأيام ـ وهو آخر الصيف المصادف لشهر جمادى الآخرة من سنة ألف وأربعمئة وثلاث وعشرين ـ لزيارة سيّدي ومولاي أبي الحسن الرضا عليه السلام وها أنا أشاهد بأمّ عيني عشرات الآلاف من زوّاره ـ وربّما بلغوا في كلّ سنة أكثر من عشرة ملايين كما أعلنتها الجهات الرسمية ـ وهم يفدون إلى زيارته من داخل إيران وخارجها.

وربّما بلغ الزحام حدّاً لا يتمكّن الإنسان معه من الوصول إلى الصحون والأروقة المحيطة بالروضة المشرّفة، فكيف بالروضة نفسها؟! وقد اضطررت البارحة إلى تغيير ←

القيامة مغفوراً له »[١].

ثمّ أعطاه عليه السلام صرّة، فردّها دعبل وطلب منه ثوباً من ثيابه، فأعطاه الإمام عليه السلام جبّة وردّ عليه الصرّة.

ولدعبل مع هذه الجبّة والصرّة إلى حين رجوعه إلى الكوفة قصص معروفة[٢].

حديث سلسلة الذهب:

لمّا دخل الإمام الرضا عليه السلام نيسابور في طريقه إلى مرو استقبله الناس بمختلف طبقاتهم، وخاصّة العلماء وطلبة العلم والمحدّثين، فأحاطوا به والتمسوا منه أن يريهم وجهه ويحدّثهم بحديث عن آبائه عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله.

فأمر غلمانه بكشف المظلّة عن القبّة، فملأ الضجيج، فصاح العلماء: معاشر الناس، اسمعوا وعوا وانصتوا لسماع ما ينفعكم، ولا تؤذونا بكثرة صراخكم وبكائكم...

فقال عليّ بن موسى الرضا عليه السلام: «حدّثني أبي موسى الكاظم، قال: حدّثني أبي جعفر الصادق، قال: حدّثني أبي محمّد بن عليّ الباقر، قال: حدّثني أبي عليّ بن الحسين زين العابدين، قال: حدّثني أبي الحسين بن عليّ شهيد أرض كربلاء، قال: حدّثني أبي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام شهيد أرض الكوفة، قال: حدّثني أخي وابن عمّي محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: حدّثني جبرئيل، قال: سمعت ربّ العزّة سبحانه وتعالى يقول: "كلمة لا إله إلّا الله حصني، فمن قالها دخل حصني،

← مسيري عدّة مرّات للتمكّن من الوصول إلى أحد الصحون المشرّفة، فخاطبت الإمام عليه السلام وقلت: سيّدي يا أبا الحسن، زاد الله في شرفك وشرف آبائك الطاهرين، وخاب شانئوكم وحاسدوكم والباغون عليكم يا أهل البيت!

(١) و (٢) إعلام الورى ٢: ٦٦ ـ ٦٧.

ومن دخل حصني أمن من عذابي"»[1].

وفي بعض الروايات: «فلمّا مرّت الراحلة نادانا: بشروطها، وأنا من شروطها»[2].

ونقل النصّ بأنحاء أخر من قبيل: «... قال الله جلّ جلاله: إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا فاعبدوني، من جاء منكم بشهادة أن لا إله إلّا الله بالإخلاص دخل في حصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي»[3].

الإمام الرضا عليه السلام يصلّي للاستسقاء:

احتبس المطر أيام كان الإمام عليه السلام بخراسان بعد ولاية عهده للمأمون، فجعل بعض حاشية المأمون والمتعصّبين على الرضا عليه السلام يقولون: «انظروا لمّا جاءنا عليّ بن موسى وصار وليّ عهدنا فحبس الله تعالى عنّا المطر، فاتّصل ذلك بالمأمون فاشتدّ عليه. فقال للرضا عليه السلام: قد احتبس المطر، فلو دعوت الله عزّ وجلّ أن يمطر الناس.

قال الرضا عليه السلام: نعم.

قال: فمتى تفعل ذلك؟ وكان ذلك يوم الجمعة.

قال عليه السلام: يوم الاثنين، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أتاني البارحة في منامي ومعه أمير المؤمنين عليه السلام وقال: يا بنيّ، انتظر يوم الاثنين، فابرز إلى الصحراء واستسق؛ فإنّ الله

---

(١) انظر: البحار ٤٩: ١٢٦ ـ ١٢٧، تاريخ الإمام الرضا عليه السلام، باب خروجه من نيسابور، الحديث ٣، نقلاً عن كشف الغمّة، عن تاريخ نيسابور، والفصول المهمّة: ٢٤٢ ـ ٢٤٣، نقلاً عن تاريخ نيسابور.

(٢) انظر البحار ٤٩: ١٢٣، باب وروده عليه السلام نيسابور، الحديث ٤.

(٣) البحار ٤٩: ١٢٢، باب وروده إلى نيسابور، الحديث ٢.

عزّ وجلّ سيسقيهم، وأخبرهم بما يريك اللّه ممّا لا يعلمون حاله؛ ليزداد علمهم بفضلك ومكانك من ربّك عزّ وجلّ.

فلمّا كان يوم الاثنين غدا إلى الصحراء وخرج الخلائق ينظرون، فصعد المنبر، فحمد اللّه وأثنى عليه، ثمّ قال: اللهمّ يا ربّ أنت عظّمت حقّنا أهل البيت فتوسّلوا بنا كما أمرت، وأمّلوا فضلك ورحمتك، وتوقّعوا إحسانك ونعمتك، فاسقهم سقياً نافعاً عامّاً غير رائث ولا ضائر، وليكن ابتداء مطرهم بعد انصرافهم من مشهدهم هذا إلى منازلهم ومقارّهم».

ثمّ جاءت سحابة بوابل المطر فملأت الأودية والحياض والغدران والفلوات، فجعل الناس يقولون: هنيئاً لولد رسول اللّه ﷺ كرامات اللّه عزّ وجلّ[1].



تلامذة الإمام الرضا ﷺ:

كان تلامذة الإمام الرضا ﷺ والراوون عنه كثيرين؛ وذلك لقلّة الضغوط السياسية عليه نسبيّاً، فقد تقدّم أنّ هارون لم يتعرّض للإمام ﷺ كثيراً، وهكذا كان الأمر أيام المأمون، ولو بحسب الظاهر حتّى استشهد ﷺ، وذلك يعني حرية الاتّصال بالإمام ﷺ نسبيّاً والأخذ من علومه.

وقد ذكر الشيخ الطوسي أسماء ما يقارب ثلاثمئة وعشرين ممّن روى عن الإمام الرضا ﷺ نكتفي بذكر ثلاثة منهم:

١ ـ محمّد بن أبي عمير:

قال عنه النجاشي: «بغدادي الأصل والمقام، لقي أبا الحسن موسى ﷺ وسمع منه أحاديث، كنّاه في بعضها، فقال: يا أبا أحمد، وروى عن الرضا ﷺ.

---

(١) انظر البحار ٤٩: ١٨٠ ـ ١٨١، باب سائر ما جرى بينه وبين المأمون، الحديث ١٦.

جليل القدر، عظيم المنزلة فينا وعند المخالفين، الجاحظ يحكي عنه في كتبه... وقال:... "كان وجهاً من وجوه الرافضة"، وكان حبس في أيام الرشيد، فقيل: لِيَلي القضاء، وقيل: إنّه وُلّي بعد ذلك، وقيل: بل ليدلّ على مواضع الشيعة وأصحاب موسى بن جعفر عليه السلام. وروي أنّه ضُرب أسواطاً بلغت منه، فكاد أن يقرّ لعظيم الألم، فسمع محمّد بن يونس بن عبد الرحمن وهو يقول: اتّق الله يا محمّد بن أبي عمير، فصبر ففرّج الله.

وروي أنّه حبسه المأمون حتّى ولّاه قضاء بعض البلاد.

وقيل: إنّ أخته دفنت كتبه في حال استتارها وكونه في الحبس أربع سنين، فهلكت الكتب.

وقيل: بل تركتها في غرفة فسال عليها المطر فهلكت، فحدّث من حفظه، وممّا كان سلف له في أيدي الناس؛ فلهذا أصحابنا يسكنون إلى مراسيله، وقد صنّف كتباً كثيرة»[1].

وقال عنه الشيخ الطوسي: «كان من أوثق الناس عند الخاصّة والعامّة وأنسكهم نسكاً، وأورعهم، وأعبدهم، وقد ذكره الجاحظ في كتابه في فخر قحطان على عدنان بهذه الصفة التي وصفناه، وذكر أنّه كان أوحد زمانه في الأشياء كلّها.

وأدرك من الأئمّة عليهم السلام ثلاثة: أبا إبراهيم موسى بن جعفر ولم يرو عنه، وأبا الحسن الرضا وروى عنه، والجواد عليهم السلام.

وروى عنه أحمد بن محمّد بن عيسى كتب مئة رجل من رجال أبي عبد الله عليه السلام»[2].

---

(١) رجال النجاشي: ٣٢٦، الترجمة ٨٨٧.

(٢) الفهرست (للشيخ الطوسي): ٢٦٥ ـ ٢٦٦، الترجمة ٥٩١.

وذكروا أنّه كان له من المصنّفات أربعة وتسعون كتاباً[١].

توفّي سنة مئتين وسبع عشرة من الهجرة[٢].

٢ ـ أحمد بن محمّد بن أبي نصر البزنطي :

قال عنه النجاشي : «أحمد ... كوفيٌ لقي الرضا وأبا جعفر عليهما السلام ، وكان عظيم المنزلة عندهما»[٣].

ثمّ ذكر كتبه .

وقال عنه الشيخ الطوسي : «... كوفيٌ ثقة لقي الرضا عليه السلام ، وكان عظيم المنزلة عنده ، وروى عنه كتاباً»[٤]. ثمّ ذكر كتبه .

وروى الكشيّ عنه أنّه قال : «دخلت على أبي الحسن عليه السلام أنا وصفوان بن يحيى ومحمّد بن سنان ـ وأظنّه قال : عبد الله بن المغيرة أو عبد الله بن جندب ، وهو بصري ـ فجلسنا عنده ساعة ، ثمّ قمنا ، فقال لي : أمّا أنت يا أحمد فاجلس ! فجلست ، فأقبل يحدّثني فأسأله فيجيبني ، حتّى ذهب عامّة الليل ، فلمّا أردت الانصراف ، قال لي : يا أحمد ، تنصرف أو تبيت ؟

قلت : جعلت فداك ، ذلك إليك ، إن أمرت بالانصراف انصرفت ، وإن أمرت بالقيام أقمت .

قال : أقم ، فهذا الحرس ، وقد هدأ الليل وناموا .

فقام وانصرف فلمّا ظننت أنّه قد دخل ، خررت لله ساجداً ، فقلت : الحمد لله ،

---

(١) انظر : رجال النجاشي : ٣٢٦ ، والفهرست (للشيخ الطوسي) : ٢٦٦ .

(٢) انظر رجال النجاشي : ٣٢٧ ، الترجمة ٨٨٧ .

(٣) رجال النجاشي : ٧٥ ، الترجمة ١٨٠ .

(٤) الفهرست (للشيخ الطوسي) : ٣٦ ، الترجمة ٧٢ .

حجّة اللّه ووارث علم النبيّين أنس بي من بين إخواني وحبّبني ، فأنا في سجدتي وشكري فما علمت إلّا وقد رفسني برجله ، ثمّ قمت ، فأخذ بيدي فغمزها ، ثمّ قال : يا أحمد ، إنّ أمير المؤمنين عليه السلام عاد صعصعة بن صوحان في مرضه ، فلمّا قام من عنده قال له : " يا صعصعة ، لا تفتخرنّ على إخوانك بعيادتي إيّاك ، واتّق اللّه " ، ثمّ انصرف عنّي »[١].

توفّي سنة مئتين وإحدى وعشرين[٢].

٣ ـ زكريّا بن آدم :

قال عنه النجاشي :« زكريّا بن آدم بن عبد اللّه بن سعد الأشعري القمّي ، ثقة ، جليل ، عظيم القدر ، وكان له وجهٌ عند الرضا عليه السلام »[٣].

ثمّ عدّ كتبه ومنها : كتاب مسائله للرضا عليه السلام .

ونقل الكشّي بإسناده عنه ، أنّه قال للرضا عليه السلام : « إنّي أريد الخروج عن أهل بيتي ، فقد كثر السفهاء فيهم ، فقال : لا تفعل ، فإنّ أهل بيتك يدفع عنهم بك ، كما يدفع عن أهل بغداد بأبي الحسن الكاظم عليه السلام »[٤].

ونقل بإسناده عن عليّ بن المسيّب ، قال : « قلت للرضا عليه السلام شقّتي بعيدة ، ولست أصل إليك في كلّ وقت ، فممّن آخذ معالم ديني ؟ فقال : من زكريا بن آدم القمّي ، المأمون على الدين والدنيا .

قال عليّ بن المسيّب ، فلمّا انصرفت قدمت على زكريا بن آدم فسألته عمّا

---

(١) اختيار معرفة الرجال : ٥٨٧ ، الرقم ١٠٩٩ .

(٢) انظر رجال النجاشي : ٧٥ ، الترجمة ١٨٠ .

(٣) رجال النجاشي : ١٧٤ ، الترجمة ٤٥٨ .

(٤) اختيار معرفة الرجال : ٥٩٤ ، الرقم ١١١١ .

احتجت إليه »[١].

احتجاجات الإمام الرضا عليه السلام :

سجّلت احتجاجات كثيرة للإمام الرضا عليه السلام مع جميع أهل الملل والنحل ومختلف فِرق المسلمين، خاصّة في السنين الأخيرة من حياته التي قضاها مع المأمون؛ وذلك لأنّ المأمون كان يغري به من يحاججه ويناظره لعلّه يحطّ من قدره أمام الناس وخاصّة العلماء، كما كان للمأمون نفسه حوارات ومناظرات مع الإمام عليه السلام، للسبب نفسه، أو للاستفادة منه.

احتجاج الإمام عليه السلام مع علماء سائر الأديان :

فمن تلك الاحتجاجات ما رووه : من أنّ المأمون أمر الفضل بن سهل أن يجمع له علماء الأديان والفِرق والمتكلّمين، فجمعهم وأدخلهم على المأمون بأمره، ثمّ قال لهم المأمون : إنّما جمعتكم لخير وأحببت أن تناظروا ابن عمّي هذا المدني، القادم عليّ، فإذا كان بكرة فاغدوا عليّ ولا يتخلّف منكم أحد.

فقالوا : السمع والطاعة يا أمير المؤمنين.

ثمّ أخبر المأمون الإمام عليه السلام بذلك.

ولمّا صار الغد أرسل إلى الإمام عليه السلام، فدخل والمجلس غاصٌّ بأهله، فقام المأمون وقاموا جميعاً، فجلس الإمام عليه السلام، ثمّ أمر القائمين بالجلوس.

ثمّ التفت المأمون إلى الجاثليق[٢] : فقال : يا جاثليق، هذا ابن عمّي عليّ بن

---

(١) اختيار معرفة الرجال : ٥٩٤، الرقم ١١١٢.

(٢) الجاثليق : مقدّم الأساقفة عند بعض الطوائف المسيحية الشرقية. انظر المعجم الوسيط : « جاثليق ».

موسى بن جعفر، وهو من ولد فاطمة بنت نبيّنا، وابن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهما، فأحبّ أن تكلّمه وتحاجّه وتنصفه.

فقال الجاثليق: يا أمير المؤمنين، كيف أحاجّ رجلاً يحتجّ عليّ بكتاب أنا منكره؟ ونبيّ لا أؤمن به؟

فقال الرضا عليه السلام: يا نصراني، فإن احتججت عليك بإنجيلك أتقرّ به؟

قال الجاثليق: وهل أقدر على دفع ما نطق به الإنجيل؟ نعم، والله أقرّ به على رغم أنفي.

فقال الرضا عليه السلام: سل عمّا بدا لك وافهم الجواب.

فقال الجاثليق: ما تقول في نبوّة عيسى وكتابه؟ هل تنكر منهما شيئاً؟

قال الرضا عليه السلام: أنا مقرّ بنبوّة عيسى وكتابه وما بشّر به أمّته وأقرّت به الحواريون، وكافر بنبوّة كلّ عيسى لم يقرّ بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله وبكتابه ولم يبشّر به أمّته.

قال الجاثليق: أليس إنّما تقطع الأحكام بشاهدي عدل؟

قال: بلى.

قال: فأقم شاهدين من غير أهل ملّتك على نبوّة محمّد ممّن لا تنكره النصرانيّة، وسلنا مثل ذلك من غير أهل ملّتنا.

قال الرضا عليه السلام: الآن جئت بالنصفة يا نصراني، ألا تقبل منّي العدل المقدّم عند المسيح عيسى بن مريم؟

قال الجاثليق: من هذا العدل؟ سمّه لي.

قال: ما تقول في يوحنّا الديلمي؟

قال: بخ بخ، ذكرت أحبّ الناس إلى المسيح.

قال عليه السلام: فأقسمت عليك هل نطق الإنجيل أنّ يوحنّا قال: إنّ المسيح أخبرني بدين محمّد العربي، وبشّرني به أنّه يكون من بعده، فبشّرت به الحواريون فآمنوا به؟

قال الجاثليق : قد ذكر ذلك يوحنّا عن عيسى وبشّر بنبوّة رجل وبأهل بيته ووصيّه ولم يلخّص متى يكون ذلك ، ولم يسمّ لنا القوم فنعرفهم .

قال الرضا عليه السلام : فإن جئناك بمن يقرأ الإنجيل فتلا عليك ذكر محمّد وأهل بيته وأمّته أفتؤمن به ؟ قال : شديداً .

ثمّ استشهد ببعض من كان يعرف الإنجيل هناك ، وتلا هو عليه السلام السفر الثالث من الإنجيل حتّى وصل إلى ذكر محمّد وأهل بيته صلى الله عليه وآله . فأقرّ الجاثليق .

ثمّ دارت محاورات أخرى بين الإمام عليه السلام والجاثليق أفحم فيها الجاثليق ، ثمّ جاء دور كبير علماء اليهود ، والمجوس ، والصابئة ، وخاصّة عمران الصابي ، وكانت النتيجة إفحام هؤلاء جميعاً .

والمحاورة طويلة ذكرها الصدوق في كتابي التوحيد ، وعيون أخبار الرضا ، ونقلها المجلسي[1] في البحار عنهما .

ولم يصب المأمون في ذلك المجلس إلّا الندم ممّا فعله ؛ لأنّه لم يحصل إلّا على عكس ما كان يأمله .

وذكروا محاورات أخرى للإمام مع سائر العلماء والمتكلّمين ، لم يسع المجال للتعرّض لها[2] .

محاورات الإمام عليه السلام مع المأمون :

كانت للإمام عليه السلام محاورات كثيرة مع المأمون ، فأغلب مجالسه معه كانت تحتوي

---

(١) انظر : التوحيد (للصدوق) : ٤٤١ ـ ٤٤٧ ، وعيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ١٥٦ ـ ١٦١ ، والبحار ١٠ : ٢٩٩ ـ ٣١٨ ، كتاب الاحتجاج ، باب مناظرات الإمام الرضا عليه السلام ، الحديث الأوّل ، و٤٩ : ١٧٣ ـ ١٧٩ ، تاريخ الإمام الرضا عليه السلام ، باب سائر ما جرى بينه وبين المأمون ، الحديث ١٢ ملخّصاً .

(٢) انظر المصادر المتقدّمة مع اختلاف في الصفحات .

على سؤال أو حوار، نذكر نماذج منها على سبيل المثال :

١ ـ كان الإمام الرضا عليه السلام والمأمون يسيران، فقال المأمون : « يا أبا الحسن، إنّي فكّرت في شيءٍ فنتج لي الفكر الصواب فيه، فكّرت في أمرنا وأمركم ونسبنا ونسبكم فوجدت الفضيلة فيه واحدة، ورأيت اختلاف شيعتنا في ذلك محمولاً على الهوى والعصبيّة .

فقال أبو الحسن عليه السلام : إنّ لهذا الكلام جواباً إن شئت ذكرته لك، وإن شئت أمسكت ؟

فقال له المأمون : إنّي لم أقله إلّا لأعلم ما عندك فيه .

قال له الرضا عليه السلام : أنشدك يا أمير المؤمنين، لو أنّ الله بعث نبيّه محمّداً صلى الله عليه وآله، فخرج علينا من وراء أكمة من هذه الآكام يخطب إليك ابنتك كنت مزوّجه إيّاها ؟

فقال المأمون : يا سبحان الله ! وهل يرغب أحد عن رسول الله صلى الله عليه وآله ؟!

فقال له الرضا عليه السلام : أفتراه كان يحلّ له أن يخطب إليّ ؟

فسكت المأمون هُنيهة، ثمّ قال : أنتم والله أمسّ برسول الله رحماً »[1].

فنبّهه الإمام عليه السلام بأنّ الولد أقرب إلى الإنسان من ولد العمّ بلا ارتياب، فكيف يصحّ أن يتساويا بالفضل من حيث القرب ؟!

٢ ـ وقال المأمون يوماً للرضا عليه السلام : « أخبرني بأكبر فضيلة لأمير المؤمنين عليه السلام يدلّ عليها القرآن .

فقال الرضا عليه السلام : فضيلة في المباهلة، قال جلّ جلاله : ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ

---

(١) البحار ١٠ : ٣٤٩ ـ ٣٥٠، كتاب الاحتجاج، باب مناظرات الرضا عليه السلام، الحديث ٩، و ٤٩ : ١٨٧، تاريخ الإمام الرضا عليه السلام، باب سائر ما جرى بينه وبين المأمون، الحديث ١٩.

﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾(١).

فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن والحسين عليهما السلام فكانا ابنيه، ودعا فاطمة عليها السلام فكانت في هذا الموضع نساؤه، ودعا أمير المؤمنين عليه السلام فكان نفسه بحكم الله عزّ وجلّ، فقد ثبت أنّه ليس أحد من خلق الله تعالى أجلّ من رسول الله صلى الله عليه وآله وأفضل، فوجب أن لا يكون أحد أفضل من نفس رسول الله صلى الله عليه وآله بحكم الله تعالى.

فقال المأمون: أليس قد ذكر الله تعالى الأبناء بلفظ الجمع؟ وإنّما دعا رسول الله ابنيه خاصّة، وذكر النساء بلفظ الجمع؟ وإنّما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله ابنته وحدها، فألا جاز أن يذكر الدعاء لمن هو نفسه ويكون المراد نفسه في الحقيقة دون غيره، فلا يكون لأمير المؤمنين عليه السلام ما ذكرت من الفضل؟

فقال الرضا عليه السلام: ليس يصحّ ما ذكرت يا أمير المؤمنين، وذلك أنّ الداعي إنّما يكون داعياً لغيره، كما أنّ الآمر آمر لغيره، ولا يصحّ أن يكون داعياً لنفسه في الحقيقة، كما لا يكون آمراً لها في الحقيقة.

وإذا لم يدع رسول الله صلى الله عليه وآله رجلاً في المباهلة إلّا أمير المؤمنين عليه السلام، فقد ثبت أنّه نفسه التي عناها الله سبحانه في كتابه وجعل حكمه ذلك في تنزيله.

فقال المأمون: إذا ورد الجواب سقط السؤال»(٢).

٣ ـ وقال المأمون: «يا أبا الحسن، أخبرني عن جدّك عليّ بن أبي طالب: بأيّ وجه هو قسيم الجنّة والنار؟ فقال: يا أمير المؤمنين، ألم ترو عن أبيك، عن آبائه، عن عبد الله بن عبّاس، أنّه قال: سمعت رسول الله يقول: حبّ عليّ إيمان وبغضه كفر؟

---

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) البحار ١٠: ٣٥٠، كتاب الاحتجاج، باب مناظرات الرضا عليه السلام، الحديث ١٠، و ٤٩: ١٨٨، تاريخ الإمام الرضا عليه السلام، باب سائر ما جرى بينه وبين المأمون، الحديث ٢٠.

فقال : بلى .

قال الرضا عليه السلام : فقسّم الجنّة والنار.

فقال المأمون : لا أبقاني اللّه بعدك يا أبا الحسن ، أشهد أنّك وارث علم رسول الله صلى الله عليه وآله »[1].

وللرواية تتمّة .

٤ ـ عن الريان بن الصلت ، قال : حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرو وقد اجتمع في مجلسه جماعة من علماء أهل العراق وخراسان ، فقال المأمون : أخبروني عن معنى هذه الآية : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾[2]. فقالت العلماء : أراد الله عزّ وجلّ بذلك الأمّة كلّها ، فقال المأمون : ما تقول يا أبا الحسن ؟

فقال الرضا عليه السلام : « لا أقول كما قالوا ، ولكنّي أقول : أراد الله عزّ وجلّ بذلك العترة الطاهرة » ، فقال المأمون : وكيف عنى العترة من دون الأمّة ؟

فقال له الرضا عليه السلام : « أنّه لو أراد الأمّة لكانت أجمعها في الجنّة ؛ لقوله الله عزّ وجلّ : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾[3] ، ثمّ جمعهم كلّهم في الجنّة فقال عزّ وجلّ : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ﴾[4] الآية ، فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم » ، فقال المأمون : مَن العترة الطاهرة ؟

فقال الرضا عليه السلام : « الذين وصفهم الله في كتابه فقال عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ

---

(١) البحار ٤٩ : ١٧٢ ، تاريخ الإمام الرضا عليه السلام ، باب سائر ما جرى بينه وبين المأمون ، ذيل الحديث ١٠ .

(٢) فاطر : ٣٢.

(٣) فاطر : ٣٢.

(٤) فاطر : ٣٣.

﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[١]، وهم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "إنّي مخلّف فيكم الثّقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ألا وأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تُخلّفون فيهما. أيّها النّاس، لا تُعلّموهم فإنّهم أعلم منكم..."»[٢].

ثمّ أخذ يستدلّ عليه السلام على ما قاله بالآيات والروايات، إلى أن قال المأمون والعلماء: «جزاكم الله أهل بيت نبيّكم[٣] عن هذه الأُمّة خيراً، فما نجد الشرح والبيان فيما اشتبه علينا إلّا عندكم»[٤].



(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) تقدّم الكلام عن الرواية سنداً ودلالة في الصفحة ٥٢.

(٣) كذا، ولعلّه: «نبيّنا».

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٠٧ ـ ٢١٨.

تاسعاً ـ الإمام محمّد بن عليّ الجواد عليه السلام

اسمه ونسبه:

هو محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام.

وأمّه: أمّ ولد يقال لها: سبيكة، أو خيزران، وكانت نوبيّة[1]، وقيل: مريسيّة[2]، وقيل: كانت من أهل بيت مارية القبطيّة[3].

كنيته ولقبه:

كنيته أبو جعفر الثاني، وألقابه: التقيّ، الجواد، المرتضى، المنتجب[4].

مولده:

ولد سنة مئة وخمس وتسعين من الهجرة، واختلف في الشهر واليوم، فقيل: في شهر رمضان، وهو الذي ذكره المشايخ ـ الكليني والمفيد والطوسي ـ وقيل:

---

(١) نسبة إلى نوب، وهم جيل من الناس موطنهم ـ وهو بلاد النوبة ـ يقع في الجزء الجنوبي من بلاد مصر. المعجم الوسيط: «النوبة».

(٢) ومريسة: قرية بمصر، وولاية من ناحية الصعيد. معجم البلدان ٥: ١١٨، «مريسة».

(٣) انظر: أصول الكافي ١: ٤٩٢، والإرشاد ٢: ٢٧٣، والتهذيب ٦: ٩٠، وإعلام الورى ٢: ٩١، والبحار ٥٠: ١ ـ ١٧، تاريخ الإمام الجواد عليه السلام، باب مولده.

(٤) انظر المصادر المتقدّمة.

في العاشر من رجب[١].

وقد ورد عن أبيه الرضا عليه السلام، أنّه قال فيه: «هذا المولود الذي لم يولد مولود أعظم على شيعتنا بركة منه»[٢].

ولعلّ وجهه: أنّه لمّا لم يولد غير أبي جعفر عليه السلام للإمام الرضا عليه السلام، كان الشيعة يفكّرون قبل ولادته: كيف يكون مصير الإمامة؟ لأنّها لا تجتمع لأخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام، ولم يكن للإمام الرضا عليه السلام ولدٌ حينئذٍ، فمن يكون الإمام إذن بعد أبي الحسن الرضا عليه السلام؟![٣]

وعند ولادته زالت هذه الشكوك والأوهام، وكانت هذه أعظم بركة على الشيعة.

وفـــاته:

توفّي في آخر ذي القعدة سنة مئتين وعشرين ببغداد بعد إشخاص المعتصم إيّاه من المدينة ـ على تفصيل يأتي ـ ودفن في مقابر قريش عند قبر جدّه موسى بن جعفر عليهما السلام[٤].

---

(١) انظر: أصول الكافي ١: ٤٩٢، والإرشاد ٢: ٢٧٣، والتهذيب ٦: ٩٠، وإعلام الورى ٢: ٩١، والبحار ٥٠: ١ ـ ١٧، تاريخ الإمام الجواد عليه السلام، باب مولده.

(٢) الإرشاد ٢: ٢٧٩.

(٣) روى في الإرشاد: أنّه كتب ابن قياما إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام كتاباً يقول فيه: «كيف تكون إماماً وليس لك ولد؟ فأجابه أبو الحسن عليه السلام: وما علمك أنّه لا يكون لي ولد؟ والله لا تمضي الأيام والليالي حتّى يرزقني الله ذكراً يفرّق بين الحقّ والباطل». الإرشاد ٢: ٢٧٧.
وكانت محنة الإمام الرضا عليه السلام في ذلك كبيرة حتّى بعد ولادة الإمام الجواد عليه السلام، حيث كان بعضهم يشكّك في إمامته من حيث صغر سنّه، فيقول الإمام الرضا عليه السلام: «وما يضرّ ذلك! قد قام عيسى بالحجّة وهو ابن أقلّ من ثلاث سنين». الإرشاد ٢: ٢٧٦، وسوف نذكر بعض ما يتّصل بذلك عند الكلام عن احتجاجات الإمام الجواد عليه السلام.

(٤) انظر المصادر المذكورة في الهامش الأوّل.

وسوف يأتي سبب وفاته[١].

عمره الشريف:

كان عمره خمساً وعشرين سنة، وعاش بعد أبيه سبع عشرة سنة[٢]. وهو أصغر الأئمّة عليهم السلام سنّاً.

مدّة إمامته:

بلغت إمامته سبع عشرة سنة، وهي المدّة التي عاشها بعد أبيه صلوات اللّه عليهما.

حكّام عصره:

عاصره من الحكّام: المأمون، وأخوه محمّد المعتصم.

تزويج المأمون ابنته أمّ الفضل للإمام عليه السلام:

بعد أن استشهد الإمام الرضا عليه السلام، وعاد المأمون إلى بغداد، استدعى الإمام الجواد من المدينة وهو ابن تسع سنين وأشهر، وقصد أن يزوّجه ابنته أمّ الفضل؛ لأنّه قد شُغِف به؛ لما رأى من فضله مع صغر سنّه وبلوغه في العلم والحكمة والأدب وكمال العقل ما لم يساوه فيه أحدٌ من مشايخ أهل زمانه.

ولمّا بلغ ذلك العبّاسيّين استعظموه، فحذّروه من ذلك وأظهروا له خوفهم واستياءهم.

فأجابهم: بأنّه اختاره لبروزه على أهل الفضل كافّة في العلم والفضل مع صغر سنّه.

---

(١) في الصفحة ٤١١.

(٢) انظر المصادر المذكورة في الهامش الأوّل من الصفحة المتقدّمة.

فقالوا: إنّه صبيٌ لا معرفة له ولا فقه، فأمهله ليتأدّب ويتفقّه في الدين.

فقال لهم: ويحكم إنّني أعرّف بهذا الفتى منكم، وإنّ هذا من أهل بيتٍ علمهم من الله ومواده وإلهامه، لم يزل آباؤه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حدّ الكمال، فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر بما يتبيّن لكم به ما وصفت من حاله.

فاختاروا يحيى بن أكثم ـ وكان قاضي القضاة ـ على أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها، ووعدوه بأموال نفيسة على ذلك.

فاجتمعوا في اليوم الذي اتّفقوا عليه، وحضر معهم يحيى بن أكثم.

فخرج أبو جعفر ﷺ وجلس في الموضع الذي أعدّ له، وجلس يحيى بن أكثم بين يديه.

فاستأذن يحيى المأمون في المسألة، فأمره أن يستأذن أبا جعفر ﷺ.

فأقبل يحيى على أبي جعفر ﷺ وقال: أتأذن لي ـ جعلت فداك ـ في مسألة.

فقال له أبو جعفر ﷺ: سل إن شئت.

قال يحيى: ما تقول ـ جعلت فداك ـ في محرِم قتل صيداً؟

فقال له أبو جعفر: قتله في حلّ أو حرم؟ عالماً كان المحرم أم جاهلاً؟ قتله عمداً أو خطأً؟ حُرّاً كان المحرم أم عبداً؟ صغيراً كان أم كبيراً؟ مبتدئاً بالقتل أم معيداً؟ من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها؟ من صغار الصيد كان أم كبارها؟ مصرّاً على ما فعل أو نادماً؟ في الليل كان قتله للصيد أم نهاراً؟ محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحجّ كان محرماً؟

فتحيّر يحيى بن أكثم وبان في وجهه العجز والانقطاع، ولجلج حتّى عرف جماعة أهل المجلس أمره، فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي، ثمّ نظر إلى أهل بيته وقال لهم: أعرفتم الآن ما كنتم تنكرونه؟!

ثمّ أقبل على أبي جعفر عليه السلام ، فقال له : أتخطب يا أبا جعفر ؟

قال : نعم يا أمير المؤمنين .

فقال له المأمون : اخطب ـ جعلت فداك ـ لنفسك ، فقد رضيتك لنفسي وأنا مزوّجك أمّ الفضل ابنتي وإن رغم قومٌ لذلك .

فقال أبو جعفر عليه السلام : « الحمد لله إقراراً بنعمته ، ولا إله إلّا الله إخلاصاً لوحدانيّته ، وصلّى الله على محمّد سيّد بريّته والأصفياء من عترته .

أمّا بعد : فقد كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام ، فقال سبحانه : ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[(١)]

ثمّ إنّ محمّد بن عليّ بن موسى يخطب أمّ الفضل بنت عبد الله المأمون ، وقد بذل لها من الصداق مهر جدّته فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله ، وهو خمسمئة درهم جياداً ، فهل زوّجته يا أمير المؤمنين بها على هذا الصداق المذكور ؟ » .

قال المأمون : نعم ، قد زوّجتك أبا جعفر أمّ الفضل ابنتي على هذا الصداق المذكور ، فهل قبلت النكاح ؟

قال أبو جعفر عليه السلام : « قد قبلت ذلك ورضيت به » .

ثمّ جرت مراسيم العقد الرسمية .

ولمّا تفرّق الناس وبقي من الخاصّة من بقي قال المأمون لأبي جعفر عليه السلام : إن رأيت ـ جعلت فداك ـ أن تذكر الفقه فيما فصّلته من وجوه قتل المحرم الصيد لنعلمه ونستفيده .

فقال أبو جعفر عليه السلام : نعم ، إنّ المحرم إذا قتل صيداً في الحلّ وكان الصيد من

---

(١) النور : ٣٢ .

ذوات الطير وكان من كبارها فعليه شاة ، فإن كان أصابه في الحرم ، فعليه الجزاء مضاعفاً ، وإذا قتل فرخاً في الحلّ فعليه حمل قد فُطم من اللبن ، وإذا قتله في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ ، وإن كان من الوحش وكان حمار وحش فعليه بقرة ، وإن كان نعامة فعليه بدنة ، وإن كان ظبياً فعليه شاة ، فإن قتل شيئاً من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً هدياً بالغ الكعبة ، وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدي فيه وكان إحرامه للحجّ نحره بمنى ، وإن كان إحرامه للعمرة نحره بمكّة ، وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء ، وفي العمد له المأثم ، وهو موضوع عنه في الخطأ ، والكفّارة على الحرّ في نفسه ، وعلى السيّد في عبده ، والصغير لاكفّارة عليه ، وهي على الكبير واجبة ، والنادم يسقط بندمه عنه عقاب الآخرة ، والمصرّ يجب عليه العقاب في الآخرة .

فقال له المأمون : أحسنت أبا جعفر ، أحسن الله إليك ، فإن رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سألك .

فقال أبو جعفر ليحيى : أسألك ؟

قال : ذلك إليك ـ جعلت فداك ـ فإن عرفت جواب ما تسألني عنه وإلّا استفدته منك .

ثمّ سأله عن مسألة عجز عن جوابها يطول ذكرها وذكر جوابها .

فأقبل المأمون على من حضره من أهل بيته ، فقال لهم : هل فيكم أحد يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب ، أو يعرف القول فيما تقدّم من السؤال ؟ !

قالوا : لا والله ، إنّ أمير المؤمنين أعلم وما رأى .

فقال لهم : ويحكم ، إنّ أهل هذا البيت خُصّوا من الخلق بما ترون من الفضل ، وإنّ صغر السنّ فيهم لا يمنعهم من الكمال ، أما علمتم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو ابن عشر سنين ، وقبل منه الإسلام

وحكم له به، ولم يدعُ أحداً في سنّه غيره، وبايع الحسن والحسين عليهما السلام وهما ابنا دون الستّ سنين، ولم يبايع صبيّاً غيرهما، أفلا تعلمون الآن ما اختصّ الله به هؤلاء القوم، وأنّهم ذرّيّة بعضها من بعض، يجري لآخرهم ما يجري لأوّلهم ؟!

قالوا: صدقت يا أمير المؤمنين، ونهض القوم.

ثمّ استمرّت الاحتفالات من الغد ووزّعت فيها الجوائز والنفائس، وقدّمت الصدقات للمساكين.

وبعد ذلك انصرف أبو جعفر عليه السلام مع زوجته أمّ الفضل إلى المدينة، وبقي فيها إلى أن أشخصه المعتصم منها، كما سيأتي.

وروي: «أنّ أمّ الفضل كتبت إلى أبيها من المدينة تشكو أبا جعفر عليه السلام وتقول: إنّه يتسرّى عليّ ويغيرني، فكتب إليها المأمون: يا بنيّة، إنّا لم نزوّجك أبا جعفر لتحرّمي عليه حلالاً، فلا تعاودي لذكر ما ذكرت بعدها»[1].

الإمام الجواد عليه السلام أيام المعتصم:

ولمّا مات المأمون وخلّفه أخوه المعتصم، أشخص الإمامَ عليه السلام من المدينة إلى بغداد، فوردها وأمّ الفضل لليلتين بقيتا من المحرّم سنة مئة وعشرين، وتوفّي في ذي القعدة من السنة نفسها[2].

وذكروا أنّه استشهد بالسمّ واختلفوا في كيفيّته[3].

---

(١) انظر هذا وما تقدّم في الإرشاد ٢: ٢٨١ ـ ٢٨٩، وإعلام الورى ٢: ١٠١ ـ ١٠٥، والبحار ٥٠: ٧٣ ـ ٨٤، تاريخ الإمام الجواد عليه السلام، باب تزويجه عليه السلام أمّ الفضل.

(٢) انظر الإرشاد ٢: ٢٩٥.

(٣) انظر تفسير العيّاشي ١: ٣٤٨ ـ ٣٤٩، الحديث ١٠٩، في آخر قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ...﴾، ومناقب ابن شهرآشوب ٤: ٣٨٤ و ٣٩١، ومروج الذهب ٣: ٤٦٤، والفصول المهمّة: ٢٦٣.

تلامذة الإمام الجواد عليه السلام والراوون عنه:

لم يتعرّض الإمام الجواد عليه السلام لضغط سياسي حادّ أيام المأمون، فكان في هذه المدّة. وهي نحو من عشر سنوات يتّصل به شيعته ويأخذون من علمه، وذكر الشيخ الطوسي ما يقارب مئة وخمسة عشر شخصاً ممّن روى عنه، ونحن نشير إلى ترجمة ثلاثة منهم باختصار:

١ ـ عليّ بن مهزيار الأهوازي:

كان من الشخصيات العلميّة البارزة أيام الإمام الجواد عليه السلام، ومن أصحابه المختصّين به، قال عنه النجاشي: «... كان أبوه نصرانياً فأسلم، وقد قيل: إنّ علياً أيضاً أسلم وهو صغير، ومنّ الله عليه بمعرفة هذا الأمر، وتفقّه، وروى عن الرضا وأبي جعفر عليهما السلام، واختصّ بأبي جعفر الثاني وتوكّل له، وعظم محلّه منه، وكذلك أبو الحسن الثالث عليه السلام، وتوكّل لهم في بعض النواحي، وخرجت إلى الشيعة فيه توقيعات بكلّ خير، وكان ثقة في روايته لا يطعن عليه، صحيحاً اعتقاده، وصنّف الكتب المشهورة...»[١].

ثمّ ذكر كتبه.

وكانت له مراسلات كثيرة مع أبي جعفر الجواد عليه السلام كان يسأله فيها عن المسائل الفقهية وغيرها، ومكاتبته في الخمس[٢] معروفة، وكانت له عليه السلام عناية خاصّة به، فقد روى الكشّي عن عليّ بن مهزيار: أنّه كتب إلى الإمام الجواد عليه السلام يسأله الدعاء، فكتب عليه السلام إليه:

«وأمّا ما سألت من الدعاء، فإنّك بعدُ لست تدري كيف جعلك الله عندي،

---

(١) رجال النجاشي: ٢٥٣، الترجمة ٦٦٤.

(٢) انظر الوسائل ٩: ٥٠١، الباب ٨ من أبواب الخمس، الحديث ٥.

وربّما سمّيتك باسمك ونسبك، مع كثرة عنايتي بك ومحبّتي لك ومعرفتي بما أنت إليه، فأدام اللّه لك أفضل ما رزقك من ذلك، ورضي عنك برضائي عنك، وبلغك أفضل نيّتك، وأنزلك الفردوس الأعلى برحمته إنّه سميع الدعاء، حفظك اللّه وتولّاك ودفع الشرّ عنك برحمته، وكتبت بخطّي»[1].

ولعليّ بن مهزيار مشهد كبير في الأهواز يزار، وقد وفّقت لزيارته.

٢ و ٣ ـ الحسن والحسين الأهوازيّان:

قال عنهما النجاشي: «الحسن بن سعيد بن حمّاد بن مهران مولى عليّ بن الحسين عليه السلام، أبو محمّد الأهوازي، شارك أخاه الحسين في الكتب الثلاثين المصنّفة، وإنّما كثر اشتهار الحسين أخيه بها»[2].

وقال ابن النديم: «الحسن والحسين ابنا سعيد الأهوازيان من أهل الكوفة من موالي عليّ بن الحسين، من أصحاب الرضا، أوسع أهل زمانهما علماً بالفقه والآثار والمناقب وغير ذلك من علوم الشيعة ... وصحبا أيضاً أبا جعفر بن الرضا ...»[3].

وقال الشيخ في الفهرست: «الحسن بن سعيد ... أخو الحسين بن سعيد ثقة ...»[4].

وقال أيضاً: «الحسين بن سعيد ... ثقة روى عن الرضا وأبي جعفر الثاني، وأبي الحسن الثالث عليهم السلام، وأصله كوفي، وانتقل مع أخيه الحسن إلى الأهواز، ثمّ تحوّل

---

(١) اختيار معرفة الرجال: ٥٥١، ذيل الرقم ١٠٤٠، وذكر مكاتبات أخرى فيها احترام وتبجيل لابن مهزيار.

(٢) رجال النجاشي: ١٣٦ ـ ١٣٧، الترجمة ٥٨.

(٣) الفهرست (لابن النديم): ٣١٠.

(٤) الفهرست (للشيخ الطوسي): ٩٠، الترجمة ١٧٩.

إلى قم، فنزل على الحسن بن أبان، وتوفّي بقم»[1].

وذكرهما في رجاله في أصحاب الرضا والجواد عليهما السلام[2].

احتجاجات الإمام الجواد عليه السلام :

ذكرنا بعض احتجاجاته مع يحيى بن أكثم بمحضر المأمون، والآن نذكر احتجاجه مع الفقهاء بمحضر المعتصم، وتفصيل ذلك هو :

أنّه أتي بسارق أقرّ على نفسه بالسرقة عند المعتصم، وسأل الخليفة أن يطهّره بإقامة الحدّ عليه، فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه، وأحضر محمّد بن عليّ عليه السلام. فسأل الفقهاء عن موضع القطع، فقال بعضهم من الكرسوع.

فسأل المعتصم : وما الحجّة في ذلك ؟

فقيل له : لأنّ اليد هي الأصابع والكفّ إلى الكرسوع؛ لقوله تعالى في التيمّم : ﴿ فَامْسَحُوا بِوجوهكم وَأَيْدِيَكُمْ ﴾[3].

وقال آخرون : بل يجب القطع من المرفق.

قال المعتصم : وما الدليل على ذلك ؟

قالوا : لأنّ الله لمّا قال : ﴿ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ﴾ في الغسل دلّ ذلك على أنّ حدّ اليد هو المرفق.

فالتفت ـ المعتصم ـ إلى محمّد بن عليّ عليه السلام، فقال : ما تقول في هذا يا أبا جعفر ؟

فقال عليه السلام : قد تكلّم القوم فيه يا أمير المؤمنين.

قال المعتصم : دعني ممّا تكلّموا به، أيّ شيء عندك ؟

---

(١) الفهرست (للشيخ الطوسي) : ١٠٤، الترجمة ٢٢٥.

(٢) رجال الشيخ الطوسي : ٣٧١ و ٣٧٢ و ٣٩٩.

(٣) المائدة : ٦.

قال ﷺ : اعفني عن هذا يا أمير المؤمنين .

قال : أقسمت عليك بالله لمّا أخبرت بما عندك فيه .

فقال : أما إذا أقسمت عليّ بالله ، إنّي أقول : إنّهم أخطأوا فيه السنّة ، فإنّ القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع ، فيترك الكفّ .

قال المعتصم : وما الحجّة في ذلك ؟

قال : قول رسول الله صلّى الله عليه وآله السلام : " السجود على سبعة أعضاء : الوجه ، واليدين ، والركبتين ، والرجلين " فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها ، وقال الله تبارك وتعالى : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾[1] يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها ، ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[2] ، وما كان لله لم يقطع .

فأعجب المعتصم ذلك ، وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكفّ .

وذكروا : أنّ هذا كان سبب حسد بعض الحاضرين من الفقهاء والقضاة وسعايتهم بالإمام عند المعتصم وتحريضه بالقضاء عليه ، فانتهى الأمر إلى استشهاده ﷺ بالسمّ[3] .

ومن جملة احتجاجاته ما حدث في إبّان إمامته ﷺ ، فقد روى عليّ بن إبراهيم عن أبيه ، قال : « لـمّا مات أبو الحسن الرضا ﷺ حججنا فدخلنا على أبي جعفر ﷺ ، وقد حضر خلق من الشيعة من كلّ بلد لينظروا إلى أبي جعفر ﷺ ، فدخل عمّه عبد الله بن موسى وكان شيخاً كبيراً نبيلاً عليه ثياب خشنة ، وبين عينيه سجّادة ، فجلس وخرج أبو جعفر من الحجرة وعليه قميص قصب ، ورداء قصب ، ونعل حذو

---

(١) و (٢) الجنّ : ١٨ .

(٣) قال المسعودي : « ...قيل : إنّ أمّ الفضل بنت المأمون لمّا قدمت معه من المدينة إلى المعتصم سمّته ... » مروج الذهب ٣ : ٤٦٤ ، واختلفوا في كيفيّته ، انظر المصادر المذكورة في الصفحة ٤١١ ، الهامش ٣ .

[جدد] بيضاء.

فقام عبد الله واستقبله وقبّل بين عينيه، وقامت الشيعة، وقعد أبو جعفر عليه السلام على كرسي، ونظر الناس بعضهم إلى بعض تحيّراً لصغر سنّه.

فانتدب رجل من القوم فقال لعبد الله بن موسى: «أصلحك الله، ما تقول في رجل أتى بهيمة؟

فقال: تقطع يمينه ويضرب الحدّ.

فغضب أبو جعفر عليه السلام، ثمّ نظر إليه فقال: يا عمّ، اتّق الله، اتّق الله، إنّه لعظيم أن تقف يوم القيامة بين يدي الله عزّ وجلّ فيقول لك: لِمَ أفتيت الناس بما لا تعلم؟

فقال له عمّه: يا سيّدي، أليس قال هذا أبوك صلوات الله عليه؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: إنّما سئل أبي: عن رجل نبش قبر امرأة فنكحها، فقال أبي: تقطع يمينه للنبش، ويضرب حدّ الزنا، فإنّ حرمة الميتة كحرمة الحيّة.

فقال: صدقت يا سيّدي وأنا أستغفر الله.

فتعجّب الناس فقالوا: يا سيّدنا أتأذن لنا أن نسألك؟

فقال: نعم.

فسألوه عن مسائل كثيرة فأجابهم وهو ابن تسع سنين»[1].

---

(١) البحار ٥٠: ٨٥ ـ ٨٦، تاريخ الإمام الجواد عليه السلام، باب فضائله، الحديث الأوّل.

عاشراً ـ الإمام عليّ بن محمّد الهادي عليه السلام

اسمه ونسبه:

هو عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام.

وأمّه أمّ ولد، يقال لها: سمانة(1) أو سمانة المغربية(2).

كنيته ولقبه:

كنيته: أبو الحسن الثالث(3).

وألقابه كثيرة أشهرها: الهادي والنقي والعسكري(4)؛ لأنّ المحلّة التي كان يسكنها بسرّ من رأى كانت تسمّى العسكر(5)، أو كانت المدينة نفسها تسمّى عسكر(6).

---

(1) انظر: أُصول الكافي 1: 497، والإرشاد 2: 297، والتهذيب 6: 92، والبحار 50: 113 ـ 117، تاريخ الإمام الهادي عليه السلام، باب أسمائه وألقابه...

(2) انظر مناقب آل أبي طالب 4: 401.

(3) و (4) انظر المصادر المذكورة في الهامشين المتقدّمين.

(5) انظر: معاني الأخبار: 65، وعلل الشرائع: 241.

(6) كما يظهر من عبارات المفيد وغيره، انظر: الإرشاد 2: 309، ورجال النجاشي: 310، الترجمة 848.

مولـــده:

ولد في صريّا [١] في النصف من ذي الحجّة سنة مئتين واثنتي عشرة [٢]، وقيل: في رجب سنة مئتين وأربع عشرة [٣].

وفـــاته:

توفّي مسموماً شهيداً [٤] بسرّ من رأى -سامرّاء- في رجب سنة مئتين وأربع وخمسين [٥]، وقيل: لأربع بقين من جمادى الآخرة [٦].

دفن في بيته، ودفن معه ابنه أبو محمّد الحسن العسكري عليه السلام، ولهم مشهد كبير وعظيم يقصده النّاس للزيارة من أقصى النقاط.



عمره الشريف:

بلغ عمره الشريف إحدى وأربعين سنة [٧]، وقيل: وستّة [٨] أو سبعة أشهر [٩].

وعاش بعد أبيه الجواد عليه السلام: ثلاثاً وثلاثين سنة [١٠].

---

(١) صريّا: قرية أسّسها الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وتبعد ثلاثة أميال عن المدينة. مناقب آل أبي طالب ٤: ٣٨٢.

(٢) و (٦) انظر: أصول الكافي ١: ٤٩٧، باب مولد أبي الحسن عليه السلام، والإرشاد ٢: ٢٩٧، والتهذيب ٦: ٩٢.

(٣) انظر أصول الكافي ١: ٤٩٧.

(٤) انظر: إعلام الورى ٢: ١١٠، ومروج الذهب ٤: ٨٥، والفصول المهمّة: ٢٧١، ومناقب آل أبي طالب ٤: ٤٠١.

(٥) و (٧) انظر: الإرشاد ٢: ٢٩٧، والتهذيب ٦: ٩٢.

(٨) انظر أصول الكافي ١: ٤٩٨.

(٩) انظر التهذيب ٦: ٩٢.

(١٠) انظر الإرشاد ٢: ٢٩٧.

مدّة إمامته:

وهي ثلاث وثلاثون سنة، أي المدّة التي عاشها بعد أبيه عليه السلام.

حكّام عصره:

عاصره من حكّام بني العبّاس: المعتصم، والواثق، والمتوكّل، والمنتصر، والمستعين، والمعتزّ[١].

وقد أشخصه المتوكّل من المدينة إلى سامراء، وبقي فيها إلى أن توفّي أيام المعتزّ[٢].

ويبدو من مجموع ما ذكره المؤرّخون: أنّ أشدّ زمن مرّ به هو أيّام المتوكّل التي دامت أربع عشرة سنة، وفيما يلي نذكر بعض ما جرى عليه خلالها.

الإمام عليه السلام في عهد المتوكّل:

اتّصف المتوكّل بعدائه الشديد لأهل البيت عليهم السلام، فهو الذي أمر بهدم قبر الإمام الحسين عليه السلام وتسويته والزراعة في أرضه، ومنع الناس من زيارته[٣]. وقد تجلّى

---

(١) انظر إعلام الورى ٢: ١٠٩ ـ ١١٠.

(٢) انظر إعلام الورى ٢: ١٠٩ ـ ١١٠. وقال المسعودي: «وكانت وفاة أبي الحسن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد في خلافة المعتزّ بالله، وذلك في يوم الاثنين لأربع بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومئتين، وهو ابن أربعين سنة، وقيل: ابن اثنين وأربعين، وقيل: أكثر من ذلك، وسُمع في جنازته جارية تقول: ماذا لقينا في يوم الاثنين قديماً وحديثاً؟!...» مروج الذهب ٤: ٨٤، وقول الجارية يشير إلى ما أصاب أهل البيت عليهم السلام بوفاة النبيّ صلى الله عليه وآله يوم الاثنين وما تعقّبه من مصائب!

(٣) قال ابن الأثير في حوادث سنة ٢٣٦: «في هذه السنة أمر المتوكّل بهدم قبر الحسين بن عليّ عليه السلام، وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يبذر ويسقى موضع قبره، وأن يُمنع الناس من إتيانه...».

←

هذا العداء بالنسبة إلى الإمام الهادي عليه السلام أيضاً.

وأوّل ما صدر منه في حقّ الإمام عليه السلام هو أنّه أشخصه من المدينة إلى سامراء.

وذلك: أنّ الإمام عليه السلام بقي في المدينة بعد أبيه الجواد وفي طول حكم المعتصم، وأوائل حكم المتوكّل، إلى أن أشخصه سنة مئتين وثلاث وأربعين[1]، أي ثلاث وعشرين سنة.

وكان سبب إشخاصه ـ كما ذكره الشيخ المفيد ـ هو: أنّ المتوكّل ولّى على الحرب والصلاة في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله عبد الله بن محمّد[2]، فسعى بأبي الحسن عليه السلام

← ثمّ قال: «وكان المتوكّل شديد البغض لعليّ بن أبي طالب عليه السلام ولأهل بيته، وكان يقصد من يبلغه عنه أنّه يتولّى عليّاً وأهله بأخذ المال والدم.

وكان من جملة ندمائه عبادة بن المخنّث، وكان يشدّ على بطنه، تحت ثيابه، مخدّة ويكشف رأسه وهو أصلع، ويرقص بين يدي المتوكّل والمغنّون يغنّون: "قد أقبل الأصلع البطين، خليفة المسلمين" يحكي بذلك عليّاً عليه السلام، والمتوكّل يشرب ويضحك، ففعل ذلك يوماً والمنتصر حاضر، فأومأ إلى عبادة يتهدّده، فسكت خوفاً منه، فقال المتوكّل: ما حالك؟ فقام وأخبره، فقال المنتصر: يا أمير المؤمنين، إنّ الذي يحكيه هذا الكاتب ويضحك منه الناس هو ابن عمّك، وشيخ أهل بيتك، وبه فخرك، فكُلْ أنت لحمه إذا شئت، ولا تطعم هذا الكلب وأمثاله منه، فقال المتوكّل للمغنّين: غنّوا جميعاً:

غـار الفتـى لابن عمّـه رأس الفتى في حِرِ أمّه

فكان هذا من الأسباب التي استحلّ بها المنتصر قتل المتوكّل».

ثمّ ذكر أنّ ندماءه كانوا ممّن اشتهروا بالنصب والبغض لعليّ عليه السلام، وذكر أسماء جملة منهم سنذكرهم في الهامش رقم ٢. انظر الكامل في التاريخ ٧: ٥٥ ـ ٥٦.

(١) انظر الإرشاد ٢: ٣١٠.

(٢) هو عبد الله بن محمّد بن داود الهاشمي المشهور بابن أترجة، ممّن عرفوا بالنصب لأهل البيت عليهم السلام واحتفّوا بالمتوكّل كما تقدّم عن ابن الأثير، ومنهم أيضاً: علي بن الجهم، وعمر بن فرج الرخجي، وأبو السمط من موالي بني أميّة، «فكانوا يخوّفون المتوكّل من ←

إلى المتوكّل، وكان يقصده بالأذى، ولمّا بلغ أبا الحسن سعايته، كتب إلى المتوكّل يذكر تحامل عبد الله بن محمّد ويكذّبه فيما سعى به، فأجابه المتوكّل:

«بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعد: فإنّ أمير المؤمنين عارف بقدرك، راعٍ لقرابتك، موجب لحقّك، مؤثر من الأمور فيك وفي أهل بيتك ما يصلح الله به حالك وحالهم، ويثبت به عزّك وعزّهم، ويدخل الأمن عليك وعليهم، يبتغي بذلك رضا ربّه وأداء ما افترض عليه فيك وفيهم، وقد رأى أمير المؤمنين صرف عبد الله بن محمّد عمّا كان يتولّاه من الحرب والصلاة بمدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إذ كان على ما ذكرت من جهالته بحقّك، واستخفافه بقدرك، وعندما قرفك به ونسبك إليه من الأمر الذي علم أمير المؤمنين براءتك منه، وصدق نيّتك في برّك وقولك، وأنّك لم تؤهّل نفسك لما قُرفت بطلبه، وقد ولّى أمير المؤمنين ما كان يلي من ذلك محمّد بن الفضل، وأمره بإكرامك وتبجيلك والانتهاء إلى أمرك ورأيك، والتقرّب إلى الله وإلى أمير المؤمنين بذلك.

وأمير المؤمنين مشتاقٌ إليك، يحبّ إحداث العهد بك والنظر إليك، فإن نشطت لزيارته والمقام قِبله ما أحببت شخصت ومن اخترت من أهل بيتك ومواليك وحشمك، على مهلة وطمأنينة، ترحل إذا شئت وتنزل إذا شئت وتسير كيف شئت، وإن أحببت أن يكون يحيى بن هرثمة مولى أمير المؤمنين، ومن معه من الجند يرتحلون برحيلك، ويسيرون بسيرك فالأمر في ذلك إليك، وقد تقدّمنا إليه بطاعتك، فاستخر الله حتّى توافي أمير المؤمنين، فما أحد من إخوته وولده وأهل بيته وخاصّته ألطف منه منزلة، ولا أحمد له أثرة، ولا هو لهم أنظر، وعليهم أشفق،

← العلويّين ويشيرون عليه بإبعادهم والإعراض عنهم والإساءة إليهم، ثمّ حسّنوا له الوقيعة في أسلافهم الذين يعتقد الناس علوّ منزلتهم في الدين ...». الكامل في التاريخ ٧: ٥٦.

وبهم أبرّ، وإليهم أسكن منه إليك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وكتب إبراهيم بن العبّاس في شهر كذا من سنة ثلاث وأربعين ومئتين »[١].

قال المفيد: « فلمّا وصل الكتاب إلى أبي الحسن عليه السلام تجهّز للرحيل، وخرج معه يحيى بن هرثمة حتّى وصل إلى سرّ من رأى، فلمّا وصل إليها تقدّم المتوكّل أن يحجب عنه في يومه، فنزل في خان يعرف بخان الصعاليك، وأقام فيه يومه، ثمّ تقدّم المتوكّل بإفراد دار له، فانتقل إليها »[٢].

ثمّ قال: « وأقام أبو الحسن عليه السلام مدّة مقامه بسرّ من رأى مكرّماً في ظاهر الحال، يجتهد المتوكّل في إيقاع حيلة به فلا يتمكّن من ذلك، وله معه أحاديث يطول بذكرها الكتاب، فيها آيات له وبيّنات، إن قصدنا لإيراد ذلك خرجنا عن الغرض فيما نحوناه »[٣].

ومن تلك الآيات ما نقله المسعودي عن محمّد بن عرفة النحوي، عن محمّد بن يزيد المبرّد، قال:

« ... وقد كان سعي بأبي الحسن عليّ بن محمّد إلى المتوكّل، وقيل له: إنّ في منزله سلاحاً وكتباً وغيرها من شيعته، فوجّه إليه ليلاً من الأتراك وغيرهم من هجم عليه في منزله على غفلة ممّن في داره، فوجده في بيت وحده مغلق عليه، وعليه مِدرعة من شعر، ولا بساط في البيت إلّا الرمل والحصى، وعلى رأسه ملحفة من الصوف، متوجّهاً إلى ربّه يترنّم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد، فأُخذ على

---

(١) الإرشاد ٢: ٣٠٩ ـ ٣١٠، وأصول الكافي ١: ٥٠١، باب مولد أبي الحسن عليه السلام، الحديث ٧.
وصورة الكتاب وإن كان فيها نوع من الرفق، لكنّ البغض المستبطن فيه يظهر من تتمّة الرواية.

(٢) الإرشاد ٢: ٣١٠ ـ ٣١١.

(٣) المصدر المتقدّم: ٣١١.

ما وُجد عليه ، وحُمل إلى المتوكّل في جوف الليل ، فمَثَل بين يديه والمتوكّل يشرب وفي يده كأس ، فلمّا رآه أعظمه وأجلسه إلى جنبه ولم يكن في منزله شيء ممّا قيل فيه ، ولا حالة يتعلّل عليه بها ، فناوله المتوكّل الكأس الذي في يده ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما خامر لحمي ودمي قطّ ، فاعفني منه ، فعافاه ، وقال : أنشدني شعراً أستحسنه ، فقال : إنّي لقليل الرواية للأشعار ، فقال : لا بدّ أن تنشدني ، فأنشده :

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غلب الرجال فما أغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عزٍّ عن معاقلهم ... فأودعوا حفراً، يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا ... أين الأسرّة والتيجان والحُلل
أين الوجوه التي كانت منعّمةً ... من دونها تضرب الأستار والكِلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم ... تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا دهراً وما شربوا ... فأصبحوا بعد طول الأكل قد أُكلوا
وطالما عمروا دوراً لتحصنهم ... ففارقوا الدور والأهلين وانتقلوا
وطالما كنزوا الأموال وادّخروا ... فخلّفوها على الأعداء وارتحلوا
أضحت منازلهم قفراً معطّلةً ... وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا

قال[١]: فأشفق كلّ من حضر على عليٍّ ، وظنّ أنّ بادرةً تبدر منه إليه[٢] ، قال : والله لقد بكى المتوكّل بكاءً طويلاً حتّى بلّت دموعه لحيته ، وبكى من حضره ، ثمّ أمر برفع الشراب ، ثمّ قال له : يا أبا الحسن ، أعليك دينٌ ؟ قال : نعم ، أربعة آلاف دينار ، فأمر بدفعها إليه ، وردّه إلى منزله من ساعته مكرّماً »[٣].

ومن تلك الآيات ما رواه المفيد عن الحسين بن الحسن الحسني ، قال : حدّثني

(١) أي الراوي ، وهو محمّد بن يزيد المبرّد ، على نقل المسعودي.
(٢) أي تصدر بادرة من المتوكّل إلى أبي الحسن عليه السلام من أمر بسجن أو قتل أو نحو ذلك.
(٣) مروج الذهب ٤: ١٠ ـ ١٢.

أبو الطيّب يعقوب بن ياسر، قال: «كان المتوكّل يقول: ويحكم قد أعياني أمر ابن الرضا[(١)]، وجهدت أن يشرب معي وأن ينادمني فامتنع، وجهدت أن أجد فرصة في هذا المعنى فلم أجدها، فقال له بعض من حضر: إن لم تجد من ابن الرضا ما تريده من هذه الحال، فهذا أخوه موسى[(٢)] قصّاف عزّاف[(٣)] يأكل ويشرب ويعشق ويتخالع فأحضره وأشهره، فإنّ الخبر يشيع عن ابن الرضا بذلك، ولا يفرّق الناس بينه وبين أخيه، ومن عرفه اتّهم أخاه بمثل فعاله.

فقال: اكتبوا بإشخاصه مكرّماً، فأشخص مكرّماً، فتقدّم المتوكّل أن يتلقّاه جميع بني هاشم والقوّاد وسائر الناس، وعمل على أنّه إذا وافى أقطعه قطيعة وبنى له فيها وحوّل إليها الخمّارين والقيان، وتقدّم بصلته وبرّه، وأفرد له منزلاً سريّاً يصلح أن يزوره هو.

فلمّا وافى موسى تلقّاه أبو الحسن عليه السلام في قنطرة وصيف -وهو موضع يُتلقّى فيه القادمون- فسلّم عليه ووفّاه حقّه ثمّ قال له: إنّ هذا الرجل قد أحضرك ليهتكك ويضع منك، فلا تقرّ له أنّك شربت نبيذاً قطّ[(٤)]. واتّق اللّه يا أخي أن ترتكب محظوراً.

---

(١) كان عنوان «ابن الرضا» لولد الإمام الرضا عليه السلام الإمام الجواد عليه السلام ولولده، خاصّة: الإمام الهادي، والإمام الحسن العسكري عليهما السلام.

(٢) موسى بن محمّد الجواد عليه السلام أخو الامام الهادي عليه السلام، وقبره في قم، وأحفاده السادة الرضويون متواجدون في قم حالياً. انظر: قاموس الرجال ١١: ٢٩٨ - ٢٩٩، ومعجم رجال الحديث ١٩: ٧٤ - ٧٥ و ٨٠.

(٣) القصف والعزف: اللهو، القاموس المحيط: «قصف» و«عزف».

(٤) يفهم من هذه العبارة أنّه لم يكن كما وصفوه للمتوكّل؛ لأنّ مجرّد شرب النبيذ لا يصيّره ممّن يشرب ويعشق، واللّه العالم.

ويظهر من كتاب تحف العقول استبصاره. انظر هامش رقم ٢ من الصفحة ٤٣٢.

فقال له موسى : إنّما دعاني لهذا فما حيلتي ؟ قال : فلا تضع من قدرك ، ولا تعص ربّك ، ولا تفعل ما يشينك ، فما غرضه إلّا هتكك ، فأبى عليه موسى ، فكرّر عليه أبو الحسن عليه السلام القول والوعظ وهو مقيم على خلافه ، فلمّا رأى أنّه لا يجيب ، قال له : أما إنّ المجلس الذي تريد الاجتماع معه لا تجتمع عليه أنت وهو أبداً .

قال : فأقام موسى ثلاث سنين يبكّر كلّ يوم إلى باب المتوكّل ، فيقال له : قد تشاغل اليوم فيروح ، فيقال له : قد سكر ، فيبكّر ، فيقال له : قد شرب دواءً ، فما زال على هذا ثلاث سنين حتّى قتل المتوكّل ، ولم يجتمع معه على شراب »[1] .

وروي : « أنّه لمّا كان في يوم الفطر في السنة التي قتل فيها المتوكّل ، أمر المتوكّل بني هاشم بالترجّل والمشي بين يديه ، وإنّما أراد بذلك أن يترجّل أبو الحسن عليه السلام .

فترجّل بنو هاشم وترجّل أبو الحسن عليه السلام واتّكأ على رجل من مواليه ، فأقبل عليه الهاشميّون وقالوا : يا سيّدنا ما في هذا العالم أحد يستجاب دعاؤه ويكفينا الله به تعزّز هذا ؟

قال لهم أبو الحسن عليه السلام : في هذا العالم من قلامة ظفره أكرم على الله من ناقة ثمود ، لمّا عقرت الناقة صاح الفصيل إلى الله تعالى ، فقال الله سبحانه : ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾[2] ، فقتل المتوكّل يوم الثالث »[3] .

والمعروف أنّه قتل في الثالث أو الرابع من شوّال سنة مئتين وسبع وأربعين[4] ،

---

(١) الإرشاد ٢ : ٣٠٧ ـ ٣٠٨ ، وانظر الكافي ١ : ٥٠٢ ، باب مولد أبي الحسن الثالث عليه السلام ، الحديث ٨ .

(٢) هود : ٦٥ .

(٣) البحار ٥٠ : ٢٠٩ ، تاريخ الإمام الهادي عليه السلام ، باب ما جرى بينه وبين الخلفاء ، الحديث ٢٣ .

(٤) انظر : البحار ٥٠ : ٢١٠ ، تاريخ الإمام الهادي عليه السلام ، باب ما جرى بينه وبين الخلفاء ، الحديث ٢٣ ، ومروج الذهب ٤ : ٤٦ .

واستراح العلويون والطالبيّون من ظلمه.

وجاء بعده ابنه المنتصر فعكس سياسة أبيه تجاه الطالبيّين، لكن لم يدم ملكه إلّا سبعة أشهر فمات، وخلفه المستعين بن المعتصم، فدام ملكه أربع سنين، ثمّ خلع وبويع للمعتزّ بن المتوكّل في أوائل محرّم سنة مئتين واثنتين وخمسين، وتوفّي الإمام الهادي في أيامه سنة مئتين وأربع وخمسين كما تقدّم[1].

قال المسعودي: «حدّثني محمّد بن الفرج بمدينة جرجان في المحلّة المعروفة ببشر أبي عنان، قال: حدّثني أبو دعامة: قال: أتيت عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى عائداً في علّته التي كانت وفاته منها في هذه السنة، فلمّا هممت بالانصراف، قال لي: يا أبا دعامة، قد وجب حقّك، أفلا أحدّثك بحديث تسرُّ به؟

قال: فقلت له: ما أحوجني إلى ذلك يابن رسول الله!

قال: حدّثني أبي محمّد بن عليّ، قال: حدّثني أبي عليّ بن موسى، قال: حدّثني أبي موسى بن جعفر، قال: حدّثني أبي جعفر بن محمّد، قال: حدّثني أبي محمّد بن عليّ، قال: حدّثني أبي عليّ بن الحسين، قال: حدّثني أبي الحسين بن عليّ، قال: حدّثني أبي عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنهم، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: اكتب يا عليّ، قال: قال: قلت: وما أكتب؟

قال لي: "اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، الايمان ما وقرته القلوب، وصدّقته الأعمال، والإسلام ما جرى به اللسان، وحلّت به المناكحة".

قال أبو دعامة: فقلت: يابن رسول الله، ما أدري والله أيّهما أحسن: الحديث أم الإسناد؟

فقال: إنّها لصحيفة بخطّ عليّ بن أبي طالب بإملاء رسول الله صلّى الله عليه

---

(١) في الصفحة ٤١٨.

[وآله] وسلّم نتوارثها صاغراً عن كابر».

ثمّ قال المسعودي في نهاية كلامه: «وقيل: إنّه مات مسموماً عليه السلام»[١].

وقال اليعقوبي: «وبعث المعتزّ بأخيه أبي أحمد بن المتوكّل فصلّى عليه[٢] في الشارع المعروف بشارع أبي أحمد، فلمّا كثر الناس واجتمعوا كثر بكاؤهم وضجّتهم، فردّ النعش إلى داره فدفن فيها»[٣].

أصحاب الإمام الهادي عليه السلام:

كان الاتّصال بالإمام عليه السلام في المدينة أسهل من الاتّصال به في سامرّاء؛ لشدّة المراقبة المفروضة عليه؛ ولذلك كانت المكاتبات ـ وهي الأسئلة المكتوبة الموجّهة إليه من قِبل أصحابه وجوابه عنها ـ كثيرة في عهده وعهد أبيه وابنه عليهما السلام.

وكان عدد من روى عنه ـ حسب ما وصلت أسماؤهم إلى الشيخ الطوسي ـ يقارب مئة وتسعين شخصاً، نذكر ثلاثة منهم حسب منهجنا:

١ ـ عبد العظيم الحسني:

قال عنه النجاشي: «عبد العظيم بن عبد الله بن عليّ بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، أبو القاسم. له كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام».

ثمّ نقل بإسناده عن البرقي أنّه قال: «كان عبد العظيم ورد الريّ هارباً من السلطان، وسكن سَرَباً[٤] في دار رجل من الشيعة في سكّة الموالي، وكان يعبد الله

---

(١) مروج الذهب ٤: ٨٥.

(٢) هذا بحسب الظاهر، وفي الواقع لا يصلّي على الإمام إلّا الإمام الذي من بعده، فيكون الإمام الحسن العسكري عليه السلام قد صلّى عليه قبل خروج الجنازة إلى الشارع.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٣: ٢٣٤.

(٤) السَّرَب ـ بالتحريك ـ له معان متعدّدة، والمناسب للمقام منها هو الحفير تحت الأرض. ←

في ذلك السرب ويصوم نهاره، ويقوم ليله، وكان يخرج مستتراً فيزور القبر المقابل قبره، وبينهما الطريق، ويقول: هو قبر رجل من ولد موسى بن جعفر ﷺ.

فلم يزل يأوي إلى ذلك السَرَب، ويقع خبره إلى الواحد بعد الواحد من شيعة آل محمّد ﷺ حتّى عرفه أكثرهم...».

ثمّ نقل رؤيا بعضهم: أنّ النبيّ ﷺ قال له: «إنّ رجلاً من ولدي يحمل من سكّة الموالي ويدفن عند شجرة التفّاح...».

وأنّ مالك الشجرة رأى ذلك أيضاً، فأوقف موضع الشجرة وجميع البستان على الشريف والشيعة يدفنون فيه.

ثمّ قال: «فمرض عبد العظيم ومات ﷺ، فلمّا جرّد ليغسّل وُجد في جيبه رقعة فيها ذكر نسبه، فإذا فيها: «أنا أبو القاسم عبد العظيم بن عبد الله بن عليّ بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ﷺ»[(١)].

أقول: ورد في حقّه مدح كثير، وله مشهد عظيم في الري يقصده الناس لزيارته، ووفّقت لزيارته مرّات عديدة.

٢ ـ أيّوب بن نوح:

قال عنه النجاشي: «أيّوب بن نوح بن درّاج النخعي أبو الحسين، كان وكيلاً لأبي الحسن وأبي محمّد ﷺ، عظيم المنزلة عندهما، مأموناً، وكان شديد الورع، كثير العبادة، ثقة في رواياته، وأبوه نوح بن درّاج كان قاضياً بالكوفة، وكان صحيح

← القاموس المحيط: «سرب»، ولعلّه هو «السرداب» كلمة فارسيّة مركبة من كلمتين «سرد» بمعنى بارد و«آب» بمعنى ماء، أي المحلّ الذي يصبح فيه الماء بارداً، وهو الحفير المذكور.

(١) رجال النجاشي: ٢٤٧ ـ ٢٤٨، الترجمة ٦٥٣، وانظر: معجم رجال الحديث ١٠: ٤٦ ـ ٥٠، وقاموس الرجال ٦: ١٩٠ ـ ١٩٣، الترجمة ٤١٣٦.

الاعتقاد، وأخوه جميل بن درّاج[1]»[2].

وكلامه دالّ على أنّه كان وكيلاً للإمام أبي الحسن الهادي وابنه أبي محمّد العسكري عليهما السلام.

ولكن ذكره الشيخ في رجاله في عِداد أصحاب الرضا والجواد والهادي عليهم السلام[3]، ولم يذكره في أصحاب أبي محمّد العسكري عليه السلام.

وقال عنه في الفهرست: «له كتب وروايات ومسائل عن أبي الحسن الثالث عليه السلام»[4].

وقال عنه الكشّي ـ نقلاً عن حمدان القلانسي ـ: «كان في الصالحين، وكان حين مات ولم يخلّف إلّا مقدار مئة وخمسين ديناراً، وكان عند الناس أنّ عنده مالاً؛ لأنّه كان وكيلاً لهم [عليهم السلام]»[5].

٣ ـ أبو هاشم الجعفري:

قال عنه النجاشي: «داود بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، أبو هاشم الجعفري رحمه الله، كان عظيم المنزلة عند الأئمّة عليهم السلام، شريف القدر، ثقة، روى أبوه عن أبي عبد الله عليه السلام...»[6].

---

(١) جميل بن درّاج من خيار أصحاب أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال عنه النجاشي: «شيخنا ووجه الطائفة، ثقة، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام وأخذ عن زرارة. وأخوه نوح بن درّاج القاضي كان أيضاً من أصحابنا، وكان يخفي أمره». رجال النجاشي: ١٢٦، الترجمة ٣٢٨.

(٢) رجال النجاشي: ١٠٢، الترجمة ٢٥٤.

(٣) انظر رجال الطوسي: ٣٦٨ و ٣٩٨ و ٤١٠ و ٤٢٨.

(٤) الفهرست (للشيخ الطوسي): ٦٤، الترجمة ١٢٤.

(٥) اختيار معرفة الرجال: ٥٧٢، الرقم ١٠٨٣.

(٦) رجال النجاشي: ١٥٦، الترجمة ٤١١.

وقال عنه الشيخ الطوسي: «داود بن القاسم... يكنّى أبا هاشم من أهل بغداد، جليل القدر، عظيم المنزلة عند الأئمّة عليهم السلام، وقد شاهد الرضا والجواد والهادي والعسكري وصاحب الأمر عليهم السلام، وكان مقدّماً عند السلطان، له كتاب... وقد روى عنهم عليهم السلام، وله معهم أخبار ومسائل وله شعر فيهم»[1].

ومن أشعاره في أبي الحسن عليه السلام حين سمع بمرضه:

مادت الأرض بي وأدّت فؤادي ... واعترتني موارد العرواء
حين قيل: الإمام نضوٌ عليلٌ ... قلت: نفسي فدته كلّ الفداء
مرض الدين لاعتلالك واعتـ ... ـل وغارت له نجومُ السماء
عجباً أن منيت بالداء والسقـ ... ـم وأنت الإمام حسم الداءِ
أنت آسي الأدواء في الدين والدُّ ... نيا ومحيي الأموات والأحياء[2]

احتجاجات الإمام أبي الحسن عليه السلام:

لم تكن الأجواء العلميّة نشطة أيام المتوكّل كما كانت عليه أيّام المأمون؛ لانشغال المتوكّل باللهو وشرب الخمور أكثر من غيره.

أضف إلى ذلك عاملين آخرين، وهما:

أوّلاً ـ شدّة الرقابة على الإمام عليه السلام من قِبل السلطة، وخوف الناس من الاتّصال به.

ثانياً ـ تخوّف السلطة من عقد مجالس الحوار مع الإمام عليه السلام خوفاً من ظهور علمه وتفوّقه على غيره عند عامّة الناس وخاصّتهم، وهذا ما يظهر ممّا سنذكره.

ومع ذلك فقد سجّلت بعض المحاورات بينه وبين علماء البلاط وغيرهم، منها:

---

(١) الفهرست (للشيخ الطوسي): ١٣١، الترجمة ٢٨٠، وانظر معجم رجال الحديث ٧: ١١٨ ـ ١٢٠.

(٢) إعلام الورى ٢: ١٢٦.

محاورة الإمام عليه السلام مع ابن السكّيت[1] ويحيى بن أكثم :

« قال المتوكّل لابن السكّيت : سل ابن الرضا مسألة عوصاء بحضرتي ، فسأله ، فقال : لِمَ بعث الله موسى بالعصا وبعث عيسى بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى ، وبعث محمّداً بالقرآن والسيف ؟

فقال أبو الحسن عليه السلام : بعث الله موسى عليه السلام بالعصا واليد البيضاء في زمانٍ الغالبُ

---

(١) قال النجاشي : « يعقوب بن إسحاق السكّيت أبو يوسف ، كان متقدّماً عند أبي جعفر الثاني وأبي الحسن عليهما السلام ، وله عن أبي جعفر رواية ومسائل ، وقتله المتوكّل لأجل التشيّع ، وأمره مشهور ، وكان وجهاً في علم العربية واللغة ، ثقة ، مصدقاً (صدوقاً) لا يطعن عليه » . رجال النجاشي : ٤٤٩ ، الترجمة ١٢١٤ .

وقال ابن خلّكان في سبب قتله : « ... فبينا هو مع المتوكّل يوماً جاء المعتزّ والمؤيّد ، فقال المتوكّل : يا يعقوب ، أيّما أحبّ إليك ، ابناي هذان ، أم الحسن والحسين ؟ فغضّ ابن السكّيت من ابنيه وذكر الحسن والحسين رضي الله عنهما ما هما أهله ، فأمر الأتراك فداسوا بطنه ، فحمل إلى داره ، فمات بعد غد ذلك اليوم ، وكان ذلك في سنة أربع وأربعين ومئتين ... » .

ثمّ قال في نهاية الترجمة : « ... وقد روي في قتله غير ما ذكرته أوّلاً ، فقيل : إنّ المتوكّل كان كثير التحامل على عليّ بن أبي طالب وابنيه الحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين ... وكان ابن السكّيت من المغالين في محبّتهم والتوالي لهم ، فلمّا قال له المتوكّل تلك المقالة قال ابن السكّيت : والله إنّ قنبر خادم عليّ عليه السلام خير منك ومن ابنيك ، فقال المتوكّل : سلّوا لسانه من قفاه ، ففعلوا ذلك به فمات ... » . وفيات الأعيان ٦ : ٣٩٥ ـ ٤٠١ ، الترجمة ٨٢٧ .

والمعروف عندنا في كيفيّة استشهاده هي الكيفيّة الأخيرة .

وحكي : « أنّ الفرّاء سأل السكّيت عن نسبه ، فقال : خوزيٌّ أصلحك الله من دورق » . المصدر المتقدّم : ٣٩٦ .

ودورق هي شادكان الحاليّة الواقعة قرب الأهواز بمحافظة خوزستان .

على أهله السحر، فأتاهم من ذلك ما قهر سحرهم وبهرهم، وأثبت الحجّة عليهم؛ وبعث عيسى عليه السلام بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله في زمانٍ الغالبُ على أهله الطبّ، فأتاهم من إبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى بإذن الله، فقهرهم وبهرهم؛ وبعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالقرآن والسيف في زمان الغالب على أهله السيف والشّعر، فأتاهم من القرآن الزاهر والسيف القاهر ما بهر به شعرهم، وبهر سيفهم، وأثبت الحجّة به عليهم.

فقال ابن السكّيت: فما الحجّة الآن؟

قال: العقل يعرف به الكاذب على الله، فيكذّب.

فقال يحيى بن أكثم: ما لابن السكّيت ومناظرته؟ وإنّما هو صاحب نحو وشعر ولغة، ورفع قرطاساً فيه مسائل...»[١].

وهنا روايتان:

الأولى ـ رواية المناقب، وفيها: أنّ السائل هو ابن السكّيت أيضاً، فأملى عليه الإمام عليه السلام جوابها فكتبها.

الثانية ـ رواية تحف العقول، وفيها أنّ يحيى بن أكثم دفع الأسئلة إلى موسى ـ أخ الإمام عليه السلام ـ فأملى عليه الإمام عليه السلام الجواب[٢].

---

(١) البحار ٥٠: ١٦٤ ـ ١٦٥، تاريخ الإمام أبي الحسن الهادي عليه السلام، باب معجزاته، الحديث ٤١.

(٢) جاء في تحف العقول: «قال موسى بن محمّد بن الرضا: لقيت يحيى بن أكثم في دار العامّة، فسألني عن مسائل، فجئت إلى أخي عليّ بن محمّد عليه السلام، فدار بيني وبينه من المواعظ ما حملني وبصّرني طاعته، فقلت: جعلت فداك، إنّ ابن أكثم كتب يسألني عن مسائل لأُفتيه فيها، فضحك عليه السلام، ثمّ قال: فهل أفتيته؟ قلت: لا، لم أعرفها، قال عليه السلام: وما هي؟...». تحف العقول: ٣٥٦.

وفي هذا النصّ دلالة على استبصار موسى بن محمّد على يد أخيه الهادي عليه السلام وتوبته.

ولمّا كانت الأسئلة كثيرة ولا يسعنا ذكرها مع أجوبتها كلّها، فلذلك نقتصر على ذكر بعضها مع مقدّمة الجواب على رواية تحف العقول:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وأنت ألهمك الرشد أتاني كتابك فامتحنتنا به من تعنّتك لتجد إلى الطعن سبيلاً إن قصرنا فيها، والله يكافيك على نيّتك. وقد شرحنا مسائلك فاصغ إليها سمعك، وذلّل لها فهمك، واشغل بها قلبك، فقد لزمتك الحجّة، والسلام.

سألت عن قول الله جلّ وعزّ: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾[1] فهو آصف بن برخيا، ولم يعجز سليمان عليه السلام عن معرفة ما عرف آصف، لكنّه صلوات الله عليه أحبّ أن يعرّف أمّته من الجنّ والإنس أنّه الحجّة من بعده، وذلك من علم سليمان عليه السلام أودعه عند آصف بأمر الله، ففهّمه ذلك لئلا يختلف عليه في إمامته ودلالته كما فهّم سليمان عليه السلام في حياة داود عليه السلام؛ لتعرف نبوّته وإمامته من بعده؛ لتأكّد الحجّة على الخلق.

وأمّا سجود يعقوب عليه السلام وولده[2]، كان طاعة لله ومحبّة ليوسف عليه السلام، كما أنّ السجود من الملائكة لآدم عليه السلام لم يكن لآدم عليه السلام، وإنّما كان ذلك طاعة لله ومحبّة منهم لآدم عليه السلام، فسجود يعقوب عليه السلام وولده ويوسف عليه السلام معهم كان شكراً لله باجتماع شملهم، ألم تره يقول في شكره ذلك الوقت: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ...﴾[3].

---

(١) النمل: ٤٠. ونصّ السؤال على رواية تحف العقول هو: «قول الله: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ...﴾، نبيّ الله كان محتاجاً إلى علم آصف؟!».

(٢) ونصّ السؤال هو: «وعن قوله: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾، سجد يعقوب وولده ليوسف وهم أنبياء؟».

(٣) يوسف: ١٠١.

وأمّا قوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ﴾[١]، فإنّ المخاطب به رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يكن في شك ممّا أُنزل إليه، ولكن قالت الجهلة: كيف لم يبعث الله نبيّاً من الملائكة؟ إذ لم يفرّق بين نبيّه وبيننا في الاستغناء عن المآكل والمشارب والمشي في الأسواق، فأوحى الله إلى نبيّه: ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ﴾ بمحضر الجهلة، هل بعث الله رسولاً قبلك إلّا وهو يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ولك بهم أُسوة، وإنّما قال: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾ ولم يكن شك، ولكن للنّصفة، كما قال: ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[٢]، ولو قال: "عليكم"[٣] لم يجيبوا إلى المباهلة، وقد علم الله أنّ نبيّه يؤدّي عنه رسالاته وما هو من الكاذبين، فكذلك عرف النبيّ أنّه صادق فيما يقول ولكن أحبّ أن ينصف من نفسه ...»[٤].

وجاء في ختام رواية المناقب: «فلمّا قرأ ابن أكثم قال للمتوكّل: ما نحبّ أن تسأل هذا الرجل عن شيءٍ بعد مسائلي هذه، وأنّه لا يرد عليه شيءٌ بعدها إلّا دونها، وفي ظهور علمه تقوية للرافضة!»[٥].

---

(١) يونس: ٩٤. ونصّ السؤال هو: «... وعن قوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ...﴾، من المخاطب بالآية؟ فإن كان المخاطب النبيّ صلى الله عليه وآله فقد شكّ، وإن كان المخاطب غيره، فعلى من إذن أُنزل الكتاب؟

(٢) آل عمران: ٦١.

(٣) أي: نجعل لعنة الله عليكم.

(٤) تحف العقول: ٣٥٦ ـ ٣٥٨، وانظر: مناقب آل أبي طالب ٤: ٤٠٣، ونقل المجلسي ذلك عن التحف في البحار ١٠: ٣٨٦، كتاب الاحتجاج ـ باب احتجاجات عليّ بن محمّد التقي عليه السلام، الحديث الأوّل، وعن مناقب آل أبي طالب في ٥٠: ١٦٤، تاريخ الإمام أبي الحسن الهادي عليه السلام، باب معجزاته، الحديث ٥١.

(٥) مناقب آل أبي طالب ٤: ٤٠٥، وهذا ما أشرنا إليه من أنّ السلطة كانت تمتنع عن فتح الحوارات العلمية مع الإمام عليه السلام خوفاً من انتشار تفوّقه العلمي.

نقتصر بهذا المقدار في بيان هذه المحاورة ؛ لعدم إمكان ذكرها كلّها .

ورووا : أنّه لمّا سُمّ المتوكّل ، نذر للّه إن رزقه اللّه العافية أن يتصدّق بمالٍ كثير ، فلمّا عوفي اختلف الفقهاء في المال الكثير ، فقال له الحسن حاجبه[١] :

إنّ أتيتك يا أمير المؤمنين بالصواب فما لي عندك ؟

قال : كذا وكذا ... وإلّا ضربتك مئة مقرعة .

قال : قد رضيت .

فـأتى أبـا الحسـن عليه السلام ، فسـأله عـن ذلك ، فـقال : « قـل له : يـتصدّق بـثمانين درهماً »[٢] .

فأخبر المتوكّل ، فسأله ما العلّة ؟

فأتاه فسأله ، قال : « إنّ اللّه تعالى قال لنبيّه : ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾[٣] ، فعددنا مواطن رسول اللّه صلى الله عليه وآله فبلغت ثمانين موطناً »[٤] .

فرجع إليه فأخبره ، ففرح وأعطاه عشرة آلاف درهم[٥] .

موقف الإمام الهادي من الانحرافات والغلوّ :

ثمّة انحرافات فكريّة كانت تحصل بين بعض الشيعة ؛ لأسباب ، منها :

---

(١) هذا من نقل مناقب آل أبي طالب ، وفي نقل الكافي : بعض ندمائه ، وأنّه أشار على المتوكّل أن يسأل الإمام عليه السلام عن ذلك ، فأرسل إليه من يسأله .

(٢) في رواية الكافي : « فقال : الكثير ثمانون » ، وليس فيه درهماً ، ولعلّه الأنسب .

(٣) التوبة : ٢٥ .

(٤) وقد عمل بذلك فقهاؤنا رضوان اللّه تعالى عليهم في الوقف والوصيّة والنذر ونحوها .

(٥) انظر : مناقب آل أبي طالب ٤ : ٤٠٢ ، والكافي ٧ : ٤٦٣ ، كتاب الأيمان والنذور ، الحديث ٢١ . ونقله عن المناقب المجلسي في البحار ٥٠ : ١٦٢ ، تاريخ الإمام الهادي عليه السلام ، بـاب معجزاته ، الحديث ٥١ .

١ ـ الاختلاف في النقل عن الأئمّة عليهم السلام .

٢ ـ تفسير كلام الأئمّة عليهم السلام بالرأي .

٣ ـ تدخّل العنصر المادي ، مثل المال ، كما وقع في انحراف الواقفية بسبب وجود أموال طائلة للإمام موسى بن جعفر عليه السلام عند بعضهم ، فأنكر موت الإمام عليه السلام لئلا يدفعها للإمام الشرعي بعده .

٤ ـ صعوبة الاتّصال بالإمام عليه السلام ورفع الشبهات .

٥ ـ وضع الأحاديث الدالّة على الغلوّ من قبل أعداء أهل البيت عليهم السلام ، بل والغالين فيهم أيضاً ، ودسّها في رواياتهم عليهم السلام (١) .

٦ ـ عوامل أخرى كخباثة بعض الأفراد ، وطلب الرئاسة ، ونحو ذلك .

والعامل الرابع كان عاملاً أساسياً لوقوع بعض الانحرافات أيام الأئمّة عليهم السلام ، خاصّة بعد الإمام الرضا عليه السلام .

هذا بشكل عامّ .

وأمّا بالنسبة إلى ازدياد ظهور الغلوّ أيّام هؤلاء الأئمّة بشكل خاصّ ، فإنّما هو لكثرة المعاجز التي كانت تصدر منهم عليهم السلام ، وخاصّة ما كان يرتبط بعلم الإمام عليه السلام وإخباره عن الضمائر .

ويبدو ـ والله العالم ـ أنّ الذي ألجأ هؤلاء الأئمّة عليهم السلام إلى هذا الأمر ، إنّما هو منعهم من إظهار علومهم بالشكل الطبيعي المتعارف ، كما كان في عهد الأئمّة : الباقر

---

(١) روي عن الإمام الرضا عليه السلام قوله : « إنّ مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها على ثلاثة أقسام :

أحدها ـ الغلوّ .

وثانيها ـ التقصير في أمرنا .

وثالثها ـ التصريح بمثالب أعدائنا » . عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ٣٠٤ ، الحديث ٦٣ .

والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام[١].

وعلى أية حال فإنّ الإمام الهادي عليه السلام قابل جميع أنواع الانحرافات بمختلف الأساليب، فمن ذلك:

١ ـ رسالته إلى شيعته في الردّ على أهل الجبر والتفويض.

وذكرها ابن شعبة في تحف العقول، وهي طويلة لا يمكننا نقلها بأجمعها، ولكن نذكر مقدّمتها للدلالة على أصل الموضوع، وهي قوله عليه السلام:

«من عليّ بن محمّد، سلام عليكم وعلى من اتّبع الهدى ورحمة اللّه وبركاته.

فإنّه ورد عليّ كتابكم، وفهمت ما ذكرتم من اختلافكم في دينكم، وخوضكم في القدر، ومقالة من يقول منكم بالجبر، ومن يقول بالتفويض، وتفرّقكم في ذلك، وتقاطعكم، وما ظهر من العداوة بينكم، ثمّ سألتموني عنه وبيانه لكم، وفهمت ذلك كلّه.

اعلموا رحمكم اللّه ...»[٢].

ثمّ أخذ يستدلّ على نفي الجبر والتفويض وإثبات الأمر بين الأمرين الذي بيّنه الإمام الصادق عليه السلام[٣].

٢ ـ ما ورد عنه عليه السلام في ذمّ جماعة بسبب انحرافهم بالغلوّ أو غير ذلك.

فممّن ذكروا ورود الذمّ فيهم:

---

(١) لا نريد أن نقول: إنّ الأئمّة المذكورين عليهم السلام لم تصدر منهم معاجز وكرامات من قبيل ما كان يصدر من أولاد الرضا عليه السلام، بل نحن بصدد بيان الحالة الغالبة لكلّ من الطائفتين.

كما أنّ ما ذكرناه يمكن أن يكون محوراً أساسياً لدراسة مسألة الغلوّ وغيره من الانحرافات في عصر الأئمّة وخاصّة المتأخّرين منهم.

(٢) تحف العقول: ٣٤١ ـ ٣٥٦.

(٣) وهذه النظرية أرقى ما ذكر في موضوع الجبر والاختيار، وهي معروفة عن الإمام الصادق عليه السلام، كما وردت في الرسالة أيضاً.

أ ـ فارس بن حاتم بن ماهويه القزويني . فقد صرّحت أكثر الكتب الرجالية بفساد مذهبه ولعنه من قبل الإمام الهادي عليه السلام وأمر بعض أصحابه بقتله[١].

قال الشيخ الطوسي : « فارس بن حاتم القزويني غالٍ ملعون »[٢].

وروى الكشّي روايات عديدة في هذا المعنى ، منها : ما كتبه الإمام الهادي عليه السلام في جواب كتاب وجّه إليه في أمر فارس بن حاتم ، جاء فيه : « كذّبوه وهتّكوه ، أبعده الله وأخزاه ، فهو كاذب في جميع ما يدّعي ويصف ، ولكن صونوا أنفسكم عن الخوض والكلام في ذلك ، وتوقّوا مشاورته ، ولا تجعلوا له السبيل إلى طلب الشرّ ، كفانا الله مؤنته ومؤنة من كان مثله »[٣].

ب ـ الحسن بن محمّد بن بابا القمّي ، ومحمّد بن نصير النميري ، وعليّ بن حسكة[٤].

فممّا ورد في الأوّل وشخص آخر : ما كتبه عليه السلام إلى العبيدي ـ حسب رواية الكشّي ـ : « أبرأ إلى الله من الفهري والحسن بن محمّد بن بابا القمّي ، فابرأ منهما . فإنّي محذّرك وجميع مواليّ ، وإنّي ألعنهما ، عليهما لعنة الله ، مستأكلين يأكلان بنا الناس ، فتّانين مؤذيين ، آذاهما الله وأركسهما في الفتنة ركساً ، يزعم ابن بابا أنّي بعثته نبيّاً وأنّه باب ، عليه لعنة الله ، سخر منه الشيطان فأغواه ، فلعن الله من قبل منه ذلك ... »[٥].

وكانت لمحمّد بن نصير النميري مثل هذه الدعوى والغلوّ والقول بالتناسخ

---

(١) انظر اختيار معرفة الرجال : ٥٢٣ ـ ٥٢٤ ، الرقم ١٠٠٦ .

(٢) رجال الطوسي : ٤٢٠ .

(٣) اختيار معرفة الرجال : ٥٢٢ ، الرقم ١٠٠٤ .

(٤) و (٥) انظر المصدر المتقدّم : ٥٢٠ ، الرقم ٩٩٩ .

في أبي الحسن عليه السلام[1].

وروى الكشّي بإسناده إلى أحمد بن محمّد بن عيسى أنّه كتب إلى أبي الحسن عليه السلام : «قوم يتكلّمون ويقرأون أحاديث ينسبونها إليك وإلى آبائك ، فيها ما تشمئزّ فيها القلوب ، ولا يجوز لنا ردّها إذا كانوا يروون عن آبائك عليهم السلام ، ولا قبولها لما فيها ، وينسبون الأرض إلى قوم يذكرون أنّهم من مواليك ، وهو رجل يقال له : عليّ بن حسكة ، وآخر يقال له القاسم اليقطيني ، من أقاويلهم : إنّهم يقولون : إنّ قول الله تعالى : ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ رجل ؛ لا سجود ولا ركوع ، وكذلك الزكاة معناها ذلك الرجل ، لا عدد درهم ولا إخراج مال ، وأشياء من الفرائض والسنن والمعاصي تأوّلوها وصيّروها على هذا الحدّ الذي ذكرت ، فإن رأيت أن تبيّن لنا وتمنّ على مواليك بما فيه السلامة لمواليك ونجاتهم من هذه الأقاويل التي تخرجهم إلى الهلاك».

فكتب عليه السلام : «ليس هذا ديننا فاعتزله»[2].

وورد في جواب كتاب أُرسل إليه بالمضمون المتقدّم : «كذب ابن حسكة عليه لعنة الله ، وبحسبك أنّي لا أعرفه في مواليّ ، ما له لعنه الله ! فوالله ما بعث الله محمّداً والأنبياء قبله إلّا بالحنيفيّة والصلاة والزكاة والصيام والحجّ والولاية ، وما دعا محمّد صلى الله عليه وآله إلّا إلى الله وحده لا شريك له ، وكذلك نحن الأوصياء من ولده ، عبيد الله لا نشرك به شيئاً ، إن أطعناه رحمنا ، وإن عصيناه عذّبنا ، ما لنا على الله من حجّة ، بل الحجّة لله عزّ وجلّ علينا وعلى جميع خلقه ، أبرأ إلى الله ممّن يقول ذلك وأنتفي إلى الله من هذا القول ، فاهجروهم لعنهم الله وألجئوهم إلى ضيق الطريق ،

---

(١) اختيار معرفة الرجال : ٥٢٠ ، الرقم ١٠٠٠ .

(٢) اختيار معرفة الرجال : ٥١٦ ، الرقم ٩٩٤ .

فإن وجدت من أحد منهم خلوة فاشدخ رأسه بالصخر»[١].

وجماعة آخرون وردت أسماؤهم وحالاتهم في كتب الرجال.



(١) اختيار معرفة الرجال: ٥١٩، الرقم ٩٩٧.

وانظر لمعرفة ترجمة هؤلاء معجم رجال الحديث ٥: ١١٢، و ١١: ٣١٥، و ١٣: ٢٣٨، و ١٧: ٢٩٩.

حادي عشر ـ الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام

اسمه ونسبه:

هو الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام.

وأمّه: أمّ ولد يقال لها: حديث[1]، وقيل: سوسن[2].

كنيته ولقبه:

كنيته: أبو محمّد[3]، وكان ـ كأبيه وجدّه ـ يعرف في زمانه بابن الرضا[4].

وأهمّ ألقابه: العسكري[5]، نسبةً إلى عسكر، وهو إمّا اسم لسامرّاء، أو لمحلّة منها، كما تقدّم[6].

---

(١) انظر: أُصول الكافي ١: ٥٠٣، باب مولد أبي محمّد عليه السلام، والإرشاد ٢: ٣١٥. وفي البحار: «حديثة» نقلاً عن الإرشاد.

(٢) انظر: أُصول الكافي ١: ٥٠٣، والبحار ٥٠: ٢٣٦ ـ ٢٣٧، تاريخ الإمام أبي محمّد عليه السلام، باب ولادته، الحديث ٧، نقلاً عن كشف الغمّة.

(٣) انظر مناقب آل أبي طالب ٤: ٤٢١، وهو مشهور بها.

(٤) انظر: إعلام الورى ٢: ١٣١، ومناقب آل أبي طالب ٤: ٤٢١.

(٥) انظر: إعلام الورى ٢: ١٣١، ومناقب آل أبي طالب ٤: ٤٢١.

(٦) في أوّل ترجمة الإمام الهادي عليه السلام.

مولـده:

ولد في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله في الثامن من شهر ربيع الثاني سنة مئتين واثنتين وثلاثين[١]، وقيل: في إحدى وثلاثين[٢].

وفـاته:

توفّي الإمام عليه السلام في ثامن ربيع الأوّل سنة مئتين وستّين، ودفن في داره عند قبر أبيه عليه السلام في سامرّاء[٣].

قيل: مرض في أوّل شهر ربيع الأوّل، وتوفّي في الثامن منه[٤].

وقال ابن الصبّاغ المالكي: «ذهب كثير من الشيعة إلى أنّ أبا محمّد الحسن مات مسموماً، وكذلك أبوه وجدّه وجميع الأئمّة الذين من قبلهم خرجوا كلّهم تغمّدهم اللّه برحمته من الدنيا على الشهادة، واستدلّوا على ذلك بما روي عن الصادق عليه السلام: أنّه قال: ما منّا إلّا مقتول أو شهيد»[٥].

عمره الشريف:

بلغ عمره الشريف ثماني وعشرين سنة[٦]، أو تسعاً وعشرين؛ على الخلاف

---

(١) انظر: أُصول الكافي ١: ٥٠٣، كتاب الحجّة، باب مولد أبي محمّد عليه السلام، والإرشاد ٢: ٣١٥.

(٢) انظر البحار ٥٠: ٢٣٦، تاريخ الإمام أبي محمّد عليه السلام، باب ولادته، الحديث ٧، نقلاً عن كشف الغمّة.

(٣) انظر: أُصول الكافي ١: ٥٠٣، كتاب الحجّة، باب مولد أبي محمّد عليه السلام، والإرشاد ٢: ٣١٣، ومروج الذهب ٣: ١١٢، وغيرها.

(٤) انظر مناقب آل أبي طالب ٤: ٤٢٢.

(٥) الفصول المهمّة: ٢٧٨، ولكن الموجود في البحار ٢٧: ٢٠٩، بحذف «أو»، وهو المناسب.

(٦) انظر: أُصول الكافي ١: ٥٠٣، والإرشاد ٢: ٣١٣.

في مولده[١].

عاش بعد أبيه عليه السلام ستّ سنين، وقيل: خمس سنين وأشهراً[٢].

مدّة إمامته:

هي المدّة التي عاشها بعد أبيه عليه السلام[٣].

حكّام عصره:

عاصره من حكّام بني العبّاس: المعتزّ عدّة أشهر، والمهتدي ما يقارب السنّة، ثمّ ملك المعتمد بن المتوكّل ما يقارب إحدى وعشرين سنة[٤]، وفي السنة الخامسة من ملكه توفّي الإمام عليه السلام[٥].

وقد نال من جميعهم الأذى والسجن والتهديد بالقتل، فقد ذكرت المصادر أنّه سجن مع أخيه جعفر وجماعة من الطالبيّين فيهم أبو هاشم الجعفري[٦].

وذكر ابن الأثير سجن الطالبيّين ـ بما فيهم الجعفري ـ هؤلاء سنة مئتين واثنتين وخمسين أيام المعتزّ، ولم يذكر سجن الإمام وأخيه معهم[٧].

وإذا كان الإمام عليه السلام قد سجن في هذه السنة، فيكون ذلك في حياة أبيه، لكنّه بعيد جدّاً، وظاهر رواياتنا أنّه كان أيام إمامته عليه السلام بعد وفاة أبيه[٨].

---

(١) و (٢) انظر البحار ٥٠: ٢٣٦، تاريخ الإمام أبي محمّد عليه السلام، باب ولادته، الحديث ٧، نقلاً عن كشف الغمّة.

(٣) و (٥) انظر إعلام الورى ٢: ١٣١.

(٤) وفي قول المسعودي ثلاثاً وعشرين سنة. مروج الذهب ٤: ١١١.

(٦) انظر كتاب الغيبة (للشيخ الطوسي): ١٢٣ و ١٢٤ و ١٣٦.

(٧) انظر الكامل في التاريخ ٧: ١٧٥.

(٨) قال الطبرسي في إعلام الورى ٢: ١٤٠: «وكان أبو هاشم حبس مع أبي محمّد عليه السلام، كان المعتزّ حبسهما مع عدّة من الطالبيّين في سنة ثمانٍ وخمسين ومئتين». ←

وذكرت المصادر أيضاً أنّه سجن عند صالح بن وصيف، وكان من كبار قوّاد المهتدي.

وقالت: إنّه دخل العبّاسيّون على صالح بن وصيف يطالبونه بالتضييق عليه، فقال لهم صالح: ما أصنع به؟ وقد وكّلت به رجلين شرّ من قدرت عليه، فقد صارا من العبادة والصلاة إلى أمر عظيم.

ثمّ أمر بإحضار الموكّلين، فقال لهما: ويحكما ما شأنكما في أمر هذا الرجل؟

فقالا له: ما نقول في رجل يصوم نهاره ويقوم ليله كلّه، لا يتكلّم ولا يتشاغل بغير العبادة، فإذا نظر إلينا ارتعدت فرائصنا ودخلنا ما لا نملكه من أنفسنا.

فلمّا سمع ذلك العبّاسيون انصرفوا خاسئين[١].

وكان قد هدّد من قِبل المهتدي أيضاً، فقد روى الكليني بإسناده عن أحمد بن محمّد، قال: «كتبت إلى أبي محمّد عليه السلام حين أخذ المهتدي في قتل الموالي[٢]: يا سيّدي، الحمد للّه الذي شغله عنّا، فقد بلغني أنّه يتهدّدك ويقول: واللّه لأجلينّهم عن جدد الأرض. فوقّع أبو محمّد عليه السلام بخطّه: "ذاك أقصر لعمره، عدّ من يومك هذا خمسة أيام ويقتل في اليوم السادس بعد هوان واستخفاف يمرّ به" فكان كما قال عليه السلام»[٣].

← قال المجلسي بعد نقل ذلك ما مضمونه: الظاهر وقوع التصحيف في التاريخ أو في أسماء الخلفاء. انظر البحار ٥٠: ٣١٢.

(١) انظر: أصول الكافي ١: ٥١٢، كتاب الحجّة، باب مولد أبي محمّد عليه السلام، الحديث ٢٣، والإرشاد ٢: ٣٣٤.

(٢) المراد من الموالي هم الأتراك الذين كانوا يديرون الخلافة حيثما شاءوا. انظر تاريخ اليعقوبي ٣: ٢٣٧.

(٣) أصول الكافي ١: ٥١٠، كتاب الحجّة، باب مولد أبي محمّد عليه السلام، الحديث ١٦، وانظر الإرشاد ٢: ٣٣٣.

وسجن أيام المعتمد فسُلّم إلى نحرير[١]، وكان يضيّق عليه ويؤذيه، فقالت له امرأته: اتّق الله، فإنك لا تدري من في منزلك؟ وذكرت له صلاحه وعبادته، وقالت: إنّي أخاف عليك منه.

فقال: والله لأرمينّه بين السباع، ثمّ استأذن في ذلك فأذن له، فرمى به إليها، ولم يشكّوا في أكلها له، فنظروا إلى الموضع ليعرفوا الحال فوجدوه ﷺ قائماً يصلّي وهي حوله، فأمر بإخراجه إلى داره»[٢].

وبعد أن رأوا منه الآيات البيّنات دخل المعتمد على العسكري ﷺ وتضرّع إليه وسأل أن يدعو له بالبقاء عشرين سنة في الخلافة، فقال ﷺ: "مدّ الله في عمرك"، فأجيب دعاؤه وتوفّي بعد عشرين سنة[٣].

وذكروا محاولات أخرى لحبسه واغتياله، وقد دفع الله عنه ذلك[٤]، إلى أن بلغ الكتاب أجله واختار الله لقاءه وهو في الثامنة والعشرين من عمره الشريف.

---

(١) النحرير: الحاذق الماهر، العاقل المجرّب، المتقن الفطن. القاموس المحيط: «نحر».
واختلفوا في المراد منه هنا، والظاهر أنّه كان من كبار خدم البلاط العبّاسي، كما يظهر ممّا ورد في خبر أحمد بن عبيد الله بن خاقان الآتي. انظر الصفحة ٤٤٨.

(٢) الإرشاد ٢: ٣٣٤، وانظر أصول الكافي ١: ٥١٣، كتاب الحجّة، باب مولد أبي محمّد ﷺ، الحديث ٢٦.

(٣) انظر مناقب آل أبي طالب ٤: ٤٣٠. ولا ننسى أنّ مدّة الحكم قبل عهد المعتمد تراوحت بين السنة والسنتين والثلاث ونحوها، وكانت هذه المدّة ـ أي عشرون سنة ـ من الحكم استثناءً منها.

(٤) راجع البحار ٥٠: ٣٠٦ ـ ٣٢٤، تاريخ الإمام أبي محمّد ﷺ، باب أحواله، الحديث ٤ و ١١ وغيرهما.

أحمد بن عبيد الله بن خاقان[1] يصف الإمام عليه السلام :

روى الكليني عن الحسين بن محمّد الأشعري ومحمّد بن يحيى ، وغيرهما ، أنّهم قالوا : «كان أحمد بن عبيد الله بن خاقان على الضياع والخراج بقم ، فجرى في مجلسه يوماً ذكر العلويّة ومذاهبهم ، وكان شديد النصب[2]، فقال : ما رأيت ولا عرفت بسرّ من رأى رجلاً من العلويّة مثل الحسن بن عليّ بن محمّد بن الرضا في هديه وسكونه وعفافه ونبله وكرمه عند أهل بيته وبني هاشم ، وتقديمهم إيّاه على ذوي السنّ منهم والخطر ، وكذلك القوّاد والوزراء وعامّة الناس ، فإنّي كنت يوماً قائماً على رأس أبي ، وهو يوم مجلسه للناس ؛ إذ دخل عليه حجّابه فقالوا : أبو محمّد ابن الرضا بالباب ، فقال بصوت عال : ائذنوا له ، فتعجّبت ممّا سمعت منهم أنّهم جسروا يكنّون رجلاً على أبي بحضرته ، ولم يكنّ عنده إلّا خليفة ، أو وليّ عهد ، أو من أمر السلطان أن يكنّى ، فدخل رجل أسمر ، حسن القامة ، جميل الوجه ، جيّد البدن ، حدث السنّ ، له جلالة وهيبة ، فلمّا نظر إليه أبي ، قام يمشي إليه خطاً ولا أعلمه فعل هذا بأحد من بني هاشم والقوّاد ، فلمّا دنا منه عانقه وقبّل وجهه وصدره ، وأخذ بيده وأجلسه على مصلّاه الذي كان عليه ، وجلس إلى جنبه مقبلاً عليه بوجهه ، وجعل يكلّمه ويفدّيه بنفسه وأنا متعجّب ممّا أرى منه ؛ إذ دخل الحاجب فقال : الموفّق[3] قد جاء ، وكان الموفّق إذا دخل على أبي ، تقدّم حجّابه وخاصّة قوّاده ، فقاموا بين مجلس أبي وبين باب الدار سماطين إلى أن يدخل ويخرج ، فلم يزل أبي مقبلاً على

---

(١) كان عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزيراً للمتوكّل وولده المعتمد . انظر مروج الذهب ٤ : ٦ و ١١١ ، وسقطت كلمة « يحيى » من الرواية ، ولعلّه لتداول ذلك في الأنساب .

(٢) قال الفيروزآبادي : « أهل النصب : المتديّنون ببغضة عليّ عليه السلام ؛ لأنّهم نصبوا له ، أي عادوه » . القاموس المحيط : « نصب » .

(٣) وهو أخو المعتمد وقائد جيشه . انظر مروج الذهب ٤ : ١١١ .

أبي محمّد يحدّثه حتّى نظر إلى غلمان الخاصّة ، فقال حينئذٍ : إذا شئت ـ جعلني اللّه فداك ـ ثمّ قال لحجّابه : خذوا به خلف السماطين حتّى لا يراه هذا ـ يعني الموفّق ـ فقام وقام أبي وعانقه ومضى .

فقلت لحجّاب أبي وغلمانه : ويلكم من هذا الذي كنّيتموه على أبي ، وفعل به أبي هذا الفعل ؟

فقالوا : هذا علويٌّ يقال له : الحسن بن عليّ ، يعرف بابن الرضا ، فازددت تعجّباً ولم أزل يومي ذلك قلقاً متفكّراً في أمره وأمر أبي وما رأيت فيه ، حتّى كان الليل وكانت عادته أن يصلّي العتمة ثمّ يجلس فينظر فيما يحتاج إليه من المؤامرات ، وما يرفعه إلى السلطان ، فلمّا صلّى وجلس ، جئت فجلست بين يديه وليس عنده أحد فقال لي : يا أحمد ، لك حاجة ؟

قلت : نعم يا أبه ، من الرجل الذي رأيتك بالغداة فعلت به ما فعلت من الإجلال والكرامة والتبجيل وفديته بنفسك وأبويك ؟

فقال : يا بنيّ ، ذاك إمام الرافضة ، ذاك الحسن بن عليّ ، المعروف بابن الرضا ، فسكت ساعة ، ثمّ قال : يا بني ، لو زالت الإمامة عن خلفاء بني العبّاس ، ما استحقّها أحد من بني هاشم غير هذا ، وإنّ هذا ليستحقّها في فضله وعفافه ، وهديه ، وصيانته ، وزهده ، وعبادته ، وجميل أخلاقه وصلاحه . ولو رأيت أباه رأيت رجلاً جزلاً ، نبيلاً ، فاضلاً .

فازددت قلقاً وتفكّراً وغيظاً على أبي وما سمعت منه ، واستزدته في فعله وقوله فيه ما قال ، فلم يكن لي همّة بعد ذلك إلّا السؤال عن خبره والبحث عن أمره ، فما سألت أحداً من بني هاشم والقوّاد والكتّاب والقضاة والفقهاء وسائر الناس إلّا وجدته عنده في غاية الإجلال والإعظام والمحلّ الرفيع ، والقول الجميل ، والتقديم له على جميع أهل بيته ومشايخه ، فعظم قدره عندي ؛ إذ لم أر له وليّاً ولا عدوّاً إلّا وهو

يحسن القول فيه والثناء عليه.

فقال له بعض من حضر مجلسه من الأشعريّين: يا أبا بكر، فما خبر أخيه جعفر[١]؟

فقال: ومن جعفر فتسأل عن خبره، أو يقرن بالحسن؟ جعفر معلن بالفسق، فاجر ماجن، شريب للخمور، أقلّ من رأيته من الرجال وأهتكهم لنفسه، خفيف قليل في نفسه، ولقد ورد على السلطان وأصحابه في وقت وفاة الحسن بن عليّ ما تعجّبت منه وما ظننت أنّه يكون، وذلك أنّه لمّا اعتلّ[٢]، بعث إلى أبي: أنّ ابن الرضا قد اعتلّ، فركب من ساعته فبادر إلى دار الخلافة، ثمّ رجع مستعجلاً ومعه خمسة من خدم أمير المؤمنين كلّهم من ثقاته وخاصّته، فيهم نحرير، فأمرهم بلزوم دار الحسن وتعرّف خبره وحاله، وبعث إلى نفر من المتطبّبين، فأمرهم بالاختلاف إليه وتعاهده صباحاً ومساءً، فلمّا كان بعد ذلك بيومين أو ثلاثة أخبر أنّه قد ضعف، فأمر المتطبّبين بلزوم داره، وبعث إلى قاضي القضاة فأحضر مجلسه، وأمره أن يختار من أصحابه عشرة ممّن يوثق به في دينه وأمانته وورعه، فأحضرهم فبعث بهم إلى دار الحسن، وأمرهم بلزومه ليلاً ونهاراً، فلم يزالوا هناك حتّى توفّي عليه السلام، فصارت سرّ من رأى ضجّة واحدة، وبعث السلطان إلى داره من فتّشها وفتّش حجرها وختم على جميع ما فيها، وطلبوا أثر ولده! وجاءوا بنساء يعرفن الحمل، فدخلن إلى جواريه ينظرن إليهنّ، فذكر بعضهنّ أنّ هناك جارية بها حمل، فجعلت في حجرة ووكّل بها

---

(١) من محن بعض الأئمّة عليهم السلام ابتلاؤهم بأولاد أو إخوة ليسوا على الطريق السويّ، كابتلاء نوح بذلك، فمن جملة هؤلاء الإمام أبو محمّد الحسن العسكري حيث ابتلي بأخيه جعفر وإن قيل فيه: إنّ مثله كمثل إخوة يوسف تابوا فتاب الله عليهم، ولكن كانت تصرّفاته موجبة لإيذاء الإمام عليه السلام؛ ولذلك عرّف بجعفر الكذّاب ليتميّز عن جدّه الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ومن هنا يعلم السرّ في تلقيبه بالصادق مع أنّ الأئمّة كلّهم عليهم السلام كانوا صادقين.

(٢) أي لمّا مرض الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

نحرير الخادم وأصحابه ونسوة معهم.

ثمّ أخذوا بعد ذلك في تهيئته وعطّلت الأسواق، وركبت بنو هاشم والقوّاد وأبي وسائر الناس إلى جنازته، فكانت سرّ من رأى يومئذٍ شبيهاً بالقيامة، فلمّا فرغوا من تهيئته بعث السلطان إلى أبي عيسى بن المتوكّل فأمره بالصلاة عليه، فلمّا وضعت الجنازة للصلاة عليه دنا أبو عيسى منه فكشف عن وجهه، فعرضه على بني هاشم من العلويّة والعبّاسيّة، والقوّاد، والكتّاب، والقضاة، والمعدّلين، وقال: هذا الحسن بن عليّ بن محمّد بن الرضا مات حتف أنفه على فراشه هذا، حضره من حضره من خدم أمير المؤمنين وثقاته: فلان وفلان، ومن القضاة: فلان وفلان، ومن المتطبّبين: فلان وفلان، ثمّ غطّى وجهه وأمر بحمله، فحمل من وسط داره ودفن في البيت الذي دفن فيه أبوه.

لمّا دفن أخذ السلطان والناس في طلب وَلَده، وكثر التفتيش في المنازل والدور، وتوقّفوا عن قسمة ميراثه، ولم يزل الذين وكّلوا بحفظ الجارية التي توهّم عليها الحمل لازمين حتّى تبيّن بطلان الحمل، فلمّا بطل الحمل عنهن قُسّم ميراثه بين أمّه وأخيه جعفر.

وادّعت أمّه وصيّته، وثبت ذلك عند القاضي.

والسلطان على ذلك يطلب أثر ولده.

فجاء جعفر بعد ذلك إلى أبي فقال: اجعل لي مرتبة أخي وأوصل إليك في كلّ سنة عشرين ألف دينار، فزبره أبي وأسمعه، وقال له: يا أحمق، السلطان جرّد سيفه في الذين زعموا أنّ أباك وأخاك أئمّة ليردّهم عن ذلك، فلم يتهيّأ له ذلك، فإن كنت عند شيعة أبيك وأخيك إماماً فلا حاجة بك إلى السلطان يرتّبك مراتبهما ولا غير السلطان، وإن لم تكن عندهم بهذه المنزلة لم تنلها بنا، واستقلّه أبي عند ذلك واستضعفه وأمر أن يحجب عنه، فلم يأذن له في الدخول عليه حتّى مات أبي

وخرجنا وهو على تلك الحال، والسلطان يطلب أثر وَلد الحسن بن عليّ»[١].

نقلنا هذا النصّ بطوله لما يتضمّن من فوائد جمّة، نشير إليها فيما يلي:

أوّلاً ـ بيان منزلة الإمام عليه السلام حتّى عند غير شيعته ومحبّيه، وأنّ هذه المنزلة والحبّ في قلوب الناس إنّما هو أمر إلهي.

ثانياً ـ أنّ منصب الإمامة منصب إلهي ليس قابلاً للوضع والرفع من قِبل الناس مهما كانت منزلتهم، وإلى هذا يشير قول عبيد الله بن خاقان لجعفر ـ حينما سأله أن يجعل له مرتبة أخيه الإمام الحسن العسكري عليه السلام ـ: «يا أحمق، السلطان جرّد سيفه في الذين زعموا...».

ثالثاً ـ يصوّر لنا النصّ كيفيّة معاملة السلطان للإمام عليه السلام في مرضه الذي توفّي فيه، والاستشهاد على كون وفاته كانت طبيعيّة. وهو ممّا يذكّر بمعاملة هارون الرشيد للإمام موسى بن جعفر عليه السلام، ويوجب الاطمئنان بكون الإمام عليه السلام توفّي مسموماً، ويؤيّده: محاولات السجن والاغتيال التي أشير إليها فيما تقدّم، وكونه توفّي شاباً، ورواية أنّه مرض أوّل الشهر وتوفّي في ثامنه[٢].

رابعاً ـ خوف السلطة الشديد من وجود ولد للإمام عليه السلام، وقد عكسته بتفتيش البيوت والمنازل والدور والختم على ما فيها، والرقابة الشديدة على جواريه، وحبس من يحتمل كونها حاملاً، كلّ ذلك ينبئ عن شدّة خوف السلطان من أن يكون للإمام عليه السلام ولد، كخوف فرعون من ولادة موسى بن عمران عليه السلام، وهذا أمر لم يعهد أن

---

(١) أصول الكافي ١: ٥٠٣ ـ ٥٠٦، كتاب الحجّة، باب مولد أبي محمّد عليه السلام، ونقله عنه المفيد في الإرشاد ٢: ٣٢١ ـ ٣٢٥، وجاءت العبارة في آخره، هكذا: «والسلطان يطلب أثراً لولد الحسن بن عليّ إلى اليوم، وهو لا يجد إلى ذلك سبيلاً، وشيعته مقيمون على أنّه مات وخلّف ولداً يقوم مقامه في الإمامة».

(٢) راجع الصفحة ٤٤٢.

يعامل به واحد من الأئمّة من قِبل حكّام عصرهم.

ومن الواضح أنّ السبب الذي دعاهم إلى ذلك هو ما وصلهم من الأخبار بشأن الإمام المهدي عليه السلام وأنّه يولد منه عليه السلام، وإلّا فلا داعي إلى هذا التشديد؛ إذ على فرض ولادته يكون تحت الرقابة والإقامة الجبرية كسائر الأئمّة عليهم السلام.

وسوف يأتي مزيد توضيح لذلك عند الكلام عن الإمام المهدي عليه السلام.

أصحاب الإمام أبي محمّد عليه السلام:

منعت بعض العوامل من كثرة عدد أصحاب الإمام العسكري عليه السلام، منها: قصر مدّة إمامته وعمره الشريف، وشدّة الرقابة عليه، ولعلّها كانت أكثر من سائر الأئمّة عليهم السلام.

ومع ذلك فقد عدّ الشيخ الطوسي مئة وثلاثة أشخاص ممّن رووا عنه أو كاتبوه وراسلوه، وفيهم من كان من أصحاب أبيه وجدّه عليهما السلام.

وفيما يلي نذكر ثلاثة منهم:

١ ـ محمّد بن الحسن الصفّار:

قال عنه النجاشي: «محمّد بن الحسن بن فرّوخ الصفّار... كان وجهاً في أصحابنا القمّيّين، عظيم القدر، راجحاً، قليل السقط في الرواية ...».

ثمّ ذكر كتبه ومنها: بصائر الدرجات، وهو مطبوع.

ثمّ قال: «توفّي محمّد بن الحسن الصفّار بقم سنة تسعين ومئتين رحمه الله»[1].

وذكره الشيخ في الفهرست ثمّ قال بعد ذكر كتبه: «وله مسائل كتبها إلى أبي محمّد الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام»[2].

---

(١) رجال النجاشي: ٣٥٤، الترجمة ٩٤٨.

(٢) الفهرست (للشيخ الطوسي): ٢٨٨، الترجمة ٦٢١.

وذكره في كتاب رجاله في أصحاب أبي محمّد ﷺ وقال: «له إليه ﷺ مسائل»[١].

ونقل صاحب القاموس[٢] عن الصدوق في الفقيه: أنّه صرّح بأنّ توقيعات العسكري ﷺ بخطّه في جواب مسائل الصفّار موجودة عنده، وأشار إلى واحدة منها، وهي كالآتي:

قال الصدوق: «كتب محمّد بن الحسن الصفّار ﷺ إلى أبي محمّد الحسن بن عليّ ﷺ: في رجل أراد أن يشهد على امرأة ليس لها بمحرم، هل يجوز له أن يشهد عليها من وراء الستر ويسمع كلامها إذا شهد عدلان أنّها فلانة بنت فلان التي تشهد وهذا كلامها، أو لا تجوز الشهادة عليها حتّى تبرز وتثبتها بعينها؟

فوقّع ﷺ: "تتنقّب وتظهر للشهود إن شاء الله".

وهذا التوقيع عندي بخطّه ﷺ»[٣].



٢ ـ عبد الله بن جعفر الحميري:

قال عنه النجاشي: «عبد الله بن جعفر بن الحسين بن مالك بن جامع الحميري، أبو العبّاس القمّي، شيخ القمّيين ووجههم، قدم الكوفة سنة نيف وتسعين ومئتين، وسمع أهلها منه، فأكثروا، وصنّف كتباً كثيرة...».

ثمّ عدّ من جملة مصنّفاته: «مسائل لأبي محمّد الحسن ﷺ على يد محمّد بن عثمان العَمْري... مسائل أبي محمّد وتوقيعات...»[٤].

وعدّ من جملة كتبه كتاب قرب الإسناد، وهو مطبوع[٥].

---

(١) رجال الشيخ الطوسي: ٤٣٦.

(٢) قاموس الرجال ٩: ٢٠٣، الترجمة ٦٥٨٨.

(٣) من لا يحضره الفقيه ٣: ٦٧، باب الشهادة على المرأة، الحديث ٣٣٤٧.

(٤) رجال النجاشي: ٢١٩ ـ ٢٢٠، الترجمة ٥٧٣.

(٥) طبعته مؤسّسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، وفي الكتاب كلام وتفصيل، تراجع ←

وقال عنه الشيخ في الفهرست : «عبد اللّه بن جعفر الحميري القمّي ، يكنّى أبا العبّاس ، ثقة» .

ثمّ عدّ كتبه وعدّ منها : «كتاب المسائل والتوقيعات ... ومسائل عن محمّد بن عثمان العَمْري ...»[١] .

ولم ينسبهما إلى الإمام أبي محمّد عليه السلام ، ولكنّ التوقيعات لم تصدر إلّا من الإمام عليه السلام ، كما أنّ العَمْري كان واسطة في السؤال . ولم يكن هو المسؤول بالذات .

٣ ـ أحمد بن إسحاق الأشعري :

قال عنه النجاشي : «أحمد بن إسحاق بن عبد اللّه بن سعد بن مالك بن الأحوص الأشعري ، أبو عليّ القمّيّ ، وكان وافد القمّيّين ، وروى عن أبي جعفر الثاني وأبي الحسن عليهما السلام ، وكان خاصّة أبي محمّد عليه السلام»[٢] . ثمّ عدّ كتبه .

وقال عنه الشيخ : «... كان كبير القدر ، وكان من خواصّ أبي محمّد عليه السلام ، ورأى صاحب الزمان عليه السلام ، وهو شيخ القمّيّين ووافدهم ، رضي اللّه عنه»[٣] . ثمّ عدّ كتبه .

مناظرات الإمام أبي محمّد عليه السلام :

تقدّم أنّ ظروف الإمامين العسكريّين عليهما السلام في سامراء كانت صعبة جدّاً ؛ لضغط الحكّام عليهم من جميع الجهات ، فلم يسمح لهما بالممارسات العلمية ، بل لم تكن الأجواء آنذاك علميّة ، ولم يشجّع فيها العلم والعلماء بصورة عامّة ؛ ولذلك لم تقع مناظرة مع الإمام أبي محمّد عليه السلام إلّا نادراً ، وربّما كان ذلك بالواسطة ، وفيما يأتي نذكر

← مقدّمة التحقيق في هذه الطبعة .

(١) الفهرست (للشيخ الطوسي) : ١٨٩ ، الترجمة ٤٠٧ .

(٢) رجال النجاشي : ٩١ ، الترجمة ٢٢٥ .

(٣) الفهرست (للشيخ الطوسي) : ٢٢ ، الترجمة ٣٩ .

نموذجين منها:

١ ـ مناظرة الإمام ﷺ مع الفيلسوف الكندي:

نقل ابن شهرآشوب عن أبي القاسم الكوفي في كتاب التبديل: «إنّ إسحاق الكندي[١] ـ وكان فيلسوف العراق في زمانه ـ أخذ في تأليف كتاب في تناقض القرآن وتفرّد به في منزله، فدخل بعض تلامذته يوماً على الإمام الحسن العسكري ﷺ، فقال له أبو محمّد ﷺ: أما فيكم رجل رشيد يردع أستاذكم الكندي عمّا أخذ فيه من تشاغله بالقرآن؟

فقال التلميذ: نحن من تلامذته، كيف يجوز منّا الاعتراض عليه في هذا أو في غيره؟

فقال أبو محمّد ﷺ: أتؤدّي إليه ما ألقيه إليك؟

قال: نعم.

قال ﷺ: فصر إليه، وتلطّف في مؤانسته ومعونته على ما هو بسبيله، فإذا وقعت الأُنسة في ذلك، فقل: قد حضرتني مسألة أسألك عنها، فإنّه يستدعي ذلك منك[٢].

فقل له: إن أتاك هذا المتكلّم بهذا القرآن، هل يجوز أن يكون مراده بما تكلّم به منه غير المعاني التي قد ظننتها أنّك ذهبت إليها؟

فإنّه سيقول: إنّه من الجائز؛ لأنّه رجل يفهم إذا سمع.

فإذا أوجب ذلك، فقل له: فما يدريك لعلّه قد أراد غير الذي ذهبت أنت إليه،

---

(١) إسحاق بن حنين بن إسحاق العبادي، الطبيب المشهور، كان يترجم كتب الحكمة من اليونانية إلى العربية. توفّي سنة ٢٩٨ أو ٢٩٩هـ. انظر وفيات الأعيان ١: ٢٠٥، الترجمة ٨٨.

(٢) تأمّل في هذا الأُسلوب الجميل جدّاً، فإنّه حقيق بالوقوف عنده والعمل طبقاً له.

فتكون واضعاً لغير معانيه.

فصار الرجل إلى الكندي وتلطّف إلى أن ألقى عليه هذه المسألة.

فقال له: أعد عليّ، فأعاد عليه، فتفكّر في نفسه، ورأى ذلك محتملاً في اللغة، وسائغاً في النظر.

فقال: أقسمت عليك ألا أخبرتني من أين لك؟

فقال: إنّه شيء عرض بقلبي فأوردته عليك، فقال: كلّا، ما مثلك من اهتدى إلى هذا، ولا من بلغ هذه المنزلة، فعرّفني من أين لك هذا؟

فقال: أمرني به أبو محمّد.

فقال: الآن جئت به، وما كان ليخرج مثل هذا إلّا من ذلك البيت.

ثمّ إنّه دعا بالنار وأحرق جميع ما كان ألّفه»[١].

٢ ـ السؤال عن علّة تنصيف إرث المرأة:

روى الكليني بإسناده عن إسحاق بن محمّد النخعي أنّه قال: «سأل الفهفكي أبا محمّد ؏: ما بال المرأة المسكينة الضعيفة تأخذ سهماً واحداً ويأخذ الرجل سهمين؟

فقال أبو محمّد ؏: إنّ المرأة ليس عليها جهاد ولا نفقة، ولا عليها معقلة إنّما ذلك على الرجال.

فقلت[٢] في نفسي قد كان قيل لي: إنّ ابن أبي العوجاء[٣] سأل أبا عبد الله ؏

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٤: ٤٢٤. وانظر: البحار ٥٠: ٣١١، كتاب تاريخ الإمام أبي محمّد ؏، باب مكارم أخلاقه، ذيل الحديث ٩، و ١٠: ٣٩٢، كتاب الاحتجاج، باب احتجاج أبي محمّد ؏، الحديث الأوّل.

(٢) الظاهر أنّ القائل هو الراوي، وهو إسحاق، لا السائل، وهو الفهفكي.

(٣) كان من زنادقة عصره.

عن هذه المسألة فأجابه بهذا الجواب.

فأقبل أبو محمّد ﷺ عليّ، فقال: نعم، هذه المسألة مسألة ابن أبي العوجاء، والجواب منّا واحد إذا كان معنى المسألة واحداً، جرى لآخرنا ما جرى لأوّلنا، وأوّلنا وآخرنا في العلم سواء، ولرسول الله ﷺ وأمير المؤمنين ﷺ فضلهما»[1].

مكاتبات أبي محمّد ﷺ:

كانت أكثر الأسئلة والأجوبة في زمن العسكريين ﷺ وخاصّة أبا محمّد ﷺ بأسلوب المكاتبات.

ولأبي محمّد ﷺ مكاتبات مع الشيعة بصورة عامّة أيضاً، ننقل أحد نماذجها:

ذكر ابن شهرآشوب: أنّه ﷺ كتب إلى أهل قم وآبة[2]: «إنّ الله تعالى بجوده ورأفته قد منّ على عباده بنبيّه محمّد بشيراً ونذيراً، ووفّقكم لقبول دينه، وأكرمكم بهدايته، وغرس في قلوب أسلافكم الماضين ـ رحمة الله عليهم ـ وأصلابكم الباقين ـ تولّى كفايتهم وعمّرهم طويلاً في طاعته ـ حبّ العترة الهادية، فمضى من مضى على وتيرة الصواب، ومنهاج الصدق، وسبيل الرشاد، فوردوا موارد الفائزين، واجتنوا ثمرات ما قدّموا، ووجدوا غبّ ما أسلفوا...»[3].

---

(١) الكافي ٧: ٨٥، كتاب المواريث، باب علّة كيف صار للذكر سهمان و...، الحديث ٢، وانظر البحار ٥٠: ٢٥٥، كتاب تاريخ أبي محمّد ﷺ، باب معجزاته، الحديث ١١.

(٢) قال الحموي: «آبة، بُليدة تقابل ساوة، تعرف بين العامّة بآوة». معجم البلدان ١: ٥٠، «آبة»، وانظر سفينة البحار ١: ٢٠٤، «أوى».

أقول: إنّها واقعة بين قم وساوة، وكانت مهداً للعلم والأدب، خرج منها علماء منهم الفاضل الآبي صاحب كشف الرموز، كما خرج منها أدباء ووزراء، وقد عُرفت بتشيّعها مثل قم، وأمّا اليوم فلم تحرز تقدّماً كما أحرزته المدن المجاورة لها، كمدينة قم وغيرها.

(٣) مناقب آل أبي طالب ٤: ٤٢٥، وانظر البحار ٥٠: ٣١٧، تاريخ الإمام أبي محمّد ﷺ، باب مكارم أخلاقه، الحديث ١٤.

« ومنها[١] : فلم تزل نيّتنا مستحكمة ، ونفوسنا إلى طيب آرائكم ساكنة ، والقرابة الواشجة بيننا وبينكم قويّة ، وصيّةٌ أوصى بها أسلافنا وأسلافكم ، وعهدٌ عهد إلى شبّاننا ومشايخكم ، فلم يزل على جملة كاملة من الاعتقاد ، لما جعلنا الله عليه من الحال القريبة ، والرحم الماسّة . يقول العالم سلام الله عليه إذ يقول : " المؤمن أخو المؤمن لأمّه وأبيه " »[٢] .

موقف الإمام عليه السلام من الغلوّ والغلاة:

ذكرنا فيما سلف علّة شيوع ظاهرة الغلوّ أيام الإمامين العسكريين عليهما السلام ، وكثير من رؤساء الغلاة كانت لهم منزلة ووجاهة لكنّهم ادّعوا الوكالة للإمام أو لولده الحجّة عليهما السلام ودعوا ضعفاء العقول إلى موالاتهم ، ثمّ تفاقم أمرهم إلى ادّعاءات أُخرى مشتملة على الغلوّ والكفر وربّما النصب والإلحاد[٣] ؛ ولذلك كان موقف الإمام أبي محمّد عليه السلام ووكلاء الحجّة عليه السلام من هؤلاء موقفاً شديداً لا هوادة فيه .

وقد ذكر الشيخ الطوسي[٤] جملة من هؤلاء وما ورد فيهم من الطعن ، من قبيل : أبو محمّد الشريعي أو السريعي ، ومحمّد بن نُصير النُّميري ، وأحمد بن هلال العبرتائي (الكرخي) ، وأبو طاهر محمّد بن عليّ بن بلال ، والحسين بن منصور الحلّاج ، ومحمّد بن علي الشلمغاني المعروف بابن أبي العزاقر .

وقضايا هؤلاء مشهورة ومذكورة في الكتب المعنيّة بهذه الأمور[٥] .

---

(١) كذا في المصدر ، والظاهر أنّ المراد : ومن المكاتبة نفسها ، وإن لم يرد لفظها .

(٢) مناقب آل أبي طالب ٤ : ٤٢٥ ، وانظر البحار ٥٠ : ٣١٧ ، تاريخ الإمام أبي محمّد عليه السلام ، باب مكارم أخلاقه ، الحديث ١٤ .

(٣) انظر الغيبة (للشيخ الطوسي) : ٢٤٤ .

(٤) انظر الغيبة (للشيخ الطوسي) : ٢٤٤ ـ ٢٥٦ .

(٥) انظر معجم رجال الحديث : للشريعي ٥ : ١٦٤ ، وللنميري ١٧ : ٢٩٩ ـ ٣٠١ ، ←

ومن المناسب أن نذكر في الختام ما نقله ابن شهرآشوب عن إدريس بن زياد الكفرتوثائي[(١)]، قال: «كنت أقول فيهم قولاً عظيماً، فخرجت إلى العسكر للقاء أبي محمّد عليه السلام، فقدمت وعليّ أثر السفر ووعثاؤه، فألقيت نفسي على دكّان حمّام، فذهب بي النوم، فما انتبهت إلّا بمقرعة أبي محمّد قد قرعني بها حتّى استيقظت فعرفته، فقمت قائماً أقبّل قدميه وفخذه وهو راكب والغلمان من حوله، فكان أوّل ما تلقّاني به أن قال: "يا إدريس، ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾" [(٢)].

فقلت: حسبي يا مولاي، وإنّما جئت أسألك عن هذا، فتركني ومضى»[(٣)].



← وللعبرتائي ٢: ٢٥٤ ـ ٢٥٩، ولابن بلال ١٦: ٣٠٩ ـ ٣١١، وللحلّاج ٦: ٩٦، لكنّه لم يذكر عنه شيئاً وأحال على كتاب الغيبة للشيخ الطوسي، وللشلمغاني ١٧: ٤٧ ـ ٥٠.

(١) انظر تحقيق حال الرجل ولقبه في قاموس الرجال ١: ٦٩٦ ـ ٦٩٨، وقد ذكروا توثيقه.

(٢) الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٧، وقد تكرّر استشهاد الأئمّة عليهم السلام بالآيتين في الموارد المشابهة.

(٣) مناقب آل أبي طالب ٤: ٤٢٨، ونقل له الشهيد في الذكرى ١: ١٢٠ قضيّة مشابهة مع أبي الحسن الهادي عليه السلام، لكنّ السؤال كان عن نجاسة عرق الجنب، والظاهر أنّه كان واقفياً ثمّ اهتدى، وإنّما جاء ـ في سفره إلى أبي الحسن عليه السلام ـ ليمتحنه بوصيّة من بعض رفاقه. انظر قاموس الرجال ١: ٦٩٦ ـ ٦٩٧، الترجمة ٦٣٩.

ثاني عشر ـ الإمام المهدي عليه السلام

اسمه ونسبه :

هو الحجّة[1] بن الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام .

وأمّه أمّ ولد ، اسمها نرجس[2] ، أو سوسن[3] ، أو صقيل[4] .

كنيته ولقبه :

ورد : أنّ اسمه اسم النبيّ صلى الله عليه وآله ، وكنيته كنيته[5] .

وأمّا ألقابه فكثيرة ، منها : الحجّة ، والقائم ، والمهدي ، والخلف الصالح ،

(١) ورد النهي عن تسميته ، فقد روى داود بن القاسم الجعفري ، قال : « سمعت أبا الحسن العسكري عليه السلام يقول : الخلف من بعدي الحسن ، فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف ؟

فقلت : ولِمَ جعلني الله فداك ؟!

قال : إنّكم لا ترون شخصه ولا يحلّ لكم ذكره باسمه .

فقلت : فكيف نذكره ؟ فقال : قولوا : الحجّة من آل محمّد صلوات الله عليه وسلامه » .

أصول الكافي ١ : ٣٣٢ ، كتاب الحجّة ، باب في النهي عن الاسم ، الحديث الأوّل .

(٢) انظر : الإرشاد ٢ : ٣٣٩ ، وكتاب الغيبة (للشيخ الطوسي) : ١٤٣ .

(٣) انظر كتاب الغيبة (للشيخ الطوسي) : ١٤١ .

(٤) انظر : كمال الدين : ٤٣٢ ، باب ميلاد القائم عليه السلام ، الحديث ١٢ ، والدروس ٢ : ١٦ .

(٥) انظر البحار ٣٨ : ٣٠٥ ، تاريخ الإمام عليّ عليه السلام ، باب أنّه أخصّ برسول الله ، ضمن الحديث ٥ .

وصاحب الزمان، والصاحب، والمنتظر[1].

مولـده:

ولد عليه السلام بسامراء ليلة النصف من شعبان سنة مئتين وخمس وخمسين[2]، أو ستّ وخمسين[3].

وكان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين[4].

بحث حول الإمام المهدي عليه السلام

نرى من الضروري وقد انتهينا في أبحاثنا عن الأئمّة عليهم السلام إلى هذا الموضع أن تكون لنا وقفة قصيرة للكلام عن الإمام المهدي عليه السلام؛ لأهمّية هذا البحث على الصعيد الإسلامي بصورة عامّة، والشيعي الإمامي بصورة خاصّة.

مراحل البحث:

نلخّص كلامنا في الإمام المهدي عليه السلام في ثلاث مقدّمات واستنتاج:

المقدّمة الأُولى: في الكلام عمّا ورد في أنّ من لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية.

المقدّمة الثانية: في الكلام عمّا ورد من أنّ الأئمّة اثنا عشر كلّهم من قريش.

المقدّمة الثالثة: في الكلام عمّا ورد بشأن المهدي عن النبيّ وآله صلوات اللّه عليهم أجمعين.

---

(١) انظر إعلام الورى ٢: ٢١٣، ولم يذكر الأخير وهو مشهور.

(٢) انظر: أُصول الكافي ١: ٥١٤، كتاب الحجّة، باب مولد الصاحب عليه السلام، والإرشاد ٢: ٣٣٩.

(٣) رواه في الكافي ١: ٥١٤ أيضاً.

(٤) انظر الإرشاد ٢: ٣٤٠.

الاستنتاج: بأنّ الإمام الحجّة بن الحسن العسكري عليه السلام هو المهدي الموعود، عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

المقدّمة الأولى:

روى الفريقان ـ السنّة والشيعة ـ حديثاً مضمونه: أنّه من مات ولم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتة جاهلية. وورد هذا الحديث بألفاظ مختلفة.

فروي عن طريق السنّة عن النبيّ صلى الله عليه وآله بالألفاظ التالية:

ـ «من مات بغير إمام، مات ميتة جاهلية»[1].

ـ «من مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية»[2].



وهناك عبارات مشابهة أخرى[3].

---

(١) مسند أحمد ٤: ١١٩، مسند الشاميين، من حديث معاوية بن أبي سفيان، الحديث ١٦٨٨٢.

(٢) صحيح مسلم ٣: ١٤٧٨، كتاب الإمارة، الباب ١٣، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، الحديث ٥٨، رواه عن عبد الله بن عمر، وقد ذكره لعبد الله بن مطيع الذي ترأس قريش في قتالها مع مسلم بن عقبة الذي أرسله يزيد إلى المدينة وارتكب الجريمة النكراء في واقعة الحرّة. وتمام الحديث: «سمعت رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يقول: من خلع يداً من طاعة، لقي الله يوم القيامة لا حجّة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهليّة».

فنتساءل: لماذا امتنع هو من بيعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ؟!

فإن قيل: بايع بعد ذلك.

قلنا: لم يثبت ذلك، وعدم بيعته دراية وبيعته بعد ذلك رواية، والرواية لا تقاوم الدراية.

كما أنّ معاوية راوي الحديث الأوّل كذلك، بل عدم بيعته مطلقاً ممّا لا غبار عليه.

(٣) انظر المصدرين المتقدّمين، وصحيح البخاري ٤: ٢٢٢، كتاب الفتن، الباب ٢، الحديث ٢ و ٣، وصحيح مسلم ٣: ١٤٧٨، كتاب الإمارة، الباب ١٣، الحديث ٥٦.

وروي عن طريق الشيعة باللفظ الآتي :

فورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من مات وليس عليه إمام فميتته ميتة جاهلية »(١).

وورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال : « من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية »(٢).

وطبقاً لمضمون هذه الأحاديث لا بدّ أن تكون للمسلم بيعة مع إمام ، ولا يشذّ منه زمان ، فيشمل مثل زماننا هذا الذي خلا من الخلافة ولو بمظاهرها وشكليّاتها .

فهنا يتبادر سؤال إلى الذهن ، وهو : من هو الإمام الذي ينبغي أن نبايعه في هذا الزمان لكي لا تكون ميتتنا ميتة جاهلية ؟



المقدّمة الثانية :

وردت روايات مستفيضة عن طريق الفريقين ـ السنّة والشيعة ـ مفادها : أنّ الأئمّة اثنا عشر ، وصُرّح في بعضها : بأنّهم كلّهم من قريش ، منها :

١ ـ ما رواه مسلم بإسناده عن جابر بن سمرة ، قال : « دخلت مع أبي على النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ، فسمعته يقول : إنّ هذا الأمر لا ينقضي حتّى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة .

قال : ثمّ تكلّم بكلام خفي عليّ ، قال : فقلت لأبي : ما قال ؟

قال : كلّهم من قريش »(٣).

---

(١) أُصول الكافي ١ : ٣٧٦ ، كتاب الحجّة ، باب من مات وليس له إمام ، الحديث الأوّل .

(٢) البحار ٢٣ : ٧٨ ، كتاب الإمامة ، باب وجوب معرفة الإمام ، الحديث ٧ ، وانظر ٤٩ : ٢٦٧ ، كتاب تاريخ الإمام الرضا عليه السلام ، باب أحوال أصحابه ، الحديث ٨ .

(٣) صحيح مسلم ٣ : ١٤٥٢ ، كتاب الإمارة ، الحديث ٥ .

وقد ورد هذا المضمون في كثير من الصحاح والمسانيد والسنن[١].

وأورده الشيخ الطوسي وغيره من مشايخنا بطرقهم عن مشايخ السنّة أيضاً[٢].

٢ ـ ما رواه الصدوق بسند صحيح عن أبي عبد اللّه الصادق عليه السلام، عن أبيه محمّد بن عليّ، عن أبيه عليّ، عن أبيه الحسين عليه السلام، قال: «سُئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى قول رسول اللّه صلى الله عليه وآله: "إنّي مخلّف فيكم الثقلين: كتاب اللّه وعترتي"، مَن العترة؟

فقال: أنا والحسن والحسين والأئمّة التسعة من ولد الحسين، تاسعهم مهديّهم وقائمهم، لا يفارقون كتاب اللّه ولا يفارقهم حتّى يردوا على رسول اللّه صلى الله عليه وآله حوضه»[٣].

٣ ـ وما رواه بإسناده عن الإمام سيّد العابدين عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام، قال: «قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: الأئمّة بعدي اثنا عشر، أوّلهم أنت يا عليّ، وآخرهم القائم الذي يفتح اللّه تعالى على يده مشارق الأرض ومغاربها»[٤].

والروايات بهذا المعنى متواترة[٥].

---

(١) انظر: صحيح البخاري ٤: ٢٤٨، آخر كتاب الأحكام، وسنن أبي داود ٤: ٨٦، كتاب المهدي، الأحاديث ٤٢٧٩ ـ ٤٢٨١، وسنن الترمذي ٤: ٥٠١، كتاب الفتن، باب ما جاء في الخلفاء.

(٢) انظر: كتاب الغيبة (للشيخ الطوسي): ٨٧ ـ ٩١، وكتاب الغيبة (للنعماني): ١٠٢ ـ ١٠٧، وغيرهما.

(٣) كمال الدين: ٢٤٠ ـ ٢٤١، الباب ٢٢، الحديث ٦٤.

(٤) المصدر المتقدّم: ٢٨٢، الباب ٢٤، الحديث ٣٥.

(٥) انظر: كتاب الغيبة (للنعماني): ٥٧ ـ ١١١، باب ما روي في أنّ الأئمّة اثنا عشر إماماً، وكتاب الغيبة (للشيخ الطوسي): ٩١ ـ ١٠٠، وأُصول الكافي ١: ٥٢٥، باب ما جاء في الاثني عشر والنصّ عليهم عليهم السلام، والإرشاد ٢: ٣٤٥.

ووردت طائفة أخرى من الروايات مفادها: أنّ الأئمّة اثنا عشر كعدّة نقباء بني إسرائيل، فمن ذلك:

١ ـ ما أخرجه أحمد، عن مسروق، قال: «كنّا جلوساً عند عبد الله بن مسعود وهو يقرئنا القرآن، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، هل سألتم رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: كم تملك هذه الأمّة من خليفة؟ فقال عبد الله بن مسعود: ما سألني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك، ثمّ قال: نعم، ولقد سألنا رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، فقال: اثنا عشر كعدّة نقباء بني إسرائيل»(١).

وأخرج الحديث أشخاص آخرون أيضاً(٢).

وهناك روايات مضمونها أنّه لو لم يبق من الناس إلّا اثنان يكون أحدهما الإمام، فمنها:

ـ ما رواه مسلم والبخاري عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان»(٣).

فالرواية تفيد أمرين:

الأوّل ـ أنّ كلمة «لا يزال» تدلّ على استمرار الإمامة في جميع الأزمنة.

الثاني ـ أنّ الإمام من قريش.

---

(١) مسند أحمد ١: ٥١٧، مسند عبد الله بن مسعود، الحديث ٣٧٨٠.

(٢) انظر: مستدرك الحاكم ٤: ٥٠١، وكنز العمال ٦: ٨٩، الحديث ١٤٩٧١، ومجمع الزوائد ٥: ١٩٠، باب الخلفاء الاثني عشر، ومسند أبي يعلى ٩: ٢٢٢، الحديث ٥٣٢١، والجامع الصغير ١: ٣٥٠، الحديث ٢٢٩٧.

(٣) صحيح مسلم ٣: ١٤٥٢، كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش، الحديث ٤، وصحيح البخاري ٢: ٢٦٥، كتاب بدء الخلق، باب مناقب قريش، الحديث ٢، و ٤: ٢٢٣، كتاب الأحكام، باب الأمراء من قريش، الحديث ٢، وفيه: «ما بقي منهم اثنان».

وهنا يأتي السؤال: من هو الإمام فعلاً، وكيف نعرف أنّه من قريش ؟

سوف يأتي الجواب عن ذلك في بحث الاستنتاج .

ـ وما رواه الكليني بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : « لو لم يبق في الأرض إلّا اثنان لكان أحدهما الحجّة »[1] .

والرواية تدلّ بسياقها على استمرار وجود الإمام والحجّة أيضاً وإن لم تشتمل على كلمة « لا يزال » .

المقدّمة الثالثة :

الروايات الواردة في الإمام المهدي عليه السلام متواترة إجمالاً[2]، ولم يشكّك فيها إلّا ابن خلدون وبعض الكتّاب المعاصرين من أهل السنّة .

وهذه الروايات قد اكتفى بعضها ببيان أصل ظهوره في آخر الزمان ، والبعض الآخر أنّه من أمّة النبيّ صلى الله عليه وآله ، أو من أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله ، أو ولده ، أو من ولد فاطمة عليها السلام ، أو من ولد الحسن عليه السلام ، أو الحسين عليه السلام ، أو منهما .

---

(١) أصول الكافي ١ : ١٧٩ ، كتاب الحجّة ، باب لو لم يبق في الأرض إلّا رجلان... الحديث الأوّل .

(٢) قال السيّد محمّد صديق حسن القنوجي البخاري المتوفّى سنة ١٣٠٧هـ في كتاب الإذاعة : ١١٢ : « ... والأحاديث الواردة فيه على اختلاف رواياتها كثيرة جدّاً ، تبلغ حدّ التواتر » ، ثمّ ناقش رأي ابن خلدون في تضعيفها ، ثمّ نقل عن محمّد بن عليّ الشوكاني في كتابه « التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر ، والدجّال ، والمسيح » دعوى تواتر هذه الروايات وإثباتها .

ونقل أحمد بن محمّد الصدّيق في كتابه « إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون » : ٤٣٣ ـ ٤٣٤ عن جماعة التصريح بتواتر أخبار المهدي عليه السلام .

وانظر خاتمة كتاب الإمام المهدي عند أهل السنّة لتجد مقالات ومحاضرات علماء السنّة المعاصرين في ذلك .

وفيما يلي نشير إلى بعض النماذج من هذه الروايات من طرق السنّة :

١ ـ ما ورد في أنّ المهدي يخرج في آخر الزمان ،

ـ أخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري وجابر بن عبد الله الأنصاري ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : « يكون في آخر الزمان خليفة يقسّم المال ولا يعدّه »[(١)].

وحمل ذلك على المهدي عليه السلام .

وروى المتّقي الهندي ، عن أبي نعيم والخطيب البغدادي أنّهما أخرجا عن ابن عمر أنّه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يخرج المهدي وعلى رأسه ملك ينادي : إنّ هذا مهديٌّ فاتّبعوه »[(٢)].

٢ ـ ما ورد في أنّه عليه السلام من أمّته صلى الله عليه وآله ،

من ذلك ما رواه ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال : « يكون في أمّتي المهدي ... »[(٣)].

وهناك روايات أخرى بهذا اللفظ[(٤)].

٣ ـ ما ورد في أنّه عليه السلام من أهل بيته صلى الله عليه وآله ،

والروايات الواردة بهذا المضمون كثيرة ، منها :

ـ ما رواه أحمد بإسناده عن محمّد بن الحنفية ، عن أبيه عليّ عليه السلام ، قال : « قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : المهديُّ منّا أهل البيت ، يصلحه الله في ليلة »[(٥)].

---

(١) صحيح مسلم ٤ : ٢٢٣٥ ، كتاب الفتن ، الباب ١٨ لا تقوم الساعة حتّى يمر الرجل... الحديث ٦٩.

(٢) البرهان في علامات مهدي آخر الزمان (للمتّقي الهندي) : ٧٢ ، الحديث ٢.

(٣) سنن ابن ماجه ٢ : ١٣٦٦ ، كتاب الفتن ، باب خروج المهدي ، الحديث ٤٠٨٣.

(٤) انظر البرهان : ٨١ ـ ٨٢ ، الحديث ٢٥ و ٢٧.

(٥) مسند أحمد ١ : ١٠٥ ، مسند عليّ بن أبي طالب ، الحديث ٦٤٧.

ـ ما أخرجه أبو داود بإسناده، عن عليٍّ عليه السلام، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «لو لم يبق من الدهر إلّا يوم لبعث اللّه رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً»[1].

ـ وروى عن أبي سعيد الخدري، قال: «قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه [وآله] وسلّم: المهديُّ منّي...»[2].

ـ وعن أبي سعيد الخدري، قال: «قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه [وآله] وسلّم: لتملأنّ الأرض عدواناً، ثمّ ليخرُجَنَّ رجلٌ من أهل بيتي يملأها قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وعدواناً»[3].

ـ وعن عائشة، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «هو رجل من عترتي يقاتل على سنّتي، كما قاتلت أنا على الوحي»[4].

ـ وعن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: «قلت: يا رسول اللّه، أمِنّا المهدي، أو من غيرنا؟

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه [وآله] وسلّم: بل منّا، يختم اللّه به الدين، كما فتحه بنا...»[5].

ـ وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، قال: «قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه [وآله] وسلّم لفاطمة: نبيّنا خير الأنبياء، وهو أبوك، وشهيدنا خير الشهداء، وهو عمّ أبيك حمزة، ومنّا من له جناحان يطير بهما في الجنّة حيث شاء، وهو ابن عمّ أبيك

---

(١) سنن أبي داود ٤: ٨٧، كتاب المهدي، الحديث ٤٢٨٣.

(٢) المصدر المتقدّم: ٨٨، الحديث ٤٢٨٥.

(٣) عِقد الدرر في أخبار المنتظر: ٤٠، نقلاً عن نعيم بن حمّاد.

(٤) عِقد الدرر في أخبار المنتظر: ٣٧، نقلاً عن نعيم بن حمّاد.

(٥) عِقد الدرر: ٤٦، وقال: «أخرجه جماعة من الحفّاظ في كتبهم، منهم: أبو القاسم الطبراني، وأبو نعيم الإصفهاني، وعبد الرحمن بن أبي حاتم، وأبو عبد اللّه نعيم بن حمّاد، وغيرهم».

جعفر، ومنّا سبطا هذه الأُمّة الحسن والحسين، وهما ابناك، ومنّا المهدي»[1].

٤ ـ ما ورد في أنّه عليه السلام من ولده صلى الله عليه وآله وسلم:

ورد في بعض الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «المهدي من ولدي»[2]، أو «المهدي رجل من ولدي»[3].

فبناءً على هذا القسم من الروايات ينحصر المهدي في ولد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، أي يكون من ولد فاطمة عليها السلام. وهذا ما تصرّح به الروايات الآتية.

٥ ـ ما ورد في أنّه عليه السلام من ولد فاطمة عليها السلام:

ومن هذه الروايات:

ـ ما رواه جملة من أصحاب السنن بإسنادهم عن أُمّ سلمة رضي الله عنها، قالت: «سمعت رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يقول: المهدي من عترتي، من ولد فاطمة»[4].

ـ وعن قتادة، قال: «قلت لسعيد بن المسيّب: أحقٌّ المهدي؟

قال: نعم، هو حقٌّ.

---

(١) عقد الدرر: ٤٦ ـ ٤٧، وقال: «أخرجه الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الصغير». انظر المعجم الصغير ١: ٣٧.

(٢) و (٣) انظر: عِقد الدرر: ٣٨، رواهما عن حذيفة وعبد الله بن عمر، والبرهان: ٩٣، الحديث ١٥ و ١٦، والمهدي الموعود المنتظر عند علماء أهل السنّة والإمامية (للشيخ نجم الدين العسكري) ١: ١٤ ـ ٢٨، الباب الأوّل، وسوف نلخّص اسم الكتاب بعنوان المهدي الموعود.

(٤) عِقد الدرر: ٣٥، فقد نقله عن جملة من أصحاب السنن، منهم: أبو داود ٤: ٨٨، الحديث ٤٢٨٤، وابن ماجه ٢: ١٣٦٨، الحديث ٤٠٨٦.

وانظر: البرهان: ٨٩ ـ ٩٥، والمهدي الموعود: ١١٢ ـ ١٣٠، فإنّهما أوردا الحديث بطرق عديدة، كما أوردا أحاديث أُخر بهذا اللفظ والمضمون.

قلت : ممّن هو ؟

قال : من قريش .

قلت : من أيّ قريش ؟

قال : من بني هاشم ؟

قلت : من أيّ بني هاشم ؟

قال : من ولد عبد المطّلب .

قلت : من أيّ ولد عبد المطّلب ؟

قال : من أولاد فاطمة .



قلت : من أيّ ولد فاطمة ؟

قال : حسبك الآن »[1] .

ـ وقال المتّقي الهندي في البرهان : « وأخرج أبو نعيم ، عن الحسين عليه السلام : أنّ النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم قال لفاطمة : "يا بنيّة ، المهدي من وِلدك" »[2] .

وقال أيضاً : « وأخرج ابن عساكر عن الحسين عليه السلام : أنّ النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم قال : "ابشري يا فاطمة المهدي منك" »[3] .

وأخرج المتّقي أيضاً في كنز العمّال عن عليّ عليه السلام قال : « المهدي رجل منّا ، من ولد فاطمة »[4] .

ـ وهناك روايات عديدة أخرى بهذا المضمون .

---

(١) عِقد الدرر : ٤٤ .

(٢) البرهان : ٩٤ ، الحديث ١٧ .

(٣) البرهان : ٩٤ ، الحديث ١٧ .

(٤) كنز العمّال ١٤ : ٥٩١ ، الحديث ٣٩٦٧٥ .

٦ ـ ما ورد في أنّه عليه السلام من ولد الحسن والحسين عليهما السلام :

فمن ذلك ما رواه جمع من الحفّاظ ، عن عليّ بن هلال ، عن أبيه ، قال : « دخلت على رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم وهو في الحالة التي قبض فيها ، فإذا فاطمة عند رأسه ، فبكت حتّى ارتفع صوتها ، فرفع رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم طرفه إليها فقال : حبيبتي فاطمة ، ما الذي يبكيك ؟ فقالت : أخشى الضيعة من بعدك ... » .

ثمّ إنّ رسول الله ـ بحسب ما جاء في الرواية ـ ذكر لها أموراً أسكنها بها ، وممّا قاله لها هو : « ... ومنّا سبطا هذه الأمّة ، وهما ابناكِ الحسن والحسين ، وهما سيّدا شباب أهل الجنّة ، وأبوهما ـ والذي بعثني بالحقّ ـ خيرٌ منهما . يا فاطمة ـ والذي بعثني بالحقّ ـ إنّ منهما مهدي هذه الأمّة إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً وتظاهرت الفتن وتقطّعت السبل ... »[1] .

أورد هذا الحديث جمع من الحفّاظ كما تقدّم ، ولكن في بعضها بدل « منهما مهدي هذه الأمّة » : « ومنّا المهدي »[2] .

وورد المضمون المتقدّم عن أبي أيّوب الأنصاري رضي الله عنه ، وفيه : « ومنّا المهدي »[3] .

٧ ـ ما ورد في أنّه عليه السلام من ولد الحسن عليه السلام :

وروى أبو داود عن أبي إسحاق ، قال : « قال عليّ عليه السلام ـ ونظر إلى ابنه الحسن ـ :

---

(١) ذخائر العقبى (لمحبّ الدين الطبري) : ١٣٥ ـ ١٣٦ ، والمعجم الكبير (للطبراني) ٣ : ٥٧ ـ ٥٨ ، الحديث ٢٦٧٥ ، والحاوي للفتاوي (للسيوطي) ٢ : ١٣٧ ، رسالة « العرف الوردي في أخبار المهدي » ، والمهدي الموعود ١ : ١٣١ ، ونقله عن جماعة من علماء السنّة .

(٢) انظر المهدي الموعود ١ : ١٣٤ .

(٣) انظر عِقد الدرر : ٤٦ ـ ٤٧ ، الباب الأوّل .

إنّ ابني هذا سيّد كما سمّاه النبيّ صلّى اللّه عليه [وآله] وسلّم، وسيخرج من صلبه رجل يسمّى باسم نبيّكم صلّى اللّه عليه [وآله] وسلّم يشبهه في الخُلق ولا يشبهه في الخلق...»(١).

٨ ـ ما ورد في أنّه عليه السلام من ولد الحسين عليه السلام:

ـ روي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قال: «خطبنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه [وآله] وسلّم، فذكّرنا بما هو كائن.

ثمّ قال: "لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل اللّه عزّ وجلّ ذلك اليوم حتّى يبعث فيه رجلاً من ولدي اسمه اسمي".

فقام سلمان الفارسي رضي الله عنه، فقال: يا رسول اللّه، من أيّ ولدك؟

قال: "هو من ولدي هذا" وضرب بيده على الحسين عليه السلام»(٢).

ـ وروي عن أبي سعيد الخدري مثل ما تقدّم(٣) من دخول فاطمة الزهراء عليها السلام على النبيّ صلى الله عليه وآله في مرضه وتأثّرها وتألّمها بذلك حتّى بدت دموعها على خدّها، فأخبرها رسول اللّه صلى الله عليه وآله أموراً فاستبشرت بها، فكان ممّا أخبرها به هو أنّه قال لها:

---

(١) سنن أبي داود ٤: ٩٠، كتاب المهدي، الحديث ٤٢٩٠.

(٢) عِقد الدرر: ٤٥ ـ ٤٦، نقلاً عن الحافظ أبي نعيم في «صفة المهدي»، وفرائد السمطين ٢: ٣٢٥ ـ ٣٢٦، وذخائر العقبى: ١٣٦ ـ ١٣٧، وقال: «فيحمل ما ورد مطلقاً فيما تقدّم على هذا المقيّد».

(٣) أقول: رويت هذه القضيّة بعدّة طرق، منها: عن طريق عليّ بن هلال، عن أبيه، كما تقدّم في الصفحة ٤٧٠، وعن طريق أبي أيّوب الأنصاري، وقد تقدّم في الصفحة ٤٦٧، وعن طريق أبي سعيد الخدري كما في المتن.

هذا عن طريق السنّة، وأمّا عن طريق الشيعة فقد نقلت القضية عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أيضاً.

انظر كمال الدين: ٢٦٢ ـ ٢٦٤، الباب ٢٤، الحديث ١٠.

«... ومنّا سبطا هذه الأُمّة، وهما ابناك، ومنّا مهدي الأُمّة الذي يصلّي خلفه عيسى ابن مريم، ثمّ ضرب على منكب الحسين عليه السلام وقال: مِن هذا مهديّ هذه الأُمّة»[١].

- وروى ابن أبي الحديد عن قاضي القضاة، عن إسماعيل بن عبّاد بإسناد متّصل بعليّ عليه السلام: أنّه ذكر المهديّ وقال: «إنّه من ولد الحسين عليه السلام، وذكر حليته ...».

ثمّ قال: «وذكر هذا الحديث بعينه عبد اللّه بن قتيبة في كتاب "غريب الحديث"»[٢].

هذا من طرق السنّة، وأمّا من طرق الشيعة، فمن المسلّمات عندهم أنّ المهدي عليه السلام من ولد الحسين عليه السلام، بل صار هذا من الضروريات عندهم إلّا الكيسانية[٣] الذين اعتقدوا بأنّ محمّد بن الحنفية هو المهدي، وقد انقرضوا.

إذن لا حاجة إلى سرد الروايات في ذلك، لكن نشير إلى بعض النماذج منها:

- روى ابن بابويه بإسناد صحيح إلى سلمان الفارسي رضوان اللّه تعالى عليه، قال: «دخلت على النبيّ صلى الله عليه وآله فإذا الحسين على فخذه وهو يقبّل عينيه ويلثم فاه ويقول: أنت سيّد ابن سيّد، أنت إمامٌ، ابن إمام، أخو إمام، أبو الأئمّة، أنت حجّة اللّه، ابن حجّته، وأبو حجج تسعة من صلبك تاسعهم قائمهم»[٤].

- وروى بإسناده إلى الحسين بن عليّ عليه السلام، قال: «دخلت أنا وأخي على جدّي

---

(١) الفصول المهمّة: ٢٨٦، وقال: «هكذا أخرجه الدارقطني صاحب الجرح والتعديل».

(٢) شرح النهج ١: ٢٨١ ـ ٢٨٢.

(٣) الكيسانية هم الذين اعتقدوا بإمامة محمّد بن الحنفية، وأنّه المهدي، قال الشيخ الطوسي منهم: إنّهم انقرضوا، مضافاً إلى ما روي من الاحتجاج والمناظرة التي جرت بين محمّد والإمام عليّ بن الحسين عليه السلام، ثمّ رجوع محمّد إلى إمامته عليه السلام.

انظر: كتاب الغيبة (للشيخ الطوسي): ١٥ ـ ١٧، وأُصول الكافي ١: ٣٤٨، كتاب الحجّة، باب ما يفصل به بين دعوى المحقّ والمبطل في أمر الإمامة، الحديث ٥.

(٤) كمال الدين: ٢٦٢، الباب ٢٤، الحديث ٩.

رسول الله ﷺ فأجلسني على فخذه، وأجلس أخي الحسن على فخذه الأخرى، ثمّ قبّلنا وقال: بأبي أنتما من إمامين صالحين، اختاركما الله منّي، ومن أبيكما وأمّكما، واختار من صلبك يا حسين تسعة أئمّة تاسعهم قائمهم، وكلّكم في الفضل والمنزلة عند الله تعالى سواء[1]»[2].

ـ وروى بإسناد صحيح عن الصادق، عن أبيه الباقر، عن جدّه السجّاد، عن أبيه الحسين ﷺ، قال: «سئل أمير المؤمنين صلوات الله عليه عن معنى قول رسول الله ﷺ: "إنّي مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي"، من العترة؟ فقال: أنا والحسن، والحسين، والأئمّة التسعة من ولد الحسين، تاسعهم مهديّهم وقائمهم، لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم حتّى يردوا على رسول الله ﷺ حوضه»[3].

والأحاديث بهذا المعنى كثيرة[4].

نتيجة الأبحاث في المقدّمة الثالثة:

الذي نستخلصه من أبحاث المقدّمة الثالثة هو: أنّ المشهور عند أهل السنّة، والمتّفق عليه عند الشيعة هو أنّ المهدي من ولد فاطمة الزهراء ﷺ.

وممّا يؤيّد أنّ المشهور عند السنّة هو ذلك:

---

(١) وردت الرواية بالتسوية عن الإمام العسكري ﷺ أيضاً، حيث جاء فيها: «...وأوّلنا وآخرنا في العلم سواء، ولرسول الله ﷺ وأمير المؤمنين ﷺ فضلهما». البحار ٥٠: ٢٥٥ ـ ٢٥٦، تاريخ الإمام العسكري ﷺ، باب معجزاته، الحديث ١١، وقد تكلّمنا عن الموضوع إجمالاً في الصفحة ٨٥، وانظر الصفحة ٤٥٥ ـ ٤٥٦.

(٢) كمال الدين: ٢٦٩، الباب ٢٤، الحديث ١٢.

(٣) كمال الدين: ٢٤٠ ـ ٢٤١، الباب ٢٢، الحديث ٦٤.

(٤) انظر المصدر المتقدّم: ٣١٥، الباب ٢٩، الحديث ٢، والباب ٣٠، الأحاديث ١ ـ ٥، وانظر سائر الأبواب التي وردت أحاديثها عن سائر الأئمّة ﷺ في هذا الموضوع.

١ ـ كلام ابن أبي الحديد عند شرح ما روي من خطبة الإمام عليّ عليه السلام التي جاء فيها: «... وبنا فُتح، لا بكم. وبنا يختم، لا بكم» حيث قال بالنسبة إلى المقطع الأخير: «إشارة إلى المهدي الذي يظهر في آخر الزمان. وأكثر المحدّثين على أنّه من ولد فاطمة عليها السلام، وأصحابنا المعتزلة لا ينكرونه، وقد صرّحوا بذكره في كتبهم، واعترف به شيوخهم إلّا أنّه عندنا لم يخلق بعد، وسيخلق. وإلى هذا يذهب أصحاب الحديث أيضاً»[١].

ثمّ ذكر رواية عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه من ولد الحسين عليه السلام، وقد تقدّمت[٢].

٢ ـ قال السيوطي بعد أن نقل عن ابن ماجه رواية: «...ولا مهديّ إلّا عيسى بن مريم»: «قال القرطبي في التذكرة: إسناده ضعيف، والأحاديث عن النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم في التنصيص على خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة ثابتة أصحُّ من هذا الحديث، فالحكم بها دونه»[٣].

وإنّك تجد هذا التعبير في كلمات كثير من الباحثين.

وإذا ثبت أنّه من ولد فاطمة عليها السلام، فيدور الأمر بين كونه من ولد الحسن عليه السلام أو الحسين عليه السلام، ولكنّ الترجيح مع الثاني، بل هو المتعيّن، وذلك:

أوّلاً ـ لأنّ الرواية التي تقول: إنّه من ولد الحسن عليه السلام رواها أبو داود في سننه، فقال: «وحُدِّثت عن هارون بن المغيرة قال: أخبرنا عمرو بن أبي قيس، عن شعيب بن خالد، عن أبي إسحاق، قال: قال عليّ عليه السلام ـ ونظر إلى ابنه الحسن ـ فقال: إنّ ابني هذا سيّد كما سمّاه النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، وسيخرج من صلبه رجل يسمّى باسم نبيّكم صلّى الله عليه [وآله] وسلّم...»[٤].

---

(١) شرح النهج ١: ٢٨١.

(٢) تقدّمت في الصفحة ٤٧٢.

(٣) الحاوي للفتاوي ٢: ١٦٥، رسالة «العرف الوردي في أخبار المهدي».

(٤) سنن أبي داود ٤: ٩٠، كتاب المهدي، الحديث ٤٢٩٠.

وعلّق الحافظ المنذري على الرواية بعد نقلها بقوله : « هذا منقطع ، أبو إسحاق السبيعي رأى عليّاً عليه السلام رؤية »[١] ثمّ قال : « وقال فيه أبو داود : حُدِّثت عن هارون بن المغيرة »[٢].

إذن فهو يذكر إشكالين :

١ ـ عدم رواية أبي إسحاق ـ وهو عمرو بن عبد الله السبيعي ـ عن الإمام عليّ عليه السلام مباشرة ، فروايته هذه تكون منقطعة من هذه الجهة .

٢ ـ إنّ أبا داود لم ينقل الرواية عن هارون بن المغيرة مباشرة ، بل حدّثه بها شخص آخر مجهول ، فهي منقطعة أيضاً من هذه الجهة .

ثانياً ـ إنّ احتمال التصحيف في نقل الرواية وضبطها قويٌّ جدّاً ، فإنّ كتابة الحسن والحسين متشابهة ، بل وسماع لفظهما متقاربٌ أيضاً .

ثالثاً ـ هناك بعض المحاولات لعدم ذكر الرواية التي تقول : إنّ المهدي من ولد الحسين عليه السلام ، وتقديم التي تقول بأنّه من ولد الحسن عليه السلام [٣].

---

(١) ولد أبو إسحاق لثلاث سنين بقين من خلافة عثمان ، وكان يقول : « رفعني أبي حتّى رأيت عليّ بن أبي طالب عليه السلام يخطب وهو أبيض الرأس واللحية » . وفيات الأعيان ٣ : ٤٥٩ ، الترجمة ٥٠٢ .

أقول : ومن هذه حاله فكيف يروي عن عليّ عليه السلام الرواية المذكورة ؟!

(٢) مختصر سنن أبي داود (للحافظ المنذري) ٦ : ١٦٢ ، الحديث ٤١٢١ .

وانظر الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة (لمحمّد صدّيق حسن) : ١٣٧ ـ ١٣٨ .

(٣) قال ابن القيّم الجوزية بعد هذه المحاولة : « وفي كونه من ولد الحسن سرٌّ لطيف ، وهو أنّ الحسن رضي الله تعالى عنه ترك الخلافة لله ، فجعل الله من ولده من يقوم بالخلافة الحقّ ، المتضمّن للعدل الذي يملأ الأرض ، وهذه سنّة الله في عباده أنّه من ترك لأجله شيئاً أعطاه الله أو أعطى ذرّيّته أفضل منه ، وهذا بخلاف الحسين عليه السلام ، فإنّه حرص عليها ، وقاتل ←

رابعاً ـ وعلى فرض صحّة الرواية القائلة بأنّه من ولد الحسن عليه السلام، فهي لا تنافي الروايات المصرّحة بكونه من ولد الحسين عليه السلام؛ لأنّ الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام قد تزوّج ببنت عمّه أمّ عبد الله فاطمة بنت الحسن عليه السلام، فولدت له الإمام الباقر عليه السلام[1]، فكلّ من كان من ذرّيّته يكون من صلب الحسن والحسين عليهما السلام، وعلى هذا يحمل ما ورد: «إنّ منهما مهدي هذه الأمّة»، كما تقدّم[2].

خامساً ـ ويدلّ على أنّ المهدي من ولد الحسين عليه السلام تصريحات الأئمّة بذلك،

← عليها، فلم يظفر بها، والله أعلم». المنار المنيف في الصحيح والضعيف: ١٥١.

أقول: خفي على ابن الجوزية وأمثاله: أنّ الحسن والحسين عليهما السلام إمامان، قاما أو قعدا، فكلٌّ منهما كان يعمل طبقاً لوظيفته الشرعية، ولولا خوف الإطالة لذكرنا تصريحاتهما وتصريحات سائر الأئمّة عليهم السلام بذلك.

إذن لم تكن تضحيات السبط الشهيد عليه السلام حرصاً على الخلافة كما توهّمه هذا الشخص الذي لم يراعِ حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله في سبطه وفلذة كبده، فأساء الأدب، بل الأمر كان على العكس من ذلك تماماً، فإنّه لمّا بذل عليه السلام مهجته وضحّى بكلّ غالٍ ونفيس في سبيل الله وإعلاء كلمته والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا حرصاً على الخلافة، أبدله الله تعالى بأمورٍ، منها أنّه جعل الإمامة في ذرّيّته، وقد ورد التصريح بذلك عن الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام الذين هم أدرى بما في البيت من ابن القيّم وأمثاله.

انظر البحار ٤٤: ٢٢١، تاريخ الحسين عليه السلام، باب ما عوّضه الله بشهادته.

وأكثر هذه المحاولات جاءت لإخفاء نور الإمامة، والله يأبى إلّا أن يتمّ نوره.

ويؤيّد ما ذكرناه قول سعيد بن المسيّب لقتادة حينما سأله عن المهدي فأجابه إلى أن قال: «من أولاد فاطمة» فقال قتادة: «من أيّ ولد فاطمة؟» قال ابن المسيّب: «حسبك الآن».

فإنّ الظروف آنذاك لم تسمح لابن المسيّب أن يصرّح بالواقع؛ لأنّه كان تأييداً لإمامة الأئمّة من ولد الحسين عليه السلام.

(١) انظر أصول الكافي ١: ٤٦٩، كتاب الحجّة، مولد أبي جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام.

(٢) تقدّم في الصفحة ٤٧٠.

فقد جمعها العلماء في كتبهم المعنيّة[١]، ولا يسعنا ذكرها فعلاً، وسوف نذكر خصوص ما ورد عن أمير المؤمنين ﷺ في ذلك[٢].

الاستنتاج:

الذي نستنتجه من جميع ما تقدّم هو:

أنّ الإمام الذي يجب الاعتقاد والالتزام به في هذا الزمان هو الإمام الحجّة بن الحسن العسكري عجّل اللّه تعالى فرجه، وهو المهدي الموعودة به الأمم.

وبهذه الطريقة يمكن الالتزام بروايات «من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهليّة»، وروايات «اثني عشر خليفة» أو «اثني عشر إماماً»، وروايات «المهدي من ولد فاطمة ﷺ» و «من ولد الحسن والحسين ﷺ» و «من ولد الحسين ﷺ».

وبغير ذلك لا يمكن الاحتفاظ بهذه الروايات كلّها؛ وذلك لأنّ الذي لا يعتقد بإمامة الحجّة بن الحسن ﷺ إمّا أن يعتقد بإمامة شخص آخر فعلاً أو لا.

فعلى الثاني ـ وهو عدم اعتقاده بإمامة شخص آخر ـ يشمله حديث «من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية»، فتكون ميتته ميتة جاهلية.

وعلى الأوّل ـ وهو أن يعتقد بإمامة شخص آخر ـ إمّا أن يكون ذلك الإمام واحداً من مجموع الاثني عشر أم لا.

فعلى الثاني يكون قد خالف روايات «اثني عشر خليفة» و«اثني عشر إماماً»، فإنّ المهدي من جملة الاثني عشر قطعاً[٣].

وعلى الأوّل، يأتي دور السؤال عن أنّ هؤلاء الاثني عشر من هم ؟

---

(١) راجع كمال الدين: ٣١٨ ـ ٣٨٥، الباب ٣١.

(٢) انظر الصفحة ٤٧٩ وما بعدها.

(٣) سيأتي بيانه في الصفحة القادمة.

فإن كان المراد بهم الأئمّة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام فهو المطلوب.

وإن كان المراد غيرهم، فنسأل: من هم الاثنا عشر الذين لا يخلو الزمان من أحدهم؟

ولم يجد هذا السؤال جواباً مقنعاً. وأقوى ما قيل فيه: إنّ المراد من الخلفاء الاثني عشر هم الخلفاء الذين اجتمعت الأمّة على خلافتهم مثل الخلفاء الأربعة ومعاوية ويزيد و...

والجواب:

أوّلاً ـ متى حصل الإجماع والاجتماع على خلافة هؤلاء؟[1]

ثانياً ـ إنّ هؤلاء انقرضوا، فتبقى رواية اثني عشر خليفة بدون مصداق في زماننا هذا، مع أنّ كلمة «لا يزال» أو «لا ينقضي» وما شابههما تدلّان على استمرار إمامة

---

(١) قال السيوطي في آخر رسالة «العرف الوردي في أخبار المهدي»: «تنبيهات: الأوّل ـ عقد أبو داود في سننه باباً في المهدي، وأورد في صدره حديث جابر بن سمرة عن رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: "لا يزال هذا الدين قائماً حتّى يكون اثنا عشر خليفة كلّهم تجتمع عليه الأمّة" وفي رواية "لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة كلّهم من قريش"، فأشار بذلك إلى ما قاله العلماء: إنّ المهدي أحد الاثني عشر، فإنّه لم يقع إلى الآن وجود اثني عشر اجتمعت الأمّة على كلّ منهم». الحاوي للفتاوي ٢: ١٦٥، رسالة «العرف الوردي في أخبار المهدي».

أقول: إنّ ما نقله من العلماء: من أنّ المهدي هو أحد الاثني عشر متين جدّاً، ويؤيّد عقيدة الإماميّة في هذا الموضوع.

وأمّا مسألة أنّ الأئمّة الاثني عشر كلّهم تجتمع عليهم الأمّة، فهذا أمرٌ تفرّد به أبو داود في رواية سمرة، وإلّا فالمشهور نقلوه خالياً من ذلك، بل يوافق اللفظ الثاني الذي ذكره للرواية. انظر المقدّمة الثانية.

ولعلّ هذه الإضافة ألحقت لصرف الرواية عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام، والله العالم، وكم رأينا لذلك من نظير حتّى في عصرنا الحاضر.

الاثني عشر ما دام الدين قائماً، وهو يتحقّق بإمامة المهدي عليه السلام.

إذن لا مناص من الالتزام بأنّ المهدي الذي وعدت به الأمم هو الحجّة بن الحسن العسكري عليه السلام.

أدلّة وشواهد أخرى على ما تدّعيه الإماميّة:

هناك أدلّة وشواهد عديدة أخرى تؤكّد ما تقوله الإماميّة في الإمام المهدي عليه السلام، نشير إلى بعضها إجمالاً:

أوّلاً ـ دلالة كلمات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على ذلك:

للإمام أمير المؤمنين عليه السلام كلمات تدلّ على عقيدة الإماميّة في الإمام المهدي، وإن حاول بعضهم تفسيرها على ما يوافق عقيدة غيرهم فيه، وفيما يلي نشير إلى بعضها إجمالاً:

١ ـ قوله عليه السلام: «فانظروا أهل بيت نبيّكم، فإن لَبدوا فالبدوا، وإن استنصروكم فانصروهم، فليفرّجنّ الله الفتنة برجل منّا أهل البيت، بأبي ابن خيرة الإماء؛ لا يعطيهم إلّا السيف، هرجاً هرجاً...»[١].

قال ابن أبي الحديد: «فإن قيل: من هذا الرجل الموعود به، الذي قال عليه السلام عنه: "بأبي ابن خيرة الإماء"؟

قيل: أمّا الإماميّة فيزعمون أنّه إمامهم الثاني عشر، وأنّه ابن أمة اسمها نرجس، وأمّا أصحابنا فيزعمون أنّه فاطمي يولد في مستقبل الزمان، لأمّ ولد، وليس بموجود الآن»[٢].

---

(١) شرح النهج ٧: ٥٨ ـ ٥٩.

(٢) ذكر ابن أبي الحديد هذا المقطع وغيره في آخر خطبة مشهورة خطبها الإمام عليه السلام بعد وقعة النهروان وقال: إنّها منها، ولم يذكرها الشريف الرضي.

ومن المعلوم أنّ ما ذكره من عدم ولادته صِرف ادّعاء لا برهان له عليه.

٢ ـ قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[1]:

«وقد صحّت الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: "والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها[2] عطف الضروس[3] على ولدها" وتلا عقيب ذلك: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ...﴾»[4].

وورد هذا التعبير في نهج البلاغة أيضاً[5] وقال ابن أبي الحديد معلّقاً عليه: «والإماميّة تزعم أنّ ذلك وعدٌ منه بالإمام الغائب الذي يملك الأرض في آخر الزمان، وأصحابنا يقولون: إنّه وعد بإمام يملك الأرض ويستولي على الممالك، ولا يلزم من ذلك أنّه لا بدّ أن يكون موجوداً، وإن كان غائباً إلى أن يظهر...»[6].

أقول: وهو يؤوّل كلّ ما ورد من هذا القبيل عنه عليه السلام.

٣ ـ قوله عليه السلام في كلام لكميل بن زياد: «اللهمّ بلى، لا تخلو الأرض من قائم للّه بحُجّة، إمّا ظاهراً مشهوراً، وإمّا خائفاً مغموراً؛ لئلا تبطل حجج اللّه وبيّناته...»[7].

وظهور هذا الكلام في عقيدة الإماميّة ممّا لا إشكال فيه؛ لأنّه عليه السلام قسّم الإمام إلى ظاهر مشهور، وخائف مغمور، وهو الغائب.

---

(١) القصص: ٥.

(٢) الشماس مصدر شمس الفرس شماساً، أي منع ظهره من أن يُركب عليه. القاموس المحيط: «شمس».

(٣) الضروس: الناقة السيّئة الخلق، تعضّ حالبها. القاموس المحيط: «ضرس».

(٤) مجمع البيان (٧ ـ ٨): ٢٣٩.

(٥) انظر نهج البلاغة: ٥٠٦، الحكمة ٢٠٩.

(٦) شرح النهج ١٩: ٢٩.

(٧) نهج البلاغة: ٤٩٧، الحكمة ١٤٧.

ولكن مع ذلك قال ابن أبي الحديد شارحاً العبارة المتقدّمة : « اللهمّ بلى ، لا تخلو الأرض من قائم بحجّة اللّه تعالى ؛ كيلا يخلو الزمان ممّن هو مهيمن للّه تعالى على عباده ، ومسيطر عليهم ، وهذا يكاد يكون تصريحاً بمذهب الإماميّة ، إلّا أنّ أصحابنا يحملونه على أنّ المراد به الأبدال الذين وردت الأخبار النبوية عنهم أنّهم في الأرض سائحون ، فمنهم من يعرف ، ومنهم من لا يعرف ، وأنّهم لا يموتون حتّى يودعوا السرّ ـ وهو العرفان ـ عند قوم آخرين يقومون مقامهم »[1].

وبهذا النحو تملّص من هذا النصّ الذي صرّح بوضوح بمذهب الإماميّة أيضاً ، وأوّله بما لا يرضى به صاحبه !

٤ ـ قوله عليه السلام : « فإذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذَنَبه ، فيجتمعون إليه كما يجتمع قزع الخريف »[2].

اليعسوب : أمير النحل وذكرها ، والرئيس الكبير[3].

فيعسوب الدين : الرئيس الكبير ، من منظار الدين والمتديّنين .

والقزع : قطع من السحاب[4].

قال ابن أبي الحديد : « ...وهذا الخبر من أخبار الملاحم التي كان يخبر بها عليه السلام ، وهو يذكر فيه المهدي الذي يوجد عند أصحابنا في آخر الزمان ، ومعنى قوله : "ضرب بذَنَبه" : أقام وثبت بعد اضطراب ؛ وذلك لأنّ اليعسوب فحل النحل وسيّدها ، وهو أكثر زمانه طائر بجناحيه ، فإذا ضرب بذنبه الأرض فقد أقام وترك الطيران والحركة .

---

(١) شرح النهج ١٨ : ٣٥١.

(٢) نهج البلاغة : ٥١٧ ، فصل في غريب كلامه ، رقم ١.

(٣) القاموس المحيط : « عسب ».

(٤) المصدر المتقدّم : « قزع ».

فإن قلت : فهذا يشبه مذهب الإماميّة في أنّ المهدي خائف مستتر ينتقل في الأرض ، وأنّه يظهر آخر الزمان ويثبت ويقيم في دار ملكه .

قلت : لا يبعد على مذهبنا أن يكون الإمام المهدي الذي يظهر في آخر الزمان مضطرب الأمر. منتشر الملك في أوّل أمره لمصلحة يعلمها اللّه تعالى ، ثمّ بعد ذلك يثبت ملكه وتنتظم أموره »[١].

وهكذا تخلّص من هذا النصّ أيضاً ، لكنّه صار مصداقاً لقوله تعالى : ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾[٢].

وهناك موارد أُخرى من كلامه عليه السلام يشير فيها إلى المهدي عليه السلام ويستفاد منها حياته وغيبته إلى أن يظهره اللّه تعالى ، لكنّا أعرضنا عن ذكرها مخافة الإطالة[٣].

ثانياً ـ الحوادث التي اقترنت بإمامة الإمام الحسن العسكري عليه السلام :

الحوادث التي عاصرت إمامة الإمام العسكري عليه السلام تشهد بصحّة دعوى الإماميّة ؛ وذلك للمراقبة الشديدة التي فرضتها السلطة على الإمام عليه السلام وبيته مخافة أن يكون له ولد ؛ ولهذا لم يكن له ولد غير الإمام المنتظر عليه السلام ، وكانت ولادته ـ كما تحدّثنا الأخبار[٤] ـ في غاية الخفاء والسريّة ، ولم يشاهد هذا المولود العظيم إلّا بعض الخواصّ من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام[٥].

وكان سبب هذه المراقبة هو علم ملوك بني العبّاس عن طريق ما وصل إليهم من

---

(١) شرح النهج ١٩: ١٠٤ ـ ١٠٥.

(٢) النحل: ٨٣.

(٣) انظر شرح النهج ١: ٢٧٦ و ٢٨١ ـ ٢٨٢، و ٧: ٩٤، و ١٠: ٩٥ ـ ٩٦، و ١٩: ١٣٠، وغيرها.

(٤) انظر: كتاب الغيبة (للشيخ الطوسي): ٧٣ ـ ٧٦، وكمال الدين: ٤٢٤ ـ ٤٣٤، الباب ٤٢.

(٥) أُصول الكافي ١: ٥٠٥.

الأحاديث التي أخبرت بأنّه سوف يولد المهدي عليه السلام من صلب الإمام العسكري عليه السلام وهم يعلمون بعدم كذبها.

وبهذا يمكن توجيه ما رواه أحمد بن عبيد الله بن خاقان ـ كما تقدّم عند بيان كيفيّة وفاة الإمام العسكري عليه السلام ـ حيث جاء فيه: «وبعث السلطان إلى داره من فتّشها وفتّش حجرها وختم على جميع ما فيها، وطلبوا أثر ولده، وجاءوا بنساء يعرفن الحمل، فدخلن إلى جواريه ينظرن إليهنّ، فذكر بعضهنّ أنّ هناك جارية بها حمل، فجعلت في حجرة ووكّل بها نحرير الخادم وأصحابه ونسوة معهم...»[1].

فإنّه لا وجه لما عملوه سوى ما ذكرناه: من علمهم بولادة المهدي من الإمام العسكري عليه السلام، وإلّا فمجرّد ولادة شخص آخر غيره وإن كان إماماً كسائر الأئمّة عليهم السلام لا يحرّضهم على ذلك، كما لم يقع نظيره بالنسبة إلى سائر الأئمّة، فإنّ معارضة الملوك والخلفاء لهم إنّما كانت بعد وصولهم إلى مرحلة الإمامة، لا من قبل ولادتهم!

ثالثاً ـ اعتراف جماعة من علماء السنّة بولادته:

ذكرت جملة من المصادر المعنيّة بالكلام عن الإمام المهدي عليه السلام[2] أسماء شخصيّات علميّة سنّية أقرّت بولادة الإمام عليه السلام وأنّه ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ونحن نكتفي بذكر بعضهم تجنّباً للإطالة، منهم:

١ ـ كمال الدين محمّد بن طلحة[3] في كتاب مطالب السؤول في مناقب

---

(١) انظر الصفحة ٤٤٨.

(٢) انظر المهدي الموعود ١: ١٨٢ ـ ٢٢٦، الباب السادس عشر.

(٣) هو كمال الدين محمّد بن طلحة بن محمّد بن الحسن القرشي العدوي النصيبي الشافعي، من أعلام المحدّثين، مشارك في الفقه والأصول والأدب، توفّي سنة ٦٢٥هـ. انظر الإمام المهدي عند أهل السنّة ١: ١٢١، الطبعة القديمة.

آل الرسول، حيث قال: «الباب الثاني عشر في أبي القاسم محمّد الحسن ...».

ثمّ ذكر أبياتاً وعبارات في وصفه عليه السلام، ثمّ قال: «فأمّا مولده فبسرّ من رأى في ثالث وعشرين[(١)] سنة ثمانٍ وخمسين ومئتين للهجرة[(٢)].

وأمّا نسبه أباً وأمّاً، فأبوه محمّد[(٣)] الحسن الخالص [بن] عليّ المتوكّل بن محمّد القانع بن عليّ الرضا بن موسى الكاظم، بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين الزكيّ بن عليّ المرتضى أمير المؤمنين ...

وأمّه أمّ ولد تسمّى صقيل، وقيل: حكيمة، وقيل: غير ذلك[(٤)]»[(٥)].

ثمّ حاول أن يدفع الشبهات التي ذكروها في طول عمره ونحو ذلك.

٢ ـ سبط ابن الجوزي[(٦)] في كتابه تذكرة الخواص، فإنّه قال: «فصل في ذكر الحجّة المهدي» ثمّ قال:

«هو محمّد بن الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى الرضا بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وكنيته أبو عبد اللّه وأبو القاسم، وهو الخلف الحجّة صاحب الزمان، القائم والمنتظر، والتالي،

---

(١) كذا في المصدر، والظاهر سقوط كلمة شعبان من العبارة.

(٢) تقدّم أنّ ولادته كانت في النصف من شعبان سنة ٢٥٥هـ على الأصحّ.

(٣) كذا في المصدر، والظاهر زيادته.

(٤) انظر كمال الدين: ٤٣٤ ـ ٤٧٩، الباب ٤٣.

(٥) مطالب السّؤول: ٨٨، الباب الثاني عشر، والإمام المهدي عند أهل السنّة ١: ١٢٤، الطبعة القديمة، و ١٠١ من الطبعة الحديثة.

(٦) هو يوسف بن قزاوغلي بن عبد اللّه البغدادي الدمشقي أبو المظفّر شمس الدين الحنفي، من حفّاظ الحديث، مشارك في الفقه والتفسير والتاريخ، وكان من الوعّاظ المشهورين، توفّي سنة ٦٥٤هـ. انظر الإمام المهدي عند أهل السنّة ١: ١٣٥، الطبعة القديمة، و ١١٣ من الطبعة الحديثة.

وهو آخر الأئمّة...»[1].

ثمّ أخذ يدفع شبهات طول العمر ونحوه.

٣ ـ ابن الصبّاغ المالكي[2] في الفصول المهمّة، حيث قال: «ولد أبو القاسم محمّد بن الحجّة بن الحسن الخالص بسرّ من رأى ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومئتين للهجرة.

وأمّا نسبه أباً وأمّاً، فهو أبو القاسم محمّد الحجّة بن الحسن الخالص بن عليّ الهادي بن محمّد الجواد بن عليّ الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين.

وأمّا أمّه، فأمّ ولد يقال لها: نرجس، خير أمة، وقيل: اسمها غير ذلك.

وأمّا كنيته، فأبو القاسم، وأمّا لقبه، فالحجّة والمهدي والخلف الصالح والقائم المنتظر وصاحب الزمان، وأشهرها المهدي...»[3].

ثمّ أخذ ـ بعد ذكر أوصافه عليه السلام ـ بسرد روايات المهدي عن طرق السنّة.

وهناك قائمة تذكر أشخاصاً كثيرين ممّن اعترفوا بولادة المهدي المنتظر عليه السلام وأنّ أباه الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام، لكنّا نعتذر من ذكرهم مخافة الإطالة،

---

(١) تذكرة الخواص: ٣٦٣ ـ ٣٦٤.

(٢) هو نور الدين عليّ بن محمّد بن أحمد بن عبد الله الصفاقسي، وأصله من مدينة غزّة. ولد في ذي الحجّة سنة ٧٨٤هـ بمكّة، واشتهر بابن الصبّاغ المالكي المكّي؛ لأنّه كان من أعيان المذهب المالكي في عصره. توفّي سنة ٨٨٥هـ.

انظر: مقدّمة الفصول المهمّة: ٥ و ٦ و ١٦. وموسوعة الإمام المهدي عند أهل السنّة ١: ٣٣٣، الطبعة القديمة و ٣٠٣ من الطبعة الحديثة.

(٣) الفصول المهمّة في معرفة أحوال الأئمّة عليهم السلام: ٢٨٢ ـ ٢٨٣.

وممّن ذكروه: عبد الوهاب الشعراني[١]، ونقل ذلك عن الشيخ حسن العراقي، وشيخه عليّ الخوّاص، ثمّ نقل عبارة محيي الدين بن العربي من كتاب الفتوحات المكّية.

غيبة الإمام المهدي عليه السلام

قلنا: إنّ الإمام المهدي عليه السلام ولد سنة ٢٥٥هـ. وكان عمره عند وفاة والده خمس سنوات[٢]، وحضر الصلاة على جنازة والده العسكري عليه السلام، وأخذ بيد عمّه جعفر وجرّه حينما أراد الصلاة وقال له: «تأخّر يا عمّ فأنا أحقّ بالصلاة على أبي»، فتأخّر جعفر وقد اربدّ وجهه، وتقدّم الإمام المهدي عليه السلام فصلّى على أبيه[٣].

وعند ذلك دخل جعفر بن عليّ ـ كما ذكرت المصادر ـ على المعتمد وكشف له ذلك، فوجّه المعتمد خَدَمه فقبضوا على صقيل الجارية، وطالبوها بالصبي فأنكرته وادّعت حملاً بها لتغطّي على حال الصبي، فسُلّمت إلى ابن أبي الشوارب القاضي، ولكن بَغَتَهم موت عبيد اللّه بن خاقان فجأة، وخروج صاحب الزنج بالبصرة، فشغلوا بذلك عن الجارية فخرجت من أيديهم[٤].

فمن هذا التاريخ ـ أي بعد الفراغ من صلاة الإمام المهدي عليه السلام على جنازة أبيه ـ بدأت غيبة الإمام عليه السلام.

وكانت هناك تمهيدات لهذه الغيبة، منها:

---

(١) انظر: اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر ٢: ٤١٠ ـ ٤١١، البحث الخامس والستّون، والإمام المهدي عند أهل السنّة ١: ٤١٠ ـ ٤١١، الطبعة القديمة، و٣٤٩ ـ ٣٥٠ من الطبعة الحديثة.

(٢) انظر الصفحة ٤٦٠.

(٣) و(٤) انظر كمال الدين: ٤٧٥ ـ ٤٧٦، الباب ٤٣، الحديث ٢٥.

أوّلاً ـ إخبار الأئمّة عليهم السلام بهذه الغيبة قبل أكثر من مئتي عام تقريباً، وقد جمعها الصدوق في كتابه كمال الدين، فمن ذلك :

١ ـ ما رواه بإسناده إلى أصبغ بن نباتة، قال : «أتيت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فوجدته متفكّراً ينكت في الأرض. فقلت : يا أمير المؤمنين، ما لي أراك متفكّراً تنكت في الأرض، أرغبت فيها ؟ فقال : لا والله، ما رغبت فيها، ولا في الدنيا يوماً قطّ، ولكن فكّرت في مولود يكون من ظهري الحادي عشر من ولدي، هو المهدي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، تكون له حيرة وغيبة، يضلّ فيها أقوام ويهتدي فيها آخرون...».

ثمّ قال أصبغ : «قلت : وما يكون بعد ذلك ؟ قال : ثمّ يفعل الله ما يشاء، فإن له إرادات وغايات ونهايات»[١].

٢ ـ وروى بإسناده إلى أصبغ عن أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً أنّه ذكر القائم عليه السلام فقال : «أما ليغيبنّ حتّى يقول الجاهل : ما لله في آل محمّد حاجة»[٢].

٣ ـ وروى بإسناده عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال : «إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة، فليتّق الله عبد وليتمسّك بدينه»[٣].

٤ ـ وروى عنه عليه السلام أيضاً أنّه قال : «طوبى لمن تمسّك بأمرنا في غيبة قائمنا فلم يزغ قلبه بعد الهداية...»[٤].

٥ ـ وروى بإسناده عن عبد العظيم الحسني، قال : «قلت لمحمّد بن عليّ بن موسى عليهم السلام : إنّي لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله الذي يملأ الأرض

---

(١) كمال الدين : ٢٨٨ ـ ٢٨٩، الباب ٢٦، الحديث الأوّل.

(٢) كمال الدين : ٣٠٢، الباب ٢٦، الحديث ٩.

(٣) كمال الدين : ٣٤٦ ـ ٣٤٧، الباب ٣٣، الحديث ٣٤.

(٤) كمال الدين : ٣٥٨، الباب ٣٣، الحديث ٥٥.

قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ، فقال عليه السلام : يا أبا القاسم ، ما منّا إلّا وهو قائم بأمر الله عزّ وجلّ ، وهادٍ إلى دين الله ، ولكنّ القائم الذي يطهّر الله عزّ وجلّ به الأرض من أهل الكفر والجحود ويملأها عدلاً وقسطاً هو الذي تخفى على الناس ولادته ، ويغيب عنهم شخصه ... »[١].

والروايات بهذا المضمون من سائر الأئمّة مستفيضة ، بل متواترة .

ثانياً ـ وكان من التمهيدات للغيبة هو : أنّ الإمام الحسن العسكري عليه السلام كان يقلّل من لقائه المباشر مع الشيعة ، وكانت تتردّد الأسئلة والأجوبة عن طريق المكاتبات والوكلاء ، بل يظهر من بعض النصوص أنّه عليه السلام كان يقلّل لقاءاته حتّى في زمن أبيه عليه السلام ، فقد روى الكليني والمفيد بإسنادهما عن عبد الله بن محمّد الإصفهاني قال : « قال أبو الحسن عليه السلام : صاحبكم بعدي الذي يصلّي عليّ ، قال : ولم نكن نعرف أبا محمّد قبل ذلك ، قال : فخرج أبو محمّد فصلّى عليه »[٢].

وفي رواية أُخرى ذكرها المفيد عن جماعة من بني هاشم كانوا حضوراً عند أبي الحسن الهادي عليه السلام بعد وفاة ابنه أبي جعفر[٣] جاء فيها : « ... إذ نظر إلى الحسن بن عليّ عليه السلام وقد جاء مشقوق الجيب حتّى قام عن يمينه ونحن لا نعرفه ... » .

ثمّ جاء فيها : « فسألنا عنه ، فقيل لنا : هذا الحسن ابنه ، فقدّرنا له في ذلك الوقت عشرين سنة ونحوها ، فيومئذٍ عرفناه وعلمنا أنّه قد أشار إليه بالإمامة وأقامه مقامه »[٤].

---

(١) كمال الدين : ٣٧٧ ـ ٣٧٨ ، الباب ٣٦ ، الحديث ٢ .

(٢) انظر : الكافي ١ : ٣٢٦ ، كتاب الحجّة ، باب النصّ على أبي محمّد عليه السلام ، الحديث ٣ ، والإرشاد ٢ : ٣١٥ .

(٣) هو محمّد بن عليّ الهادي ، يعرف بالسيّد محمّد ، له مرقد ومزار كبير معروف بين سامراء وبغداد ، يجلّه العامّة والخاصّة .

(٤) الإرشاد ٢ : ٣١٧ ـ ٣١٨ .

ويشهد لما قلنا: أنّ الشيعة كانوا ينتظرون خروجه يوم الاثنين والخميس إلى دار الخلافة ليشاهدوه في الطريق[١].

فاحتجاب الإمام الحسن عليه السلام ومباشرته الأمور عن طريق الوكلاء كان تمهيداً لعصر غيبة ولده الإمام المهدي عليه السلام الصغرى حيث الأمر فيها كذلك، والغيبة الصغرى كانت تمهيداً لغيبته الكبرى.

إذن كانت للإمام عليه السلام غيبتان: صغرى وكبرى.

أوّلاً ـ الغيبة الصغرى:

وهي تبتدئ كما قلنا من بعد الصلاة على أبيه وحتّى سنة ثلاثمئة وتسع وعشرين[٢]. وكان الإمام عليه السلام يتّصل بشيعته عن طريق وكلائه وسفرائه الخاصّين بهذه المهمّة، وكانوا أربعة، هم:

١ ـ أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري رضي الله عنه:

كان أسديّاً، فنسب إلى جدّه فقيل: العمري، هكذا قيل.

ويقال له: السمّان؛ لأنّه كان يتّجر في السمن تغطية على الأمر، وكان الشيعة إذا حملوا إلى أبي محمّد عليه السلام ما يجب عليهم حمله من الأموال أنفذوا إلى أبي عمرو فيجعله في جراب السمن وزقاقه، ويحمله إلى أبي محمّد عليه السلام تقيّة وخوفاً[٣].

كان وكيلاً للإمامين: عليّ والحسن العسكريّين عليهما السلام.

روى الشيخ الطوسي بإسناده عن أحمد بن إسحاق بن سعد القمّي، قال: «دخلت على أبي الحسن عليّ بن محمّد صلوات الله عليه في يوم من الأيام،

---

(١) انظر البحار ٥٠: ٢٥١، تاريخ الإمام العسكري عليه السلام، باب معجزاته ومعالي أموره، الحديث ٦.

(٢) انظر الغيبة (للشيخ الطوسي): ٢٤٢.

(٣) انظر كتاب الغيبة (للشيخ الطوسي): ٢١٥.

فقلت : يا سيّدي ، أنا أغيب وأشهد ولا يتهيّأ لي الوصول إليك إذا شهدت في كلّ وقت ، فقول من نقبل وأمر من نمتثل ؟

فقال لي صلوات الله عليه : هذا أبو عمرو الثقة الأمين ، ما قاله لكم فعنّي يقوله ، وما أدّاه إليكم فعنّي يؤدّيه ، فلمّا مضى أبو الحسن عليه السلام وصلت إلى أبي محمّد ابنه الحسن العسكري عليه السلام ذات يوم ، فقلت له عليه السلام مثل قولي لأبيه ، فقال لي : هذا أبو عمرو الثقة الأمين ، ثقة الماضي ، وثقتي في المحيا والممات ، فما قاله لكم فعنّي يقوله ، وما أدّى إليكم فعنّي يؤدّيه »[1].

وروى الشيخ الطوسي : أنّه لمّا توفّي الإمام الحسن العسكري عليه السلام حضر عثمان بن سعيد رحمه الله غسله وتولّى جميع أمره في تكفينه وتحنيطه ودفنه ، مأموراً بذلك... إلى أن قال :

« وكانت توقيعات صاحب الأمر عليه السلام تخرج على يدي عثمان بن سعيد وابنه أبي جعفر محمّد بن عثمان إلى شيعته وخواصّ أبيه ، أبي محمّد عليه السلام بالأمر والنهي ، والأجوبة عمّا يسأل الشيعة عنه إذا احتاجت إلى السؤال فيه ، بالخطّ الذي كان يخرج في حياة الحسن عليه السلام . فلم تزل الشيعة مقيمة على عدالتهما إلى أن توفّي عثمان بن سعيد ـ رحمه الله ورضي عنه ـ وغسّله ابنه أبو جعفر وتولّى القيام به وحصل الأمر كلّه مردوداً إليه ، والشيعة مجتمعة على عدالته وثقته وأمانته ؛ لما تقدّم له من النصّ عليه بالأمانة والعدالة ، والأمر بالرجوع إليه في حياة الحسن عليه السلام وبعد موته في حياة أبيه عثمان رحمة الله عليه »[2].

وقبره الآن مشيّد معروف ببغداد ، يزار ويتبرّك به[3].

---

(١) كتاب الغيبة (للشيخ الطوسي) : ٢١٥.

(٢) كتاب الغيبة (للشيخ الطوسي) : ٢١٦.

(٣) انظر : تاريخ الغيبة الصغرى : ٤٠١ ، وكتاب الغيبة (للشيخ الطوسي) : ٢١٧.

٢ ـ أبو جعفر محمّد بن عثمان بن سعيد العمري رضي الله عنه :

روى الشيخ الطوسي بإسناده عن عبد اللّه بن جعفر الحميري أنّه قال : « لمّا مضى أبو عمرو رضي الله عنه ، أتتنا الكتب بالخطّ الذي كنّا نكاتب به ، بإقامة أبي جعفر رضي الله عنه مقامه »[1].

وروى عن محمّد بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازي : أنّه خرج إليه بعد وفاة أبي عمرو : « . . . والابن وقاه اللّه لم يزل ثقتنا في حياة الأب ـ رضي اللّه عنه وأرضاه ونضّر وجهه ـ يجري عندنا مجراه ويسدّ مسدّه ، وعن أمرنا يأمر الابن ، وبه يعمل ، تولّاه اللّه ، فانته إلى قوله ، وعرّف معاملتنا ذلك »[2].

وروى عن عليّ بن أحمد القمّي ، قال : « دخلت على أبي جعفر محمّد بن عثمان رضي الله عنه يوماً لأسلّم عليه ، فوجدته وبين يديه ساجة ونقّاش ينقش عليها ويكتب آياً من القرآن وأسماء الأئمّة عليهم السلام على حواشيها ، فقلت له : يا سيّدي ، ما هذه الساجة ؟ فقال لي : هذه لقبري تكون فيه أوضع عليها ـ أو قال أسند إليها ـ وقد عرفت منه ، وأنا في كلّ يوم أنزل فيه فأقرأ جزءاً من القرآن فيه فأصعد ـ وأظنّه قال : فأخذ بيدي وأرانيه ـ فإذا كان يوم كذا وكذا ، من شهر كذا وكذا ، من سنة كذا وكذا ، صرت إلى اللّه عزّ وجلّ ودفنت فيه ، وهذه الساجة معي . فلمّا خرجت من عنده أثبتّ ما ذكره ولم أزل مترقّباً به ذلك ، فما تأخّر الأمر حتّى اعتلّ أبو جعفر فمات في اليوم الذي ذكره من الشهر الذي قاله من السنة التي ذكرها ، ودفن فيه »[3].

وروى أيضاً : أنّه رضي الله عنه مات آخر جمادى الأولى سنة خمس وثلاثمئة ، أو سنة أربع وثلاثمئة ، وأنّه كان يتولّى هذا الأمر نحواً من خمسين سنة[4].

---

(١) و (٢) كتاب الغيبة (للشيخ الطوسي) : ٢٢٠ .

(٣) المصدر المتقدّم : ٢٢٢ .

(٤) انظر المصدر المتقدّم : ٢٢٣ .

ودفن ببغداد ، وقبره الآن مشيّد ، معروف ، يزار ، ويعرف بـ « الخلّاني »[(١)].

٣ ـ أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي رضي الله عنه :

خلّف أبو جعفر محمّد بن عثمان مكانه الحسين بن روح رضي الله عنه ، ونصّ عليه مع أنّه كان من هو أكثر اختصاصاً بأبي جعفر من حسين بن روح ، فقد روى الشيخ الطوسي عن جعفر بن محمّد بن قولويه أنّه قال : « قال مشايخنا : كنّا لا نشكّ أنّه إن كانت كائنة من أبي جعفر لا يقوم مقامه إلّا جعفر بن أحمد بن متيل أو أبوه ، لما رأيناه من الخصوصية به . . .

فلمّا كان عند ذلك ووقع الاختيار على أبي القاسم سلّموا ولم ينكروا ، وكانوا معه وبين يديه كما كانوا مع أبي جعفر رضي الله عنه ولم يزل جعفر بن أحمد بن متيل في جملة أبي القاسم رضي الله عنه وبين يديه كتصرّفه بين يدي أبي جعفر العمري إلى أن مات رضي الله عنه »[(٢)].

وروى الشيخ أيضاً عن جعفر بن أحمد بن متيل قال : « لمّا حضرت أبا جعفر محمّد بن عثمان العمري رضي الله عنه الوفاة كنت جالساً عند رأسه أسأله وأحدّثه وأبو القاسم بن روح عند رجليه ، فالتفت إليّ ، ثمّ قال : أمرت أن أوصي إلى أبي القاسم الحسين بن روح ، فقمت من عند رأسه وأخذت بيد أبي القاسم وأجلسته في مكاني وتحوّلت إلى عند رجليه »[(٣)].

وروى أيضاً عن جماعة : « أنّ أبا جعفر العمري لمّا اشتدّت حاله اجتمع جماعة من وجوه الشيعة ، منهم : . . . من الوجوه والأكابر ، فدخلوا على أبي جعفر رضي الله عنه فقالوا له : إن حدث أمر فمن يكون مكانك ؟

---

(١) انظر : تاريخ الغيبة الصغرى : ٤٠٦ ، وكتاب الغيبة (للشيخ الطوسي) : ٢٢٣ ، الهامش رقم ١ ، وفيه : « يعرف بالشيخ الخلّاني » .

(٢) كتاب الغيبة (للشيخ الطوسي) : ٢٢٥ .

(٣) المصدر المتقدّم : ٢٢٦ .

فقال لهم : هذا أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي القائم مقامي والسفير بينكم وبين صاحب الأمر عليه السلام ، والوكيل والثقة الأمين ، فارجعوا إليه في أموركم ، وعوّلوا عليه في مهمّاتكم ، فبذلك أُمرت ، وقد بلّغت »[1].

وقال الشيخ أيضاً : « وكان أبو القاسم رحمه الله من أعقل الناس عند المخالف والموافق ، ويستعمل التقيّة »[2].

وروى عن أبي عبد الله بن غالب قال : « ما رأيت من هو أعقل من الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح ... »[3].

ثمّ نقل ما يدلّ على مدّعاه وشدّة استعماله التقيّة .

وسُئل أبو سهل النوبختي : « كيف صار هذا الأمر إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح دونك ؟ فقال : هم أعلم وما اختاروه » . ثمّ قال ما مضمونه : أنّه لو قرّض الحسين بن روح بالمقاريض ليدلّ على مكان الحجّة عليه السلام وكان تحت ذيله لما دلّهم عليه ، أما أنا فربّما دللت عليه[4] .

وعلى أي حال ، فقد تولّى السفارة منذ سنة ٣٠٥هـ إلى أن توفّي سنة ٣٢٦هـ[5].

وقبره الآن في بغداد معروف ، يُقصد ويزار[6].

٤ ـ أبو الحسن عليّ بن محمّد السمري رحمه الله :

أوصى الحسين بن روح إلى عليّ بن محمّد السمري .

فكان بدء سفارته من سنة ٣٢٦هـ حتّى سنة ٣٢٩هـ في النصف من شعبان ، فتكون

---

(١) كتاب الغيبة (للشيخ الطوسي) : ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

(٢) و (٣) المصدر المتقدّم : ٢٣٦.

(٤) انظر كتاب الغيبة (للشيخ الطوسي) : ٢٤٠.

(٥) انظر المصدر المتقدّم : ٢٢٣ و ٢٣٨.

(٦) انظر : تاريخ الغيبة الصغرى : ٤١٢ ، وكتاب الغيبة (للشيخ الطوسي) : ٢٣٨.

مدّة سفارته ثلاثة أعوام[١].

ولم يعيّن هو سفيراً من بعده، بل أخرج إلى الناس توقيعاً قبيل وفاته جاء فيه:

« بسم اللّه الرحمن الرحيم، يا عليّ بن محمّد السمري أعظم اللّه أجر إخوانك فيك، فإنّك ميّت ما بينك وبين ستّة أيّام، فاجمع أمرك، ولا توصِ إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامّة، فلا ظهور إلّا بعد إذن اللّه ـ تعالى ذكره ـ وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي لشيعتي من يدّعي المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة[٢] قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذّاب مفترٍ، ولا حول ولا قوّة إلّا باللّه العليّ العظيم ».

قال الراوي لذلك ـ وهو أحمد بن الحسن المكتب ـ: « فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلمّا كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يجود بنفسه، فقيل له: من وصيّك من بعدك؟ فقال: "للّه أمرٌ هو بالغه" وقضى، فهذا آخر كلام سمع منه رضي اللّه عنه وأرضاه »[٣].

وللسمري رحمه الله مزار معروف في بغداد[٤].

وذكروا من جملة مناقبه: أنّه رحمه الله أخبر بوفاة عليّ بن الحسين بن بابويه رحمه الله[٥]، فأثبت الحاضرون تاريخ الإعلان ـ الساعة واليوم والشهر ـ فلمّا كان بعد سبعة عشر أو ثمانية عشر يوماً، ورد الخبر: أنّه قبض في تلك الساعة التي ذكرها الشيخ

---

(١) انظر كتاب الغيبة (للشيخ الطوسي): ٢٤٢.

(٢) لعلّ المقصود من المشاهدة هي المشاهدة التامّة بحيث يعرف كلٌّ من المشاهِد والمشاهَد صاحبه حال المشاهدة.

(٣) كتاب الغيبة (للشيخ الطوسي): ٢٤٢ ـ ٢٤٣.

(٤) انظر تاريخ الغيبة الصغرى: ٤١٦.

(٥) هو والد الصدوق المعروف، صاحب من لا يحضره الفقيه، مرقده في قم، أزوره حينما أُوفّق له.

أبو الحسن السمري[١].

وبوفاة السمري انتهت الغيبة الصغرى وبدأت الكبرى، وكانت مدّة الصغرى تسعاً وستّين سنة إذا حسبنا بداية الغيبة من بعد وفاة أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام وهي سنة مئتين وستّين؛ لأنّها تمتدّ من سنة مئتين وإحدى وستّين إلى سنة ثلاثمئة وتسع وعشرين.

وأمّا إذا حسبناها من ولادته، أي سنة مئتين وخمس وخمسين، فتكون مدّة الغيبة أربعاً وسبعين سنة.

تنبيه (١):

قال الشيخ الطوسي: «كان في زمان السفراء المحمودين[٢] أقوام ثقات ترد عليهم التوقيعات من قِبل المنصوبين للسفارة من الأصل».

ثمّ عدّ منهم: أبا الحسين بن محمّد بن جعفر الأسدي رحمه الله، وأحمد بن إسحاق، وغيرهما[٣].

تنبيه (٢):

وذكر الشيخ الطوسي أيضاً جماعة تحت عنوان «المذمومين» وهؤلاء هم الذين ادّعوا السفارة والوكالة زوراً، وهم: الحسن الشريعي أو السريعي، ومحمّد بن نصير النميري، وأحمد بن هلال الكرخي، ومحمّد بن عليّ بن بلال، والحسين بن منصور الحلاّج، ومحمّد بن عليّ الشلمغاني المعروف بابن أبي العزاقر[٤].

---

(١) انظر كتاب الغيبة (للشيخ الطوسي): ٢٤٣.

(٢) المحمودون مقابل المذمومين الذين ادّعوا السفارة زوراً، كما سيأتي.

(٣) انظر كتاب الغيبة (للشيخ الطوسي): ٢٥٧ ـ ٢٥٨.

(٤) كتاب الغيبة (للشيخ الطوسي): ٢٤٤ ـ ٢٥٤.

ثانياً ـ الغيبة الكبرى:

ابتدأت الغيبة الكبرى من بعد وفاة السفير الرابع عليّ بن محمّد السمري رحمه الله، وهي تمتدّ إلى أن يأذن الله تعالى بظهوره عليه السلام، وهذا ـ كما يستفاد من الروايات ـ لا يعلم بوقته إلّا الله، فهو ممّا استأثر به على سائر خلقه، نعم وردت في الروايات جملة من العلامات تتحقّق قبيل ظهوره ذكرتها الكتب المعنيّة بهذا الأمر[1].

وقد ورد التصريح في جملة من الروايات بهاتين الغيبتين، منها:

١ ـ ما رواه النعماني بإسناده إلى إسحاق بن عمّار، قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: للقائم غيبتان: إحداهما قصيرة، والأخرى طويلة، الأولى لا يعلم بمكانه إلّا خاصّة شيعته، والأخرى لا يعلم بمكانه إلّا خاصّة مواليه في دينه»[2].

٢ ـ وما رواه عن المفضل بن عمر الجعفي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «إنّ لصاحب هذا الأمر غيبتين: إحداهما تطول حتّى يقول بعضهم: مات، وبعضهم يقول: قتل، وبعضهم يقول: ذهب، فلا يبقى على أمره من أصحابه إلّا نفر يسير، لا يطّلع على موضعه أحدٌ من وليٍّ ولا غيره إلّا المولى الذي يلي أمره»[3].

قال النعماني بعد ذكر هذه الرواية: «لو لم يكن يروى في الغيبة إلّا هذا الحديث لكان فيه كفاية لمن تأمّله».

٣ ـ وما رواه بإسناده عن حازم بن حبيب، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال ـ في

---

(١) انظر: كتاب الغيبة (للنعماني): ٢٤٧، الباب ١٤، والبحار ٥٢: ١٨١، باب علامات ظهوره، والبرهان في علامات مهدي آخر الزمان (للمتّقي الهندي): ١٠٢، الباب الرابع، وعِقد الدرر وسائر الصحاح والمسانيد في كتاب الفتن... والروايات الواردة بهذا الصدد بحاجة إلى دراسة دقيقة لتمييز غثّها من سمينها.

(٢) كتاب الغيبة (للنعماني): ١٧٠، الحديث ٢.

(٣) كتاب الغيبة (للنعماني): ١٧١ ـ ١٧٢، الحديث ٥.

حديث ـ: «يا حازم، إنّ لصاحب هذا الأمر غيبتين يظهر في الثانية، فمن جاءك يقول: إنّه نفض يده من تراب قبره، فلا تصدّقه»[(١)].

٤ ـ وما رواه بإسناده عن محمّد بن مسلم الثقفي، عن الباقر عليه السلام أنّه سمعه يقول: «إنّ للقائم غيبتين يقال له في إحداهما: هلك، ولا يدرى في أي وادٍ سلك»[(٢)].

وروى النعماني روايات أخر بهذا المضمون ثمّ قال: «هذه الأحاديث التي يذكر فيها: أنّ للقائم عليه السلام غيبتين، أحاديث قد صحّت عندنا بحمد الله، وأوضح الله قول الأئمّة عليهم السلام، وأظهر برهان صدقهم فيها، فأمّا الغيبة الأولى، فهي الغيبة التي كان السفراء فيها بين الإمام عليه السلام وبين الخلق قياماً منصوبين ظاهرين موجودي الأشخاص والأعيان، يخرج على أيديهم غوامض العلم، وعويص الحكم، والأجوبة عن كلّ ما كان يسأل عنه من المعضلات والمشكلات، وهي الغيبة القصيرة التي انقضت أيّامها وتصرّمت مدّتها.

والغيبة الثانية هي التي ارتفع فيها أشخاص السفراء والوسائط للأمر الذي يريده الله تعالى، والتدبير الذي يمضيه في الخلق...»[(٣)].

أقول: الروايات التي ذكرها النعماني في الغيبتين إنّما صدرت عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، أي قبل وقوع الغيبة الصغرى بأكثر من مئة عام، وربّما كان بعضها قبل مئة وخمسين عاماً، وقد وردت في الأصول الأوّلية التي كانت موجودة قبل وقوع الغيبة.

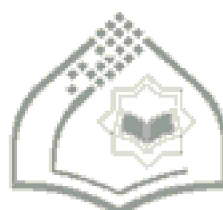
والحمد لله أوّلاً وآخراً، وجعلنا من المنتظرين لأمره والذابّين عنه حال غيبته وظهوره، إنّه مجيب الدعاء.

---

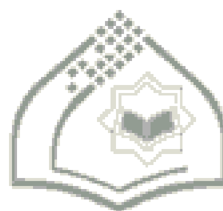
(١) كتاب الغيبة (للنعماني): ١٧٢، الحديث ٦.

(٢) المصدر المتقدّم: ١٧٣، الحديث ٨.

(٣) المصدر المتقدّم: ١٧٣ ـ ١٧٤.

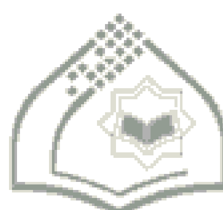

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفهارس



دليل الفهارس[1]

(١) قام بتنظيم الفهارس السيّد هادي العظيمي مشكوراً.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فهرس
الآيات الكريمة

رقم الآية | | الصفحة

سورة فاطر (٣٥)

سورة الزمر (٣٩)

سورة الشورى (٤٢)

سورة الأحقاف (٤٦)

سورة محمد ﷺ (٤٧)

سورة الفتح (٤٨)

سورة الحجرات (٤٩)

سورة النجم (٥٣)

فهرس
الأحاديث والروايات

(ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله)

(ما روي فيه عليه السلام)

(ما روي عن الإمام عليّ عليه السلام)

(ما روي فيه عليه السلام)

(ما روي عن فاطمة الزهراء عليها السلام)

(ما روي فيها ﷺ)

(ما روي عن الإمام الحسن عليه السلام)

(ما روي فيه عليه السلام)

(ما روي عن الإمام الحسين عليه السلام)

(ما روي عن الإمام السجاد عليه السلام)

(ما روي فيه عليه السلام)

(ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام)

(ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام)

(ما روي عن الإمام الكاظم عليه السلام)

(ما روي عن الإمام الرضا عليه السلام)

(ما روي عن الإمام الجواد عليه السلام)

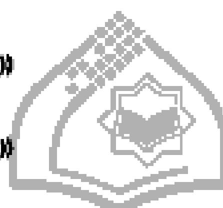
(ما روي عن الإمام الهادي عليه السلام)

(ما روي عن الإمام العسكري عليه السلام)

(ما روي عن الحجة عجّل الله تعالى فرجه الشريف)

(ما روي عن غيرهم)

فهرس الأشعار



فهرس
أسماء الأنبياء والأئمة عليهم السلام

«الأنبياء والأوصياء عليهم السلام»

«أسماء الأئمة عليهم السلام»

فهرس
أسماء الأعلام

فهرس
الجماعات والقبائل

«الجماعات»

«الطوائف»

فهرس
المذاهب والفرق

فهرس
الأماكن والبلدان



فهرس
أسماء الحيوانات

فهرس الكتب

فهرس المصادر

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ نهج البلاغة.

٣ ـ الصحيفة السجّادية.



«الفقه»

٤ ـ الأحكام السلطانية (ط: مركز النشر ـ مكتب الإعلام الإسلامي): أبو يعلى الفرّاء.

٥ ـ الأحكام السلطانية (ط: مركز النشر ـ مكتب الإعلام الإسلامي): الماوردي.

٦ ـ تحرير الأحكام (ط: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام): الحسن بن يوسف الحلي.

٧ ـ تذكرة الفقهاء (ط: مؤسسة آل البيت عليهم السلام): الحسن بن يوسف الحليّ.

٨ ـ التنقيح في شرح العروة الوثقى (ط: دار الهادي): الميرزا علي الغروي، تقريرات أبحاث السيّد أبي القاسم الخوئي.

٩ ـ التنقيح الرائع (ط: مكتبة المرعشي): المقداد بن عبد الله السيوري.

١٠ ـ الجامع للشرائع (ط: مؤسسة سيّد الشهداء): يحيى بن سعيد الحليّ.

١١ ـ جواهر الكلام (ط: مكتبة الآخوندي): محمّد حسن النجفي.

١٢ ـ الخلاف (ط: مؤسسة النشر الإسلامي ـ جماعة المدرّسين): محمّد بن الحسن الطوسي.

١٣ ـ الدروس (ط: مؤسسة النشر الإسلامي ـ جماعة المدرّسين): محمّد بن مكي العاملي.

١٤ ـ الذكرى (ط: مؤسسة آل البيت عليهم السلام): محمّد بن مكي العاملي.

١٥ ـ رسائل السيّد المرتضى (ط: دار القرآن الكريم): علي بن الحسين الموسوي.
١٦ ـ الرياض (ط: مؤسسة آل البيت عليهم السلام ـ الحجرية): السيّد علي الطباطبائي.
١٧ ـ سبل السلام (: ط: شركة مصطفى البابي وشركاه بمصر) ابن حجر العسقلاني.
١٨ ـ السرائر (ط: مؤسسة النشر الإسلامي ـ جماعة المدرّسين): ابن إدريس الحلّي.
١٩ ـ الطهارة (ط: مؤسسة آل البيت عليهم السلام ـ الحجرية): مرتضى بن محمّد أمين الأنصاري.
٢٠ ـ العروة الوثقى (ط: مؤسّسة النشر الإسلامي ـ جماعة المدرّسين): السيّد محمّد كاظم اليزدي.
٢١ ـ غاية المرام (ط: دار الهادي): مفلح بن حسن الصيمري.
٢٢ ـ قواعد الأحكام (ط: مؤسسة النشر الإسلامي ـ جماعة المدرّسين): الحسن بن يوسف الحليّ.
٢٣ ـ كتاب الزكاة (ط: مجمع الفكر الإسلامي ـ مؤتمر الشيخ الأنصاري): مرتضى بن محمّد أمين الأنصاري.
٢٤ ـ مباني تكملة المنهاج (ط: مطبعة الآداب ـ النجف الأشرف): السيّد أبوالقاسم الخوئي.
٢٥ ـ المبسوط (ط: المكتبة المرتضوية): محمّد بن الحسن الطوسي.
٢٦ ـ مدارك الأحكام (ط: مؤسسة آل البيت عليهم السلام): محمّد بن علي العاملي.
٢٧ ـ مسالك الأفهام (ط: مؤسسة المعارف الإسلامية): زين الدين العاملي.
٢٨ ـ مستمسك العروة الوثقى (ط: مطبعة الآداب في النجف): السيّد محسن الحكيم.
٢٩ ـ المعتبر (ط: مجمع الذخائر): جعفر بن الحسن الحليّ.
٣٠ ـ المغني (ط: دار الكتاب العربي): ابن قدامة.
٣١ ـ المقنعة (ط: مؤسسة النشر الإسلامي ـ جماعة المدرّسين): محمّد بن محمّد بن النعمان.
٣٢ ـ المكاسب (ط: مجمع الفكر الإسلامي ـ مؤتمر الشيخ الأنصاري): مرتضى بن محمّد أمين الأنصاري.
٣٣ ـ منتهى المطلب (ط: مجمع البحوث الإسلامية ـ مشهد): الحسن بن يوسف الحليّ.

٣٤ ـ موسوعة الفقه الإسلامي (ط: ذات السلاسل ـ الكويت): وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ الكويت.

٣٥ ـ الموسوعة الفقهيّة الميسّرة (ط: مجمع الفكر الإسلامي): محمّد علي الأنصاري.

٣٦ ـ الموطأ (ط: دار الآفاق): مالك بن أنس.

٣٧ ـ النهاية (ط: دار الكتاب العربي): محمّد بن الحسن الطوسي.

٣٨ ـ الهداية (ط: المكتبة الإسلامية): محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي.

«الأصول»

٣٩ ـ الأصول العامّة للفقه المقارن (ط: دار الأندلس): السيّد محمّد تقي الحكيم.

٤٠ ـ أصول الفقه (ط: دانش إسلامي): محمّد رضا المظفّر.

٤١ ـ محاضرات في أصول الفقه (ط: مكتبة داوري): محمّد إسحاق فيّاض ـ تقرير أبحاث السيّد أبي القاسم الخوئي.

٤٢ ـ المستصفى من علم الأصول (ط: دار صادر): أبو حامد الغزالي.

«الحديث»

٤٣ ـ الاختصاص (ط: مصنّفات الشيخ المفيد): محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد.

٤٤ ـ أضواء على السنّة المحمّديّة (ط: مطبعة دار التأليف ـ مصر): محمود أبو ريّة.

٤٥ ـ بحار الأنوار (ط: دار إحياء التراث العربي ـ مؤسسة الوفاء): محمّد باقر المجلسي.

٤٦ ـ بصائر الدرجات (ط: منشورات مكتبة المرعشي ـ قم): محمّد بن الحسن الصفّار.

٤٧ ـ تحف العقول (ط: مكتبة بصيرتي): الحسن بن علي بن شعبة.

٤٨ ـ التهذيب (ط: دار الكتب الإسلامية): محمّد بن الحسن الطوسي.

٤٩ ـ التوحيد (ط: مؤسّسة النشر الإسلامي ـ جماعة المدرّسين): محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي.

٥٠ ـ الجامع الصغير (ط: دار الفكر ـ بيروت): جلال الدين السيوطي.

٥١ ـ الخصائص (ط: نينوى): أحمد بن شعيب النسائي.
٥٢ ـ الخصال (ط: مكتبة الصدوق): محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي.
٥٣ ـ سفينة البحار (ط: دار الأسوة): عبّاس بن محمّد رضا القمّي.
٥٤ ـ سنن ابن ماجة (ط: دار إحياء التراث): محمّد بن يزيد القزويني.
٥٥ ـ سنن الترمذي (ط: دار إحياء التراث العربي): محمّد بن عيسى بن سورة.
٥٦ ـ سنن الدارقطني (ط: دار الكتب العلميّة ـ بيروت): عليّ بن عمر الدارقطني.
٥٧ ـ سنن الدارمي (ط: دار الكتب العلميّة ـ بيروت): عبدالرحمن الدارمي.
٥٨ ـ السنن الكبرى (ط: دار الفكر): أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي.
٥٩ ـ السنن الكبرى = سنن النسائي (ط: دار الكتب العلميّة ـ بيروت): أحمد بن شعيب النسائي.
٦٠ ـ صحيح البخاري مع حاشية السندي (ط: دار الفكر): محمّد بن إسماعيل البخاري.
٦١ ـ صحيح ابن حبّان (ط:): ابن حبّان.
٦٢ ـ صحيح مسلم (ط: دار الفكر): مسلم بن الحجّاج النيسابوري.
٦٣ ـ علل الشرائع (ط: دار إحياء التراث العربي): محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي.
٦٤ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام (ط: دار إحياء التراث العربي): محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي.
٦٥ ـ كتاب فضائل الصحابة (ط: دار الكتب العلميّة ـ بيروت): أحمد بن حنبل.
٦٦ ـ فيض القدير (ط: دار الكتب العلميّة ـ بيروت): محمّد عبدالرؤوف المناوي.
٦٧ ـ الكافي (ط: دار الكتب الإسلامية): محمّد بن يعقوب الكليني.
٦٨ ـ كتاب الأربعين (ط: مؤسّسة النشر الإسلامي ـ جماعة المدرّسين): بهاءالدين العاملي.
٦٩ ـ كمال الدين (ط: مؤسّسة النشر الإسلامي ـ جماعة المدرّسين): محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي.
٧٠ ـ كنز العمّال (ط: مؤسّسة الرسالة): المتّقي الهندي.

٧١ ـ مجمع الزوائد (ط: دار الكتب العلميّة ـ بيروت): عليّ بن أبي بكر الهيثمي.
٧٢ ـ مرآة العقول (ط: دار الكتب الإسلامية): محمّد باقر المجلسي.
٧٣ ـ مستدرك الحاكم (ط: دار المعرفة): أبو عبدالله الحاكم الحسكاني.
٧٤ ـ مستدرك الوسائل (ط: مؤسسة آل البيت عليهم السلام): الميرزا حسين النوري الطبرسي.
٧٥ ـ مسند أبي يعلى (ط: دار المأمون): أبو يعلى أحمد بن عليّ التميمي.
٧٦ ـ مسند أحمد بن حنبل (ط: دار الكتب العلمية): أحمد بن حنبل.
٧٧ ـ المصنّف (ط:): عبدالرزّاق همّام الحميري.
٧٨ ـ معاني الأخبار (ط: مؤسسة النشر الإسلامي ـ جماعة المدرّسين): محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي.
٧٩ ـ المعجم الكبير (ط:): سليمان بن أحمد الطبراني.
٨٠ ـ المعجم الأوسط (ط: دار الحرمين): سليمان بن أحمد الطبراني.
٨١ ـ المعجم الصغير (ط: دار الكتب العلميّة ـ بيروت): سليمان بن أحمد الطبراني.
٨٢ ـ من لا يحضره الفقيه (ط: مؤسسة النشر الإسلامي ـ جماعة المدرّسين): محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي.
٨٣ ـ وسائل الشيعة (ط: مؤسسة آل البيت عليهم السلام): محمّد بن الحسن الحرّ العاملي.

«علوم القرآن والتفسير وآيات الأحكام»

٨٤ ـ أحكام القرآن (ط: دار الكتب العلميّة ـ بيروت): أحمد بن عليّ الرازي الجصّاص.
٨٥ ـ أسباب النزول (ط: دار ومكتبة الهلال): عليّ بن أحمد الواحدي.
٨٦ ـ التبيان في تفسير القرآن (ط: دار إحياء التراث العربي): محمّد بن الحسن الطوسي.
٨٧ ـ تفسير البيضاوي (ط: دار الكتب العلميّة): عبد الله بن عمر البيضاوي.
٨٨ ـ تفسير الطبري = جامع البيان (ط: دار الفكر ـ بيروت): محمّد بن جرير الطبري.
٨٩ ـ تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن (ط: دار إحياء التراث العربي): محمّد بن أحمد

الأنصاري القرطبي.

٩٠ ـ تفسير القمّي (ط: مؤسسة الأعلمي): علي بن إبراهيم القمي.

٩١ ـ التفسير الكبير (ط: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت): فخر الدين الرازي.

٩٢ ـ تفسير الكشّاف (ط: منشورات دار المعرفة): جار الله محمود الزمخشري.

٩٣ ـ تفسير النسفي (ط: دار ابن كثير ـ دمشق ـ بيروت): عبدالله بن أحمد النسفي.

٩٤ ـ تفسير نور الثقلين (ط: مؤسّسة التاريخ العربي): عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي.

٩٥ ـ الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور (ط: دار المعرفة): جلال الدين السيوطي.

٩٦ ـ شواهد التنزيل (ط: مؤسّسة النشر ـ وزارة الثقافة الإيرانيّة): الحاكم الحسكاني.

٩٧ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن (ط: دار إحياء التراث العربي): الفضل بن الحسن الطبرسي.

٩٨ ـ الميزان في تفسير القرآن (ط: مؤسسة الأعلمي): السيّد محمّد حسين الطباطبائي.

«الكلام والعقيدة وما يرتبط بها»

٩٩ ـ إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون (ط: مطبعة الترقّي ـ دمشق): أحمد بن محمّد الصدّيق.

١٠٠ ـ الإذاعة (ط: مطبعة المدني ـ القاهرة): محمّد صدّيق حسن القنوجي البخاري.

١٠١ ـ الإرشاد (ط:) إمام الحرمين الجويني.

١٠٢ ـ الاقتصاد (ط: دار الأضواء): محمّد بن الحسن الطوسي.

١٠٣ ـ الاقتصاد في الاعتقاد (ط:): أبو حامد محمّد بن محمّد الغزالي.

١٠٤ ـ الألفين في إمامة أمير المؤمنين (ط: مؤسّسة الأعلمي): الحسن بن يوسف الحلّي.

١٠٥ ـ الإلهيّات (ط: المركز العالمي للدراسات الإسلامية): حسن محمّد مكّي العاملي، محاضرات جعفر السبحاني.

١٠٦ ـ الإمام المهدي عند أهل السنّة (ط: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام): مهدي الفقيه الإيماني.

١٠٧ ـ البرهان في علامات مهدي آخر الزمان (ط: منشورات الرضوان): المتّقي الهندي.

١٠٨ ـ دلائل الصدق (ط: منشورات مكتبة بصيرتي ـ قم): محمّد حسين المظفّر.

١٠٩ ـ الذخيرة في علم الكلام (ط: مؤسّسة النشر الإسلامي ـ جماعة المدرّسين): عليّ بن الحسين الموسوي.

١١٠ ـ شرح المقاصد (ط: منشورات الشريف الرضي ـ قم): سعد الدين التفتازاني.

١١١ ـ شرح المواقف (ط: دار الجيل): علي بن محمّد الجرجاني.

١١٢ ـ الصواعق المحرقة (ط: مكتبة القاهرة): أحمد بن حجر الهيتمي.

١١٣ ـ عِقد الدرر في أخبار المنتظر (ط: منشورات نصائح ـ قم): يوسف بن يحيى المقدّس الشافعي.

١١٤ ـ غاية المرام وحجّة الخصام (ط: مؤسّسة التاريخ العربي): هاشم بن سليمان الموسوي البحراني.

١١٥ ـ غاية المرام في علم الكلام (ط:): سيف الدين الآمدي.

١١٦ ـ الغدير (ط: مطبعة الحيدري): عبدالحسين بن أحمد الأميني النجفي.

١١٧ ـ الغيبة (ط: مكتبة نينوى الحديثة): محمّد بن الحسن الطوسي.

١١٨ ـ الغيبة (ط: مكتبة الصدوق): محمّد بن إبراهيم النعماني.

١١٩ ـ كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد (ط: مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام): الحسن بن يوسف الحلّي.

١٢٠ ـ المراجعات (ط: مكتبة الداوري): عبدالحسين شرف الدين.

١٢١ ـ المهدي الموعود المنتظر عند علماء أهل السنّة والإماميّة (ط: مؤسّسة الإمام المهدي (عج) ـ مؤسّسة البعثة): نجم الدين العسكري.

١٢٢ ـ النجاة في القيامة (ط: مجمع الفكر الإسلامي): ميثم بن عليّ البحراني.

١٢٣ ـ اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر (ط: دار المعرفة): عبدالوهاب الشعراني.

«الدعاء وما يتعلّق به»

١٢٤ ـ إقبال الأعمال (ط: مكتب الإعلام الإسلامي): رضي الدين عليّ بن موسى بن طاووس.

١٢٥ ـ مصباح المتهجّد (ط: مؤسسة فقه الشيعة ـ بيروت): محمّد بن الحسن الطوسي.

١٢٦ ـ رياض السالكين (ط: مؤسسة النشر الإسلامي ـ جماعة المدرسين): السيّد علي الحسيني المدني الشيرازي.

«التاريخ والسيرة والمناقب»

١٢٧ ـ أبو هريرة (ط: دار المعرفة ـ مصر): محمود أبو ريّة.

١٢٨ ـ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد (ط: مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث): محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد.

١٢٩ ـ إعلام الورى بأعلام الهدى (ط: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث): الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي.

١٣٠ ـ أهل البيت (ط: مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام ـ قم): جعفر السبحاني.

١٣١ ـ الإمام الصادق والمذاهب الأربعة (ط: دار الكتاب العربي): أسد حيدر.

١٣٢ ـ الإمامة والسياسة (ط: مؤسّسة الحلبي وشركاه): ابن قتيبة الدينوري.

١٣٣ ـ تاريخ بغداد (ط: دار الكتب العلميّة ـ بيروت): أحمد بن عليّ الخطيب البغدادي.

١٣٤ ـ تاريخ الخلفاء (ط:): جلال الدين السيوطي.

١٣٥ ـ تاريخ دمشق (ط: دار الفكر): عليّ ابن الحسين = ابن عساكر.

١٣٦ ـ تاريخ الطبري (ط: مؤسّسة الأعلمي): محمّد بن جرير الطبري.

١٣٧ ـ تاريخ الغيبة الصغرى (ط: دار التعارف للمطبوعات): السيّد محمّد الصدر.

١٣٨ ـ تاريخ اليعقوبي (ط: المكتبة الحيدرية ـ النجف): أحمد بن يعقوب الأخباري.

١٣٩ ـ تذكرة الخواص (ط: المكتبة الحيدرية ـ النجف): سبط ابن الجوزي.

١٤٠ ـ تواريخ النبيّ والآل (ط: دار الشرافة ـ قم): محمّد تقي التستري.

١٤١ ـ جهاد الإمام السجّاد عليه السلام (ط: أمير ـ قم): السيّد محمّد رضا الحسيني الجلالي.

١٤٢ ـ ذخائر العقبى (ط: مكتبة القدس): محبّ الدين الطبري.

١٤٣ ـ سيرة ابن هشام (ط: دار الفكر ـ بيروت): أبو محمّد عبدالملك بن هشام.

١٤٤ ـ فرائد السمطين (ط: مؤسّسة المحمودي للطباعة والنشر ـ بيروت): إبراهيم بن محمّد الجويني الخراساني.

١٤٥ ـ الفصول المهمّة (ط: دار الأضواء): علي بن محمّد = ابن الصبّاغ المالكي.

١٤٦ ـ كشف الغمّة (ط: مكتبة بني هاشمي ـ تبريز): عليّ بن عيسى الإربلي.

١٤٧ ـ الكامل في التاريخ (ط: دار صادر ـ دار بيروت): علي بن أكرم = ابن الأثير.

١٤٨ ـ اللهوف (ط:): رضي الدين عليّ بن موسى ابن طاووس.

١٤٩ ـ مروج الذهب (ط: دار الأندلس): علي بن الحسين المسعودي.

١٥٠ ـ مسار الشيعة (مجموعة مصنّفات الشيخ المفيد): محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد.

١٥١ ـ مطالب السؤول (ط: ايران سنة ١٢٨٧هـ): محمّد بن طلحة الحلبي الشافعي.

١٥٢ ـ مقاتل الطالبيّين (ط: المطبعة الحيدريّة ـ النجف): أبو الفرج عليّ بن الحسين الاصفهاني.

١٥٣ ـ مقتل الحسين عليه السلام (ط: مكتبة بصيرتي): السيّد عبدالرزاق المقرّم.

١٥٤ ـ مقتل الخوارزمي (ط: مطبعة الزهراء ـ النجف): موفّق أحمد المكّي الخوارزمي.

١٥٥ ـ مناقب آل أبي طالب (ط: مؤسّسة منشورات علّامة ـ قم): محمّد بن عليّ بن شهرآشوب.

١٥٦ ـ وقعة صفّين (ط: المؤسّسة العربيّة الحديثة ـ القاهرة): نصر بن مزاحم المنقري.

١٥٧ ـ وقعة الطفّ (ط: مؤسّسة النشر الإسلامي ـ جماعة المدرّسين): محمّد هادي اليوسفي.

«الدراية والرجال والفهارس والمعاجم»

١٥٨ ـ اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشّي (ط: جامعة مشهد): محمّد بن الحسن الطوسي.

١٥٩ ـ الاستيعاب بهامش الإصابة (ط: دار إحياء التراث العربي): ابن عبدالبرّ القرطبي.
١٦٠ ـ أسد الغابة (ط: منشورات إسماعيليان ـ طهران): أبو الحسن عليّ ابن الأثير.
١٦١ ـ الإصابة في تمييز الصحابة (ط: دار إحياء التراث العربي): ابن حجر العسقلاني.
١٦٢ ـ أعيان الشيعة (ط: دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت): السيّد محسن الأمين.
١٦٣ ـ أنساب الأشراف (ط: مؤسّسة الأعملي ـ بيروت): أحمد بن يحيى البلاذري.
١٦٤ ـ تذكرة الحفّاظ (ط: دار إحياء التراث العربي): شمس الدين الذهبي.
١٦٥ ـ تهذيب التهذيب (ط: دار الفكر ـ بيروت): ابن حجر العسقلاني.
١٦٦ ـ تهذيب الكمال (ط: الرابعة): يوسف المزّي.
١٦٧ ـ الجرح والتعديل (ط: دار إحياء التراث العربي): عبدالرحمن الرازي.
١٦٨ ـ حلية الأولياء (ط: دار الكتاب العربي): أبو نعيم أحمد بن عبدالله الإصبهاني.
١٦٩ ـ حياة الحيوان (ط: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت): محمّد بن موسى الدميري.
١٧٠ ـ خاتمة المستدرك (ط: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام): الميرزا حسين النوري الطبرسي.
١٧١ ـ دائرة معارف القرن العشرين (ط: دار المعرفة ـ بيروت): محمّد فريد وجدي.
١٧٢ ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة (ط: دار الأضواء ـ بيروت): آغا بزرك الطهراني.
١٧٣ ـ رجال الطوسي (ط: منشورات المكتبة الحيدرية): محمّد بن الحسن الطوسي.
١٧٤ ـ رجال النجاشي (ط: مؤسّسة النشر الإسلامي ـ جماعة المدرّسين): أحمد بن علي النجاشي الأسدي.
١٧٥ ـ روضات الجنّات (ط: مكتبة اسماعيليان): السيّد محمّدباقر الموسوي الخراساني.
١٧٦ ـ طبقات الفقهاء (ط: مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام ـ قم): إشراف جعفر بن محمّدحسين السبحاني.
١٧٧ ـ الطبقات الكبرى (ط: دار صادر ـ بيروت): محمّد بن سعد الزهري.
١٧٨ ـ الفهرست (ط: جامعة مشهد): محمّد بن الحسن الطوسي.
١٧٩ ـ الفهرست (ط: دار المعرفة): ابن النديم.

١٨٠ ـ قاموس الرجال (ط: مؤسسة النشر الإسلامي ـ جماعة المدرّسين): محمّد تقي التستري.

١٨١ ـ كشف الظنون (ط: دار الفكر): حاجي خليفة.

١٨٢ ـ مراصد الاطّلاع (ط: دار الجيل ـ بيروت): عبدالمؤمن بن عبدالحقّ البغدادي.

١٨٣ ـ معجم البلدان (ط: دار إحياء التراث العربي): ياقوت بن عبدالله الحموي.

١٨٤ ـ معجم رجال الحديث (ط: مدينة العلم): السيّد أبو القاسم الخوئي.

١٨٥ ـ معرفة الثقات (ط: مكتبة الدار ـ المدينة المنوّرة): الحافظ العجلي.

١٨٦ ـ مقباس الهداية (ط: مؤسسة آل البيت عليهم السلام): عبد الله المامقاني.

١٨٧ ـ الملل والنّحل (ط: دار المعرفة): محمّد بن عبدالكريم الشهرستاني.

١٨٨ ـ المنار المنيف في الصحيح والضعيف (ط:): ابن القيم الجوزية.

١٨٩ ـ ميزان الاعتدال (ط: دار المعرفة ـ بيروت): محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي.

١٩٠ ـ وفيات الأعيان (ط: دار الثقافة): أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن خلكان.

«اللغة والأدب وما يناسبهما»

١٩١ ـ أساس البلاغة (ط: دار المعرفة): محمود بن عمر الزمخشري.

١٩٢ ـ جواهر البلاغة (ط: المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر): أحمد الهاشمي.

١٩٣ ـ الصحاح (ط: دار العلم للملايين): إسماعيل بن حمّاد الجوهري.

١٩٤ ـ العين = ترتيب العين (ط: دار الأسوة ـ الأوقاف): الخليل بن أحمد الفراهيدي.

١٩٥ ـ الفائق في غريب الحديث (ط: دار الكتب العلميّة): محمود بن عمر الزمخشري.

١٩٦ ـ الفروق اللغويّة (ط: مكتبة بصيرتي): أبو الهلال العسكري.

١٩٧ ـ القاموس المحيط (ط: دار الكتب العلميّة): محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي.

١٩٨ ـ كشّاف اصطلاحات الفنون (ط: دار الكتب العلميّة): محمّد علي التهانوي.

١٩٩ ـ لسان العرب (ط: دار الفكر): محمّد بن مكرّم بن منظور الأفريقي.

٢٠٠ ـ مجمع البحرين (ط: مكتبة بوذرجمهري): فخر الدين الطريحي.

٢٠١ ـ المصباح المنير (ط: دار الكتب العلميّة): أحمد بن محمّد الفيّومي.
٢٠٢ ـ المعجم الوافي في النحو العربي (ط: دار الجيل ـ دار الآفاق ـ بيروت): علي توفيق الحمد ـ يوسف جميل الزعبي.
٢٠٣ ـ معجم مفردات ألفاظ القرآن (ط: المكتبة المرتضوية): الراغب الإصفهاني.
٢٠٤ ـ معجم مقاييس اللغة (ط: دار الجيل): أحمد بن فارس.
٢٠٥ ـ المعجم الوسيط (ط: مجمع اللغة العربيّة): لجنة معجم الوسيط.
٢٠٦ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر (ط: المكتبة الإسلاميّة ـ بيروت): ابن الأثير.

«مصادر عامّة»

٢٠٧ ـ أمالي المرتضى = غرر الفوائد ودرر القلائد (ط: دار إحياء الكتب العربية): علي بن الحسين الموسوي = السيّد المرتضى.
٢٠٨ ـ أمالي الصدوق (ط: مؤسّسة الأعلمي): محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي.
٢٠٩ ـ أمالي الطوسي (ط:): محمّد بن الحسن الطوسي.
٢١٠ ـ شرح نهج البلاغة (ط: دار الجيل): ابن أبي الحديد المعتزلي.
٢١١ ـ العقد الفريد (ط: دار الفكر): ابن عبد ربّه الأندلسي.
٢١٢ ـ كنز الفوائد (ط: دار الأضواء): محمّد بن علي الكراجكي الطرابلسي.
٢١٣ ـ مجلّة الرسالة المصريّة: العدد ٥١٨، السنة الحادية عشرة.
٢١٤ ـ المعيار والموازنة (ط: المؤلّف): محمّد بن عبدالله الإسكافي المعتزلي.

فهرس المحتويات

الفصل الأوّل: مَن هم أهل البيت؟
٩ـ١٠٨



الفصل الثاني: إمامة أهل البيت عليهم السلام
١٠٩ ـ ١٦٣

الفصل الثالث: حياة أهل البيت عليهم السلام

١٦٥ ـ ٤١٦

الأئمة الاثنى عشر